السياسة والأمن القومي

# الأمن القومي والسلام الديموقراطي


إعداد

مها حامد جنيدي



دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

962
ج . م

جنيدي، مها.
الأمن القومي والسلام الديموقراطي / مها حامد جنيدي وآخرون.- ط1.-
دسوق : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع .
458 ص ؛ 17 × 24سم . (سلسلة السياسة والأمن القومي)
تدمك : 3 - 775 – 308 – 977 – 978
1. السياسة . 2- الأمن القومي
أ - العنوان .

رقم الإيداع : 22577 .
**الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع**
دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة
**هاتف . فاكس :** 0020472550341 - **محمول:** 00201277554725
**E-mail:**elelm_aleman@yahoo.com
elelm_aleman2016@hotmail.com

# الفهرس

# مقدمة

إن نهاية الحرب الباردة ، كانت بمثابة انتصار للديمقراطية والرأسمالية وهي بذلك تعبر عن نهاية التاريخ. بمعنى أن التاريخ دخل مرحلته النهائية كنتيجة لانتصار الولايات المتحدة وحلفائها وسقوط الاتحاد السوفييتي والدول الشيوعية الأخرى. وطالما أن الأمن العالمي على المحك ، فإنه كان على العالم أن يتعامل مع وضع شبيه ببداية التاريخ. و باختصار، فقد تتوجب على باحثي العلاقات الدولية أن يعيدوا النظر في تصوراتهم النظرية حول الأمن. ما حدى بـ "**ستيفن وولت**" إلى وسم هذه المرحلة ( نهاية الحرب الباردة ) بمرحلة "**النهضة للدراسات الأمنية**" في إشارة منه إلى ما تمثله من تطور في حقل العلاقات الدولية. ومن خلال النقاشات التي أثيرت حول مفهوم الأمن، يمكن الخلوص إلى أن المقاربة النقدية يمكنها التعامل مع أي تهديد في العلاقات الدولية.

و سوف يتم استعراض التصور الواقعي الذي هيمن على هذا الحقل المعرفي ليتبع بتصور الأمن الجماعي ونظرية السلام الديمقراطي

# الفصل الأول

## مفهوم الأمن في نظرية العلاقات الدولية

## "الواقعية في العلاقات الدولية"

سيتم استعراض التصور الواقعي وفحص نظرته للأمن في العلاقات الدولية. الواقعية هي الطريقة التي يتم وفقها النظر إلى العلاقات الدولية كعلاقات قوة. ويتعين علينا الرجوع إلى اليونان القديمة والصين إذا أردنا تتبع جذور هذه النظرية. إذ أسسّ " **توسيديدس**" للواقعية ولعلاقات القوة التي تقوم عليها عبر تأريخه للحرب التي دارت رحاها بين أثينا و إسبرطا، والتي عرفت بـ"الحرب البيلونيزية"، وقد قال في هذا الصدد أن: "**إرساء معايير العدالة يعتمد على نوع القوة التي تسندها وفي الواقع، فإن القوي يفعل ما تمكنه قوته من فعله، أما الضعيف فليس عليه سوى تقبل ما لا يستطيع رفضه**". وبدوره أسدى "**سان تسو**"، الاستراتيجي الصيني الذي عاش في زمن "**موتي**"، النصح للحاكم وكيفية صيانة بقائه، واستعمال القوة لتعزيز مصالحه خلال زمن الحرب، وهذا لأول مرة في التاريخ. وبعدها بقرون في إيطاليا عصر النهضة، كتب الفيلسوف الإيطالي "**نيكولا ميكيافيلي**" حول القوة وصيانة الدول لوجودها وهذا في معرض استشاراته للأمير الذي كان يعيش وضعا مماثلا لوضع الصين القديمة زمن سان تسو، وفي كتابه "**الأمير**" نصح ميكيافيلي الحاكم بجعل القوة والحالة الأمنية فوق كل اعتبار، ونحن اليوم نستعمل مصطلح الميكيافيلية لوسم استخدامات القوة بشكل مفرط بهدف التحكم في الأمور. وفي عام 1700، أوجد الفيلسوف السياسي الإنجليزي "**توماس هوبز**" تصور "حالة الفطرة" و"الليفياتان" وأظهر أن الحروب والنزاعات بين الدول شيء لا يمكن تجنبه.

ويعني "الليفياتان" ما نحتاجه لـ "**إقرار النظام وإنهاء الفوضى المميزة لحالة الفطرة**" ويمكن أن يلعب هذا الدور "حاكم أعلى" أو "سلطة الدولة"، ويرتئي هوبز أن الإنسان الذي يعيش "حالة الفطرة"، إنما يعيش وضعا يقاتل فيه الكل بعضهم بعضا.

هذه الرؤية أثرت في التصور الواقعي للعلاقات الدولية، وهذه الصورة حول الفرد تنطبق على العلاقات بين الدول، لأنه لا وجود لـ "الليفياتان" أو القوة الفوقية. و بهذا فإن النظام العالمي الذي تتفاعل فيه الدولة دون سلطة فوقية يمكن أن يصبح فوضويا تتصارع فيه الدول من أجل القوة وفق منطق "**الكل ضد بعضهم البعض**". إذن ، وبحسب هوبز، فإن الدول ، كفاعلين في العلاقات الدولية، تبدوا في حالة صراع دائم فيما بينها من أجل القوة. و هذا ما يجعل من الفاعلين من غير الدول كالأمم المتحدة، والاتحاد الأوربي، والمنظمات غير الحكومية وغيرها لا تعتبر فاعلين من المنظور الواقعي. ونسمي هذه الحالة بالافتراض دولاتي–التمركز ( أي متمحور حول الدولة ).

إن دور الدولة في هذه الوضعية يتمثل في حماية نفسها من الدول الأخرى وذلك مرادف للأمن "القومي" ، الذي يتمحور حول امتلاك القوة الكفيلة بحماية مصالح دولة معينة من أعدائها. و هذا ما جعل من الواقعية صراعا حول القوة في العلاقات الدولية ، إذ أن النزاعات الدولية ، من وجهة النظر هذه، رافقت التاريخ البشري ، فعندما تحاول الدول الصراع من أجل القوة لحماية نفسها ومصالحها المحددة بزيادة مستويات القوة لديها، فهي بحاجة في ذلك إلى قرارات عقلانية حول الأمن، والهدف من ذلك هو سعيها الدائم لتعزيز مصالحها، فالدول كفاعل في العلاقات الدولية يجب أن تكون عقلانية، **ويمكن اختصار كل ذلك في خمس نقاط:**

1- استقيت الرؤى الواقعة من الكتابات القديمة لمفكرين مثل: سان تسو، ثوسيديديس، و هوبز.

2- الواقعية صراع من أجل القوة في العلاقات الدولية لأنه لا وجود لقوة فوقية.

3- تعتبر الدول، من المنظور الواقعي، أهم الفاعلين على الإطلاق.

4- تحتاج الدول للأمن (القومي) لحماية مصالحها الوطنية ويدخل ضمن هذا الإطار سعيها لاكتساب القوة.

5- الدول فواعل عقلانيون يسعون لتعظيم الفوائد وتقليص التكاليف المتلازمة مع سعيها لتحقيق أهدافها.

**الأمن الجماعي والسلام الديمقراطي هو:** [تصور الليبراليين للأمن حيث يستبدلون مفهوم **"الأمن القومي"** - التصور الواقعي للأمن-بمفهوم أو منظور **"الأمن الجماعي"** عبر إنشاء منظمات دولية كفيلة بضمان تحقيقه] .

الليبرالية هي من المنظورات التي تمتلك تصورا أمنيا مخالفا للواقعية هذا الاتجاه يعتبر الأمن القومي والتحالفات نتاجا لتطبيق المنظور الواقعي لكن الليبراليين يمتلكون تصورًا بديلاً يتمثل في الأمن الجماعي وهو، وفقا لـ "**قولدستين**"، يتمثل في "**تشكيل تحالف موسع يضم أغلب الفاعلين الأساسيين في النظام الدولي بقصد مواجهة أي فاعل آخر**". وقد وضع الفيلسوف الألماني "**إيمانويل كانط**" أسس هذا التصور قبل قرنين من الزمن، عندما اقترح إنشاء فيدرالية تضم دول العالم ، حيث تتكتل غالبية الدول الأعضاء لمعاقبة أية دولة تعتدي على دولة أخرى. وهذا يعني **أن الدول الأعضاء في منظومة الأمن الجماعي ستتعاون مع بعضها البعض ضد أية دولة تسعى لتحقيق مصالح ضيقة** وهي الفكرة التي استند إليها الرئيس الأمريكي "**وودرو ويلسون**" في تصوره لعالم يسوده السلام. و هو الذي قرر بعد نهاية الحرب العالمية الأولى إنشاء عصبة الأمم لتعزيز السلام في العالم في ظل الصور المروعة لضحايا الحرب. وقد صرح في جانفي 1918 بضرورة أن تقوم هذه العصبة على 14 ركيزة ستقود إلى نظام عالمي مستقر لما

بعد الحرب، بما فيها ضمان حق الاستقلال للبلدان الصغيرة التي كانت ضحية لنظام توازن القوى، وإضافة إلى إنشاء منظمة دولية تسهر على إقرار الأمن كبديل لنظام توازن القوى.

**لكن ولسوء الحظ** ، فقد أدت الفاشية في كل من ألمانيا واليابان إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية . ومنذ ذلك الحين لم يتمكن نظام الأمن الجماعي من فرض نفسه تاركا المجال للأمن القومي والتحالفات التي ميزت العالم خلال فترة الحرب الباردة . على أن العديد من البلدان عملت في هذه الفترة على إنشاء منظمات للأمن الجماعي في مواجهة منظور الأمن القومي، وهذا ليس بهدف تعزيز أمنها العسكري فحسب بل الاقتصادي والثقافي أيضا، ومن بينها الجامعة العربية ومنظمة الوحدة الإفريقية وغيرها. بل إن الأمم المتحدة في حد ذاتها أنشأت في المقام الأول للعب دور منظمة أمن جماعي وذلك على الرغم من هيمنة الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن. **ومما سبق فإن الأمن الجماعي يؤدي نظريا أربعة وظائف**:

1- الرد على أي عدوان أو أية محاولة لفرض الهيمنة- ولا يتعلق الأمر فقط بالأفعال التي تستهدف بلدانا بعينها.

2- يتم إشراك كل الدول الأعضاء وليس ما يكفي من الأعضاء لصد المعتدي.

3- تنظيم رد عسكري – ولا يترك للدول منفردة تحديد ما تراه إجراءات مناسبة تخصها وحدها.

ورغم وجود الكثير من العقبات في وجه تجسيد الأمن الجماعي، إلاَّ أن هذا التصور الكانطي لا يزال قائما ، وقد ثارت العديد من النقاشات حول هذه المسألة والتي تصاعدت حدتها مع "**نظرية السلام الديمقراطي**" و"**المجموعة الأمنية التعددية** "، فضلاً عن "**نظام العصور الوسطى الجديد**" الذي أبرزته سياسات ما بعد

الحرب الباردة. لكن ومهما اختلفت التسميات إلاَّ أن هذه التصورات تشترك في نقطة واحدة وهي أن البلدان الديمقراطية لا تلجأ إلى الحرب ضد بعضها البعض.

**مع نهاية الحرب الباردة** انساقت الدولة–الأمة تدريجيا بعيدًا عن تبني الصيغة القديمة للأمن القومي ساعية إلى إيجاد صيغ أخرى للأمن ، لأنه أصبح يتعين على هذا المفهوم أن يكون مجهزا للتعامل مع الأزمات الإقليمية ، وأزمة الغذاء ، وأزمة الطاقة، وأزمة التلوث البيئي وغيرها. هذه الأزمات الأربعة تعتبر حساسة جدا للحياة الإنسانية.

## التصور النقدي للأمن

احتدام النقاش بين التصورين الواقعي والليبرالي للأمن والتحولات الحديثة أثارت الحاجة إلى إعادة النظر في مفهوم الأمن في إطار **الأمن النقدي**.

هذا المفهوم يجد جذوره في النظرية النقدية التي وضع أسسها منظرو مدرسة فرانكفورت من أمثال "**ماكس هوركهاير**"، و"**تيودور أدورنو**" و"**يورقن هابرماس**". وتقدم المقاربات النقدية نفسها على أنها أكثر اهتماما بعرض أزمة استعراض الظواهر في الفكر الغربي (**التنويري**) وبالخصوص القضايا المتعلقة بالأسس والنهايات ، والاختلاف ، وسلم المعرفة والرأي ، والروايات الكبرى وغيرها ، كما تدعي أن لديها الأدوات التحليلية الكفيلة بتوضيح المسار الذي أخذه النقاش حول مفهوم الأمن ليأخذ شكله النهائي من خلال الأمن النقدي.

**وفي هذا الصدد يقول "كين بوث" إن**: "طريقتي في التعامل مع هذا النقاش النقدي هو أنني أرحب بأية مقاربة تمكننا من مواجهة المعايير المشؤومة للدراسات الاستراتيجية للحرب الباردة، للوصول في نهاية الأمر إلى إعادة النظر في مفهوم الأمن، طالما أن هناك التزاما بـ"الانعتاق" ( مقابل ترك موازين القوة كما هي ) ، وفي هذا الاتجاه، فإن بوث يرى أن الأمن يعني "الانعتاق". وهكذا فإن التصور

المحوري حول أمن العهد الجديد مرادف للانعتاق، والذي يعني، حسب كين بوث "تحرير الشعوب من القيود التي تعيق مسعاها للمضي قدما في اتجاه تجسيد خياراتها، ومن بين هذه القيود: الحرب، والفقر، والاضطهاد ونقص التعليم وغيرها كثير".

وبالنتيجة فإن الأمن النقدي يمكنه أن يتعامل مع أي من التهديدات التي لم تؤخذ بعين الاعتبار، مثل الكوارث الطبيعية والفقر، وذلك لأن النقاش الأمني القائم، وبالأخص الواقعية وفكرها الدولاتي- التمركز، لا يمكنها من التعامل مع أي تهديد آخر عدا النزاع بين الدول.

إذن ، وبناء على ما سبق ، فإن تصور الأمن ارتبط بالواقعية ، والذي يقوم على افتراض أن الأمن يتحقق بواسطة الدولة – الأمة ، وبأن ذلك يحول دون نشوب النزاعات بين الدول . لكن بعد الحرب الباردة ، أثارت القضايا الجديدة إشكاليات عديدة بالنسبة لمفهوم الأمن كالكوارث الطبيعية والفقر. و نحن الآن بحاجة إلى تصور الأمن النقدي لإقرار مصادر مشكلاتنا، ولتحديد حلول لها، ثم حلها بهدف تعزيز رفاهيتنا.

# الفصل الثاني

## نشأت وتطور النظام الدولي

- **المبحث الأول/ نشوء وتطور النظام الدولي .**
- **المبحث لثاني / طبيعة ومفهوم النظام الدولي .**
- **المبحث الثالث / أثر تطور النظام الدولي على مفهوم السيادة .**

فكرة التنظيم الدولي فكرة قديمة راودت المفكرين والحكام منذ أقدم العهود إذ يمكن العثور على جذورها عند الشعوب القديمة وكذلك في العصور التاريخية التالية. ومع ذلك لم تظهر الفكرة إلى الواقع العملي اذ لم تكن قد كتملت لها الأسباب الموجبة لوضعها موضع التنفيذ [1]، وجوهر فكرة التنظيم الدولي يكمن في أن العلاقات بين الدول تكون أكثر سلماً وأعمق أمنا وأشمل تعاوناً إذ كانت هذه العلاقات تجرى من خلال قنوات منتظمة أى اجهزة منظمة ، والبديل لايمكن أن يكون الا سيادة لقانون الغاب سواء تمثل ذلك في فوضى عالمية أو في إمبراطورية عالمية حيث أن العالم تردى بين هاتين الصورتين لهذا البديل دون أن يتمكن أيهما من تحقيق السلم أو التعاون.

هذا التنظيم الدولي وهو يعني حل المشاكل وتحقيق التعاون لا يتصور قيامه بهذا الدور على وجه ملائم وفعال الا بوجود هيئة أو منظمة دائمة يتم من خلالها وعن طريقها العمل على تحقيق ذلك . وانطلاقاً من هذا فأن لمنظمة الدولية هي مقتضى جوهر فكرة التنظيم الدولي بالاضافة إلى أنها تقدم لنا الدليل لخارجي أو الظاهر على وجود هذا التنظيم . ومع ذلك فاذا كانت المنظمة الدولية ليست غاية

---

[1] - ترجمة د.حسن صعب باسم:تكوين الدولة.بيروت1966 دار العلم للملايين ص.465 وما بعدها.

في ذاتها بقدر ما هي وسيلة لتحقيق التنظيم لدولي لا أنه لا يتصور تحقيق ذلك بدون وجود منظمة أو منظمات دولية . وهكذا تصبح الوسيلة غاية كما هو الحال تماما داخل الدول حيث لا يتصور تحقيق الأمن والعدل داخل أي اقليم ما لم يكن هناك تنظيم ما في هذا الاقليم [1].

يكمن مضمون التنظيم لدولي في الحيلولة دون تغيير الواقع الدولي، أو الإخلال بأوضاعه ، والعلاقات فيه ، أو تبديلها بما يلائم مصالح دولة ما ، وذلك باتخاذ إجراءات دولية جماعية ضاغطة ، أو مانعة لمحاولات هذه الدولة أو مجموعة الدول. كما أن نظام الأمن الجماعي ينكر استعمال وسائل العنف المسلح لحلّ التناقضات والخلافات القائمة في مصالح الدول ، وسياساتها ، بل يؤكد على استعمال الطرق والأساليب السلمية.

ولما كانت القوة ما تزال هي الأساس في تحديد إطار الاستراتيجيات للدول وهي المحرك لأنماط العلاقات الخارجية وتقرير طبيعة أهداف سياساتها (وباعتبار أن إمكانات الدول في مجال القوة ليست متساوية في الكم والكيف) فإن الأقوى كان وما زال يستغل هذه القوة لفرض مصالحه على الآخرين من دون اعتبار لمصالحهم ، وبغضّ النظر عما يسببه من أضرار لهذه المصالح ، من هنا كانت فلسفة «الحق للقوة» (Might makes right) هي السائدة في المجتمع الدولي منذ القديم وحتى اليوم ، وعلى الرغم من النظريات المثالية الحالمة، فإن القوة هي الواقع في التعامل الدولي، اما الاخلاقيات فتقع في مكان ما بينهما.

إنطلاقاً من هذا الواقع ونتيجة الحروب التي لم تتوقف عبر التاريخ، قام منظمي السياسة الدولية بوضع النظريات لإقامة السلام العالمي ، ونظام الأمن الجماعي

[1] - د.محمد عزيز شكري:التنظيم الدولي العالمي بين النظرية والواقع،الطبعة الأول1973. دار الفكر ص.49 هامش رقم 2.

لردع المعتدي مهما كان قوياً أو ضعيفاً، لتمكين المجتمع البشري من العيش بسلام وكرامة، وفق مبادئ وأسس تلتزم باحترامها الدول كافة، وعلى قدم المساواة كبيرها وصغيرها، فهل تحقق ذلك فعلاً؟!

**يعتبر منظرو السياسة الدولية أن أعلى منافع البشرية وخيرها يوجد في سيادة القانون**: القانون الدولي، والقانون الخاص، وضرورة تطبيق القوانين التي اتفق عليها، ولكن الواقع التطبيقي، والممارسة الفعلية في العلاقات الدولية يسمح بطرح التساؤل: أي قانون؟ وقانون من؟ فالقانون ليس شيئاً مجرداً، كما لا يمكن فهمه بمعزل عن مكوناته السياسية التي أوجدته، ولا عن المصالح السياسية والاقتصادية التي يخدمها، ذلك أن القوانين الدولية والتنظيم الدولي، والنظام الدولي المنبثق عنها إنما هو تعبير عن إرادة، ورغبات، ومصالح القوى التي صاغت هذا القانون ووضعت قواعده، وهو يعمل في الحقيقة، وبنسبة كبيرة من الواقع، لخدمتها، وتحقيق أهدافها.

هكذا فان هذا التنظيم الدولي لم يتم طفرة واحدة، ولكنه- مثله في ذلك مثل كل التنظيمات الاجتماعية الأخرى، أخذ صورة التطور. وإذا كان هذا التطور بطيئا غالبا إلاَّ أنه لا يزال مستمرًا.

وعليه فإن نظرة سريعة إلى الفكر السياسي في القرون الماضية تظهر الملامح العامة التي نظر إليها بعض المفكرين لرؤيتهم للنظام العالمي الأمثل والسبل الآيلة إلى سعادة البشر ورفاة حياتهم وعلاقاتهم، وأن كان تضارب الأفكار والمعتقدات شيئا ظاهرًا وبارزا بين هذه الأفكار إلاَّ أن كل منها سعت جاهدة إلى إظهار نفسها البديل الملائم والصحيح للحياة الكريمة والرقي والازدهار الذي يحلم فيه جميع بنو البشر.

**وبناء على ذلك سنتعرض في الفقرة التالية** وفي إيجاز شديد لأهم ما يميز هذه الحقبة التاريخية خلال عصورها المختلفة مركزين في بحثنا على الجوانب التاريخية لفكرة التنظيم الدولي أما الأحداث والتطورات القانونية فسيتم التنوية عنها في موضوع لاحق عند الحديث عن تطور القواعد القانونية الدولية في العصور الحديثة.

**لقد مر النظام العالمي بالعديد من التحولات المتداخلة خلال العصور المختلفة التي قسمها علماء التاريخ إلى ثلاث عصور رئيسية:**

العصر القديم - العصور الوسطى- العصر الحديث ، حيث تدرجت ملامح النظام العالمي من الأنظمة القبلية إلى الأنظمة الإمبراطورية ثم ظهور الدويلات والوحدات السياسية وصولاً إلى الدولة القومية في العصر الحديث وكانت هم سمات النظم العالمي **في هذه العصور فيما يلي** :

### أولاً : في العصر القديم 5500 ق.م - 500 م

تمتد هذه الحقبة من بداية التاريخ المعروف وحتى سقوط الإمبراطورية الرومانية عام 476 م ، ويذكر المؤرخون القدماء أكثر من دليل على وجود علاقات دولية في العصور القديمة تحكمها بعض القواعد، كمعاهدات الصلح التي أنهت الكثير من الحروب، إلا أنها كانت ضيقة ولا تشمل إلا الشعوب المتجاورة التي كانت تشن الحروب على بعضها البعض ، وما كان يتطلبه ذلك من عقد تحالفات ومعاهدات صلح. لقد تمّ العثور على عدة نصوص لبعض المعاهدات القديمة ، من بينها معاهدة للتحالف و التعاون وتسليم المجرمين السياسيين أبرمت في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ( حوالي 1292 ق.م. ) بين « رمسيس الثاني »

فرعون مصر و« خاتيسار» ملك الحثيين وأطلق عليها "**المعاهدة اللؤلؤة** ".[1] كذلك معاهدات صداقة وعدم اعتداء بين بعض بلدان الشرق القديمة . كما تبيّن للباحثين في تاريخ الشرق القديم أن العلاقات بين الشعوب القديمة لم تكن مقتصرة على ميادين القتال والقيام بالحرب أو الغزو، بل أن هذه الشعوب عرفت الكثير من العلاقات السلمية المستقرة ، وذلك من خلال اتفاق أو معاهدة بين الاطراف صاحبة العلاقة ، كما أن هذه الكيانات كانت تعرف كيفية القيام بالوساطة والتحكيم كوسيلة لحل المنازعات بينها سلمياً.

## أولاً : الشرق القديم

### دول العراق :

وصل العرب القدامى بلاد ما بين النهرين في فترة مبكرة من الألف الرابع قبل الميلاد وشرعو في أعمار وبناء مجتمعاتهم بناء تنظيمياً متميزاً ، يعتبر بحق صورة مبكرة للدولة التي مثلتها –آنذاك- الدولة الآكادية ، لما عرفت به من نظم راسخ وجيش قوي مكن لها من بسط سيادتها على رقعة جغرافية عظيمة .[2] وقد كانت الفترة السابقة على بناء الدولة الموحدة من قبل سرغون الأول - حافلة بعدد من دويلات المدن ، ولعلها أول دول - المدن لتي عرفها التريخ ، الذي حفظ لنا معاهدة الصلح بين دولة - مدينة "لكش" ودولة -مدينة "أأوما" العراقيتين في عام 3100 قبل الميلاد .[3]

وبعد أن دالت الدولة الآكادية ، تعاقبت من بعدها دول ، لعل أكثرها صيتاً الدولة البابلية الأولى التي أرسى دعائمها _في عام 2460 قبل الميلاد ، أول ملوكها

---

1- علي صادق ابو الهيف .القانون الدولي العام.منشأة المعارف بالاسكندرية مصر ، الطبعة الحدية عشرة 1975 .

2- د.عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى لقديم،الجزء الأول مصر والعراق،مكتبة الأنجلو المصرية 1990،ص.478 وما بعد .

3- د.عصام العطية،القانون الدولي العام ،مطبعة جامعة بغداد ، 1983 الطبعة الثانية ص153.

"ساموابي" ثم تخذ خليفته " ساموليلا " بابل عاصمة لها . وقد بسطت تلك الدولة نفوذها على كامل أرض العرق والشام ، وغدت بابل عاصمة البر الغربي لآسيا كلها فلا يثبت أمير على امارته الا من بعد أن يشخص اليها ، وبلغت أوج مجدها في عهد " حمورابي" سادس ملوكها، وصاحب أقدم مدونة تشريعية عرفها التاريخ . [1]

وقد تضمنت مدونة " حموربي" 282 مادة ، وقد وجدت منقوشة بالحرف المسماري على مسلة من الحجر الأسود الصلب ، تم أكتشافها في عام 1901 م، وقد شملت تلك المواد على تنظيم راق للأحول الشخصية والعقود المدنية والتجارية ووسائل الاثبات والمسائل الجنائية وسوها.

وخلف من بعد " حموربي" خلف لم يحفظ للدولة سيادتها ولا وحدتها ، فدالت الدولة البابلية الأولى ، وتقلبت الأمور في بلاد الرافدين كثيراً ، قبل أن تنهض دولة عربية قوية أخرى هي الدولة الآشورية ، التي ازدهرت لما أشتهرت به من قوة وتنظيم مكن لها من بسط سيادتها على كامل التراب البابلي ، غير أن ظروفاً تضافرت وعجلت بأنهيارها أمام الدولة الفارسية بقيادة كورش في عام 538 قبل الميلاد. ( لج)

---

1- جرجي زيدان ، العرب قبل الاسلام دار الهلال، ص.55 ، وأيضا : د. شفيق الجراح المؤسسات الحقوقية في بابل ، مطبعة جامعة دمشق ، 1987 . ص. 36 .
2- انظر : جرجي زيدان ، مرجع سابق ، ص. 58 وما بعدها.

## دولة مصر القديمة:

دولة مصر القديمة والتي تطوي في جنباتها ثلاث ألاف عام كانت تضم ثلاث دول : القديمة والوسطى والحديثة ، تعاقبت على الحكم فيها ثلاثون أسرة حاكمة وقد تركت ورائها شواهد شاخصة تحفل بثروة ضخمة من المصادر التاريخية سواء تلك المنقوشة على جدران القصور والمعابد ، أو المدونة على أوراق البردي في مختلف عصورها .[1]

إن الدولة المصرية القديمة ، لما تمتعت به من قوة ورقي ، قد بلغت مكانة رفيعة أعطتها دوراً فاعلاً بين الدول القائمة أنذك ، ولا سيما في عهد رمسيس الثاني الذي أنهى عهداً طويلاً من النزاع مع الحيثيين بسابقة مهمة في تاريخ العلاقات الدولية في العالم القديم ، هي المعاهدت لتي وقعها مع ملك الحثيين Hittites لتنهي حالة الحرب بينهما ، بل لتقودهم إلى التعاون والتحالف سوياً ، كما تضمنت مبادئ هامة أخرى ، وقد وقعت عام 1292 ق.م. وسميت" اللؤلؤ".[2]

## دولة الشام القديمة:

أهم ما تميزت به ، قيامها على نظام الدولة - المدنية قبل اليونان ومدنها وأن كان بعضها قد اتسع ليغدو مملكة مترامية الأطراف كمملكة تدمر[3] وقد أشتهر الفينقيون ، وهم من العرب الكنعانيين سكان بلاد الشام القدماء ، وكانوا يسمون أنفسهم بهذا الأسم الأخير ، أطلقه عليهم اليونانيون وهو مشتق من الكلمة اليونانية phoinix بمعنى النخلة ، أو من الجذر Phoinos بمعنى الأحمر بسبب اللون

---

1- لمزيد من التفاصيل أنظر:
SMITH ;H.S;&Hall ؛R.M; Ancient centers of Egyptian Civilizations;The Kensal press;UK: 1983.p 10.
2-Voir.NGUYEN Quc Dind et autre, Droit intrnational public, 3eme edition. L.G.D.J. paris 1987 . p.36 .
1- أنظر : جرجي زيدان ، العرب قبل الاسلام مرجع سابق ، ص.65 وما بعدها.

الأرجواني الأصيل بالبلاد ، أو بسبب لون بشرتهم البرونزية ،اذا ما قيست بلون البشرة اليونانية . [1]

وقد أشتهر الفينقيون طوال التاريخ القديم بشجاعتهم في ارتياد عالم البحار وتأسيس ركائز استراتيجية ، مكنت لهم من السيادة على البحر الأبيض المتوسط كانت أهمها على وجه الاطلاق " قرطاجة " التي انتقلت اليها لسيادة الفينيقية بعد أنكسار الدولة الكنعانية الأم على يد نبو خذ نصر - الملك الآشوري - ما بين (604 - 561 ) قبل الميلاد .

والواقع أن الدولة الكنعانية لم تنته نهائيا - آنذلك - بل يمكن القول بأنها خضعت لنوع من الانتداب أو الحماية ، بدليل أن الملك الأشوري اكتفى بازحة الملك "بابل " واحلال آخر من أنصاره محله ، ثم تحولت بعد ذلك إلى النظام الجمهوري برئاسة قاض يلقب " بالسوفيت"[2].

## دولة المغرب العربي:

قد يبدو غريباً أن تسقط الدولة " الفينقية" في المشرق ، ثم تعود إلى الحياة في المغرب ، بذلك الفرع العنيد " قرطاجة" التي تأسست حولي عام 814 ق . م. - قبل أن تؤسس روما بما يناهز الستة عقود في عام 756 ق.م. وحافظت على ارتباطها الوثيق بالوطن الأم ، إلى أن وقعت تحت السيادة الآشورية ، فآلت اليها المكانة الدولية التي كانت تشغلها في الدولة الأم ، بما في ذلك السيدة على الركائز الاستراتيجية في البحر الأبيض المتوسط ، فكان لابد من الاصطدام مع اليونانيين

---

2- ج.كونتتو . الحضارة الفينيقية ، ترجمة د. محمد عبد الهادي شعيرة ، مراجعة د. طه حسين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1997 ص.44 .

3- أنظر : ج. كونتو ، مرجع سابق ، ص.434 .

ثم مع الرومان الذين أرادو فرض سيادتهم على العالم ، وكانت الحروب الفونية ( أي الفينقية ) بين روما وقرطاجة أطول الحروب في التاريخ[1].

وتنقسم الحروب الفونية إلى ثلاث مراحل ابتدأت عم 268 ق.م. وأشهرها الحرب الثانية (219—202 ق.م.)، وفيها عبر القائد القرطاجي الشهير هانيبغل إلى أسبانيا ، عبر بلاد الغال وانتصر على الرومان في موقعة كان في عام 216 ق.م. ثم أجتاز جبال الألب ، وكان على مشارف روما عندم علم بهزيمة شقيقه أزدروبال فاضطر للتراجع والدفاع عن الوطن ، وكن لانكسار في موقعة زاما . وانتهت تلك الحروب .[2] .

## اليونان القديمة:

استوطن الإغريق شبه الجزيرة اليونانية حوالي 1500 ق.م. وقد عرفت المدن اليونانية قبل توحيدها على يد ( فيليب المقدوني ) نظام الحياد وحرمة السفراء وافتداء أسرى الحرب والتحكيم فيما بينها.[3] إلا أنها في علاقتها مع الشعوب الأخرى ، كانت الحروب وتقوم بالفتوحات انطلاقا من اعتقادها بالتفوق على باقي البشر ، **وفي ذلك يقول أرسطو**: " لا يجوز لمدينة يونانية أن تمارس سياسة لغزو والفتح ضد مدينة يونانية أخرى، لأن اليونانيين أحراراً في الطبيعة " [4]

---

1-أنظر: ه. ج. ويلز، مزجز تريخ العالم، ترجمة: د.عبد العزيز توفيق جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية 1999 ، ص 140 ومابعدها .

2-أنظر : ج. كونتو ، المرجع السابق ، ص 112 .

3- د. غضبان مبروك ، المجتمع الدولي : الأصول والتطور والأشخاص ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، الجزائر، 1994 ، ص 34.

1-نظر : د. غضبان مبروك ، المرجع السابق ص 34 - 35.

**ويقول أيضا في كتابه " السياسة"** : إن المدن اليونانية لها الحق بأن تتقدم معاً لفتح أراضي الشعوب البربرية ، وهذا الحق يصبح واجباً ، بمجرد أن يصبح مستندآ لى قوة عسكرية تعطي الأمل بالنصر" [1] .

ولقد تحقق ذاك لأمل على يدي الاسكندر تلميذ أرسطو ، الذي أنشأ إمبراطورية كبرى ، بيد نتهت بموته عام 333 ق.م. واقتسم قواده الثلاثة ( أنتيغون - بطليموس - سلوقس ) امبراطوريته الواسعة.[2]

وتميزت الدولة اليونانية القديمة - التي كرسها الفكر الغربي أصلا من الأصول الرئيسية لمنظومتة الفكرية - بنهوضها على تراتيبية طبقية ، أرست بدورها ركائز المعضلة السياسية الكبرى التي واجهت الفكر الاغريقي آنذك ، وهي ضمان المكان الملائم لكل طبقة في المكان الصالح لها في المجتمع . ولاشك أن الأساس التميزي لمارسة حقوق المواطنة يقدح في الاعتبار القائل بصدقية " ديمقراطية الاغريق".

وفي المقابل عرفت العلاقات بين المدن اليونانية ، والتي بلغت أوجها مع الديمقراطية الأثينية ، قدرًا كبير من الاستقرار ، مرده الخصائص المشتركة للمجتمع الهيليني من عرق وثقافة وحضارة ودين ، والتي كانت تجمع هذه المدن في رباط روحي واحد ، يعززه شعور واضح بالعداء لغير اليونانيين . ولهذا ازدهرت العلاقات الاقتصادية والتبادل التجاري بين المدن اليونانية ، وأمكن الحديث عن "قانون دولي اقليمي هيليني "[3] لحكم العلاقات فيما بين المدن المذكورة .

وقد أسهم تطور التجارة الدولية في ذلك الوقت ، في عقد مجموعة من الاتفاقات الثنائية لحماية أشخاص وأموال التجار الأجانب . وابتدعت اليونان مؤسسة

2- د. بن عامر تونسي ، قانون المجتمع الدولي المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، 1988 ص 12.
**3-** أ نظر : ج . كونتو ، مرجع سابق ، ص 99 .
1- د. محمد سامي عبد الحميد ، أصول القانون الدولي ، الجزء الأول ، الجماعة الدولية ص.54.

البروكسيني Proxenie التي يعدها البعض أساس الحماية القنصلية التي نعرفها الآن والتي يقوم أحد وجهاء المدينة بمقتضاها بحماية أشخاص الأجانب وأموالهم . كما ابتدعت التحكيم لتسوية المنازعات بين المدن اليونانية . وقد تم حصاء ما مجموعه 110 تحكيمات خلال خمسة قرون تنتهي مع الغزو المكدوني في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد .

وكثيراً ما انتهت حالة التهديد بالحرب بين المدن اليونانية بفترات سلم تم ترتيبها في معاهدات دولية معروفة ( مثل معاهدت سلام الثلاثين عاما بين سبارطة وأثينا عام 446 ق.م ، ومعاهدت سلام الخمسين عاما فيما بينهما عام 431 ق.م. ) .

**وعرفت اليونان القديمة بعض قوانين وأعراف الحرب** : قاعدة أعلان الحرب و " أنسنة " الحروب عن طريق المعاملة الانسانية للأسرى ، وحرمة المعابد الدينية في بلاد العدو ، وحرمة رجال الدين . كما عرفت محاولات أولية لإقامة نوع من التنظيمات الدولية التي تقدم على أسس دينية ، حيث يجتمع ممثلون عن المدن اليونانية في جمعيات خاصة Ampyctionies لإدارة المعابد الدينية بشكل مشترك وعرفت محاولات لاقامة أحلاف عسكرية للدفاع المشترك Sympachies ( أنشئ أشهرها عام 476 ق.م. وثانيها بعد حوالي قرن من الزمان عام 378 ق.م. ) ولكن هذه المحاولات الأولية للتنظيم لم تعمر طويلاً بسبب النزعة الأثينية للسيطرة على المدن اليونانية الأخرى . والسمة البارزة للقواعد التي عرفتها اليونان القديمة هي الطابع الديني في زمن لم يكن فيه الفصل بين القانون والأخلاق والعدل والدين بهذا الوضع الذي نعرفه اليوم . [1]

---

1- د.محمد يوسف علوان ، القانون الدولي العام المقدمة والمصادر، عمان ، دار وائل الطبعة الثالثة 2003 ص.38 وما بعدها ..

## عصر الرومان:

لم يختلف الرومان كثيراً عن الإغريق في نظرتهم إلى ما عداهم من الشعوب وتميزت علاقاتهم بها بسلسلة متواصلة من الحروب انطلاقاً من سياسة روما العليا في السيطرة على العالم ، وضم أكبر عدد ممكن من الأقاليم إلى الإمبراطورية وهذا ما حدث بالفعل ، فقط اخضعت روما العالم المتمدن القديم بكامله تقريباً وكانت معاهدات الصلح التي أبرمت مع هذه الشعوب والدول المغلوبة تمليها إرادة الغالب وتفسر وفق رغباته ، أي الحق للأقوى!

أسهمت روما حين كانت تسيطر على العالم القديم إسهاما لاينكر في تطور القانون الدولي . فقد كانت روما أول "دولة " في العالم تضع مجموعة من القواعد الداخلية التي تحكم علاقتها مع الدول الأخرى . وكان هناك مثلا قانون روماني للسلام والحرب Jus Fetial . وهذا القانون ذو صبغة دينية أساسا ، إذ يعد بتطبيقه وتفسيره إلى رجال الدين من الرهبان Fetiales الذين هم في نفس الوقت سفراء روما ، وبهذه الصفة كانوا يتمتعون بالحصانة الشخصية . ويختص هؤلاء بالبت في إخلال أي أمة أجنبية بالتزاماتها نحو روما ، وفي الإعتراف لها في هذه الحالة بالحق في شن حرب " عادلة "بعد القيام بمجموعة من الطقوس الشكلية ، وبهذا يكون القانون الروماني قد فرق بين الحرب العادلة والحرب الظالمة، ولكن هذه التفرقة إنما تستند إلى قاعدة رومانية لا إلى قاعدة دولية . وبمعنى أخر لم يكن القانون الروماني للسلم والحرب قانونا دوليا بالمعنى الدقيق ، وإنما هو قانون داخلي تضعه روما ، من جانب واحد ، وتلزم نفسها به في مواجهة العالم الخارجي .

وقد قامت علاقات دولية بين روما والعالم الخارجي . وكثيراً ما تضمنت معاهدات الصداقة Amicitia والضيافة Hospitium والتحالف Foedus التي

عقدتها روما بنودا لتسوية المنازعات بالتحكيم . وكذلك تبادلت الإمبراطورية الرومانية السفراء مع الممالك الأخرى واعترفت بالحصانة للسفراء الموفدين اليها .

وأوجدت روما مجموعة كبيرة من القواعد القانونية التي تحكم علاقات المواطنين الرومان مع الأجانب الذين تعقد دولهم معهدات صداقة مع روما ، وتندرج هذه المجموعة من القواعد ضمن القانون الذي أطلق عليه الرومان اسم قانون الشعوب Jus gentium الذي لم يكن من القانون الدولي في شيئ ، وإنما هو قانون روماني خاص بالمعاملات بين الرعايا الأجانب بعضهم ببعض أو بينهم وبين المواطنين الرومان . وبمعنى آخر فهو مجموعة من القواعد القانونية الداخلية التي أوجدتها روما بعد ازدهار العلاقات التجارية بينها وبين الشعوب الأخرى وبعد استقطاب " **المدينة الخالدة** " لأعداد كبيرة من الأجانب لكي تصبح " عاصمة العالم " وهو ينظم أنشطة الأجانب في روما ولا علاقة له بأنشطة الدول ، ولكنه لا يمكن مع ذلك إنكار الدور الذي لعبه قانون الشعوب على الصعيد العالمي فهو ينطلق من فكرة أساسية مفادها لزوم وجود قانون عالمي مشترك للإنسانية . وهو يوضح من جهة أخرى أن للأجانب مجموعة من الحقوق الدنيا التي تحميها القوانين المحلية لدولة الإقامة ( حق تكوين العائلة ، الذمة المالية ، حق المتاجرة ) [1] .

هذا عن القانون الذي يحكم علاقات الرومان مع الشعوب الأجنبية . أما العلاقات بين الرعايا الرومان أنفسهم فيحكمها القانون المدني Jus civile . كما احتل القانون الطبيعي Jus naturae مكانة متميزة في القانون الروماني .

وقد تأثر الفقهاء الرومان بالفلسفة الرواقية Stoicisme التي نادت منذ القرن الثالث قبل الميلاد عبر زعيم هذه المدرسة المفكر زينون ZENON ، الذي دعا إلى

1- انظر محمد يوسف علوان .مرجع سابق ص39 .

مدينة عالمية يكون فيها جميع البشر متساوون ، ومواطنون أخوة تجمعهم حياة واحدة ونظام واحد للأشياء على قاعدة القانون الطبيعي الذي يتسق ويتألف مع القواعد والمبادئ الأساسية للعدل والعقل ، فهم يقولون (أن لله أب لجميع الناس ، فنحن جميعاً أخوة ، ويجب علينا ألا نقول : إنني أثيني وأنني روماني بل يجب علينا أن نقول "إنني مواطن في العالم" )[1]. وتعتبر الرواقية أن القانون الطبيعي هو فوق القوانين الوضعية وأنه يسمو عليها . ولهذا نرى الفقيه الروماني المعروف شيشرون CICERON يقول بوجود قانون طبيعي أزلي ينطبق على جميع الناس و "قواعد منطق " مشتركة بين جميع البشر.

وكما كان الأمر مع الرواقية لجهة تطويع القانون الطبيعي لخدمة لفكرها ومعتقداتها ، أتت مرحلة الإمبراطورية الرومانية لتبرر حتلالها وفرض شرعيتها على الشعوب عبر القانون الطبيعي كذلك ، وفي الواقع استلهمت قانون الشعوب Jus Gentium لهذا الغرض با عتبار قانونا عالميا من وجهة نظرها .[2] وواقعا لقد تلاشت الدول في شخصية الإمبراطورية الرومانية في تلك الفترة ، وقد ساعدة هذا التلاشي ظهور المسيحية واتخاذها كديانة رسمية في القرن الرابع ، وقد سعت الكنيسة الرومانية آنذاك إلى التبشير بالرسالة المسيحية للعالم على مبادئ السلام بين الشعوب وإقامة العلاقات التي تخدم هذه التوجهت على قاعدة الخضوع لله إلاَّ أن فكرة المدينة العالمية اقتصرت على العالم المسيحي ليس إلاَّ ، ولم يطل الزمن حتى انتشرت الحروب في القرون الوسطى وتبين أن حكم الشعوب بالقانون الذي فرضته الإمبراطورية الرومانية بالقوة غير قادر على استيعاب مصالح الشعوب وتطلعاتها، الأمر الذي أدى إلى تفكك الإمبراطورية الرومانية إلى إقطاعيات تحكمها الأمراء وأصحاب السلالات العريقة في أوربا .

---

1- د.محمد حسن الأبياري . المنظمات الدولية الحديثة وفكرة الحكومة العالمية ،الهيئة المصرية العامة للكتاب 1978 ص.25.

**2-** حول الفلسفة الرواقية :أميل برهييه ، الفلسفة الهلنسية والرواقية ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ج2 ،بيروت،1982 ، ص.34 وما يليها .

# الصين

بعد وفاة الإمبراطور شي هوانج تي أشهر أباطرة الصين ، وإليه ينسب سور الصين الذي تم انجازه في سنة 300 ق.م. يبلغ طوله النهائي 2250 كم ؛ ويتراوح إرتفاعه مابين 6- 9 م ، وعرضه مابين 3-4 م وهو يعبر عن ثقة الصينيين الكاملة بالأسوار. انقضى عهد أسرة تسئن ، فخلفتها في حكم الصين أسرة هان ، وازدهرت في عهدها ، بل أصبحت أفضل نظام سياسي في العالم تمدناً وتنظيما آنذاك ثم تدهورت الأوضاع إلى أن جاءت للحكم أسرة تانج ، لا سيما في عصر الامبراطور تايسونج الذي وصل إلى الحكم عام 627 ميلادي. [1]

وقد قدم فلاسفة الصين تصورت جديرة بالاعتبار فيما يتعلق بالتنظيم الدولي والعلاقات الدولية ، إذ أن كونفوشيوس CONFUCIUS آمن بوجود قانون مشترك للعالم بأسره وعلى ضوء ذلك بنى نظريته في العلاقات الاجتماعية والدولية . [2] أما الفيلسوف لاوتزو Laottsu فقد دعا إلى الحد من الحروب وبحث في العقوبات الدولية التي يمكن ايقاعها بالمخالفين .

إن أثر الفلسفة الصينية التقليدية - لما تمثله الصين عالمياً - لا ينكر، فقد تضمنت أيضاً مدرسة الشرائع ؛ التي دعت للقوة والسلطة الشمولية ، ومدرسة الأسماء الجدلية ، التي بالغت بتعريف الأسماء ، سيما وأن بعضها ظل حياً حتى مطلع القرن العشرين . [3]

---

1- ه.ج.ويلز موجز تاريخ العالم ، ترجمة د. عبد العزيز توفيق جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثنية ،1999 ، ص.140

2- أنظر . د.بن عامر تونسي .مرجع سابق . ص.154 وما بعدها.

1- د. عبد الغفار مكاوي ، جذور الاستبداد ، عالم المعرفة ، العدد 192 ، كانون الأول/ ديسمبر 1994 الكويت،ص122 .ولتفصيل أكثر في معرفة الحضارة الصينية الأولى، وما لحق بها حتى اصطدامها بالغرب ، ثم الوصول إلى مرحلة الثورة وانتصارها ، أنظر ول.ديورانت ، "المدنيات المفقودة والرأي الغربي في مهد الحضارات الأول، قصة الحضارة " الجزء الرابع ، المجلد الأول ص19 وص 218 وما بعده .

# الهند

أقدم الوثائق عن الهند يرجع تاريخها إلى الفترة التي تقع ما بين 1200 - 8000 ق.م. وهي تكشف عن مدينة بدائية تدل على وجود إمارات صغيرة يحكمها ملوك ضعاف . بيد أنه ومنذ القرن الخامس قبل الميلاد ، وصلت مدينة الهند إلى مرحلة متقدمة وحدث تطور هام في الديانة والأفكار الفلسفية لدى البراهمة من تجلي فيما استحدثه بوذا بالمطالبة بإلغاء الطبقات ، فكان مذهبه ثورة إجتماعية على النظم القديمة .[1] ولكن أثر هذه الفلسفة لم يدم طويلاً ، لأن نظام الطبقات عاد إلى الظهور- بعد اضمحلال أثر الفلسفة البوذية – وما زال قائما حتى الأن في الهند .

أما قوانين مانو Lois de Manu تم وضعها حوالي 1000 قبل الميلاد فقد بحثت في جوانب عدة ، إذ أمر مانو بتحريم تعطيل الحقول الزراعية وقطع الأشجار في الحرب ، بل أوجب على المحارب ألا يقتل عدوا استسلم ولا أسير حرب ولا عدوا نائما أو أعزل ولا شخصآ مسالما غير محارب .... وفي المجال الدبلوماسي يقول مانو.. أن من يرفع يده في وجه السفير يتعرض للهلاك والابادة وذلك لأن السفير مصان من قبل الألهة .[2]

والحقيقة أن تاريخ الهند في مجمل التاريخ العالمي ، يعد صورة نموذجية للحياد بوجهيه السلبي والايجابي ، وهو الدور الذي أضطلعت بأدائه إيجابياً لمدة وجيزة من الزمان ، عادت بعدها إلى الحياد السلبي ، ومع ذلك ، فالهند تبقى -**كما قال غوستاف لوبون :** " خلاصة ناطقة لجميع أدوار التاريخ وصورة صادقة للأطوار المتأرجحة بين الهمجية الأولى والحضارة الحديثة .[3]

---

2- أنظر : ول ديورانت ، المرجع السابق ، الجزء الثالث من المجلد الأول "الهند وجيرانها " ص 73 وما بعدها.

1- أنظر : د.بن عامر تونسي ، مرجع سابق ، ص 10-.11

2- في أحوال الهند القديمة وتطورها التاريخي ، أنظر د. غوستاف لوبون ، حضارة الهند ، نقله إلى العربية عادل زعتر ، الطبعة لأول ، 1948 ، ص 9 وما بعدها.

## ثانيا: في العصور الوسطى 500 م.– 1500 م.

ضاعت وحدة روما حين قسمها الامبراطور ثيودوس بين ولديه هونوريوس وأركاديوس إلى امبراطوريتين ( إمبراطورية الشرق وإمبراطورية الغرب ) . ويؤرخ لبداية القرون الوسطى عادة بسقوط الإمبراطورية الغربية على يد البرابرة عام 476 م. مع ما أسفر عنه ذلك من قيام العديد من الممالك والإمارات على أنقاضها . أما نهاية القرون الوسطى فيؤرح لها بسقوط الإمبراطورية الشرقية على يد محمد الفاتح عام 1453 م .

بعد انحسار الحضارة والإمبراطورية الرومانية سيطرت النزعة المسيحية في الغرب والإسلامية في الشرق وظهور الدويلات والوحدات السياسية ، وكذلك ظهور الإقطاع وبداية الراسمالية وتداخل عصر النهضة الأوربية بين هذه العصور والعصور الحديثة .

أصبح التجمع الغربي تحت رأيه الكنيسة الكاثوليكية وتحت رعاية البابا قائمآ ، في ظل هيمنة الكنيسة الكاثوليكية وخضوع الملوك والأمراء لسلطة عليا واحدة متمثلة في البابا وفي الإمبراطور :

اعتمادًا على نظرية " السيفين " ، التي تستند إلى قول المسيح - عليه السلام " إن لله خلق سيفين لقيادة العالم أحدهما روحي والآخر زمني - وأولهما للبابا والآخر للأباطرة " . [1]

وفي سنة 800 ميلادي ، قبل الملك شارلمان الذي توجه البابا ليون الثالث سيطرة الكنيسة والبابا حين أعاد إنشاء الإمبراطورية الجرمانية المقدسة

---

1- د. سعد عبد الفتاح عاشور ، أوربا العصور الوسطى ،الجزء الأول ، "التاريخ السياسي" الطبعة السابعة مكتبة الأنجلو المصرية ،1994 ص. 394.

" الكارولنجية " [1] التي شملت معظم البلاد الأوربية ، واعتبرها الألمان والفرنسيون توحيداً لأوربا ، وقد بارك البابا قيامها ، ونظر إليها رجال الكنيسة على أنها الآلية المناسبة لقيام إمبراطورية تشمل أوربا كلها ، سيما وأن أباطرتها قد رسخوا من حمايتهم للكنيسة الكاثوليكية حتى أصبح نفوذها متغلغلاً في شؤن الحياة الأوربية بكافة نواحيها .

## تأثير المسيحية:

أوجد انتشار المسيحية في أوروبا رابطة دينية قوية بين معتنقيها ، كما أدى التبشير بمبادئها والدعوة إلى التآخي والمساواة بين الشعوب والأفراد ونبذ الحروب إلى بروز نمط جديد في الفكر الكوني قائم على السلام، وإلى بروز فكرة الحرب العادلة التي كانت ترمي إلى تقييد اللجوء إلى الحرب ، وتلطيف عملياتها ، فلم تعد مباحة إلا عند الضرورة ولسبب عادل ، وبعد استنفاز الوسائل السلمية لرفع الظلم.

كذلك تمّ وضع نظامين مهمين هما « السلام الإلهي » ويقضي بحياد الأماكن المقدسة، ورجال الدين، والاطفال، والعجزة، و« الهدنة الإلهية »(Trève Dieu ) التي تمنع الحرب في أيام محددة من الأسبوع كالسبت والإثنين وأيام الأعياد . كان لانتشار المسيحية تأثير في التوفيق بين دول أوروبا وقيام أسرة دولية مسيحية تخضع لسلطة البابا ، وقد ساعد على توطيد هذه الفكرة ظهور الإسلام وتهديده بانتزاع السيادة على العالم من المسيحية.

وبلغ نفوذ الكنيسة أوجه في عهد الباب بونيفاس الثامن Boniface 1294 – 1303 م ، ثم جاءت الحروب الصليبية فتحاً جديداً أعلى من شأن البابوية ، أثر النداء الشهير الذي أطلقه البابا أوربان الثاني من مجمع كلير مونت

2- كارلس ديفز ، شارلمان ،نقله إلى العربية د. السيد الباز العريني ، مكتبة النهضة المصرية، ص.167.

ببـاريس . [1]**إذ قـال فيـه** : " فلينطلـق المسـيحيون بـالغرب لنجـدة الشـرق . فيـؤدون مـا أمـر للّه بـه أن يعمـل "، ولكـن أهـم انجـازات تلـك الحـروب أنهـا وحـدة العـالم المسيحي ، وجعلت من تلك الوحدة أمراً مسلماً به ، وأصبحت المشكلة هي في إقرار السيادة لروما [2].

ومنـذ البدايـة كـان هنـاك توافـق بـين إسـقاط الأنـدلس وغـزو المشـرق ، فلـيس مصـادفة أن يكـون سـقوط طليطلـة سـنة 1085 ، ثـم يعقبـه سـقوط القـدس في سـنة 1099 ، إلا أن الحروب الصليبية أنتهت فعلاً إلى ارتدادها عن دار الاسلام ، وأرسل فردينـاد ملـك قشـتالة رسـالة بشـرى إلى البابـا ، ونـال حظـاً عظيمـاً مـع شـريكته إيزابيـل ملكـة الأرغـون بـأن أصـبحا علـى رأس قائمـة الملـوك حمـاة المسيحية . [3] وأسبغ عليهـا البابـا لقـب العـاهلين الكـاثوليكيين ، لـذلك أصبح عـام 1492 – عام سقوط غرناطة – نقطة تحول هامة نحو قيام الامبراطورية الاسبانية التي لمع نجمهـا علـى يـد كـارلوس الخـامس حفيـد فردينـاند ،[4] وأول خمسة ملـوك حكموا بأسم آل هابسبورغ.

بعد طرد العرب من الأندلس ـ بموجب معاهدت السلام التي سلمت غرناطة – في كـانون الثـاني / ينـاير 1492 ، وفي العـالم نفسـه بـدأت رحـلات اكتشـاف العـالم الجديد ، إذ غـادر في 13 آب (أغسطس) البحـار الجنوي كريستوف كولمبس قشـتالة ثـم اكتشـف الشـاطئ الشـرقي لـذاك العـالم (سـان سـلفادور) في 12 تشـرين الثـاني

1- أنظر ، د. بن عامر تونسي ، مرجع سابق ، ص.30-31 .
2- ستيفن رنيسمان ، تاريخ الحروب الصليبية الحرب الأولى وقيام مملكة القدس - نقله إلى العربية ، د.السيد الباز العريني ، دار الثقافة ،بيروت، الطبعة الأولى ، 1967 ، ص. 153 - طلب امبراطور القسطنطينية اليكسوس كومينوس يد المعونة من البابا أربان الثاني - لمقاومة المسلمين - رغم القطيعة بين الكنيستين الشرقية والغربية .
1-عادل سعيد بشتاوي ،الأندلسيون المواركة، القاهرة، 1983 ص.107.
اذا يقول ماكيافيلي متحدثاً عن فرديناند: "أرتفع من مركز أمير صغير إلى مكانة أعظم أمير في البلاد النصرانية" أنظر ماكيافيلي ، الأمير، تعريب، محمدلطفي جمعة، الطبعة الثانية نمؤسسة النوري ، دمشق 1990 . ص161 -162.

( نوفمبر ) ، في 12 تشرين الثاني (نوفمبر)، لقد أسهمت تلك الكشوف في تغير وجه العالم القديم ، وأعادت التشكيل الستراتيجي للعالم من جديد ، بأن غدا ذاك العالم الجديد بعداً ثالثاً للحضارة الأوربية . تدخلت الكنيسة لتوزيع الغنيمة بين الدول الأوربية ، وقام البابا الاسكندر السادس بإصدار صكاً بابوياً لتقسيم الأراضي بين أسبانيا والبرتغال ، وقد أسس الفقه الكنسي مشروعية التدخل البابوي على اعتبار أن سكان العالم الجديد ينتمون إلى عرق أدنى من الأسبان كما أنهم كفار، مما يعطي للأسبان الحق في إحتلال أراضيهم . (1)

بينما أنكر جانب من الفقه ذلك ودعا إلى إيجاد مبرراً صالحاً لدخول العالم الجديد ، إذ قال فيتوريا "أنه ليس بوسع البابا أن يعطي ما ليس له ، وليس له أن يطالب بأية سيادة زمنية على العالم " (2).

وقد أباد الغزاة الأوربيون شعوباً كاملة واقتلعوا حضارات بأسرها ، إذ قضى " كورتيز" على حضارة الآزتك Aztequs في المكسيك بين عامي 1519 -1522 وفعل فعله " بيزارو " حينما أباد شعوب الأنكا Incas واقتلع حضارتهم إبان غزوه بيرو. (3)، وهكذا تمكن الغرب من استيطان العالم الجديد وطمس وجود شعوبه الأصلية ، بل أنه طمس حتى الاسم الحقيقي لتلك الشعوب وأصولها العرقية

---

2-أنظر ، د. بن عامر تونسي ، مرجع سابق ، ص.30-31 .
1- د. أحمد اسكندراني و د.محمد ناصر أبو غزالة ،محاضرات في القانون الدولي العام،المدخل والمعاهدات الدولية، دار الفجر ، الطبعة الأول ،1998 ، القاهرة ، ص62
2-كان فيتو ريا " 1480 - 1546 " راهباً أسبانياً وأستاذاً لعلم أللاهوت في جامعة سلامانكا ، ويعد من الرعيل المؤسس للقانون الدولي، أنظر المرجع السابق ، ص17 لامير نيقولو مكيافللي، تعريب خيري حماد، مكتبة التحرير، بغداد الطبعة التاسعة 1988 - ص 243.يوتوبيا: هي المكان المنشود لهناء البشر وتعني باليونانية: ليس في مكان ما. جعلها توماس مور (1478-152) عنواناً لكتابه الذي صور فيه دولة مثلى تحقق السعادة للناس، وتمحو الشرور، وهي جزيرة خيالية.

وأعطى لها لقباً ظالماً يوحي بالجهل والهمجية ، وساير العالم الغرب في جنايته حينما أقر تسمية تلك الشعوب" بالهنود الحمر ".

أدى اعتزاز البابا بسلطته الروحية ، إلى التدخل في شؤون الدول والملوك واعتباره المسيحية أساساً للعلاقات الدولية ، أدى إلى إقصاء الدول التي لا تدين بها مما ولّد شعوراً لدى هذه الدول بضرورة التحرر من سلطة الكنيسة ، فبدأت توحد قواها الداخلية مستعينة بظهور حركة النهضة العلمية والاكتشافات الجديدة في العالم وبروز حركات الإصلاح الدينية في القرن السادس عشر ، أثرت حركة الاصلاح الديني في أوروبا ، فانقسمت بين مؤيد للكنيسة ، ومدافع عنها وعن مصالحها، ومعارض يعمل للاستقلال عن النفوذ الكنسي، وقد تصادم الفريقان في حرب ضروس عمت كل أوروبا، فقد أسفر الانشقاق الديني عن انقسام أوربا إلى معسكرين : المعسكر البروتستانتي معسكر الاستقلال عن نفوذ الكنسي الذي أكد على علو السلطة المدنية في الدولة وأسهم بالتالي بتعزيز ووحدة هذه الأخيرة ومعسكر الدول الموالية للكنيسة الذي ضعفت فية الكنيسة تدريجياً ولم يعد بمقدورها أن تكون منافسا جديا للدولة . وهكذا بدأت حرب استمرت ثلاثين عاماً ، وعرفت بحرب « الثلاثين سنة » من عام 1618 كحرب دينية في مبتداها ، ثم ما لبثت بإشراك أمم أخرى فيها انطلاقاً من عام 1635 ، أن أصبحت حرباً دولية أوربية وانتهت بمعاهدة « وستفاليا » عام 1648، والتي شكلت اتجاهاً جديداً في العلاقات الدولية، وتأطيراً لنظرية الأمن الجماعي الاوروبي، والتي استقت مبادئها من وحي الأديان وكتابات المفكرين، والفلاسفة الذين تأثروا بفلسفة اليونان المثالية خصوصاً افلاطون في كتاب « الجمهورية »، وتوماس مور في كتابه « اليوتوبيا » وغيرهما(1).

---

1- أنظر ، د. بن عامر تونسي ، مرجع سابق ، ص 30-31 .

فـإذا اسـتعدنا ظهـور الإسـلام فـى القـرن السـابع الميلادى، أى قبـل نشـأة فكـرة القـانون الـدولى بأحـد عشـر قرنـا، نجـده قـد جـاء للإنسـانية كلـها بـآخر رسالة سماوية.

عنـدما ظهـر الإسـلام ، كـان العـالم المعـروف حينئـذ يكـاد يكـون محصـوراً فـى إمبراطـوريتين كـبيرتين ، لكنهمـا كانتـا متهـالكتين، همـا إمبراطوريـة الفـرس وإمبراطورية الروم، بالإضافة إلى شبه الجزيرة العربية التى كان لها شرف استقبال الدين الجديد، وألف- لأول مرة- بين قبائلّها المتناثرة والمتناحرة، فجعل منها دولة ذات كيان سياسى واضح، وما لبثت هذه الدولة، التى قامت على مبادئ الإسلام وتعاليمـه، أن امتـدت، واتسـع نطاقهـا، حتـى ورثـت معظـم المنـاطق التـى كانـت خاضعة لسلطان الإمبراطوريتين المتهالكتين.

إن الإسلام- كما نعلم- وهو موجه للبشرية كلها، لذلك فإن النظام السياسى الذى أقامه المسلمون فى المدينة تحت قيادة الرسول (ﷺ)، اتسم منذ اللحظات الأولى بطابع العالمية والدبلوماسية معاً. وقد تجلى ذلك واضحاً فى الرسائل التى بعـث بهـا الرسـول (ﷺ)، إلى رؤسـاء العـالم حينئـذ: كسـرى الفـرس وقيصـر الـروم ونجاشى الحبشة، ومقوقس مصر وغيرهم. ومن المعروف أن هذه الرسائل قد حملها مبعوثون دبلوماسيون على مستوى عال من الكفاءة ، وأن بعض هذه الرسائل كان لها أثرها الإيجابى، كما هو الحال فى مصر والحبشة ، بينما قوبل بعضها الآخر بصورة غير متحضرة بالمرة، كما فعل كسرى حين مزق الرسالة.

كـذلك كـان للّمعاهـدات التـى وقعهـا الرسـول (ﷺ)، مـع القبائـل العربيـة أو اليهـود ، نمـاذج عاليـة مـن السياسـة الحكيمـة التـى تحفـظ لجماعـة المسـلمين حقوقها، وترد عنهم كيد المعتدين، وفى هذا المجال ينبغى أن نتأمل معاملة الرسول- (ﷺ)- لمبعوثى أعدائـه، وحـاملى رسـائلهم، وممثلـيهم السياسـيين، وهـى معاملـة

يحق لنا أن نقول فيها إنها سديدة ومستقيمة، فالإسلام فوق ما يكفله لهم من صيانة وأمن على الأرواح، يمنحهم نوعاً من الحصانة الاجتماعية التى تضمن لهم حرية العودة إلى أوطانهم متى شاءوا، ولا يدع سبيلاً إلى احتجازهم فى بلاد المسلمين بحجة أنهم من الأعداء.

يلى ذلك طريقته عليه السلام، فى الاستماع لهؤلاء المتفاوضين، وحسن استعداده للتفاهم أو التعاقد معهم. والقرآن الكريم يحض الرسول ( ﷺ ) على قبول مبدأ الصلح، متى وجد من العدو ميلاً إليه:وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ( (الأنفال: 61).

أما شروط الصلح وطرائقه، فقد رأينا فى هدنة الحديبية، كيف أن روح المسالمة، التى كانت تعمر قلب رسول الإسلام ، قد جعلته يضحى بكثير من التفاصيل المتعلقة بألقابه الأدبية ، وبالسمعة الحربية لجيشه، وببعض الحقوق الفردية لأتباعه على أن ذلك لا يعنى قبول كل اقتراح من جانب العدو مهما كان شاذاً ، أو ضاراً بحقوق الأمة والأجيال المقبلة ، ولعل أبسط العقود السياسية هو التصريح الذى يصدر من جانب واحد ، ولا يلزم إلا الطرف الذى أصدره ، كإعلان دولة ما أنها تلّتزم الأمن والحماية لدولة أخرى ، ونحن نجد من هذا النوع مثالاً واضحاً فى العهد الذى أعطاه الرسول ( ﷺ ) لأهل سوريا ومن معهم فى أثناء غزوة تبوك. وضمن لهم فيه حرية انتقالهم، وأمن قوافلهم البرية والبحرية، بشرط ألا يثيروا شغباً على المسلمين.

لكن المعاهدة بالمعنى الصحيح تتطلب اتفاقاً وتبادلاً للمنافع يقبله طرفا العقد جميعا. وأقل ما يتحقق فى هذا النوع من العهود هو التعاقد الذى لا يتضمن إلاَّ التزامات سلبية تنحصر فى امتناع كلا الطرفين عن كل فعل ضار بالآخر. وقد نقل لنا المؤرخون أمثلة لمواثيق من هذا النوع عقدها الرسول ( ﷺ )، والتزم

فيها الطرفان- إما لمدة غير محصورة ، وإما إلى أجل معلوم- ألا يهاجم أحدهما الآخر ولا يحالف عدوا له، ولا يساعد معتديا عليه ، ومن ذلك على سبيل المثال: ميثاق الهدنة التى عقدها الرسول ( ﷺ )، مع قريش، فى السنة السادسة من الهجرة، لمدة عشرة أعوام.

على أن الحقوق والواجبات المتبادلة إنما تبرز فى أكمل مظاهرها فى عهود الحلّف. ومن أمثلة ذلك تلّك المحالفتان اللتان تعهد بهما صلح الحديبية، حيث سمح لكلا الفريقين أن يختار حليفا له من بين القبائل العربية، فاختارت قبيلة (خزاعة) أن تحالف محمداً، واختارت قبيلة (بنى بكر) أن تحالف قريشاً.

وهناك مثال طريف لنوع من المواثيق لا نجده إلاَّ فى العصر الحديث ، وهو ذلك العهد الذى أعطاه الرسول ( ﷺ ) ، لنصارى نجران باليمن، يلّتزم لهم فيه بحرية عقيدتهم ما داموا مسالمين، ويلتزمون له بمساعدات مالية. وهو إن كان عهداً محلياً أكثر منه عهداً دولياً، إلا أن فيه شرطاً يذكرنا باتفاق الإعارة أو التأجير الذى عقدته الولايات المتحدة الأمريكية مع بريطانيا، لتمويل الجيوش الإنجليزية فى الحرب العالمية الثانية.

ونخلص من إيراد هذه الأمثلة والنماذج إلى تقرير حقيقة ناصعة، وهى أن العالم الاسلامي على خلاف الحال في أوربا الصراع بين السلطتين الروحية والزمنية بل كان الخليفة يجمع في شخصه بين كلتا السلطتين . ولكن كما حدث في أوربا تماما لم تعش وحدة الأمة التي عرفها العالم الاسلامي لمدة طويلة . فقد فقدت دولة الأسلام وحدتها منذ أواخر القرن الثامن الميلادي حينما قام عبد الرحمن الداخل بتاسيس الدولة الأموية في الأندلس عام 756 م. وقامت بعد ذلك

دول اسلامية في ديار الاسلام كدولة الأدارسة في المغرب عام 788 م. ودولة الأغالبة عام 800 م. والدولة الطولونية في مصر عام 868 م. [1]

ولكن المسلمين ـ على خلاف الأوروبين ـ رفضوا الاعتراف بشرعية التجزئة وعاشوا تاريخهم " ممزقين بين واقع مفروض يرفضونه و " مثال " يطمحون إليه فلا يصلون إليه " . [2] فقد اعترفت الدول الأوربية بعضها ببعض مبكراً في أواخر القرون الوسطى ومطلع العصور الحديثة . أما في العالم الاسلامي فلزم انتظار نهاية العهد العثماني لكي تشرع الدول الإسلامية بالإعتراف رسمياً بعضها ببعض . ولم يكن لهذا الاعتراف أحياناً مضامينه الحقيقية . إذ أن أمل الوحدة التامة ـ أو الحلم المنشود (المفقود ) للوحدة العربية التامة- وأيا كانت السبل - لايزال يسيطر على الأفئدة وحتى العقول في بعض أرجاء الوطن العربي .

**ثالثا : في العصر الحديث بداية من عام 1500 م**

كانت بداية استمرار عصر النهضة وإستمرار الاقطاع ثم الأيديولوجية الرأسمالية والكشوفات الجغرافية التي تحولت إلى استيطان استعماري ـ النزاعات الأوربية بسبب التنافس الاستعماري ـ الثورة الصناعية واستعمار دول الشرق والأمريكتين وحلول السلام في أوربا بعد معاهدة فيينا وتقليم أظافر الثورة الفرنسية مع استمرار ظهور النزاعات الألمانية الفرنسية ثم الأوربية العثمانية وكانت نتيجتها الحربين العالميتين .

أن المفصل الأساس في تلك الحقبة يبدوا جليا فيما أقرته معاهدة وستفاليا سنة 1648 التي جاءت بعد سلسلة من المنازعات والحروب الطاحنة التي اندلعت في عام 1618 بين الدول الكاثوليكية والبروتستانتية وتحولت تدريجياً إلى حرب

1- أنظر، د. محمد يوسف علوان ، مرجع سابق ن ص44- 45.

2- د. محسن الشيشكلي ، الوسيط في القانون الدولي العام ،الجزء الأول، منشورات الجامعة الليبية ، كلية الحقوق ،1973 ، ص326.

طاحنة للسيطرة على أوربا ، فهي وأن وضعت حدا ولو مرحليا لبعض القضايا الأوربية فقد أسست لنوع جديد من العلاقات القائمة على قاعدة التعاون المشترك بدلا من سياسة القوة والاخضاع والسيطرة ، وعلى الرغم من أن جميع المشاركين فيها أوربييون وأن جوهرها ومضمون احكامها كانت للقضايا الأوربية ، إلا أن ما آلت إليه الأمور بطبيعة الحال امتداد مفاعيلها إلى خارج النطاق الجغرافي لأوربا لما لهذه الدول الأخيرة من امتدادات استعمارية خارج القارة ، مما أسس عهد جديد للعلاقات الدولية وأول تدوين لقواعد القانون الدولي .

**ينصرف مصطلح "معاهدات وستفاليا " إلى معاهدتين تحديدًا** : الأولى معاهدة Osnabruck التي أبرمت بين كل من ملك السويد وحلفائه ومن بينهم فرنسا من جهة وإمبراطور وأمراء ألمانيا من جهة أخرى ، أما الثانية فهي معاهدة Munster التي عقدت بين فرنسا وحلفائها ومنهم ملك السويد من جهة وإمبراطور وأمراء ألمانيا من جهة أخرى . وكرست معاهدت وستفاليا الهزيمة المزدوجة للامبراطور والبابا ، وولدت معها قانونا الدولة الحديث ذات السيادة .

**أما الركائز الذي أقامته معاهدت وستفاليا للنظام الدولي الأوربي فهي :**

1. إنهاء الصراع الديني والإعتراف بالبروتستانتية ، إلى جانب الكاثوليكية وإقرار مبدأ "توطين " الدين ، بإرغام الرعية على اتباع دين حكامهما . [1]
2. اعتبار مفهوم السيادة مصطلحآ دوليآ ، تتميز به الدولة وصفة تدل على أهليتها القانونية . بل إن بعض الفقه الغربي يعتبر ان تلك المعاهدة هي التي أرست المفهوم الحديث لسيادة الدولة .

---

1- أنظر ، د. علي صادق أبو رغيف ، مرجع سابق، ص 40-41.

The Peace Of Westphalia Produced the Modern Sovereign State of religion by enforcing on the subject the religion of their sovereign , See ;Friedmann.W.op.cit.p20-3 " nationalization "the Sanctio.□

1- إرساء مبادئ الاعتراف بالدولة الناشئة سيما وأنها جاءت في أعقاب إنهيار الامبراطورية الجرمانية المقدسة ، وما نجم عنها من دول جديدة .

2- إقرار مبدأ عدم التدخل في الشؤن الداخلية سواء أكانت سياسية أم دينية .

3- انضمام روسيا إلى الجماعة الدولية الأوربية .[1]

أما بالنسبة للقواعد القانونية الدولية ، أرست معاهدت وستفاليا .

- نظاما للسفارات الدائمة وتنظيمى للشؤن القنصلية .
- القواعد لقدسية المعاهدات ، وتعيين الحدود الدولية والتخوم .
- الأسس لتدوين القواعد القانونية الناظمة للعلاقات الدولية .

**مبدأ توازن القوى** The balance of pozer

إن بساطة ووضوح فكرة التوازن في الظواهر الطبيعية ، تشجع على الاعتقاد بأن نظام توازن القوى ليس من اجتهاد فكر محدد ، وقد عرفت الدول القديمة ظاهرة توازن القوى ، وكانت دول وادي الرافدين ومصر ، تتبع أساليب التوازن في علاقاتها وكذلك فعلت المدن اليونانية القديمة [2].

---

2 - د. كاظم هاشم نعمة ، العلاقات الدولية ، الجزء الأول ، جامعة بغداد ، 1979 ، ص209 ، ولمزيد من التفصيل في مبدا توازن القوى ، أنظر . د. اسماعيل صبري عبد الله ، العلاقات السياسية الدولية المكتبة الأكاديمية ، 1991 ، ص 265 .

1- أنظر. ماكيافيلي ، كتاب الأمير ، مرجع سابق ، ص 114 - 128 - يعد ماكيافيلي – وهو لم يكن أميراً - أكثر من رصد ودبر لتلك التراتيب .

أما الرومان ، فقد تمكنوا ـ بعد انكسار قرطاجة ، من نشر سلطانهم على رقعة واسعة من العالم آنذاك ، ولم يجدوا ضرورة للتوازن مع قوة خارجية ، بينما انشغل أمراء أوربا في عصورها الوسطى ، بإعداد تراتيب على نمط نظام توازن القوى تحفظ عليهم إماراتهم وتخدم تطلعاتهم [1].

وأهم من هذا أن من ينهزم يعترف لمن كسب بحق فيما كسبه . ولما نشأت الدولة فى صورتها الحديثة فى منتصف القرن السادس عشر برزت فكرة سيادة كل دولة واستقلالها وبالتإلى المساواة بين الدول . وكان يقصد بالدول حينئذ الدول المسيحية الكاثوليكية وحدها . ثم بدأت الدول المستقلة ذات السيادة فى الإلتقاء في سلسلة مؤتمرات للإتفاق على أسلوب التعامل فيما بينها بدلا من الحروب .

أولها مؤتمر وستفاليا ( 1648 ) الذى أقر مبدأ توازن القوى ومؤداه أن تقوم الدول معا بردع أية دولة تتوسع على حساب دول أخرى . وتبعتها سلسلة من الإتفاقات ( أوترخت 1713 والحياد المسلح 1780 ) آخرها " التحالف المقدس 1815 ، والتحالف الثلاثى 1879 والتحالف الفرنسى الروسى 1897 .. إلخ ، فقام لأول مرة نظام دولي عام بالنسبة للدول المنضوبة فيه ، ورضائى أى بدون سلطة عليا تفرضه وتحميه ، وتأكدت به فى الوقت ذاته سيادة واستقلال الدول . ومع أن تركيا الإسلامية دخلت هذا النظام ( 1856 ) وبعدها اليابان غير المسيحية ، إلا أن لم يصبح عالميا . وظل الوضع هكذا حتى الحرب الأوروبية الأولى ( 1914- 1918 ) فبرزت فكرة تجنيب العالم مثل الدمار الشامل الذى عانته فى الحرب فأنشأت منظمة عالمية أسميت عصبة الأمم .

---

2- أنظر ، د. علي صادق أبو رغيف ، مرجع سابق، ص 40 -41.

إن أوربا عرفت السلام ، بقدر ما عرفت من الحرب تقريبا ، وأنها مدينة بفترات السلام لتوازن القوى ، هذه التسمية التي شاعت بعد أن استعملها " روبرت ووليول " الوزير الانجليزي الأول في خطاب له أما مجلس العموم بتاريخ 13 شباط " فبراير " 1474 ، وكان مليكه " هنري الثامن " 1509 ، يفخر بلقب الحكم في أوربا The arbiter of Europe " وأمر أن ترسم له لوحة ، حاملاً بيده اليمنى ميزانا كفتاة في حالة توازن تام في إحدهما فرنسا ، وفي الأخرى النمسا ، ويحمل بيده اليسرى وزناً ليلقي به ... واتخذ شعاراً له " من أنصره يغلب Cui adhaereo proset ".[1]

إلاَّ أن فرنسا كانت السباقة في القيام بدور " حاملة التوازن " . أما الولادة الحقيقة لهذا المبدأ ، فقد كانت في صلح " أوترخت " ، الذي جاء لتوطيد سلام وأمن العالم المسيحي . إذ جاء النص فيها صريحاً " ليحفظ في أوربا التوازن .

Ad conserrandum in Europa equilibrium ".[لج] وقد أقرته الدول الأوربية وعاشت عصراً ذهبياً ، في ظل نظام توازن القوى، وقد أسهم في نجاحه تأدية بريطانيا دور الدولة " حاملة التوازن ". الا أن الثورة الفرنسية ، وما نجم عنها والنزوع إلى السيطرة ، وتحقيق الامتيازات هوى بمبدأ " توازن القوى " فكان لابد من إعادة رسم خارطة أوربا السياسية ، والإنتقال بذلك من حال إلى حال....

---

1- د. أديب نصور ، ميزان الدول ، منشورات جامعة قار يونس - بنغازي ، الطبعة الأولى ، 1991 ، ص 19 – 20 .

1- أوترخت Utrecht سلسة من المعاهدات استمرت مفاوضاتها ما بين نيسان (أبريل ) 1713 م و أيلول ( سبتمبر ) 1714 م ، أعقبت وراثة العرش الاسباني بين أل هابسبورغ و أل بوربون ، التي استمرت 13 عاماً من 1701 حتى 1714 . للمزيد أنظر : د. أديب نصور ، مرجع سابق ، ص 118 - 119.

بدأت فرنسا بعد الثورة عام 1789 م ، بمحاولاتها في إعادة رسم خارطة أوروبا من خلال تصوراتها ، في تصدير الثورة التي تجاوزت شعاراتها فرنسا إلى محتلف دول أوروبا ، وخاصة بعد وصول نابليون بونابرت إلى سدة الحكم وأطماعه ، اضافة إلى طموحات الثورة ، بيد أن أوربا خالفتها الرأي والهوى فتحالفت ضدها ، وانتهت بسقوط نابليون ، [1]

فجاءت معاهدة الحلف المقدس في 26 سبتمبر 1815 م ، حيث ترجع فكرة هذا الحلف إلى عام 1804 م ، عندما اقترح قيصر روسيا " اسكندر الأول " إنشاء عصبة تضم الدول الأوربية ، بعد التخلص من نابليون – تلتزم بالمبادئ المسيحية في العلاقات الدولية ؛ لذلك جاءت المعاهدة المنشئة لهذا الحلف ، مطبوعة بطابع مسيحي واضح ، أشير في ديباجتها إلى عزم الدول الأطراف فيها ، إلى الالتزام بالمبادئ السامية للمسيحية ، باعتبارها الديانة المقدسة والأبدية. [2]

بيد أن الإغراق في المثالية الدينية – التي تنطوي عليها تعاليم السيد المسيح عليه السلام – لم تأتلف والواقعية السياسية السائدة في العلاقات الدولية ، ودفعت بالكثيرين إلى التشكيك بقدرة الحلف المقدس على النجاح في تحقيق اتحاد أوربي آمن . إلا أن الاخفاق الذي واجه هذا الحلف إعادة الدول الأوربية مرة ثانية في التفكير عن تحالف جديد يضمن إلى البحث عن تحالف أقوى ، فظهر هذا التحالف الأوربي الجديد .

---

2.See:SUTHERTAND ,Menzies ,the Doumfall of Napoleon ; in the worlds great event S op .cit.vol 6.pp195-177.

1- ثمة رأي بان الطابع الديني الواضح لهذا المشروع ، إنما يعود إلى الأثر العميق للبارونة الروسية جوليانا دي كرودن Juliana de Kruden (1764 - 1824 ) على القيصر اسكندر الأول ، سيما أنها كانت معروفة بنزعتها المتطرفة في التصوف ، انظر : د. محمد سامي عبد الحميد ، مرجع سابق ص 23 .

## الوفاق الأوربي :

فكرة ناضجة تختلف عن الحلف المقدس الذي جاء بطابع ديني للشعوب والدول المسيحية في أوربا ، وإنما طرحة فكرة التعاون في أدارة شؤون القارة الأوربية تقوم بها الدول الكبرى بالتشاور فيما بينها بالطرق الدبلوماسية وكذلك المؤتمرات الدولية ( أوربية )،

**وإعطاء هذه المهمة للدول العظمى أي دول مثل** :

( **روسيا ، النمسا ، بريطانيا وبروسيا** ) ، وكان هذا عام 1815 حيث انضمت فرنسا أيضاً ، وفي هذا الأطار عقدة أربعة مؤتمرات ما بين عام 1815 وحتى عام 1822 ، وفي هذه المؤتمرات تبين التباين بين هذه الدول الكبرى رغم السيطرة التامة على شؤون القارة طيلة قرن من الزمن ( 1815 ـ 1914 ) . حيث أن خلال هذه الفترة الزمنية تكرست أهم مبادئ القانون الدولي التقليدي ، وفي نفس الوقت أرست جذورها في التنظيم الدولي المعاصر .

## ملامح المتغيرات الدولية في القرن التاسع عشر وبداية عصر جديد:

إن التفاعلات والتوازنات على ساحة علاقات القوى الرئيسية في القارة الأوربية أدى إلى عجز الوفاق الأوربي عن الاستمرار في أداء دوره ، حيث سار العمل السياسي داخل هذه المجموعة ( الأوربية ) ، على سياسات ارتجالية في اليات العمل الدولي الجماعي ، في الوقت الذي اتسع حجم العلاقات الدولية وكذلك النمو السكاني الذي شمل كافة أنحاء المعمورة ، وكذلك الحرب الغربية الأولى التي عجز الوفاق في منع اندلاعها ، كل هذه الأسباب أدت إلى بدء انحصار و إنتهاء دور الوفاق في السياسة الأوربية .

وكما الأمر بعد كل جولة من الحروب التي تؤدي إلى تحالفات وموازين جديدة كانت هزيمة نابليون مناسبة هامة لإعادة صياغة الواقع الأوربي من جديد

على قواعد وأسس تراعي المتغيرات الحاصلة على الارض . حيث تداعت الدول المنتصرة إلى عقد مؤتمر فينا في سبتمبر 1814 وستمر إلى شهر يونيه عام 1815 **وتضمنت هذه المعاهدة عدة مسائل أهمها:**

1. إعادة تنظيم توازن القوى في أوربا ، التي عصفت بها حروب نابليون وإقرار مبدأ المشروعية الملكية ، أي احترام الملك الشرعي على اقليمه ، وطبق هذا المبدأ بأثر رجعي لاعادته بيوت الملك القديمة إلى عروشها كما حصل في النمسا وبروسيا وأسبانيا . وأصبحت السويد والنرويج دولة اتحادية اتحاد حقيقي وألحقت بلجيكيا بالأراضي المنخفضة هولندا ، إزالة بولندا عن خارطة الجغرافية – السياسية لأوربا وتوزيعها بين روسيا وبروسيا والنمسا ، وتقرر وضع سويسرا في حياد دائم .
2. إقرار مبدأ التدخل للقضاء على الحركات الثورية ، التي يمكن أن تنهض في أحد البلاد الأوربية ، كما حدث وتدخلت القوى الكبرى في إخماد الثورات التحررية في إيطاليا (1820 ) أسبانيا (1823 ) الانتفاضة الرومانية ضد السيطرة التركية ( 1821 ) كما أخمدوا أيضا ثورات ما بين عامي ( 1830 – 1848 ) في العديد من الدول الأوربية الصغرى.
3. التنافس الاستعماري بين الأمبراطوريات الاستعمارية الناشئة فرنسا و إنجلترا ، إذ بلغت مساحة المستعمرات البريطانية 33.5 مليون كيلو متر مربع أي ما يعادل ربع مساحة الكرة الأرضية ، وبلغت مساحة المستعمرات الفرنسية 10 مليون كيلو متر مربع .[1]
4. تراجع الدولة العثمانية عن دورها الفاعل في المجتمع الدولي ، لتغدو رجلاً مريضاً ، لا يحتاج الإجهاز عليه كبير العناء فعندما تقرر ضم تركيا إلى المجتمع

1- أنظر ، د. غضبان مبروك ، مرجع سابق ، ص 91 .

الـدولي في معاهـدة بـاريس 1856 ، إذ تقيـدت الدولـة العثمانيـة بمجموعـة مـن المعاهـدات والالتزامـات الدوليـة ، الـتي كانـت بدايـة النهايـة للدولـة العثمانية . [1]

5. سيادة مبادئ القانون الأوربي العام ، أو ما اصطلح على تسميته بالقانون الـدولي التقليـدي الـذي يتنـاول بـالتنظيم والتنسيق مصـالح القـوى الأوربيـة لن الجماعة الدولية لا تضم إلا جماعة الشعوب الأوربية المسيحية المتمدنة .

كانت أوربا تعتبر أهم قارة وكانت أفريقيا وآسيا مجالا للتوسع الاستعماري والتجـاري والـديني ، حيـث كانـت الـدول الأوربيـة ( القـوى العظمـى ) ، أكثـر أهميـة من الدول الصغرى لأن نطاق مصالحهم كان أكبر ومسؤلياتهم أعظم فضلا عن كثـرة مـا لـديهم مـن مـال وسـلاح . حيـث قامـت هـذه القـوى بمسؤلية جماعيـة عـن سـلوك القـوى الصـغرى وبـنفس الوقـت عملـت علـى توطيـد السـلام بيـنهم ، حيـث تأسسـت إدارة دبلوماسية محترفة في كل الدول الأوربية ، إضافة إلى مبدأ المفاوضات السرية والمتصلة .

المجتمـع الـدولي في القـرن التـاسـع عشـر هـو أساسـا دول أوربيـة قليلـة العـدد ( خمس عشرة دولة في عام 1815 )، أما الدول غير الأوربية فهي مستبعدة من دائـرة المجتمع الدولي ، ويمكن للدول الأوربية أن تغزوها وتستولي عليها وقتما تشاء . ولكـن الدائرة الجغرافية للقانون الدولي توسعت تدريجيا ، وذلك بعد دخول الإمبراطورية العثمانية واليابان والصين وسيام وفارس وجمهوريات أمريكا اللاتينية في مجتمع الأمم ، ومشاركاتها في المؤتمرات الدولية العديدة التي انعقدت خلال القرن .

---

2- أنظر ، د. ابراهيم أحمد شلبي ، مرجع سابق ، ص 26 . د. محي الدين محمد محمود قاسم ، مرجع سابق ص 311 -312.

وبناء على مبادرة من نقولا الثاني قيصر روسيا ، انعقدت مؤتمرات دولية في باريس وبرلين ولاهاي في عامي 1899 - 1907 ، وكان أخرها مؤتمر لندن عام 1912 - 1913 بعد الحرب البلقانية الثانية . وقد أعد المؤتمر الأول ثلاث اتفاقيات دولية ، قننت الأولى منها تسوية المنازعات الدولية بالطرق السلمية (المساعي الحميدة ، الوساطة ، التوفيق ، التحقيق ، التحكيم ) ، كما تضمنت الاتفاقية النص على إنشاء " المحكمة الدائمة للتحكيم " التي هي ليس لها من صفتي المحكمة والدوام غير الاسم ، فهي ليست محكمة مكونة من عدد من القضاة ، وما هي إلاَّ قائمة بأسماء أشخاص يمكن للدول المتنازعة أن تختار من بينهم هيئة التحكيم .

**ولا شك أن مؤتمري لاهاي يمثلان أهمية خاصة بالنسبة للتنظيم الدولي وذلك لأسباب عديدة منها :-**

**أولاً** : أن هذا النوع من المؤتمرات كان ينعقد في وقت السلم وهو مايعني ظهور نوع من الدبلوماسية الجماعية في وقت السلم وعدم قصرها على وقت الحرب أو لتصفية المشاكل الناجمة عن الحرب .

**ثانياً** : أن قاعدة هذا النوع من المؤتمرات كانت أكثر اتساعآ من غيرها حيث لم تعد قاصرة على الدول الأوربية بل ساهمت فيها دول غير أوربية .

**ثالثاً** :إن هذه المؤتمرات كانت دورية أو على الأقل شبه دورية حيث كان المؤتمر الأول عام 1899 م والثاني عام 1907 م والثالث كان مقرراً له عام 1915 م ولا شك أن إقرار الدورية في ذاته يعتبر تقدماً ملموساً ، كما أنه إعتراف بفائدة هذه المؤتمرات .

**رابعاً**: أن هذين المؤتمرين حاولا إيجاد وسيلة لحل المنازعات بدلا من الحروب وهو ما يظهر من الاهتمام الشديد بالقانون الدولي ، وتمثل ذلك في التعرض لمسألة تقنين قواعد هذا القانون وبالذات إنتقاء وإرتقاء وصياغة قواعد

وإجراءت حل المنازعات حلاً سلمياً ، ولو قدر لهذا التطور الاستمرار لكان ذلك مؤثر ليس فقط على تنظيم الجماعة الدولية بل أيضاً على إيجاد وسائل هذا التنظيم وفي مقدمتها المنظمات الدولية .

النظام الدولي ( أثناء الحرب العالمية الأولى ) متعدد الأقطاب بإشراف عصبة الأمم ترتب على الحرب العالمية الأولى 1914 - 1919 وما نتج عنها من آثار جسيمة سواء كان ذلك بالنسبة للأنفس أو بالنسبة للأموال إدراك ضرورة إيجاد وسيلة تمتاز بالتنظيم والدوام وتكون قادرة على الحيلولة دون تكرار الحروب بواسطة ما يكون لها من احتصاصات تمنع الالتجاء إلى القوة لحل المشاكل الدولية وتوفير إمكانية حل هذه المشاكل بالطرق السلمية .

كانت دافعا كبيرًا لعدد من المفكرين والساسة للبحث عن الوسائل والهياكل التنظيمية الدولية الكفيلة بتحقيق سلام عالمي دائم والحيلولة دون قيام حرب دولية جديدة، وظهرت أثناء هذه الحرب أفكار ومنظمات شعبية؛ وهو ما هيأ الأجواء لظهور "**عصبة الأمم**"، وهي المنظمة التي دعا إليها الرئيس الأمريكي تودور ولسون في خطابه الشهير أمام الكونجرس في (8 يناير 1918م) حول مبادئه الأربعة عشر؛ فقد دعا إلى إنشاء رابطة بين الأمم من خلال معاهدة دولية خاصة بهدف تقديم ضمانات متبادلة تتعلق بالإستقلال السياسي، وسلامة أراضي كافة الدول صغيرها وكبيرها على حد سواء، وأصر ولسون في مؤتمر الصلح الذي عقد بعد الحرب أن يكون ميثاق "**عصبة الأمم**" جزءا لا يتجزأ من "معاهدة فرساي" التي وقعت في (28 يوليو 1919)، وبذلك نشأت العصبة وبدأ وجودها الفعلي والقانوني في (10 يناير 1920م)، ورغم الدور الأمريكي في إنشائها فإن الولايات المتحدة لم تصبح شريكا فيها ؛ نظرًا لرفض الكونجرس الانضمام إليها.

كان قيام " العصبة " قفزة نوعية كبرى في مجال التنظيم الدولي؛ لأنها المرة الأولى في تاريخ البشرية التي يتم فيها إنشاء منظمة سياسية ذات طابع عالمي، ومزودة بأجهزة دائمة، حيث أوجدت العصبة آليات لتحقيق الأمن الجماعي، وتسوية المنازعات بالطرق السلمية، ونزع السلاح.

وقد استطاعت " العصبة " أن تتغلب على إحدى المعضلات الرئيسية التي وقفت على الدوام عقبة في طريق التنظيم الدولي؛ **وهي**: كيفية التوفيق بين المساواة القانونية بين الدول، وبين عدم المساواة الفعلية بينها ، وذلك من خلال إنشاء فرعين للعصبة، **أحدهما:** عام تتمثل فيه كافة الدول على قدم المساواة وفقا لقاعدة " صوت واحد لكل دولة"، **والآخر**: محدود العضوية، تشغل فيه الدول الكبرى (**بريطانيا ، إيطاليا ، فرنسا واليابان** ) وحدها مقاعد دائمة فيه، وهو ما يشبه " **مجلس الأمن** " في الأمم المتحدة، لكن كان عدد أعضائه تسعة أعضاء فقط.

وقد أصبحت " جنيف " مقرا لعصبة الأمم، وكان أول أمين لها هو البريطاني " أريك دراموند"، وكان عدد دول "العصبة" عند نشأتها (20) دولة، وأخذ هذا العدد في التأرجح بين الزيادة والنقص، وكانت ذروته عام 1937م حيث وصلت العضوية فيها إلى (58) دولة، لكن فشل "العصبة" في منع نشوب أدى إلى انهيارها.

ميثاق العصبة- ضم الميثاق 26 مادة ، مواد تلزم الدول الأعضاء بالمحافظة على استقلال وأرض جميع الأعضاء ضد الاعتداء. وقد اتفقت الدول الأعضاء على إحالة أية نزاعات يمكن أن تؤدي إلى الحرب إما إلى التحكيم (وهو قرار صادر عن طرف ثالث) أو إلى تحقيق يجريه مجلس العصبة ، وقد تعاهدت على عدم شن حرب على أي من الدول الأعضاء التي توافق على توصيات مجلس التحكيم أو مجلس العصبة، وإذا شن أي من هذه الدول حربًا خلافًا لأي من هذه المواد ، فقد

اتفقت الدول الأعضاء على تطبيق العقوبات الاقتصادية ، مثل وقف التعامل التجاري مع الدولة المعتدية ، وإذا طلب منها مجلس العصبة ، فسوف تقوم باستخدام القوة العسكرية ضد تلك الدولة .

المجلس- الجهة الرئيسية للحفاظ على السلام ، وقد تراوح حجمه بين ثمانية أعضاء و 14 عضوًا خلال تاريخ العصبة ، كان للدول الأعضاء الأكثر قوة في العصبة مقاعد دائمة في المجلس ؛ حيث كانت فرنسا وألمانيا، وإنجلترا والاتحاد السوفيتي (السابق) تتمتع بمقاعد دائمة خلال سنوات عضويتهم في العصبة ، أما بقية المقاعد فكانت بالتناوب بين الدول الصغيرة في العصبة.

الجمعية- تتألف من جميع الدول الأعضاء ، لكل دولة عضو صوتٌ واحدٌ. وكانت الجمعية تراقب ميزانية العصبة، وتوافق على قبول أعضاء جدد، وتنتخب أعضاء المجلس المؤقتين ، وتجري التعديلات على الميثاق. وبالنسبة لهذه الأمور فإن بإمكان الجمعية اتخاذ قرار بغالبية ثلثي الأصوات.

الأمانة- توفّر الجهاز الإداري ، وهناك أمين يرشحه المجلس وتوافق عليه الجمعية، ويرأس جهازًا من الموظفين يبلغ عددهم 600 موظف، يساعد هؤلاء الموظفون في عمل العصبة في حفظ السلام ، ويوفرون الموظفين لمهام الدراسات الخاصة بنزع السلاح وشؤون المستعمرات ، كانت الأمانة توفّر الموظفين لمختلف المنظمات الدولية التي تؤسسها العصبة لتعزيز التعاون في مجال التجارة الدولية والتمويل، والنقل، والاتصالات والصحة والعلوم .

عمل العصبة كان ويلسون وبقية السياسيين الذين أسسوا العصبة ، يأملون أنها ستقود الأمم إلى الامتناع عن طلب الحماية عن طريق حلفاء خاصين، وكانوا يحبّذون بدلاً من ذلك إقامة نظام للأمن الجماعي ، يتم فيه ضمان أمن كل دولة من الدول الأعضاء بحماية الجميع ، ومن أجل أن ينجح الأمن الجماعي كان من

الضروري أن تسارع جميع الدول الأعضاء ، وخاصة الأقوى بينها ، إلى نجدة أي دولة عضو تواجه اعتداء ، لم يكن المجلس ولا الجمعية ليستطيعا إجبار الأعضاء على تقديم العون للدولة التي يقع الاعتداء عليها ؛ إذ إن هذا العمل يجب أن يكون طوعيًا، وكان على كل دولة أن تعتقد أن تهديد أمن أي دولة ، حتى ولو كانت دولة صغيرة نائية، هو تهديد لأمنها.

الخلاف بين الدول الأعضاء ، لم تتفق الدول الأقوى على أن الأمن الجماعي هو الهدف الرئيسي للعصبة ، فقد رأت فرنسا في العصبة أداة رئيسية للمحافظة على التسوية الإقليمية المفروضة على ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى ، وقد استاء الألمان من العصبة ؛ لأنهم شعروا أن هذا هو الهدف الحقيقي ، أما القادة البريطانيون فقد اعتبروها ملتقى للأمم القوية ، لكي تتشاور في حال حدوث تهديد للسلام ، لكنهم لم يكونوا يريدون الالتزام مقدَّمًا بفعل أي شيء نتيجة لمثل هذه المحادثات ، واعتقد الاتحاد السوفيتي أن العصبة كانت خدعة استعمارية ؛ لأنها كانت تعلم أن الحرب حتمية بين الدول الرأسمالية ، أما اليابان وإيطاليا فقد أظهرتا ازدراءهما للأمن الجماعي، وذلك بمهاجمتهما الدول الأعضاء.

## إخفاق العصبة وأسبابه :

- انتهى أمر عصبة الأمم بالفشل في عدة مجالات تتمثل في سلسلة الانسحاب المتوالي للدول من العصبة حيث بلغ عدد الدول المنسحبة 20 دولة وهو ما يقارب من ثلث اعضائها حيث انسحبت اليابان من العصبة عام 1933م لأنها رفضت الاعتراف باستيلائها على منشوريا ، أما ألمانيا التي تم قبول عضويتها في العصبة عام 1926م، فقد انسحبت عام 1933م ، لأن العصبة لم تغير قيود التسليح المفروضة على ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى وقد انسحبت إيطاليا من العصبة عام 1937م لتنضم إلى اليابان وألمانيا

في التحالف ضد الاتحاد السوفيتي الذي انضم إلى العصبة عام 1934م، وطرد عام 1939م لمهاجمته فنلندا.

- أخفقت العصبة بصورة واضحة، عندما هاجمت إيطاليا إثيوبيا في أكتوبر عام 1935م، وأعلن المجلس أن إيطاليا خرقت الميثاق. وقد ألزم هذا الإجراء الدول الأعضاء في العصبة بتطبيق العقوبات الاقتصادية وبدراسة استخدام القوة ضد إيطاليا ، وافقت الدول الأعضاء في العصبة بتطبيق العقوبات الاقتصادية ، بوقف جميع الواردات من إيطاليا ومنع إرسال الأموال والمعدات العسكرية إليها . لكن الولايات المتحدة واليابان وألمانيا لم تكن أعضاء في العصبة ولذلك فإن جماعة القوة الساحقة التي كان ويلسون يفكّر في استخدامها ضد المعتدي انخفضت إلى ثلاث دول هي فرنسا وإنجلترا والاتحاد السوفيتي، أما بقية الدول الأعضاء في العصبة فلم تكن تملك القوة الكافية للتأثير في السياسة الإيطالية. وحتى في هذه الحالة كانت فرنسا وإنجلترا والاتحاد السوفييتي تملك القدرة على إيقاف الهجوم الإيطالي لو أنها كانت يدًا واحدة وتملك التصميم على فعل ذلك . لكن إنجلترا وفرنسا لم تكونا راغبتين في استخدام القوة أو اتخاذ إجراءات قد تؤدّي إلى الحرب ، حتى إنهما أخفقتا في استخدام الإجراءات الاقتصادية، مثل فرض حظر على النفط الأمر الذي كان سيلحق ضررًا بالغًا بجهود الحرب الإيطالية. وبحلول مايو عام 1936م، كانت إيطاليا قد استولت على إثيوبيا. وقد ألغت العصبة عقوباتها في شهر يوليو.
- كانت السياسة الفرنسية السبب الرئيسي وراء فشل عصبة الأمم، ولعل إنجلترا والاتحاد السوفيتي كانتا ستتخذان إجراءات أقوى ضد إيطاليا لو أن فرنسا أيدتهما ، ولكن فرنسا كانت تخشى قيام حرب أخرى مع ألمانيا

وكانت تريد من إيطاليا أن تكون حليفتها ، ولم يكن معقولاً بالنسبة للزعماء الفرنسيين أن يخسروا صداقة إيطاليا لمجرد حماية استقلال إثيوبيا.

- أخذت عصبة الأمم بنظام المركزية الجامد ، أي أنها حصرت كافة السلطات والاختصاصات في شخص معنوي واحد وهو العصبة نفسها دون مشاركة من تنظيمات دولية أخرى إقليمية كانت أو فنية ، وقد أخذت العصبة بهذا النظام المركزي ، لا تبغي منه توحيدًا الأساليب الحكم في العالم ، ولا تعزيزا لهيبة السلطة العامة ، وإنما لتفادي المخالفات والتكتلات التي قد تنشأ خارج نطاقها ، وقد تكون خطراً على كيانها .
- اعتماد التصويت بالإجماع بدلا من إتباع رأي الأغلبية ، وكذلك التفات الأعضاء المهمين لمصالحهم الوطنية وعدم الاكتراث لبقية العالم .

وهكذا كان التنظيم الدولى الذي قرره عهد العصبة هشا بحيث لم يكن في الإمكان الحيلولة دون إندلاع الحرب العالمية الثانية ، وهذه الحرب هي التي قضت على العصبة واقعياً وإن كانت نهاية العصبة قانونا يمكن اعتبارها يوم 18 من أبريل سنة 1946 وهو تاريخ إنهاء الدورة الواحدة والعشرين للجمعية العامة أو يوم 31 يولية عام 1947 وهو تاريخ قفل حساباتها في البنوك وتحويل أرصدتها لحساب الأمم المتحدة ، وهكذا اختفت العصبة من الوجود بعد أن ظهرت في 10 من يناير سنة 1920 .

## النظام الدولي ( أثناء الحرب العالمية الثانية ) والثنائية القطبية في ظل الأمم المتحدة:

على الرغم من فشل عصبة الأمم وعدم تحقيقها لأهم أهدافها وهو حفظ السلم والأمن الدوليين حيث قامة الحرب العالمية الثانية في عام 1939 ، واستمرت ست سنوات ، انتهت كسابقاتها بهزيمة المعتدي واستسلامه دون قيد ولا شرط . إلا أن رجال القانون والحكام ظلوا مقدرين لأهمية إقامة تنظيم دولي ، وقد ظهر ذلك أثناء الحرب وفي أعقابها إلى أن شهد العالم في 24 أكتوبر سنة 1945 ميلاد منظمة دولية جديدة ودخولها ميدان العمل وهي منظمة الأمم المتحدة .

## الإعلانات والتصريحات الفردية

فكرة إنشاء منظمة دولية جديدة انتشرت اثناء وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وكان من أوائل الدعاة لهذه الفكرة الكثير من المفكرين والساسة والتجمعات الخاصة في العديد من الدول وبالذات الدول المتحالفة ، وقد أسرع بعض حكام هذه الدول في إلتقاط الفكرة وأظهروا تحمسا لها ، فقد أعلن فرنكلين روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية عن ضرورة إقامة تنظيم دولي جديد قادر على منع الحروب وحل المنازعات بالطرق السلمية ، حيث بعث برسالة إلى الكونجرس الأمريكي - مجلس الشيوخ والنواب في 6 من يناير 1941 وكذلك الخطاب الذي القاه في 15 من ديسمبر 1941 .

وقد تعددت اعلانات المسئولين البريطانيين عن ضرورة إيجاد تعاون دولي يهدف إلى إنهاء الحرب وإرساء قواعد السلام في العالم ، ومن أهم الوثائق المتعلقة بذلك الخطاب الذي ألقاه رئيس إنجلترا ونستون تشرشل أمام مجلس العموم البريطاني في 21 مارس سنة 1943 .

## التصريحات الثنائية (تصريح الأطلنطي )

في 14 أغسطيس سنة 1941 ، وبينما كانت ألمانيا تظفر بانتصار تلو انتصار اجتمع الرئيس روزفلت ومستر تشرشل على ظهر البارجة " برنس أوف ويلز " وإصدرا بيانا رسميا عرف باسم (تصريح الأطلنطي)، تضمن بعض المبادئ المشتركة للسياسة الوطنية في دولتيهما والتي يبنون عليها آمالهم في مستقبل أفضل للعالم وهي :

1. أن الدولتين لا تبحثان عن أي توسع إقليمي وغير إقليمي .
2. لا ترغب الدولتان في حدوث أية تعديلات إقليمية لا تكون متفقة مع أماني الشعوب المعنية المعبر عنها بحرية .
3. تحترم الدولتان حق كل شعب في اختيار شكل حكومته ، وتؤيد عودة حقوق السيادة والاختيار الحر للحكومات إلى كل الشعوب التي حرمت بالقوة من هذه الحقوق .
4. تبذل الدولتان جهودهما – مع مراعاة الالتزامات السابقة – لكي تمكن كل الدول – صغيرها وكبيرها وكذلك المنتصرية والمنهزمة – من الوصول إلى المواد الأولية في العالم والمعاملات التجارية الضرورية الازدهار الاقتصادي .
5. ترغب الدولتان في تحقيق التعاون التام بين جميع الأمم في حقل الاقتصاد لضمان تحسين وضع العمل والتقدم الاقتصادي والضمان الاجتماعي لها جميعاً .
6. أن مثل هذا السلام يسمح لكل الأفراد باستخدام البحار بدون معوقات .
7. تأمل الدولتان – بعد الخلاص نهائيا من الاستبداد النازي – إقامة سلام يسمح لجميع الأمم أن تعيش بأمن وسلام داخل حدودها ويضمن لجميع الأفراد من جميع الشعوب العيش متحررين من الخوف والحاجة .

8. تؤمن الدولتان لأسباب روحية وعملية أن على جميع أمم العالم أن تتنازل نهائيا عن استخدام القوة . وأن يتم انشاء تنظيم دولي جديد بعد انتهاء الاعمال الحربية القائمة . (لمج) وقد انضم إلى هذا التصريح الموقع في 12 يونيه 1941 الاتحاد السوفيتي .

وعلى أثر هذه الخطوة تكونت لجنة برياسة مستر كوردل هول ، واجتمعت أول مرة في 12 فبراير سنة 1942، وكان من مبادئها قصر أعمالها على مشكلات ما بعد الحرب . ومن العقبات التي اعترضت طريق الجنه بادئ الأمر النقاش الذي دار حول العلاقات الدولية فيما بعد الحرب ، التنظيم على أساس دولي عالمي- أم على أساس دولي إقليمي ، أي بمعنى هل يتولى الإشراف على العلاقات الدولية تنظيم دولي واحد ، أم عدة تنظيمات إقليمية . [2]

وكان الرئيس روزفلت ومستر تشرشل يؤيدان وجهة النظر الثانية ، وقد سجل مستر تشرشل آراءه في رسالة أقترح فيها تقسيم العالم إلى ثلاث كتل .

**أولاً :** الكتلة الأوربية ، وتكون لها حكومة اتحادية تقوم على مبادئ عصبة الأمم المتحدة ، ويكون لها جيش موحد ومحكمة عدل دولية ، ويكون من اعضائها ( الدول الأوربية ودول الشرق الأوسط والولايات المتحدة .

**ثانياً :** الكتلة الأمريكية ، وتشمل الإحدى وعشرين جمهورية أمريكية مضافة إلى كندا وبهذا يكون الكومنولث البريطاني ممثلا فيها .

**ثالثاً :** الكتلة الشرقية ، وتشمل الدول الآسيوية ، والولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتي .

---

1 - أنظر : د. براهيم أحمد شلبي ، مرجع سابق ، ص 143 .

1 – د. بطرس بطرس غالي ، د. محمود خيري عيس ، مدخل في علم السياسة ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة السابعة 1989 ، ص 418 .

أما الرئيس روزفلت فانه يؤيد النزعة الاقليمية التي ناد بها المستر تشرشل ولكنه يرى أن المحافظة على السلام والأمن يجب أن تكون من اختصاص التنظيم الدولي العام ، أي من اختصاص الدول الأربع الكبرى . حيث كان متفائلاً يعتقد أن التحالف العسكري القائم أثناء الحرب سيبقى قائماً بعدها ، وكما أنه توقع انتصار هذا التحالف في الحرب ، فكذلك كان يرجو له الانتصار في معركة السلام . [1]

ولم تجد هذه النزعة الاقليمية قبولا عند لجنة شئون ما بعد الحرب ، وانتقد هذا المشروع السيد سمنر ولز **فذكر أنه أغفل أمرين أساسيين** :

**أولهما** : أن كل تحالف يكون نتيجة لحرب لا يدوم بعد انتهائها ، فالسياسات الوطنية والأطماع تتغير ، والزعماء يتبدلون ، والخصومة والتنافس بين المتحالفين قد يحلان محل الصفاء والتعاون .

**وثانيهما** : أن سائر الدول الأخرى من متوسطة وصغرى أو محايدة لا ترضى أن تخضع لنظام ديكتاتوري تفرضه عليها الدول الأربع الكبرى ، لأنها لم تحارب ديكتاتورية المحور لتخضع لديكتاتورية جديدة يمثلها هذا التحالف المقترح .

حيث تحركة لجنة شئون ما بعد الحرب باقناع الرئيس روزفلت والمسؤليين من الإنجليز بضرورة إقامة تنظيم دولي عالمي . ومن الحجج التي قدمتها للاقناع بوجهة نظرها .

**أولا**: أنها لا تنكر صلاحية التنظيمات الإقليمية لفض المنازعات التي تقع بين أعضائها ، غير أنها ترى أنه لا جدوى من هذه التنظيمات ما لم يوجد تنظيم عالمي أعلى مرتبة منها يستطيع الاشراف عليها وتنسيق الأعمال بينها .

---

1- وكان من رأي الرئيس روزفلت أيضا ان تدعيم السلم يقتضي تنظيم العلاقات الاقتصادية ، والاجتماعية الدولية ، وذلك عن طريق انشاء وكالات امنية خاصة مستقلة بعضها عن البعض وليس لها علاقة بالكتل الاقليمية أو التنظيم الدولي ، فكل منها لها دور تؤديه في ميدانها الخاص .

**ثانيــاً** : تـرى اللجنـة أن أي تنظـيم عـالمي مهمـا كـان قويـا يعجـز عـن الإشـراف على ثلاث كتل إقليمية ، ولا يستطيع فض المنازعات التي لابد أن تقع بينها . بخلاف ما إذا كان هذا التنظيم نفسه يشرف على خمسين دولة غير مرتبطة فيما بينها بتنظيمات إقليمية، لأن قوته تمكنه من السيطرة على كل دولة منفردة تتمرد على نظامه .

**ثالثـاً** : تنظيم العالم اقتصاديا واجتماعيا بواسطة وكالات فنية مستقلة بعضها عن البعض لا يتم إلاَّ بقيام تنظيم دولي عام يكفل تنسيق أعمالها ، ويجنبها شر التضارب والتنافس والتطاول .

تلك هي بعض الحجج التي قدمتها لجنة شئون ما بعد الحرب لتقنع مؤيدي النزعة الإقليمية بنبذها ، وقد نجحه في مسعاها ، وظهرة آثار هذا النجاح في مؤتمر موسكو ( أكتوبر 1943 ) ، فعلى أثر إنعقاده تم للنزعة العالمية التغلب نهائيا على النزعة الإقليمية .

1 - تدعيما لهذا الرأي تقدم أعضاء هذه اللجنة بحجة أخرى تتصل بالسياسة الداخلية للولايات المتحدة ، وهي أنه حين يطلب من الرأي العام الأمريكي ممثلا في برلمانه أن يوافق على انضمام بلاده **إلى أربعة تنظيمات هي** :

الكتلة الأمريكية ، والكتلة الأوربية ، والكتلة الشرقية ، وأخيراً التنظيم الدولي العام فإن أنصار العزلة سيحاربون هذا الوضع وينادون بالحياد أو الإكتفاء بالانضمام إلى الكتلة الأمريكية وحدها ، ويجدون عندئذ تأييداً واسعاً من الرأي العام ، وفي مأساة معاهدة فرساي عبرة لمن يريدون أن تنظم بلادهم إلى أربعة تنظيمات دولية .

## التصريحات متعددة الأطراف

في أثناء الحرب وفي الفترة التي أعقبتها صدرت عدة تصريحات من بعض دول العالم تؤكد ضرورة تقرير نظام يحفظ السلم ويمنع الحروب ، ومن ضمن المشروعات متعددة الأطراف " التصريح المشترك للمساعدة المتبادلة ومقاومة العدوان " الموقع في 12 يونيه 1941 بين كل من إنجلترا وكندا واستراليا ونيوزلندا وجنوب أفريقيا وبلجيكيا والحكومة التشيكية المؤقتة والحكومة اليونانية والهولندية والبولونية واليوغسلافية وحكومة لكسمبورج وممثلى رئيس الفرنسيين الأحرار الجنرال ديجول حيث تضمن هذا التصريح في مادته الثالثة : إن الأساس الوحيد والمتين لسلام دائم هو التعاون التلقائي للشعوب الحرة في عالم يزول فيه التهديد بالعدوان ويطمئن فيه الجميع على أمنهم الاقتصادي والاجتماعي وأنه لديهم النية في العمل لتحقيق هذه الأغراض معاً ومع الشعوب الحرة الأخرى سواء وقت الحرب أو السلم " .

**وكانت أهم هذه التصريحات :**

## أولا : تصريح الأمم المتحدة

صدر هذا التصريح بمدينة واشنطن ولذلك يطلق عليه البعض تصريح واشنطن ويعتبر هذا التصريح أول تصريح تضمن اقتراح اسم الأمم المتحدة United Nations ولذلك حتى وصفه صراحة بتصريح الأمم المتحدة (1) وقد تم التوقيع عليه في أول يناير 1942 من كل من الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفيتي والصين وممثلي اثنتين وعشرين دولة أخرى . ولم تنضم فرنسا إليه إلاَّ في 24 سبتمبر 1942 **وقد تضمن هذا التصريح عدة مبادئ أساسية من أهمها** :

نشر سومر ولرس SUMMER wellers وزير خارجية الولايات المتحدة مشروعاً للنظام الدولي الجديد في كتابه The Time For decision ويظهر أن تصريح الأمم المتحدة قد تأثر بطريق أو آخر بما جاء في هذا الكتاب الذي تضمن

ضرورة إنشاء منظمة دولية دائمة ، هذه المنظمة تقوم على مبادئ وأهداف واضحة وتزود بسلطات ملائمة وأجهزة مناسبة وامكانيات مادية بقدر ما يعهد إليها به من مهام ، وتضمن كذلك إقامة مجلس تنفيذي مؤقت من 11 عضواً أربعة منهم يمثلون الدول الكبرى والسبعة الآخرون يمثلون مناطق العالم . ويقوم هذا المجلس بإعداد النظام الدائم لحفظ السلم والمن الدوليين عن طريق الآمم المتحدة . وقد وافقت لجنة ما بعد الحرب بوزارة الخارجية الأمريكية على ما جاء بهذا الكتاب وأعدت مشروعآ بذلك أحالته في عام 1944 إلى الاتحاد السوفيتي وبريطانيا أنظر الدكتور حسن الجبلي :مبادئ الأمم المتحدة . مرجع سابق . صفحة 20 وما بعدها ويتعين ملاحظة أن هذا المشروع كان مغايرآ للمشروع الانجليزي الذي أرسله تشرشل إلى روزفلت في فبراير 1943 والذي تضمن إنشاء منظمة واحدة "عالمية الاتجاه " وثلاث منظمات إقليمية . والمنظمة العالمية أو (المجلس العالمي ) كما أطلق عليها المشروع الإنجليزي تكون عضويتها قاصرة على الولايات المتحدة وبريطانيا وروسيا والصين مع عدم الإخلال بحق هذه الدول في الانضمام إلى المنظمات أو المجالس الأقليمية التي ترى أن لها مصلحة في الانضمام إليها . هذه المنظمات أو المجالس التي تضمنها المشروع كانت ثلاث موزعة على " مناطق " العالم بحيث تكون واحدة لأوربا وأخرى للشرق وثالثة لنصف الكرة الغربي ، وقد قبل روزفلت من حيث المبدأ هذا المشروع ثم إحالته إلى مستشاريه ولكن هؤلاء تمكنوا من إقناع روزفلت بخطورة هذا المشروع.

**أولاً** : أن وجود منظمات إقليمية يثير الخلافات ليس فقط بين الدول ولكن بين أقاليم بأكملها وبذلك تتسع دائرة الحروب بدلا من انحصارها بالإضافة إلى ما قد ينشأ عن ذلك من قفل الأسواق في مناطق كاملة .

**ثانيـاً**: إن إعطـاء الـدول الكـبرى حـق الانضـمـام إلى المنظمـات الإقليميـة قـد يترتـب عليه طلبهـا الانضمـام إلى منظمـة الـدول الأمريكيـة وهـو أمـر حسـاس للولايـات المتحدة .

**وثالثاً** : أن عضوية الولايـات المتحدة لبعض المنظمـات الإقليميـة التي تراهـا ممثلـة لمصلحة مباشرة لها قد يجعلها في وضع حساس بالنسبة للدول الأخرى وكذلك بالنسبة للمنظمة والمجلس العالمي .

1. إعلان الدول الموقعة عن عدم رغبتها في أي توسيع إقليمي أو غير إقليمي .
2. أن كل تغير اقليمي يتعين مراعاته لرغبة سكان الإقليم محل التغير.
3. إعلان مبدأ حق الشعوب في اختيار شكل حكوماتها .
4. ضرورة تحقيق المساواة في المسائل التجارية وكذلك بالنسبة للحصول على المواد الأولية .
5. تحقيق التعاون الكامل في المسائل الاقتصادية .
6. تنظيم السلام الدولي بطريقة تسمح بحفظ الأمن داخل اقليم الدول .
7. تحقيق السلام الدولي يقتضي ضمان حرية البحار.
8. ضـرورة امتنـاع الـدول عـن اسـتعمال القـوة وكـذلك نـزع سـلاح الدولـة مصـدر التهديد .

## ثانياً : تصريح موسكو

اجتمـع في 19 اكتـوبر سـنة 1943 بمدينـة موسـكو ممثلـو كـل مـن الولايـات المتحدة والاتحـاد السوفيتي وانجلترى والصين للنظر في الأهداف التي يـتعين الـدعوة اليهـا بعـد انتهـاء الحـرب ، وقـد صـدر في 30 أكتـوبر تصـريح الـدول الأربـع عـن الأمـن العـالمي ، حيـث كـان هـذا التصـريح ذو طبيعـة مزدوجـة إذ تضـمن مـن ناحيـة نوعـاً من التحالف العسكري حيث أكد ممثلي الدول الأربع عزمهم على التعاون لتحقيق

السلم ونزع سلاح الأعداء وإتخاذ كل مايلزم لتحقيق ذلك ، ومن ناحية أخرى تضمن الإلتزام بالتعاون السلمي وعدم استخدام قواتهم بعد الحرب في أراضي دولة أخرى تلا تنفيذاً للتصريح المذكور، كما تضمن أنهم سيتشاورون فيما بينهم وكذلك مع الدول الأخرى لتقرير نظام عام للتسليح ، ولعل أهم ما جاء بهذا التصريح بشأن التنظيم الدولي ما تعلق بضرورة قيام هيئة عالمية واحدة لصيانة السلام والأمن الدولي ، قائمة على مبدأ المساواة في السيادة بين جميع الدول المحبة للسلام والعضوية فيها مفتوحة لكل الدول كبيرها وصغيرها .

## ثالثاً: تصريح طهران

اجتمع كل من روزفلت وستالين وتشرشل بمدينة طهران في الفترة من 28 نوفمبر إلى ديسمبر 1943 لدراسة موضوعات كثيرة كان من أهمها الخطط النهائية للهجوم على ألمانيا وإيطاليا وجنوب فرنسا وكذلك دور تركيا في الحرب وأيضا تحديد حدود دولة بولندا ورغبة الروس في الحصول على موانئ بحرية في المضايق وكذلك في الشرق الأقصى والاتفاق على وضع إيران بعد الحرب ، على أن أهم ماء جاء في تصريح طهران في أول ديسمبر 1943 ما يتعلق بالتنظيم الدولي هو تقدير المؤتمرين تجاه شعوب العالم وضرورة إقامة نظام للسلام الدولي ترضاه غالبية شعوب العالم يجنب الأجيال المقبلة ويلآت الحروب ويؤكد سبل التعاون الإيجابي بين أسرة عالمية للشعوب الديمقراطية .

## رابعاً : مشروع دمبارتون أوكس

وهو خلاصة المشروع الذي قدمة مستر سمنر ولز وزير الخارجية الأمريكية ووافقت عليه لجنة شئون ما بعد الحرب بعد تعديلات قليلة وأرسلته معدلا إلى إنجلترا والاتحاد السوفيتي في 18 يولية سنة 1944 ، واتفقت الدول الثلاث على عقد مؤتمر لبحث تفصيلات هذا المشروع ، وقد تم انعقاد هذا المؤتمر في 21

من أغسطس إلى 28 من سبتمبر عام 1944 في دمبارتون أوكس Dumborten Oaks ( أحد ضواحي واشنطن ) وكان بين كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وإنجلترا ، والاجتماع الثاني بدأ في 26 سبتمبر الى7 أكتوبر 1944 وكان بين كل من الولايات المتحدة وانجلترا والصين، وكللت بحوث هذه المؤتمرات بالنجاح ، وفي 7 أكتوبر عام 1944 صدر ما يعرف باسم ( مشروع دمبارتون أوكس ) الذي اتخذ فيما بعد أساساً للمناقشات في مؤتمر سان فرنسيسكو. ولم يتضمن هذا المشروع صياغة قانونية دقيقة للتنظيم الدولي الجديد بل يتضمن الأسس العامة التي اتفقت عليها ال

دول الأربع كأساس لهذا التنظيم والتي سوف تعرض على حكومات الدول الأخرى . فهو إذن مشروع يشتمل على ما اتفقت عليه الدول الأربع فيما بينها .

**وكان أهم ما جاء بهذا المشروع :**

**أولاً:** - قيام تنظيم دولي يعرف باسم " الأمم المتحدة "، يكون من أهدافه : حفظ السلم والأمن الدولي ، وتحقيق التعاون الدولي ، **ويعمل على تحقيق هذه الأهداف وفق المبادئ الآتية :**

1 – المساواة بين الدول .

2 – حسن النية في تنفيذ الالتزامات الدولية.

3 – فض المنازعات الدولية بالطرق السلمية

4- عدم استعمال القوة في العلاقات الدولية .

5- الامتناع عن مساعدة أية دولة يتخذ أزائها عمل من أعمال القمع .

**ثانياً: - تنشأ الفروع الآتية للتنظيم الدولي :**

1- جمعية عامة من مندوبي جميع الدول ، وظيفتها النظر في المبادئ العامة للتعاون في حفظ السلم .

2- مجلس أمن يتألف من الدول العظمى ، **وهي** : الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة ، والاتحاد السوفيتي ، والصين ، وفرنسا في الوقت المناسب وستة أعضاء آخرين تنتخبهم الجمعية العمومية ، ويختص هذا المجلس بالنظر في كل مشكلة دولية يكون استمرارها مهددا للسلم ، وله حق استعمال القوة مع أي دولة تهدد السلم .

3- محكمة عدل دولية تقام على غرار محكمة العدل الدولية الدائمة التابعة لعصبة الأمم .

4- أمانة عامة تشمل أميناً عاماً وعدداً من الموظفين .

**ثالثــاً** :- حتى يتم اقامة التنظيم الدولي الجديد تتشاور الدول التي إشتركت في تصريح موسكو ، ووقعته بتاريخ 30 أكتوبر سنة 1944 ، للقيام نيابة عن التنظيم المزمع أنشاؤه بالأعمال القهرية التي تلزم لحفظ السلام والأمن الدولي . من ناحية أخرى يتعين إدراك عدم اتفاق مندوبي الدول الأربع على أمرين هامين .

**الأمر الأول** : خاص بنظام التصويت Veto في مجلس الأمن ، كان رأي الاتحاد السوفيتي اطلاق حق الدول الكبرى في استعمال حق الاعتراض Veto على حين رأت الولايات المتحدة أن استعمال هذا الحق لايكون بصورة مطلقة . بمعنى هذا عدم جواز استعمال هذا الحق من احدى الدول الكبرى اذا كانت المسألة المعروضة تمسها مباشرة .

**الأمــر الثــاني**: إلزام الدول الأعضاء بوضع قوات عسكرية تحت تصرف مجلس الأمن. والدوافع وراء هذا المقترح هو ما قيل من أن فشل عصبة الأمم يرجع إلى عدم وجود قوات عسكرية تحت تصرفها ، وكان على الدول الأربع الاتفاق على هذين الأمرين ، وهو ما حدث في مؤتمر يالتا مع تأكيد قرب إنتهاء الحرب على ألمانيا .

## المؤتمرات الدولية ( الثلاثة ) في أعقاب الحرب وإنشاء المنظمة الدولية

### أولاً : مؤتمر يالتا Yalta

في مدينة يالتا Yalta بمنطقة Crimee على البحر الأسود بالاتحاد السوفيتي أجتمع في الفترة من 4 إلى 11 فبراير 1945 الزعماء الثلاثة : الرئيس روزفلت ومستر تشرشل ، والماريشال ستالين ، وكان هدفهم من هذا الاجتماع البحث **في مواضيع هامة هي** :

( 1 ) الاتفاق على اقامة منظمة دولية .

( 2 ) الاتفاق على مسألة حق الفيتو.

( 3 ) الاتفاق حول دعوة جمعية للامم المتحدة لصياغة ميثاق الهيئة المقترح.

( 4 ) الاتفاق على توجيه الدعوة لمشرعي الأمم المتحدة لوضع نظام محكمة عدل دولية على نمط المحكمة الدائمة للعدل الدولى .

**الأمـــر الأول**: فقد جاء في قرارات المؤتمر " لقد عقدنا العزم على أن ننشئ مع حلفائنا في أقرب فرصة ممكنة هيئة دولية عامة للمحافظة على السلم والأمن ، ونعتقد أن هذه الهيئة ضرورية سواء لمنع الاعتداء أو لإزالة الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي قد تؤدي إلى الحرب ، وذلك بالتعاون الوثيق والمستمر بين كافة الشعوب المحبة للسلام " .

**الأمـر الثـاني** : الخاص بالتصويت في مجلس الأمن فقد تم اتفاق المؤتمرين الثلاث على الأخذ بوجهة النظر الروسية بحيث يكون استعمال حق الاعتراض أو الفيتو مطلقاً من كل قيد أي دون تفرقة بين المسائل التي تتعلق بالدولة التي تستعمله وبين المسائل التي لا تتعلق بها .

**الأمـر الثالـث** : فقد أعلن المؤتمرون - بعد الموافقة على اقتراح الولايات المتحدة بشأن اقامة نظام الوصاية - دعوة جمعية للامم المتحدة تجتمع في صورة مؤتمر بمدينة سان فرنسيسكو يوم 25 أبريل 1945 لوضع ميثاق المنظمة الجديدة على أساس ما تم الاتفاق عليه في يالتا وكذلك على أساس الخطوط الرئيسية التي تضمنها مشروع دمبارتون أوكس ، وعلى أن تشترك فرنسا والصين في توجيه هذه الدعوة ولكن فرنسا اعتذرت على أن تكون دولة داعية - بسبب عدم دعوتها إلى مؤتمر دمبارتون أوكس – مع قبولها الاشتراك في هذا المؤتمر.

**الأمر الرابع** : الاتفاق المتعلق بمشروع نظام محكمة عدل دولية ، فقد اجتمع بمدينة واشنطن ممثلو أربع وأربعين دولة في الفترة من 9 إلى 20 أبريل 1945 لبحث الأسس التي يتعين أن تقوم عليها المحكمة المقترحة وقد انتهى هؤلاء إلى صياغة مشروع نظام أساس المحكمة مع ضم التقرير الذي قدمه الوفد المصري إلى أعمال اللجنة ، حيث كان بحث قانونياً حول الشريعة الإسلامية .

### ثانياً : مؤتمر بوتسدام Potsdam

عقد هذا المؤتمر في بوتسدام في الفترة من 17 يولية إلى 2 أغسطس 1945 ويعد هذا المؤتمر من أهم المؤتمرات لأنه عقد بين حدثين كبيرين **هما:** استسلام المانيا وقبيل استسلام اليابان، وحضره كل من تشرشل وستالين و الرئيس الأميركي الجديد ترومان بعد موت روزفلت في 2/4 / 1945. ووضع هذا المؤتمر المبادىء التي يجب أن تكون الأساس في أي عملية صلح مع ألمانيا ، وتتضمن المبادىء نزع السلاح الألماني ، القضاء على النازية ، نشر المبادىء الديمقراطية وتطبيق نظام اللامركزية. وقد عقدت اجتماعات كثيرة بعد استسلام اليابان وإنتهاء الحرب العالمية الثانية تمخضت في تقسيم الدول المنتصرة للغنائم فيما بينها ، وحصلت الولايات المتحدة

الأميركية على الجزء الأكبر من الحصة ويليها الاتحاد السوفيتي ثم بريطانيا ففرنسا. وإمتازت الولايات المتحدة ، بأنها الدولة الوحيدة التي خرجت من الحرب العالمية الثانية كقوة عسكرية عظيمة واقتصاد قوي ، وأنها لم تعان من الدمار والخراب الذي لحق ببريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي وغيرها من الدول الأوروبية . ولهذا تمكنت من بناء علائق خاصة مع الدول الأوروبية الغربية والهيمنة عليها من خلال طرحها لمشروع « مارشال » لاعادة بناء أوروبا..

ومن جانب آخر فقد هيمن الاتحاد السوفيتي على دول الجزء الشرقي من أوروبا وبدأ بتطبيق الاشتراكية كمرحلة أولى لتطبيق الشيوعية فيها..

**ومن هنا برز معسكرين متناقضين في المتبنيات والوسائل هما:**

1- معسكر شرقي يقوده الاتحاد السوفيتي مع دول أوروبية شرقية.

2- معسكر غربي تقوده الولايات المتحدة الاميركية مع دول أوروبية غربية.

وبدأ مع اتضاح عالم المعسكرين صراعاً جديداً، ولكنه قديم البدايات . ظاهر الصراع هو أيديولوجي ، حيث يدعوا المعسكر الشرقي إلى الإشتراكية، والمعسكر الغربي إلى الرأسمالية.. وواقع الصراع هو حول مناطق النفوذ في العالم وحرب المصالح الاقتصادية..

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945 ، نشبت بين المنتصرين من المعسكرين حرب كبيرة ولكنها لم تكن عبر الدبابات والطائرات أو الأسلحة الأخرى، وإنما عبر الصراع الايديولوجي المتبطن الصراع على المصالح ومناطق النفوذ.. وسميت هذه الحرب بـ « **الحرب الباردة** ».

وببروز الحرب الباردة، ظهر نظام دولي آخر ، حيث بعد أن كانت دول أوروبا والمستعمرات مقسمة بين بريطانيا وفرنسا خلال حوالي ربع قرن تحول النفوذ إلى المعسكرين المنتصرين بعد الحرب العالمية الثانية..

ويمكن اعتبار نشوء منظمة الأمم المتحدة في عام 1945 انتصاراً مهماً على صعيد صياغة قوانين حقوق الإنسان وإتفاق الدول على أسس التعاون والترابط فيما بينها، وإيجاد العلائق فيما يخص الوضع الدولي سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وبلورة حالة التفاهم بين الدول في المشتركات والمصالح، ونقل الصراع العسكري الخطير إلى صراع سياسي في أروقة الأمم المتحدة، ولكن هذا الانتصار لم يتمكن من القضاء على محورية التحرك الدولي لصالح القوى العظمى.

ويحكم منظمة الأمم المتحدة مجلس يسمى بـ « **مجلس الأمن الدولي** » ويسيطر عليه خمسة دول تمتاز بحق النقض « الفيتو » وهذه الدول هي الولايات المتحدة الأميركية، المملكة المتحدة، فرنسا، الاتحاد السوفيتي والصين.

### ثالثا : مؤتمر سان فرنسيسكو

اجتمع في 25 أبريل 1945 بمدينة سان فرنسيسكو مؤتمر دولي ضم خمسين دولة هي الدول الداعية الأربع وهي الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والمملكة المتحدة والصين والدول المدعوة والتي وقعت تصريح الأمم المتحدة وأعلنت الحرب على دول المحور قبل أول مارس 1945 . وكانت الدول الداعية والمدعوة متساوية من حيث المركز القانوني ، فلكل دولة صوت واحد في المداولات وقرارات المؤتمر ومع ذلك كان للدول الداعية أثر كبير في توجيه المقترحات ، وادارة المناقشات وإصدار التوصيات ، وفق رغباتها . ومما ساعدها على ذلك كونها من الدول المنتصرة وأنها هي التي وضعت الشروط الواجب توافرها في الدول المدعوة ، كما أنها هي التي أعدت جدول أعمال المؤتمر، والمقترحات المعروض للبحث . وقد تمت الموافقة على جميع مواد الميثاق وعددها 111 مادة في 26 يونية سنة 1945 ، وبذلك أعلن ميثاق الأمم المتحدة .

وقد دخلت هذه الوثـائق دور التنفيذ في 24 أكتـوبر سنة 1945 حيـث تم ايـداع تصـديق الـدول الخمـس الكـبرى وغالبيـة الـدول الموقعـة علـى الميثـاق لـدى حكومـة الولايـات المتحـدة الأمريكيـة تطبيقـآ للمـادة 3/110 مـن الميثـاق " الفصـل التاسـع عشر : في التصديق والتوقيع " **حيث نصت هذه المادة على** :-

" يصبح هـذا الميثـاق معمـول بـه متـى أودعـت تصـديقاتها جمهوريـة الصـين وفرنسـا واتحـاد الجمهوريـات الاشـتراكية السـوفياتية والمملكـة المتحـدة لبريطانيـا العظمـى وأيرلنـدا الشـمالية والولايـات المتحـدة الامريكيـة وأغلبيـة الـدول الأخـرى الموقعة علية وتعد حكومة الولايات المتحدة الامريكية بروتوكولا خاصاً بالتصديقات المودعة وتبلغ صورآ منه لكل الدول الموقعة على الميثـاق ".

صـوت 89 مقابـل 2 عضـو في مجلـس الشيوخ الأمريكـي . علـى تصـديق ميثـاق الأمم المتحدة في 28 يوليـو عـام 1945 في ديسمبر عـام 1945 طلـب مجلس الشيوخ ومجلـس النـواب الأمريكـي بالإجمـاع مـن الأمـم المتحـدة أن يكـون مقرهـا الرئيسـي في الولايات المتحدة . قبلت الأمم المتحدة الطلب وتم بنـاء المقر في مدينـة نيويـورك . بين عـامي 1949 و 1950 بجانـب النهـر الشرقي علـى أرض اشـتريت بـ 8.5 مليـون دولار تبرعا من الابن جون دي روكيفيلـر، فـتح مقـر الأمم المتحـدة رسميـا في 9 ينـاير عـام 1951 ، تحت اتفاقيـة خاصـة مـع الولايات المتحدة منحـت بعض الامتيـازات والحصانات الدبلوماسية بينما يقع المقر الرئيسي للأمم المتحدة في مدينـة نيويـورك في 25 أكتوبر صادقة الجمعية العامة التابعة للامم المتحدة على القـرار 2758 الـذي ينص على استبدال حكومـة جمهوريـة الصين الشعبية كالحـاكم القـانوني والممثـل الشرعي للصين في الأمم المتحدة وكأحد الأعضاء الخمسة الدائمين في مجلس الأمن .

## أجهزة الأمم المتحدة بين الشرعية والواقعية والاخفاقات

**نصت المادة السابعة من الميثاق على أن :-**

1. تنشا الهيئات الآتية فروعا رئيسية للأمم المتحدة : جمعية عامة ، مجلس أمن مجلس اقتصادي واجتماعي ، مجلس وصاية ، محكمة عدل دولية ، وأمانة .
2. يجوز أن ينشأ وفقاً لأحكام هذا الميثاق ما يرى ضرورة نشائه من فروع ثانوية أخرى .

ويبين من هذا النص وجود ست أجهزة تعمل الأمم المتحدة من خلالها بقصد تحقيق أهدافها . ومن المعروف أن مشروع دمبارتون أوكس كان يتضمن خمسة أجهزة فقط ولكن مؤتمر سان فرنسيسكو قرر تحت ضغط الولايات المتحدة الأمريكية - إنشاء جهاز سادس يحل محل نظام الانتداب القديم والذي كان قائماً في عهد عصبة الأمم . وهو مجلس الوصاية الدولي .

- وإذا كان التنظيم الدولي للعلاقات الدولية قد توافر له سند قوى تمثل في هيئة الأمم المتحدة، وفروعها الرئيسية المتمثلة فى الجمعية العامة، ومجلس الأمن والمجلس الاقتصادي والاجتماعي، ومجلس الوصاية، ومحكمة العدل الدولية والأمانة العامة- فإن هذه الفروع لم تنجح حتى الآن فى تحقيق المبدأ الذى أعلنته فى ميثاقها، **وهو**: مبدأ المساواة فى السيادة بين جميع الأعضاء. ويكفى أن أشير هنا إلى أن نظام التصويت فى مجلس الأمن (المادة 27) يمنح كل دولة من الدول العظمى (جمهورية الصين ، وفرنسا، المملكة المتحدة الولايات المتحدة الأمريكية ،روسيا الاتحادية) حق تعطيل أى قرار يتفق عليه سائر أعضاء مجلس الأمن فى المسائل الموضوعية بمجرد التصويت بالاعتراض عليه. وحق الاعتراض هذا يشمل أيضاً موضوع أى تعديل على أحكام الميثاق فى المستقبل، كما يشمل دخول مثل هذا التعديل فى دور التنفيذ بواسطة إجراء التصديق.

**نصت المادة 27 من ميثاق الأمم المتحدة ( في التصويت )**

1- يكون لكل عضو من أعضاء مجلس الأمن صوت واحد .

2- تصدر قرارات مجلس الأمن في المسائل الأجرائية بموافقة تسعة أعضائه .

3- ثصدر قرارات مجلس الأمن في المسائل الأخرى كافة بموافقة أصوات تسعة من أعضائه يكون من بينها أصوات الأعضاء الدائمين متفقة ، بشرط أنه في القرارات المتخذة تطبيقاً لأحكام الفصل السادس والفقرة 3 من المادة 52 يمتنع من كان طرفآ في النزاع عن التصويت .

بيان استخدام سلطة حق الاعتراض "Veto" منذ قيام الأمم المتحدة (1)

| اسم الدولة | 1946 1955 | 1956 1960 | 1961 1970 | 1971 1980 | 1981 1990 | 1991 1995 | 1996 1997 | 1998 00 | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الاتحاد السوفيتي | 80 | 15 | 13 | 13 | 3 | 2 | ___ | ___ | 126 |
| الولايات المتحدة | __ | __ | 1 | 21 | 60 | __ | 3 | __ | 85 |
| بريطانيا | ___ | 2 | 3 | 13 | 15 | ___ | ____ | ____ | 33 |
| الصين | 1 | __ | ___ | 5 | 16 | __ | 1 | ___ | 23 |
| فرنسا | 2 | 2 | __ | 7 | 7 | __ | ___ | __ | 187 |
| المجموع | 83 | 19 | 17 | 59 | 101 | 2 | 4 | ___ | 285 |

لم يرد لفظ (فيتو) في قانون الأمم المتحدة بل ورد لفظ (حق الاعتراض) وهو في واقع الأمر حق (إجهاض) للقرار وليس مجرد إعتراض . إذ يكفي إعتراض أي من الدول الخمسة الدائمة العضوية في مجلس الأمن يتم رفض القرار وعدم تمريره نهائيآ . حتى وأن كان مقبولاً للدول الأربعة عشر الأخرى .

---

1-TAVERNIER. PAUL ,Questions Juridiques,.Lannee des National Unies 24-12-1994/23-12-1995,A.F.D.L,XLI,P,540-541.

تبين الأرقام الإحصائية تواتر استخدام سلطة حق الاعتراض (الفيتو) بمعدلات مخيفة ، وخاصة في مراحل الحرب الباردة بين القطبين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي ، وقد تميزت هذه المرحلة من العلاقات المتوترة إلى التفاهم وإنتهاءاً بالتعاون الذي سبق مرحلة انهيار الحرب الباردة وزوال نظام القطبية الثنائية إلى النظام الآحادي المتمثل بالولايات المتحدة الأمريكية .

منذ عام 1946 وحتى عام 1997 استخدم حق الاعتراض 285 مرة : منها 216 فردياً و 156 مرة ثنائياً و13 مرة ثلاثياً . وكان الاتحاد السوفيتي السابق العضو الدائم الأول الذي يستخدم حق الاعتراض في 16-2- 1946 لأول مرة في تاريخ الأمم المتحدة ، وكانت المناسبة قضية عربية. (1) ، إذ استعمله ثمانين مرة خلال السنوات العشرة ، منها (51) مرة بشأن طلبات انضمام الأعضاء الجدد إلى الأمم المتحدة .

أما الولايات المتحدة ، صاحبة ثاني أعلى نصيب في استخدام حق الاعتراض برصيد قدره 85 مرة ، ذهبت 30 مرة لتدعيم سياسة " الدولة الإسرائيلية " ضد الحقوق العربية ، و 8 مرات لحماية نشاطها في منطقة الكاريبي وأمريكيا الوسطى ، و 20 مرة لأجل جنوب أفريقيا ، و16 مرة لحيلولة دون انتخاب " سالم أحمد سالم " أميناً عاماً للمنظمة الدولية في عام 1981 ، ومرة واحدة لحرمان الدكتور بطرس بطرس غالي من اعادة انتخابه أميناً عاماً مرة ثانية في عام 1996 . أما في المرتبة الثالثة بريطانيا برصيد وقدره 33 مرة ، وكانت المرة الأولى حينما

1- وأصل القضية أن سوريا ولبنان تقدما بشكوى إلى مجلس الأمن في شباط 1946 لعدم انسحاب القوات الأجنبية " بريطانية وفرنسية " من اقليميهما بعد انتهاء الحرب . فقدم إلى مجلس الأمن مشروع القرار الأمريكي الذي يعبر عن ثقة المجلس في أن الجيوش الأجنبية سوف تنسحب من سوريا ولبنان ، حالما يكون ممكناً ، بالمفاوضات بين الأطراف . وتقدم المندوب السوفيتي باقتراح لتعديل المشروع الأمريكي مؤداها أن يوصي المجلس بالانسحاب الفوري بدلا من "حالما يكون ممكناً ، ولما لم تقبل " استخدم حق الاعتراض لأول مرة . أنظر : نبيل محمد نور الدين بشر ، مدئ ملائمة سلطات مجلس الأمن للتطور المعاصر للمجتمع الدولي ، جامعة القاهرة ، كلية الحقوق 1977 ، ص 79-81 .

تعاضدت وفرنسا لإحباط مشروع قرار عن الوضع في المنطقة العربية عام 1955 . أما المركز الرابع فقد كان من نصيب الصين برصيد وقدره 23 مرة . كانت أولها في عام 1955 لحيلولة دون انضمام منغوليا إلى الأمم المتحدة ، و 19 مرة بشأن انتخاب الأمين العام ، ومنها 16 مرت ضد إعادة ترشيح كورت فالدهايم في عام 1981 ، أما المركز الخامس والأخير ، فقد احتلته فرنسا برصيد 18 مرة فقط . كانت أولها حول المسألة الاسبانية " The Spamish Question ، وختصت جنوب أفريقيا بعشرة مرات .

والواقع أن هذا الحق يمكن أن يشل استعماله وجود المنظمة ذاته ويحكم عليها بالانهيار واقعياً . و أن اعتراض الدول الأخرى – التي أطلق عليها " الدول الصغرى " على وجود حق الاعتراض أو الفيتو ، أثير عن احتمال أن يترتب على استعمال هذا الحق من التضحية بمصالح الدول " الصغرى " لصالح الدول " الكبرى " . فقد أعلن مندوب إنجلترا في المؤتمر أن الدول الكبرى لا يمكن أن تخضع لرغبة الأغلبية في مجلس الأمن ، أي بمعنى أنه هذا الحق إذا تعارضت رغبة للمنظمة الدولية مع رغبة دولة "كبرى" فإن المنظمة لا تستطيع تنفيذ قراراتها . وفي محاولة لإرضاء الدول الصغرى تقرر النص على الحق في الدعوة لإعادة النظر في الميثاق بالأغلبية دون إمكان استعمال الاعتراض ضد هذه الأغلبية .

وإحكام تعديل ميثاق الأمم المتحدة تضمنتها المواد 108 ، 109 من الميثاق فقد نصت المادة 108 ، على أن التعديلات التي تدخل على هذا الميثاق تسرى على جميع أعضاء الأمم المتحدة إذا صدرت بموافقة ثلثي أعضاء الجمعية العامة وصدق عليها ثلثا أعضاء الأمم المتحدة ومن بينهم جميع أعضاء مجلس الأمن الدائمين وفقاً للأوضاع الدستورية في كل دولة ويتضح من هذا النص كيف أن سريان التعديل يتوقف على قبول من الدول الخمسة الدائمة بالمجلس حتى ولو كان هذا التعديل

جائزا على أغلبية أعضاء المنظمة ، وبالتالي نرى إلى أي مدى يتعارض نص المادتين 108 و 109 من الميثاق حيث يجوز طبقا للمادة 109 الدعوة إلى مؤتمر التعديل بأغلبية الأعضاء وإجراء التعديل بنفس الأغلبية ومع ذلك فان مثل هذا التعديل لا يصبح نافذاً إلاَّ إذا وافقت علية الدول الخمس ذات المقاعد الدائمة بمجلس الأمن . ومن هنا نتبين كيف أن هذا التنظيم الدولي لا يعطي لأغلبية دول العالم مايعطيه لدولة من الدول التي تمكنت من الفوز بمقعد دائم في مجلس الأمن.

اخفقت الأمم المتحدة في إخماد الحرب الباردة التي دارت بين واشنطن وموسكو وأصاب شرها العالم بأجمعه ، وأدى إلى تهميش كل القواعد الواعدة للمنافسة معهما ، وبالتالي ظلت جميع الأطراف الأخرى دولاً تابعة بصرف النظر عن قوتها وقدرتها التي تبدو لا يستهان بها (كنموذج اليابان وألمانيا وإيطاليا ومجموعة الدول الأوربية كفرنسا وبريطانيا شركاء الحلفاء بالحرب)، ولم يقتصر إخفاقها على عجزها عن وقف تلك الحرب الباردة ، بل لم تستطع أيضاً أن تكون هي نفسها بمنأى عن هذه الحرب وإنما انغمست بها ، ولم تتردد الولايات المتحدة في جعل المنظمة الدولية أداة لتأييد دبلوماسيتها ، فلم يكن غريبا أن تصدر أغلبية القرارات والتوصيات وفقا لسياسة الولايات المتحدة .

اخفقت الأمم المتحدة في نزع الأسلحة العادية وتحريم الاسلحة الذرية والنووية وأقاف السباق المحموم على التسليح والذي يعتبر بوجه من الأوجه عدم إيمان الدول بهذا النظام وعدم الائتمان له ، الأمر الذي أدى إلى استنزاف المداخيل الضخمة للعديد من الدول والذي أثر بدوره على التنمية الاقتصادية – الاجتماعية لمعظم الدول إن كانت في المحور الاشتراكي أو الرأسمالي ، وكذلك في دول العالم الثالث . مما تسبب بأنواع جديد من اختلالات التوازنات الإقليمية وبالتالي ظهور الحروب مجدداً التي غالبا ما تركت آثار على مستوى النظام العالمي .

اخفقت الأمم المتحدة في تكوين جيش دولي يخضع لها ويفرض العقوبات على الدول التي تخالف مبادئ الأمم المتحدة وأهدافها طبقا لنص المادة 1/ 43 من الميثاق ( يتعهد جميع أعضاء الأمم المتحدة في سبيل المساهمة في حفظ السلم والأمن الدولي ، أن يضعوا تحت تصرف مجلس الأمن بناء على طلبه وطبقاً لاتفاق أو اتفاقات خاصة ما يلزم من القوات المسلحة والمساعدات والتسهيلات الضرورية لحفظ السلم والأمن الدولي ومن ذلك حق المرور )، بل الأمر يبقى مقتصراً على قوات لحفظ السلام أو قوات للطوارئ الدولية أو قوات يتم تشكيلها بعد موافقة المجلس تحت قيادة الأمم المتحدة .

اخفقت الأمم المتحدة في عدم وضع قواعد قانونية ثابتة واضحة تخضع لها الدول ، فلجنة القانون الدولي التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة لم تحقق أهدافها ، ومحكمة العدل الدولية لم تلجأ اليها الدول لفض منازعاتها ، بل مازالت ولايتها إختيارية ، وأن القضاء الدولي **يواجه عدة صعوبات منها** :

1- قلة عدد المحاكم الدولية الدائمة قياساً بالمحاكم القضائية الوطنية .

2- إنعدام وجود قاعدة عامة تفرض على الدول الإلتزام بالاتجاء إلى الحل القضائي حيث لايزال اللجوء إلى القضاء الدولي اختيارياً ويتطلب اتفاقات مسبقة أو لاحقة بهذا الشأن تمشياً مع مبدأ سيادة الدولة .

**3-** ولاية القضاء الدولي لاتزال قاصرة على الخصومات القانونية ، ولا تمتد إلى الخصومات السياسية ، وهذه كلها أمور تضعف من قدرة وأهمية السلطة القضائية الدولية ، والقضاء الدولي يصدر أحكامه أما في صورة قرارات بأغلبية الآراء أو في صوورة آراء استشارية تطلبها المنظمات الدولية أو الدول في المسائل المتعلقة بالقانون الدولي العام حيث تنص الفقرة الثانية من المادة السادسة والثلاثين (36/2) من النظام الأساسي لكل من محكمة العدل

الدولية الدائمة ومحكمة العدل الدولية على أن " للدول التي هي أطراف في هذا النظام الأساسي لها أن تصرح في أي وقت بأنها بذات تصريحها هذا وبدون الحاجة إلى اتفاق خاص تقر للمحكمة بولايتها الجبرية في نظر جميع المنازعات القانونية التي تقوم بينها وبين دولة تقبل الالتزام نفسه متى كانت **هذه المنازعات القانونية تتعلق بالمسائل الآتية :**

1. تفسير معاهدة من المعاهدات الدولية .
2. أية مسألة من مسائل القانون الدولي .
3. تحقيق واقعة من الوقائع التي إذا ثبتت تعد خرقاً لإلتزام دولي .
4. نوع التعويض المترتب على خرق إلتزام دولي ومدى هذا التعويض .

أما بشأن ما يأخذ على القضاء والقانون الدولي بشأن نقص أو عدم وجود جزاءات مادية خاصة مع أن الجزاء يرتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرة القانون .

**اخفقت الأمم المتحدة بوضعها الشروط التي يتعين توافرها في الدول التي تريد الإنضمام إلى المنظمة بقولها :**

- العضوية في " الأمم المتحدة مباحة لجميع الدول الأخرى المحبة للسلام والتي يأخذ نفسها بالالتزامات التي يتضمنها هذا الميثاق ، والتي ترى الهيئة أنها قادرة على تنفيذ هذه الالتزامات وراغبة فيه .
- قبول أية دولة من هذه الدول في عضوية " الأمم المتحدة " يتم بقرار من الجمعية العامة بناء على توصية مجلس الأمن.
- (نص المادة الرابعة من الميثاق) ومن هذا النص يتضح أن الشروط التي يتعين توافرها في طالب الانضمام إلى الأمم المتحدة **هي الشروط التالية :**
- أن يكون طالب الانضمام دولة : الأمم المتحدة منظمة من الدول ولذلك تعين أن يكون طالب الانضمام إلى المنظمة (دولة) غير أن الميثاق لم يحدد المقصود

بالدولة ، فهل يعني الأخذ بتعريف القانون الدولي للدوله والذي يتضمن ضرورة **توافر ثلاث عناصر أساسية هي** : الإقليم والشعب والسيادة ، عندما تقدمت بعض الدول بطلبات الانظمام إلى الأمم المتحدة مثل منغوليا الخارجية والأردن وكوريا ونيبال وغيرها ، فقد أعترضت إنجلترا وبعض الدول على قبول منغوليا الخارجية استناداً إلى أنها لا تتبادل التمثيل الدبلوماسي إلاَّ مع الصين الشعبية وروسيا في سبتمبر 1947 ، وكذلك إعتراض الاتحاد السوفيتي على قبول الأردن بحجة أنها ليست دولة مستقلة حيث تحتلها جيوش أجنبية.

- أن تكون هذه الدولة محبة للسلام : منذ تصريح كل من موسكو وطهران وهذا الشرط قائم كما تضمنه مشروع دومبارتون أوكس الذي اعتبره الشرط الوحيد ، ثم جاء الميثاق فاعتبره أحد الشروط الموضوعية لقبول الدول . وإذ كان هذا الشرط يتطابق مع الباعث الأساسي لإقامة التنظيم الدولي وهو حفظ السلم والأمن الدوليين إلاَّ أنه في الواقع يحتمل تفسيرات لأنه غير محدد وبالتالي يصعب انعقاد الاتفاق على مدلوله . وفي أثناء مؤتمر سان فرنسيسكو أعيد التساؤل عن حب الدولة للسلام فقيل بأن يكون هذا الحب قد دفعها (إلى الحرب من أجل السلام . وانطلاقاً من هذا عارضت بعض الدول في سبتمبر 1947 قبول البرتغال و إيرلندا في المنظمة لأنهما قدمتا لدول المحور خدمات أثناء الحرب وأن هذه الدول طالبة الانضمام إلى المنظمة . والواقع أن شرط حب السلام لا يمكن التحقيق منه بيسر لأنه مستند على نية الحكومات وضماءر ممثليها ، وحيث أنه هذه النية لا يمكن التحقيق منها بدقة إلاَّ عن طريق تصرفات مادية ، لذلك يعطي هذا الشرط مكاناً كبيراً للاعتبارات

السياسية ويسمح للجمعية العامة ومجلس الأمن بممارسة سلطة تقديرية واسعة تتأثر حتما بمصالح وأهواء الدول بالذات الدول الخمس الكبرى . (1)

- **قبول الدولة الالتزامات الواردة في الميثاق** : نصت على هذا المبدأ المادة 1/4 من الميثاق وكذلك المواد 58 من اللائحة الداخلية للمجلس و135 من اللائحة الداخلية للجمعية العامة . وهذا شرط طبيعي بالنسبة لمن يريد التمتع بالحقوق التي يقررها نظام معين إذ يتعين عليه الإلتزام بما يفرضه هذا النظام من واجبات ، وكذلك يقتضي هذا النص عدم جواز قبول دول ذات حياد قانوني دائم بسبب التعارض بين تنفيذ مقتضيات الأمن الجماعي وبين النظام القانوني لمثل هذه الدول.
- أن تكون الدولة قادرة على تنفيذ الإلتزامات الواردة في الميثاق : هذا الشرط السياسي يمكن أن تتجمع بعض العناصر القانونية أو الواقعية لتحديده وبالتالي تجسيده في صوره واضحة **ومن العناصر القانونية يمكن إبراز الآتي :-**

**أولاً** : أن القدرة على تنفيذ الالتزامات الواردة في الميثاق لا تتحقق إلاَّ إذا كان إعلان الرغبة في الإلتزام بأحكام الميثاق قد تم وفقاً للاجراءات الدستورية السليمة لأن ذلك يمكنها من القدرة على التنفيذ .

**ثانيـا**:أن يكون لدى الدولة الأهلية القانونية التي تمكنها من الوفاء بالتزاماتها بما في ذلك تحقيق الأمن الجماعي ، وهذا ما لا لايتحقق الا كانت الدولة متمتعة بقدر معين من الاستقلال ، كما عند عرض قبول منغوليا الخارجية في المنظمة .

---

1- أنظر : د. إبراهيم أحمد شلبي ، مرجع سابق ، ص 222.

**ثالثا** :أن القدرة على تنفيذ الالتزامات الواردة في الميثاق قد تتوافر في حالة الحياد الدائم حيث يترتب على هذا الوضع القانوني التزامات معينة لايمكن تنفيذها في نفس الوقت مع تنفيذ التزامات الميثاق . والمثال التقليدي لهذا هو حالة الاتحاد السويسري بالرغم من تمتعها بوصف ( **الحياد الدائم** ) إذ قدرت بالنسبة لهاتين الدولتين أن مايلتزما به من التزامات ناتجة عن حالة الحياد الدائم لا يمنع من طلبهما الانضمام إلى المنظمة الدولية .

**رابعا** :أن تكون الدولة الراغبة في تنفيذ الالتزامات الواردة في الميثاق : أن تكون الدولة راغبة في تنفيذ الإلتزامات المنصوص عليها في الميثاق ، حيث أنه مثل شرط أن تكون محبة للسلام - شرط سياسي وليس قانوني كما أن الاستدلال عليه يكمن في معرفة نية الحكومات وضمائر من يمثلوها فلا يكفي مجرد إعلان من الدولة الراغبة في الإنضمام يتضمن هذه الرغبة في تنفيذ الإلتزامات بحيث يترك تقدير تلك الرغبة إلى عوامل الثقة أو الشك ، القاعدة العامة في كل الأمور القانونية – بل في كل الشؤن الانسانية هي قاعدة حسن النية بحيث يفترض في الدولة التي تريد الانضمام صدق رغبتها في تنفيذ الالتزامات الواردة في الميثاق كما يرد في إعلان الرغبة في الانضمام وفي التنفيذ ، أو أن تكون الرغبة في الانضمام إلى المنظمة وليدة إيمان الدولة بفائدة هذا الانضمام وليس نتيجة الإكراه . و مع كل هذا الجدل الواقع أن هناك سلطة تقديرية واسعة للجمعية العامة ومجلس الأمن في هذا الشأن لا تتدخل فيها فقط العوامل السابقة بل أيضاً التيارات السياسية المحتلفة داخل المنظمة .

ولكن مايتعين الإشارة إليه هو أن توافر هذه الشروط لايترتب عليه تلقائياً القبول بل يتعين اتمام بعض الاجراءات حتى تتم قانوناً عملية القبول .

اخفقت الأمم المتحدة بوضعها المعايير الأساسية التي يمكن للناس، من دونها أن يعيشو بكرامة كبشر، فإنه يحق لهم أن يتمتعو بالحرية والأمن ، وبمستويات معيشة لائقة – فحقوق الإنسان " **غير قابلة للتجزؤ** " لذا نرى ضعف الاهتمام من جانب القوى المهيمنة على القرار في مجلس الأمن ، **وخاصة مايتعلق في** :

1- عدم حماية السكان المدنيين ضد جرائم الإبادة الجماعية .

2- عدم حماية السكان المدنيين ضد جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية.

3- عدم تطوير وإعمال الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

4- ضعف مراقبة إعمال الحقوق المدنية والسياسية في أغلب الدول النامية.

## الأمم المتحدة بين الشرعية وتناقض السياسة الدولية

بلغت الأمم المتحدة الستين ، وهي ولدت مع ميثاق سان فرانسيسكو الذي وقع في 26 تموز 1945 ، وأقرته 51 دولة يوم ذاك . وخلفت الأمم المتحدة عصبة الأمم ( واسمها : مجتمع الأمم ) المولودة في 1920 ، غداة الحرب الأولى ، والمتوفية رسمياً 1946 . [1]

والمنظمتان ، الهيئة والعصبة ، هما بنتا الولايات المتحدة الامريكية . ورعى ولادة الأمم المتحدة رئيسان أمريكيان ، فرانكلين د. روزفلت وخليفه هاري س ترومان . وأراد الرئيسان إرساء السلام بواسطة الهيئة الدولية ، **على أركان أربعة :** إنشاء ديمقراطية عالمية ، وإدارة القوة المشروعة والقانونية في رعاية الدول القوية وحشد قوة عسكرية دولية ، واضطلاع الولايات المتحدة بدور قائد الأوركسترا غير الرسمي [2].

---

1- فيليب مورو ديفاج، الأمم المتحدة في أطوارها الأربعة ، مركز دراسات امريكا والغرب 2005/9/26 .

2 - أنظر ، فيليب مورو ديفاج ،مرجع سابق ،مركز دراسات امريكا والغرب ، 2005/9/26 .

بل إن شعوب الأمم المتحدة ، التي كتب الميثاق باسمها ، تبحث الآن عن سبل جديدة لتحديد كيف تكون مجتمعاً موحداً وإن كان منقسماً في العادات والمعتقدات والنفوذ والمصالح .

لقد نص ميثاق الامم المتحدة على الكثير من القيم والمعايير المشتركة ، وهي كما جاءت في ديباجة المواد والمبادئ ، ولاكنها بقيت حبر على ورق .

**النص في ديباجة ميثاق الأمم المتحدة :**

" نحن شعوب الأمم المتحدة وقد آل إلينا على أنفسنا ، أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التي في خلال جيل واحد جلبت على الانسانية مرتين أحزانا يعجز عنها الوصف "، وأن نبين الأحوال التي يمكن في ظلها تحقيق العدالة وإحترام الإلتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولي ، وأن ندفع بالرقي الاجتماعي قدما ، وأن نرفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح . وأن نظم قوانا كي نحتفظ بالسلم والأمن الدولي [1].

غير أن تلك المبادئ أو القواعد في العلاقات بين الدول ظلت نظرية فقط ومع ذلك ومن الزاوية الدبلوماسية والإستراتيجية بقي النظام الدولي فيما يتعلق بالجوهر ثنائي القطب : الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة هما القوتان الدوليتان الوحيدتان القادرتان على التدخل عسكريا في أي مكان من الكرة الأرضية والإرخاء بثقايهما على المشاركة في إشعال أو تسوية كل نزاع ظهر نمط جديد لتوازن القوى – للمرة الأولى عبر التاريخ – هو نظام القطبية الثنائية ، وأوشك العالم أن يصبح نصفي كرة من الناحية السياسية ، إذ انتشرت الدول المزقة "منقسمة " التي أخضعها الاستقطاب الثنائي لموجبات مصالحه ، على محور عرضي في الشرق ومحور طولي في الغرب ، فهناك " كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية " ، و " الصين

[1]- الأمم المتحدة " نيويورك . سان فرنسيسكو في يوم 26/حزيران/1945 "ميثاق الأمم المتحدة " .

الشعبية والصين الوطنية " ، ثم " فيتنام الشمالية والجنوبية " ، وفي الغرب كان الإنشطار على مستوى القارة بأكملها " أوربا الشرقية وأوربا الغربية " أولاً ، ثم على مستوى الدولة " ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية " ثانياً ، وصل التقسيم إلى مستوى المدينة فكانت هناك " برلين الشرقية وبرلين الغربية "[1] .

وهكذا انقسم الحلف المنشئ للأمم المتحدة إلى معسكرين متناقضين عقائدياً وأصبح " للايديولوجيا " أثراً عميقاً في تسير العلاقات بينهما ، وجندت القدرات لأغراض الصراع العقائدي وقد نهض النظام الجديد لتوازن القوى على أساس غير مسبوق في تاريخ العالم ، ألا وهو السلاح الذري أو نظم أسلحة التدمير الشامل " WMD " ، التي تخطت الحصانة التقليدية للحدود الدولية ، لما لها من قدرات تدميرية قادرة على أقصاء التمايز القانوني بين الدول المتحاربة والمحايدة، والخطوط الفاصلة ما بين الأهداف العسكرية والمدنية .

لقد تم أقصاء الآليات الدستورية لنظام الأمن الجماعي"Collective Security " التي أرساها مؤتمر " سان فرانسيسكو " وتضمنها الميثاق ، فبقيت المواد من 43- 48 حبراً على ورق ، **وتزامن ذلك مع قيام منظمات الأمن الاقليمية** :

منظمة حلف شمال الأطلنطي " NATO " التي تظم الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا وثلاثة عشر دولة أوربية من بينها تركيا ، وتخصصت هذه المنظمة في النشاط العسكري لأعضائها ، من خلال التنسيق والموائمة بين القيادات المحلية ومتطلبات التعبئة الإستراتيجية التي تقتضيها توازنات القوى ، وكانت مهمتها الرئيسية دفاعية " إفتراضية " مؤداها ردع خطر أي هجوم سوفيتي محتمل على أوروبا الغربية ، إضافة إلى أشراك دولاً ممثلة ذات دعوة اقتصادية أساساً ومهتمة

1- كتاب: مؤتمر عدم الانحياز من 1-6 سبتمبر 1961 – دار التعاون – مصر.

.

بتنميـة مبادلاتهـا وتوسـيع أسـواقها ، ولا تخضـع لنمـو أجهزتهـا العسـكرية الـتي ما كانت مصالحها الحيوية مهدد ، وقد تعهدت الولايات المتحدة الأمريكيـة – التي كانت تحتكر السلاح النووي بحماية حلفائها الأوربيين ، الذين قدموا القوى البشرية والمعـدات التقليديـة والأراضـي اللازمـة لإقامـة قواعـد الـدفاع المشترك تحـت قيـادة مشتركة ، آلت بمقتضى الحال إلى الولايات المتحدة .

وقـد نهـض حلـف الأطلنطي مستظلاً بحـق الـدفاع الشرعي الفـردي والجمـاعي الـذي أقـره ميثـاق الحلـف ، الـذي وقـع في واشـنطن في 1949/4/4 ترتيبـاً إقليميـاً مشـروعاً في ظـل الأمـم المتحـدة ، أي أنـه جـاء مغـايراً ومخالفـاً ولاغيـاً لمبـدأ الأمـن الجمـاعي ، وداعيـاً بصـورة وأخـرى بمشـروعية عسكرة العـالم مـن خـلال هـذا التحـالف العسكري الذي أطلقه العنان لسباق التسلح .

**اعتمد الاتحاد السوفيتي أسلوب المعاهـدات الثنائيـة مـع حلفائـه ، ونهضـت تلـك المعاهدات التي أبرمت مع كل من :**

( المجـر و ألبانيـا وبلغاريـا وبولنـدة وتشيكوسـلوفاكيا وألمانيـا الشـرقية ) خـلال المدة مـن 1943 – 1945 علـى أسـاس مـن المسـاعدة المتبادلـة ضـد ألمانيـا وحلفائهـا إبـان الحـرب . ولكـن ازاء قيـام الحلـف الأطلنطي وضـم الجـزء الغربي مـن ألمانيـا لـه تغيرة نظرة الحلف ورأى بأن المعاهدات الثنائية غير كافيـة ويجب تطويرها ، بحلف عسـكري جمـاعي وإعـادة تقـويم الإسـتراتيجية الدفاعيـة في أوروبـا ، لـذا عقـد حلفـاً جماعيــاً في العاصــمة البولونيــة في 1955/5/19 باســم حلــف وارســو نســبة إلى العاصمة البولونية .

## القطب الدولي الثالث " حركة دول عدم الانحياز "[1]

اجتمع في سبتمبر 1961 بمدينة بلجراد مؤتمر دولي ضم خمسة وعشرين دولة وكان على رأس هذه الدول الداعية إلى هذا المؤتمرهي جمهورية يوغسلافية والهند وجمهورية مصر العربية ، والدول المدعوة والتي وقعت " **إعلان بلجراد** " بحضور كل من الرئيس اليوغسلافي تيتو والرئيس الهندي نهرو والرئيس المصري جمال عبد الناصر "وفقا لفهمي ، هناك فارق بين عدم الانحياز والحياد .

الحياد تعبير يستخدم أثناء الحروب فقط، أما عدم الانحياز فيعني أنه ينبغي أن نقرر سياستنا وفقا لما نعتقده، لا وفقا لما يرضي هذه الدولة أو تلك".

هذه كانت كلمات الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر في المؤتمر الأول لمنظمة عدم الانحياز ببلجراد عام 1961 التي عبرت عن رغبة عدد من الدول حديثة الاستقلال في التخلص من الارتباط بإحدى الكتلتين العظميين : الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها في حلف شمال الأطلنطي، والاتحاد السوفيتي وحلفائه في حلف وارسو.

فما إن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها حتى بدأت الحرب الباردة بين القوى الكبرى ؛ حيث برزت الولايات المتحدة الأمريكية كقوة إقتصادية ونووية هائلة ، واتبعت سياسة الاحتواء لتطويق الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية بسلسلة من الأحلاف والقواعد العسكرية ، وعلى الجانب الآخر سعى الاتحاد السوفيتي إلى تدعيم نفوذه في أوروبا الشرقية بعدد من المعاهدات الثنائية والجماعية ، فضلا عن تطوير قدراته النووية ، ووسط هذا الجو الملبد بالتوترات وعمليات الاستقطاب للدول حديثة الاستقلال ظهرت حركة عدم الانحياز كإحدى أهم الظواهر السياسية في عالم ما بعد الحرب .

---

1- أماني قنديل: " مصر و دول عدم الانحياز: من باندونج إلى هافانا ". ( السياسة الدولية – عدد 74 – أبريل 1983).ص68.

وقد كان عدد الدول المؤسسة لها 25 دولة ، هي مجموع الدول التي حضرت مؤتمر باندونج 1955 أول تجمع منظم لدول الحركة، وانعقد المؤتمر الأول للحركة في بلجراد عام 1961، وحضره ممثلو 25 دولة ، ثم توالى عقد المؤتمرات حتى المؤتمر الأخير فى القمة الرابعة عشر والتي عقدت فى هافانا-كوبا، سبتمبر2006 إلى حوالي 116 دولة فضلاً عن وجود 24 مراقب دولي (17 دولة، 7 منظمات دولية و إقليمية لتصبح بذلك حركة عدم الانحياز " أكبر تجمع دولي بعد الأمم المتحدة .

ووصل عدد الأعضاء في الحركة إلى أكثر من 116 دولة، فضلا عن 17 دولة و7 منظمات كمراقبين ، ولقد أوجدت حركة عدم الانحياز نمطا فريداً للأسلوب الإداري ، وصل إلى الاتفاق على عدم وضع دستور أو مبادئ أو سكرتارية دائمة للحركة، ويعزى ذلك -من وجهة نظرهم- إلى أن الاختلاف في أيدلوجيات ومصالح هذا العدد الكبير من الدول يحول دون إيجاد بنية إدارية يقبلها جميع الأعضاء. ومن ثم فالإدارة دورية وشاملة تضم جميع الدول الأعضاء.

حيث تنتقل رئاسة الحركة إلى الدولة المضيفة للقمة ، التي تستمر في رئاستها إلى أن يعقد مؤتمر القمة التالي ؛ حيث تتولى الرئاسة من بعدها الدولة المضيفة له وهكذا، وبذلك فقد وضع عبء البنية الإدارية على عاتق الدولة التي تتولى الرئاسة؛ حيث يتحتم عليها إنشاء قسم كامل في وزارة الخارجية لمعالجة القضايا الخاصة بالحركة ، وبما أن دول عدم الانحياز تجتمع بانتظام في الأمم المتحدة؛ فإن سفير الدولة التي تتولى الرئاسة في الأمم المتحدة يقوم بعمله "كسفير لشئون دول عدم الانحياز لدى المنظمة الدولية".

لقد تصورت هذه الدول أن مبدأ عدم الانحياز سيضمن لها عدم إقحامها في دوامة الصراعات الدائرة بين التكتلات الدولية العملاقة ؛ حيث إن ذلك الإنخراط قد يحولها إلى مناطق نفوذ وأذيال للقوى الكبرى تتلاعب بها كما تشاء.

ومن جانب آخر تولد لدى هذه الدول الاقتناع التام بأن تجنبها لصراعات القوة بين الكتلة الشرقية والغربية سوف يدفع بها إلى التنمية الاقتصادية والاجتماعية ويعزز إمكانياتها بشكل لن يتوافر في حالة الانحياز إلى أحد الطرفين.

وعلى ذلك تشكلت أهم أهداف حركة عدم الانحياز كما بلورتها المؤتمرات الأولى للحركة في حرصها على التعايش السلمي بعيدا عن إبرام أحلاف عسكرية سواء أكانت جماعية أو ثنائية ، وخاصة تلك التي تشارك فيها الدول الكبرى، وهو ما يؤكده إمتناع أعضاء المنظمة عن إعطاء قواعد عسكرية لدولة كبرى في صراعها مع دولة أخرى ؛ لذلك أيدت الحركة نزع السلاح بعدما وصل سباق التسلح إلى مرحلة تهدد السلام العالمي، ولذلك فقد ساندت الحركة حركات التحرير الوطني ومحاربة الاستعمار بكافة أشكاله.

تباين رد فعل العملاقين من مبادئ وتوجهات حركة عدم الانحياز؛ فالاتحاد السوفيتي السابق عبَّر عن استجابة متعاطفة معها ؛ وهو ما دفعه إلى إدخال تحويرات ضخمة على إستراتيجيته الدولية ، فمن مبدأ حتمية الحرب إلى التعايش السلمي، ومن رفض الحياد في السابق إلى تقبله ومؤازرته ، ولكن استطاع الاتحاد السوفيتي أن يستغل الحركة ؛ حيث تحركت الدبلوماسية السوفيتية في مسارين متوازيين: فمن جهة توسعت في بذل المساعدات الاقتصادية لتلك الدول بتسهيلات كبيرة، وتم ذلك تحت شعار أن لتلك المساعدات دوراً أساسياً في تثبيت الاستقلال السياسي والاقتصادي لهذه الدول وانتشالها من التبعية والتخلف ، ومن جهة أخرى انضمت إلى الدول غير المنحازة في حملتها ضد الأحلاف والتكتلات العسكرية الغربية والمشاركة في إدانتها كأداة استعمارية تحاول الضغط على هذه الشعوب وإكراهها على اعتناق سياسات تضر باستقلالها ولا تخدم مصالحها.

ومن هنا جاء إسهام السوفييت النشط في المؤتمرات الأفرو آسيوية، وسعيهم الدءوب إلى بلورة إحساس عام بأن الأخطار التي كانت تُجابه مجموعة الدول غير المنحازة قد شملت الاتحاد السوفيتي أيضا.

أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد عبرت منذ البداية عن رد فعل معادٍ لهذه السياسات غير المنحازة ، وقد نبع ذلك العداء من ميلها إلى تقسيم العالم ما بين مؤيد ومعارض لها ، بل إنه في وقت من الأوقات وصم وزير الخارجية الأمريكي "**جون فوستر دالاس**" حركةَ عدم الانحياز بالانتهازية واللاأخلاقية.

ولكن جاءت سياسات عدم الانحياز وسط مؤثرات وظروف دولية متغيرة أدت إلى إحداث تبديل واضح في مضمون هذه السياسات وتحوير أهداف الحركة ؛ فكثير من دول الحركة لم تستطع أن تنأى بنفسها عن صراعات القوة الدولية؛ وبالتالي فقد أصبحت متورطة - بقصد أو دون قصد- في اللعبة الدولية التي أرادت أن تتحاشاها، قد دفع هذه الدول إلى الاعتماد على مصدر دولي لتمويلها؛ وهو ما جعل ارتباط المصالح يبدو أوضح من معسكر إلى معسكر. بل إن حاجة دول الحركة إلى التسليح الدائم لضمان صمودها في عالم مضطرب جعلها تعتمد على إحدى الكتلتين في تسليحها.

كما كان الاختلاف في طبيعة أنظمة الحكم في هذا العدد الكبير من الدول وتباين مصالحها أن يحدث اختلاف في توجهات السياسة الخارجية لها، بالإضافة إلى أن الصراعات الإقليمية والمحلية في بعض الدول غير المنحازة أدت إلى استعانة بعض الأطراف بإحدى القوى الكبرى للانتصار على الطرف الإقليمي أو المحلي الآخر، ومن ثم أصبح يدين بالفضل لتلك القوة؛ فمثلا الهند اعتمدت بالكامل على الدعم العسكري الكامل من الاتحاد السوفيتي في حربها ضد باكستان عام 1971، وكذلك فإن اعتماد مصر على سلاح الاتحاد السوفيتي بعد هزيمة يونيو 1967

في حربها ضد إسرائيل، وهذا التوجه من بعض دول الحركة إلى القوى الكبرى لم يجد نفس الاستجابات عند باقي الدول داخل المنظمة ؛ وهو ما أدى بالتدريج إلى إظهار التناقض الصارخ في مواقف دولها.

ففي مؤتمر هافانا 1979 طرحت كوبا اقتراحا صريحا يتمثل في الاعتراف الرسمي بأن الاتحاد السوفيتي هو الحليف الطبيعي والوحيد للحركة. وطلبت من الأعضاء إقراره وتنفيذه !! وقد وجه لهذا الاقتراح بالمعارضة الشديدة.

وفى مؤتمر نيودلهي 1981 لوزراء خارجية الحركة ظهرت خلافات جوهرية بين الأعضاء حول ما يجب أن يكون عليه موقفها بشأن التواجد السوفيتي في أفغانستان، والتواجد العسكري الفيتنامي في كمبوديا، كما حدثت انقسامات شديدة حول الخلافات بين العراق وإيران، وبين ليبيا وتشاد، وبين إثيوبيا والصومال.

**أصبح السؤال أما الحركة الانحياز.. لمن.... وضد من.....**

حركة عدم الانحياز تتهاوى على أرض الواقع بفعل الصراعات الدولية وتوازنات القوى، وصعوبة توحيد كلمة ما يقرب من 116 دولة على رأي واحد فضلا عن عدم وجود آلية لتنفيذ هذه القرارات، إلى أن جاءت الضربة القاصمة للحركة بانتهاء الحرب الباردة بانتصار المعسكر الغربي، وزوال المعسكر الشرقي وتحول العالم إلى صياغة نظام دولي جديد، يقوم على هيمنة القطب الواحد، وتمثله الولايات المتحدة الأمريكية.

ارتبط عدد كبير من أعضاء الحركة بسياسات الدول الكبرى، وهو يتخذ في عدة أحيان شكل مواثيق التحالف والقواعد العسكرية الأمريكية الهائلة في عدد ليس بقليل من دول الحركة ، فضلاً عن عجز الحركة عن حل المنازعات السياسية للدول الأعضاء بها بعيدا عن تدخل الدول الكبرى.

ولقد أثبت المؤتمر الأخير لحركة عدم الانحياز أن زمن الحركة قد ولى ؛ فالهوة بدت سحيقة بين مضمون البيان الختامي الذي جاء متوازناً في إدانة الحرب دون إغضاب أمريكا، وفي إرضاء أمريكا من خلال حض العراق على تنفيذ القرار 1441 وعدم عرقلة عمل المفتشين الدوليين، وبين التصريحات النارية في التنديد بالسياسة الأمريكية من قبل بعض الزعماء؛ كالكوبي فيدل كاسترو، والزيمبابوي روبرت موجابي؛ حيث سمعت منهما خلال جلسات القمة عبارات من نوع "بوش الطاغية" و"**بلير الاستعماري الجديد**" في معرض التنديد بالسياسات الأمريكية وبالتفوق الأمريكي في امتلاك أسلحة الدمار الشامل. بينما اعتبر البيان الختامي أن أهم ما ينبغي فعله هو إحترام العراق لقرار مجلس الأمن، كما أفلحت بعض الدول مثل الكويت وقطر في تجريد البيان من فقرة تضمنها مشروع البيان، نصت على ضرورة امتناع البلدان الأعضاء عن السماح باستخدام أراضيها في شن هجوم على العراق، ومع ذلك ولحفظ ماء وجه الحركة فقد نص البيان على ضرورة أن تتولى الأمم المتحدة وليس الولايات المتحدة الأمريكية مهمة تسوية الأزمة العراقية.

فإن إعادة بعث أهداف الحركة، وتفعيل أنشطتها، وإبراز مواقفها السياسية غير المنحازة للقوة الكبرى، ونصرة قضايا الدول النامية.. أصبح بحاجة إلى معجزة حقيقية، وإلا فإن الموت الإكلينيكي الذي أصاب حركة عم الانحياز أصبح بحاجة أكثر إلحاحا إلى رصاصة الرحمة. [1]

**وأخيراً يمكن القول أنه** خلال الحرب الباردة كان المصدر الرئيسي لحظر المواجهة العالمية هو مناطق النفوذ وكانت سيادة الدول الصغرى تحدد طبقاً لقرار من الزعماء الاقوياء لمناطق النفوذ والسيطرة ، ويعتبر مؤتمر الأمن والتعاون الأوربي نقطة إيجابية أما الوثيقة التي أقرت عام 1975 فقد عملت كأداة للتفاوض والتغلب على نظام القطبين وكأداة للبحث عن سبل لعالم أفضل مبني على الاحترام الكامل

لاستقلال وسيادة كل الدول وعلى إقامة حقوق الانسان والحريات الاساسية وأيضا على نبذ القوة واقامة علاقات ديمقراطية بين الدول الأوربية ، وقد سعت دول عدم الانحياز إلى نفس الهدف ولكن بنطاق واسع .

" ليس في هذا الميثاق ما يضعف أو ينتقص الحق الطبيعي للدول ، فرادى أو جماعات ، في الدفاع عن أنفسهم إذا اعتدت قوة مسلحة على أحد أعضاء" الامم المتحدة "- استنادا إلى نص المادة 51 من ميثاق الامم المتحدة " . وظهر للجميع حقيقة الضعف الذي تعاني منه هذه المنظمة التي اصبحة غير قادرة على تحقيق اهدافها ومبادئها الاساسية بحفظ الأمن والسلم الدوليين ، وأصاب الجمود أول ما أصاب مجلس الأمن ، وذلك منذ اندلاع الحرب الكورية في 1950 ودعوة الولايات المتحدة المجلس إلى مساندتها في مقاومة الشمال وحليفه الصين فلجأ الاتحاد السوفيتي إلى حقه في النقض " **الفيتو** " ، وترتب على هذا كف المنظمة الدولية عن التدخل في المنازعات التي يتورط فيها أحد القوتيين العظمتيين كطرف مباشر في الحروب العالم الثالث وهي خارج نطاق النفوذ كما حدث في الحربين ( الفيتنامية والأفغانية ) .

## استمرار الحرب الباردة

الحرب الباردة مصطلح يُشار به إلى التنافس الحاد الذي كان قائمًا بين الدول الشيوعية والدول الغربية في الفترة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية الثمانينيات من القرن العشرين، وكان أحد طرفي التنافس هو اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية (سابقًا) وحلفاؤه الذين عُرِفوا بالكتلة الشرقية، وفي الطرف المقابل كانت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها الذين سمّوا بالكتلة الغربية. أما الصراع بين الجانبين فقد سمّي الحرب الباردة نظرًا لعدم اشتماله على حروب ساخنة ذات قيمة تُذكر.

استمرت الحرب الباردة حتى بعد موت ستالين عام 1953م وساهمت الحرب الكورية في تطبيق الغرب لسياسة الحصار ضد الشيوعية في الشرق الأقصى. وفي عام 1952م اختبرت الولايات المتحدة قنبلتها الهيدروجينية الأولى، وتبعها الاتحاد السوفييتي بعد عام واحد فقط. كما زاد تماسك الأحلاف العسكرية، فدخلت ألمانيا الغربية في حلف الناتو عام 1955م . مقابل هذا وقع الاتحاد السوفيتي وحلفاؤه في شرقي أوروبا معاهدة وارسو للدفاع المشترك. وفى عام 1954م وقعت الولايات المتحدة وسبع دول أخرى معاهدة جنوب شرقي آسيا للدفاع المشترك .

وفي عام 1956م، نادى الزعيم السوفييتي نيكيتا خروتشوف بمبدأ التعايش السلمي وذلك يعني التنافس بدون حرب بين الشرق والغرب ، لكن المحادثات بين خروتشوف والرئيس الأمريكي دوايت إيزنهاور في عام 1960م لم تفلح نظرًا لتصادف الاجتماعات مع إسقاط طائرة تجسس أمريكية من طراز يو - 2 في وقت كانت تُصوّر فيه الأراضي السوفيتية.

زادت حدة التوتر بين الشرق والغرب بعد الثورة المجرية عام 1956م ، وكذلك أزمة الصواريخ الكوبية عام 1962م، وفي أعقاب الغزو السوفيتي لتشيكوسلوفاكيا عام 1968م، كما أن تدخل الولايات المتحدة في فيتنام في ستينيات القرن العشرين كاد يحوّل الحرب الباردة إلى حرب عامة ساخنة.

على أن الشرق والغرب عقدا عدة اتفاقيات بينهما ، ففي عام 1963م اتفقت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا على توقيع معاهدة تمنع اختبار الأسلحة النووية في الجو أو في الفضاء وكذلك تحت الماء. وأسس الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة خطًا هاتفيًا ساخنًا مباشرًا بينهما لتقليص احتمال نشوب حرب نووية بطريق الخطأ ، وبحلول عام 1970م، أدركت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي أنه لا يمكن أن يكون هناك منتصر في حرب نووية

شاملة. وحدثت انشقاقات كثيرة بين أعضاء التحالف الواحد ، فالصين تخاصمت مع الاتحاد السوفيتي، وفي شرق أوروبا سعت بعض الدول إلى الحصول على استقلال أكبر من السيطرة الروسية، كما أن فرنسا سحبت قواتها من القيادة الموحدة لحلف الناتو. وزادت المجموعة الأوروبية من تجارتها مع الكتلة الشرقية، وشرعت اليابان في الاستقلال النسبي عن السياسة الأمريكية.

إلاَّ أن وضع برلين قد سُوي عام 1972م حيث تم الاتفاق بين ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية على الانضمام إلى الأمم المتحدة في سنة 1973م ، كما سُمح للصين بشغل مقعدها في الأمم المتحدة عام 1971م، وفي عام 1979م تبادلت الصين والولايات المتحدة التمثيل الدبلوماسي.

وفي عام 1972م وقعت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي إتفاقية الحدّ من الأسلحة الاستراتيجية (سولت) على أن غزو الاتحاد السوفييتي لأفغانستان عام 1979م كاد أن يحيي الحرب الباردة من جديد واستجابت الولايات المتحدة لهذا بزيادة إنفاقها العسكري. لكن اتفاقية تقليص الأسلحة الصاروخية التي وُقِّعت بين الزعيم السوفيتي ميخائيل جورباتشوف والرئيس الأمريكي رونالد ريجان عام 1987م خففت من حدة النزاع .

في عامي 1988م و1989م سحب الاتحاد السوفييتي قواته من أفغانستان وبنهاية الثمانينيات أيضًا بدأ الاتحاد السوفييتي تخفيض قواته التقليدية في شرقي أوروبا ، وفي داخل الاتحاد السوفييتي سمح جورباتشوف بمزيد من الديمقراطية وحرّية التعبير ، وشَجّع مثل ذلك في أوروبا الشرقية ، وفي عام 1989م انتهى الحكم الشيوعي في عدد من بلدان أوروبا الشرقية ، ومن ضمنها بولندا والمجر وألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا وتم تحقيق الوحدة بين شطري ألمانيا الشرقية والغربية في عام 1990م، وتفكك الاتحاد السوفيتي إلى عدد من الدول المستقلة غير الشيوعية عام 1991م.

وفي عام 1992م أعلن الرئيسان الأمريكي جورج بوش الأب والروسي بوريس يلتسن رسمياً أن بلديهما وضعا حداً للعداوة الطويلة بينهما. ويعتقد كثير من الناس أن هذه الأحداث وضعت نهاية للحرب الباردة.

## ملامح التغير في النظام الدولي

شهد النظام العالمي في العقد الأخير من القرن العشرين ومع بداية القرن الواحد والعشرين حركة تغيير واسعة النطاق توحي ببدء ملامح نظام عالمي جديد تحكمه مجموعة متداخلة ومتشابكة من الأبعاد السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والثقافية والقانونية والمؤسسية أي في كافة نواحي الحياة بشكل عام فإن جذور هذا النظام ترجع إلى فترة طويلة من قبل وتعد نتيجة طبيعية للتطور التراكمي للنظام الذي يسبقه بأبعاده المختلفة .

كانت نهاية الحرب الباردة في 1989 – 1991 م ، المنعطف الكبير الثالث في تاريخ القرن العشرين : كانت إيذانا بتحول درامي في الشؤون الدولية مثله مثل نهاية الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وقد نهارت عمليات عدة في هذا الانتقال السريع ، المفاجئ والسلمي من حيث الأساس ، نهاية سباق التسلح النووي الاستراتيجي الذي ألقى بظلاله على الإنسانية جمعاء - كانت لحظته الأشد درامية في البحر الكاريبي في أكتوبر 1962 ، ونهاية الصراع بين القوى الكبرى ، الذي سيطر على العالم طيلة أربعين عاما ، ونهاية نزاع إيديولوجي سعى فيه نظامان اجتماعيان متزاحمان ، رغم كل الخطابية والانتهازية اللتان ارتبطا به ، إلى بسط هيمنتهما على العالم ، وكانت ساحاته الشرق الأقصى وجنوب القارة الإفريقية وأمريكا اللاتينية ، وصراعات اجتماعية حادة كلفت ملايين الارواح ، وانبثاق عشرين دولة جديدة نتيجة تفكك دول فدرالية متعددة القوميات مثال على ذلك ( يوغسلافيا والاتحاد السوفيتي وجمهورية تشيكوسلوفاكيا )، بالإقتران مع أزمة الأنظمة الشيوعية أن أسباب الانهيار كان ناجما في جزء منه عن العولمة ذاتها

نتيجة ضغط النموذج الرأسمالي المتطور الأنجح نسبيا على المجتمعات الاشتراكية السلطوية التي كانت راكدة فكريا واقتصاديا .

إن قضية السلام والأمن الدوليين المسألة الأكثر أهمية في العلاقات الدولية خاصة بعد إعادة رسم الخريطة الدولية عقب انهيار الكتلة الاشتراكية ، فخلال السنوات الأربعين من الحرب الباردة كانت خريطة العالم مستقرة نسبيا ، بلدان نالت استقلالها من السيطرة الكولونيالية ولكن باستثناء وحيد هو بنغلاديش ولم تحدث تعديلات في خريطة الدول . وسيكون من الخطأ بالقدر نفسه معاملة التجربة الشيوعية التي غطت أكثر من ثلث البشرية بوصفها مجرد خطأ أو إنحراف ملايين البشر ثاروا وناضلوا وعملوا وماتوا من أجل بناء نظام بديل لأنهم وجدوا أن النظام القائم نظام لا يطاق .

إن رأسمالية الحداثة القائمة فعلا ، بما تتسم به من حروب وقهر ولامساواة واستغلال ، هي التي أنجبت الشيوعية كفكرة وكتحد . وما لم تتعلم الرأسمالية أيضا من ذلك الفشل وبخاصة معالجة اللامساواة التي توجدها على الصعيد العالمي والتي هي الآن أشد وطأة منها قبل خمسين أو مائة عام ، فانها ستواجه في المستقبل تحديات أخرى، أيضا باهضة الكلفة وفاشلة في نهاية المطاف .

## ملامح التغير بعد حادثة 11 سبتمبر 2001

منحت تفجيرات 11 سبتمبر 2001 إدارة بوش ما كانت ستعثر عنه في جميع الأحوال من مبررات لتطلق من جديد عنان النفقات الحربية على نطاق يفوق ما بعد حرب كوسوفو ، ولتنشر جهازها العسكري على صعيد العالمي في شبه القارة الهندية وأفريقيا وآسيا الوسطى ومنطقة الخليج العربي والفلبين وكولومبيا . لا يمكن فصل هذه السياسة عن علاقات النهب الضاربة التي تقيمها الولايات المتحدة الامريكية ، والرأسمال المالي الذي يجد فيها سنده الرئيسي ، مع القسم الأعظم من بلدان العالم ومناطقه.

منذ 11 سبتمبر وسلوك إدارة بوش يرسم إستراتيجية إمبريالية في أبعادها العسكرية والاقتصادية على السواء . لقد تبدلت طبعا أشكال السيطرة السياسية قياساً بما كانت عليه خلال الاستعمار ، كما تبدلت بعض الأشكال " **الاقتصادية** " لسيطرة الرأسمالية قياسا على تلك التي حللها الماركسيون في بداية القرن العشرين .

إذن استخدمت حادثة 11 سبتمبر من العام 2001 لإطلاق حملة حربية عالمية مقصودة على نمط حرب البليوبونيزية ( Peloponnesian ) اليونانية المأساوية الحمقاء وعلى نمط السوابق الفاشية الكلاسيكية كالتي ارتكبها قياصرة الرومان والإمبراطور نابليون بونابرت ، وأدلف هتلر. وهكذا فان ايديولوجية السرقة والنظرة الامبريالية لدى تشيني وجماعته الفاشيين من الصقور الجبناء تجمع عقيدة برتراند رسل Bertrand Russel القائمة على الحرب النووية الوقائية ، مع النمط النيتشوي والمستورد من الايديولوجية الفاشية التي تبناها المفكرون الألمان كارل شمث Carl Schmittومارتن هايدغر Martin Heidegger وليو شتراس .(1)

تمكنت الولايات المتحدة الأمريكية منذ استقلالها من بناء قوتها الذاتية وانطلقت بسرعة قياسية بحسب تعبير بول كيندي ، وساعدها في ذلك إنعدام القيود الفعلية الإجتماعية والجغرافية ، وإنعدام المخاطر الخارجية الكبيرة ، إضافة إلى تدفق رأس المال الاستثماري وبخاصة الداخلي . لذا ضغطت الجماعات ذات المصالح لفتح أسواق خارجية وراء البحار، وهكذا فان تنامي القوة الصناعية الأمريكية والتجارة الخارجية قد خلق الاهتمام بالسياسة الخارجية ، وبدأ تحديد الدور الأمريكي في اطار العلاقات الدولية.

انخرطت إدارة بوش والكونغرس في زيادة هائلة للميزانية العسكرية سنة 2001 ، حيث بلغت الميزانية العسكرية 307 مليار دولار، وارتفعت ميزانية سنة 2002 إلى 339 مليار دولار، واقترح الرئيس بوش في رسالته حول دولة الاتحاد

( فبراير 2002 ) رفع ميزانية سنة 2003 إلى 379 مليار دولار، كما اقترح مضاعفة النفقات المخصصة لـ " الأمن الوطني " لتصل إلى 37.7 مليار دولار سنة 2003 . أي زيادة للميزانية العسكرية بنسبة 26٪ بين سنتي 2001 و 2003 ، وابتغاء بلوغ مستوى 451 مليار دولار سنة 2007 لأغراض عسكرية .

يعني قرار إدارة بوش خوض حرب ضد " محور الشر " إن الولايات المتحدة تهب نفسها فصاعدا حق التدخل في كل نقطة بالكوكب حيث تعتبر مصالحها مهددة . وستكون محاربة الإرهاب ذريعة ، والهدف سياسي في المقام الأول بالمعنى الأساسي للكلمة ، متمثل في استعمال القوة وتحطيم أعدائها المحتملين أو الفعليين بالحرب ، إن نظام الدفاع المضاد للصواريخ والاجراءات البليغة المتخذة منذ 11 سبتمبر غير موجهين إلى إيران وكوريا الشمالية وغيرها من " الدول المارقة " حسب التعبير الأمريكي ، بل إلى الصين التي لا تبدي الولايات المتحدة أدنى استعداد لقبول صعودها بصفتها قوة رأسمالية ، ولا حتى جهوية في العقود المقبلة ، كما أن محاصرة روسيا غربا بتوسيع حلف شمال الأطلنطي ليشمل هنكاريا وبولونيا والجمهورية التشيكية سيتواصل بانضمام أعضاء جدد ( جمهوريات البلطيق و أوكرانيا )، كما يتمدد الانتشار العسكري والأحلاف شرقا في القوقاز و حضور العسكريين الأمريكيين في جورجيا . وتعمل الاستراتيجية الأمريكية إلى زيادة هامة في اختلال موازين القوى إزاء البلدان الحليفة للولايات المتحدة الأمريكية في حلف شمال الأطلنطي أو المرتبطة باتفاقيات أخرى مثل (اليابان وكوريا)، إن إدارة بوش ترمي إزاء الحلفاء إلى مفعول استعراضي ، فمثلاً تذكير الحكومات الأوربية بوزنها السياسي الفعلي" أي الضئيل" في الشؤون الدولية ، وتستند الإدارة الأمريكية على موازين القوى تلك لتعزيز مواقع الرأسمال الأمريكي ، ويزداد سقوط المنظمات الدولية ، صندوق النقد الدولي والبنك العالمي والمنظمة العالمية للتجارة وحتى الأمم المتحدة تحت تبعية الادارة الأمريكية .

## السياسة الخارجية الأمريكية والعلاقات الدولية

إن النظـرة الأمريكيـة للسياسـة الخارجيـة وللعلاقـات الدوليـة تسـتند على المصلحة القومية العليا ، **والتي تتكون من مرتكزات ثلاثة** :

( القوة - القيم والمعتقدات الإيدلوجية - الامكانات والموارد الهائلة ) لقد أدى تحالف الساسة ورجال المال ورجال الدين في أمريكا إلى رسم الخلفية الفكرية الحاسمة للمصلحة القومية العليا للولايات المتحدة ، التي أثرت وبشكل مباشر على السياسة الخارجية ودورها في العلاقات الدولية ، يصرح بعض القادة الأمريكيين أن " على الولايات المتحدة أن تنشر نفوذها التجاري في أنحاء الأرض كلها والتصدي للأهداف الامبريالية الأوربية .... إن مبدأ مونرو يوجب على الولايات المتحدة رفض أي نفوذ آخر... الأمر محكوم بالمصلحة القومية وحدها ولا يبدو أن له حدوداً ، فعلى الولايات المتحدة الارتقاء إلى مصاف القوى العظمى .. المعلن في طلبها بهيمنة أمريكية ممتدة إلى ما بعد البحار..." .

إن رغبة رجال الدين والسياسة والمال في الولايات المتحدة تعكس رغبة الهيمنة الاقتصادية والعسكرية وحتى الدنية على العالم ، فالمشروع الأمريكي منذ وقت مبكر " بات هو جذب كل البشرية إلى مجتمع مثالي ، تشكل على الأرض الأمريكية وتحقيقة أولاً بالتسامح ، ثم بالقوة عند الاقتضاء ، وأخيراً وهو الأفضل والأسهل كما يعتقدون بالتجارة ، إن مهمة أمريكا هي أن تدل بقية العالم على طريق التوبة والتطهير الكبير والإصلاح الاجتماعي ، وتراكم الثروة بشتى الطرق .

وعليه فإن النظرة الأمريكية نظرة " رسالية " و " فوقية " تجاه العالم الذي لم يزل يعيش الظلمة بتبني قيمها وبالتجارة طواعية أو بالقوة إذا لزم الأمر. إن الرسالة الأمريكية هي مصلحتها القومية ، وتحقيق المصلحة القومية إنما يحقق الرسالة الأمريكية : القيم / الدين / القوة / والتجارة ، إنها استعادة للثلاثية الأوربية ". العسكر والتاجر والمبشر.

بيـد أن الثلاثيـة الأوروبيـة كانـت تعـبر عـن قـوى أوروبيـة متعـددة ومتنوعـة في فكرها واتجاهاته وأهدافها ، فيما الحالة الأمريكية فإنها تعبير عن حالة قوة مطلعة ذات أبعاد إمبراطورية خارج لعبة التوازن الدولي ، وهذا ما استقرت عليه بشكل عام الرؤية الأمريكية للعالم على مدى قرنين تقريباً . إن الإمبراطوريات بحسب وزير الخارجية الامريكي الأسبق هنري كيسنجر لا تهتم بأن تدير شئونها في إطار نظام دولي ؛ فهي تطمح إلى أن تكون هي ذاتها النظام الدولي .
هكذا مارست الولايات المتحدة الأمريكية دورها في العلاقات الدولية منذ اليوم الأول الذي بدأ فيه توسعها الدولي وحاولت تكريسه في مختلف حقبات النظام الدولي .

## ملامح وشكل النظام الدولي الجديد

**يرى البعض في ملامح النظام الدولي الجديد أنه أصبح نظام أحادي القطبية في حين ذهب آخرون إلى أنه أصبح متعدد الأقطاب تتوازن فيه خمس قوى على الأقل هي** : الولايات المتحدة الامريكية ، الاتحاد الأوروبي ، اليابان ، الصين وروسيا الاتحادية وذهب فريق ثالث إلى القول بأن النظام الراهن لا يعدو أن يكون مرحلة انتقالية تفصل بين سقوط النظام القديم ثنائي القطبية وبروز هياكل النظام الجديد الذي لم تتشكل ملامحه بعد ، أما وجهة نظرنا وتقديرنا هو اتجاهه نحو التعامل " الكتلي " أي إلى نظام الكتل ، أنه سيكون نظام متعدد التكتلات والمجموعات الكبرى وليس الأقطاب ، إن لم تعد الدولة مرتكزاً أساسياً في رسم تصورات المستقبل مهما كان من حجم لهذه الدولة على المستوى السياسي أو العسكري أو الاقتصادي أو السكاني ، ولذا فان أنظمة الدول المستقلة لن تجد لها مكاناً بارزاً إلاَّ من خلال تكتلات كبرى بدت ملامحها من المجموعة الأوربية التي تشكل أقوى قوة اقتصادية ، وكتلة دول الكومنولث المستقلة – رغم هشاشتها وضعفها ، وكذا مجموعة الدول الصناعية ، وما تتجه إليه منظومة دول جنوب

شرقي آسيا من تكتل تبحث من خلاله عن مكان لها بين دول العالم الجديد وتبدو هذه الكتل من خلال التقاء المصالح الاقتصادية في عالم تتنافس فيه المصالح بل تكاد تسير شؤون العلاقات الدولية المعاصرة بصورة شبه كاملة إلاَّ أن هذه التكتلات لا تتوقف عند نقطة المصالح الاقتصادية بل تمد نظرها إلى أفق بعيد أرحب وأشمل للتحول بعد ذلك إلى كتل سياسية كبرى ، ولعل نموذج الوحدة الأوربية واضح في هذا العصر القادم هو عصر التكتلات أو المجموعات السياسية الكبرى الذي تحتفظ فيه الدول القطرية بشخصيتها القانونية ومكانتها وسيادتها إلاَّ أنها تدور في فلك واسع هو الكتلة التي تنتمي إليها .

في ظل هذه التحولات الكبرى نجد أن الأمة العربية والإسلامية تعيش واقعا مغيبا ومأساوي وممزق ، فحين يتجه العالم إلى التكتلات نجد الأمة العربية تراوح مكانها في رؤيتها للتكتلات ، فبعد تجارب مريرة كان دافعها العاطفة والمزايدات والشعارات الجوفاء نحو وحدة عربية شاملة وما تلي ذلك من تجارب نظرية وعملية فاشلة ، لم تجن منها الأمة إلاَّ الفشل والدمار وغياب الحريات وسيادة الرأي الواحد والفكر الواحد والحزب الواحد والعشيرة الواحدة والعائلة الواحدة كما هي في دول الخليج ، وفي ظل ذلك تجسدت الدولة القطرية وأصبحت واقعاً قانونيا لابد من التعامل معه وحين نتحدث عن هذه الوحدة والتكتلات تقفز إلى أذهاننا الصورة المقابلة وهي الدولة القطرية ، وكانت هذه المقابلة تعني التضاد والتصادم ولا تعني حلا ثالثاً أو بحثاً عن حل آخر.

فالرجوع إلى أصحاب الرأى الأول يبنون اعتقادهم على أساس أن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت القوة العظمى الوحيدة القادرة على ترتيب الأوضاع العالمية دون معارضة فعالة من قوى أخرى كما أن القوى المرشحة لمنافستها ليست مؤهلة لكي تلعب دور القطب والمنافسة كما يرى أنصار هذا الرأي ،  أن ماحدث

في حرب الخليج الثانية يمثل نموذجاً لهذه القدرة حيث تمكنت الولايات المتحدة الامريكية من حشد التأيد الدولي في مجلس الأمن ثم شكلت ائتلاف عسكري ضخم تحت قيادتها تولى العمل العسكري ضد العراق بل أنها نجحت في إظهار العمل العسكري ضد العراق على أنه بداية لوضع أسس نظام عالمي جديد وهو المصطلح الذي أطلقه الرئيس الأمريكي " جورج بوش " وبالتالي يبدو واضحاً لأنصار هذه الرؤية تأثيرهم بما حدث في حرب الخليج الثانية عام 1991 سواء من حيث التوظيف الأمريكي لمفهوم النظام العالمي الجديد أو في قدرة الولايات المتحدة الأمريكية في تحقيق وتنفيذ ما تريد وبالتالي جعلوا من نتائج هذه الحرب السياسية العسكرية – وطبقاً للنهج الأمريكي – نتائج مشابهة لنتائج الحرب العالمية الأولى أو الثانية حيث تغير بعد كل منهما النظام العالمي إلى نظام جديد .

**أما أصحاب الرأي الثاني " نظام متعدد الأقطاب " فيبنون رأيهم على ما يلي :**

1- إن النظام بعد الحرب الباردة تنعدم فيه إمكانية سيطرة دولة على مجمل التفاعلات الدولية ومن ثم فالنظام أقرب إلى التعددية منه إلى القطبية الواحدة مع التأكيد على اختلاف هيكل التعددية .

2- هناك فرق بين القدرة بمعنى "عناصر القوة " وبين النفوذ بمعنى القدرة على التأثير على سلوك الآخرين أنه في ظل ظاهرة الاعتماد المتبادل فإن احتمال استخدام القدرات العسكرية لتوجيه التفاعلات الدولية أصبح احتمالا محدوداً بل هناك أنواعاً أخرى من القدرات يجب أن تتمتع بها الدولة إذا كان لها أن تسيطر على مجرى الأحداث الدولية – إضافة إلى القدرات العسكرية – وهي القدرات التكنلوجية والاقتصادية والثقافية والبشرية والحضارية .

3- ومع ذلك فان القوى الدولية الخمسة ( الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي واليابان والصين وروسيا ) في النظام الدولي الحالي لا توجد قوة واحدة منهم تتفوق في جميع العناصر، فالولايات المتحدة وإن تفوقت في معظم العناصر إلاَّ أنها تعاني في المجال الاقتصادي من مشكلات كبيرة وتدهور في أدائها مقارنة بالاتحاد الأوروبي واليابان ، كما أن الاتحاد الأوروبي المتفوق اقتصادياً يعاني من نقص في القدرات العسكرية وأيضاً القدرة على العمل السياسي المستقل كما تبين ذلك خلال أزمات البلقان المختلفة حيث عجزت الدول الأوروبية عن وقف الصراعات عسكرياً في كل من البوسنة وكوسوفا إلاَّ بعد أن قررت الولايات المتحدة الأمريكية التدخل . وأيضا اليابان فرغم تقدمها الاقتصادي وتفوقها في مجالات شتى إلاَّ أنها غير مؤهلة للقيام بدور قيادي في النظام العالمي نتيجة ضعفها العسكري وضعف سيادتها وحضارتها في النظام العالمي ، وما ينطبق على اليابان ينطبق على الصين التي تتفوق بشريا وحضاريا وذات قدرات عسكرية لا بأس بها إلاَّ أنها دولة نامية اقتصاديا وكذلك روسيا الاتحادية فرغم قوتها العسكرية الهائلة إلاَّ أنها لاتزال تصارع التخلف الاقتصادي ومشاكلها الداخلية واقتصادها الذي يعتمد بنائه على المعونات والخبرات الغربية والدولية .

4- وأيضاً لايمكن اعتبار النظام العالمي الراهن متعدد الأقطاب – بل متعدد التكتلات – حيث أنه يبدو واضحاً ومنذ أزمة الخليج الثانية عدم قدرة قطب واحد من القوى المرشحة لمنافسة الولايات المتحدة على تحدي السياسة الأمريكية ، وكما حدث في احتلال أفغانستان والعراق التي أصابت الهيئات والفروع الرئيسية للأمم المتحدة بالشلل ، وأصاب الجمود مجلس الأمن لأن يتخذ قرارات ضد الهمجية والسياسة الغير دستورية للولايات المتحدة

الامريكيـة ، رغـم تعـارض هـذه الهيمنـة مـع المصـالح السياسـية والعسـكرية والاقتصادية لبعض القوى الأخرى وفي منطقة الخليج بالذات .

الأمر الذي يقودنا إلى القول بأن النظام العالمي الراهن في مطلع الألفية الثالثة وهـو في بدايـة تكوينـه حتـى الآن هـو نظـام عـالمي أحـادي القطبيـة المتكتلـة لأنـه إذا أخـذنا في الاعتبـار بـاقي المـؤثرات الاقتصـادية والثقافيـة إلى جانـب القـدرات العسكرية فـإن هذا القطـب الأحـادي عبـارة عـن كتلـة دوليـة متكاملـة هي المنظومـة الرأسمالية التي تعبر عنها الولايات المتحدة الأمريكية واليابان والاتحاد الأوروبي .

فالـدول الرأسماليـة في توجهاتهـا السياسـية تمتلـك مجتمعـة نحـو 49.5٪ مـن إجمالي النـاتج العـالمي وتستحوذ الولايات المتحدة من هذا النـاتج على 26.8٪ أو مـا 54٪ مـن نـاتج دول تحـالف الأطلنطـي هـذا وتحكـم المنظومـة الرأسماليـة شـبكة مـن المنظمـات والمؤسسـات الدوليـة مثـل منظمـة التعـاون الاقتصـادي والتنميـة - وكالة الطاقة الدولية – البنك والصندوق الدوليين – منتدى الدول الصناعية الكبرى وبالتـالي فهـي هيمنـة قطـب أو منظومـة تحمـل بداخلـها التعدديـة ، ولكنهـا تعدديـة محكومـة وفـق قواعـد مسـتقرة ينتفـي فيهـا احتمـال اسـتخدام القـوة العسـكرية أو التهديد باستخدامها في علاقاتها المتبادلة وخاصة بصورة متفردة وذلك وفـق مـا أسماه كارل دويتس " المجتمع الدولي الأمن التعددي "

# الفصل الثالث

## مدخل إلى الفكر الاستراتيجي الأمني

العديد من العلوم المتعلقة بالإنسان لديها فرضية أو "مسلّمة" وهي ادعاء الفهم والإدراك لظاهرة ما أكثر من هؤلاء الذين يعيشونها، والاستراتيجية هي إحدى هذه العلوم الإنسانية التي تؤمن بهذه الفرضية. إنها تحاول أن تكون علما شاملا يقود جميع أنواع الصراعات ولكن مهما كان تعريفها أو اختلفنا فيه مع الآخرين فهي عمل "نبيل" لا يمارسه إلا نخبة من الناس لهم مستوى عال من المسؤولية و أهمها العلمية والمعرفية. لقد طرأ على علم الاستراتيجية تحولات مختلفة وكثيرة فقد تحدث " هيربرت روزينسكي" في الماضي عن الاستراتيجية الفطرية "الغريزية"، أما في العصر الحديث فقد تحول علم الاستراتيجية إلى مادة تدرس في الأكاديميات العسكرية وبهذا تكون قد تحولت الاستراتيجية إلى "علم الاستراتيجية" أو "الاستراتيجية العلمية".

هناك من يقارن الاستراتيجية بلعبة الشطرنج، حيث نكون أمام معسكرين متعارضين. هذان المعسكران لهما هدف واحد دفعهما إلى المنافسة وهو إرغام أو قسر الخصم، مع العلم أنهما قبلا بوجود قاعدة للسلوك أو التصرف، إنها "قاعدة اللعبة". أما الذي يتصرف بسرعة أكبر وبتفكير على المدى البعيد سيكون له الحظ الأوفر بالنصر. ونذكر هنا أن الكثير من الدراسات الاستراتيجية قارنت نابليون بونابرت بلاعب شطرنج. فهل، بالفعل وبكل بساطة، الاستراتيجية هي لعبة شطرنج؟ وكيف نستطيع القول أنها كذلك، مع العلم أن لاعب الشطرنج يفكر دائما بشكل افتراضي، وليس مادي!

أيضا، هل يمكننا أن نختزل الاستراتيجية أو تطبيقاتها إلى منافسة بين إرادة فردين أو شخصين؟ وهنا نقول أن الاستراتيجية لا توضع أو تطبق لوحدها، أما الزعماء و حتى مدراء الشركات فهم لا يمارسون الاستراتيجية بأنفسهم، بل يكتفون بتوجيه أو إعطاء الأوامر للآخرين. ولكن فيما بعد هؤلاء الذين يخضعون للأوامر سيجدون أنفسهم لوحدهم في أماكن تطبيق الاستراتيجية، بالتالي سيكون عليهم التصرف لوحدهم كما سيمتلكون مساحة اكبر للتصرف وحرية الحركة بعيد عن رؤسائهم أو مدرائهم. طبعا، هنا نجد الفصل بين من يخطط ومن ينفذ، وهذا ما سنجده في مراحل لاحقة في التمييز بين الاستراتيجية العملية و الاستراتيجية النظرية.

إن الدلالة الأولى التي ترافق مفهوم الفعل الاستراتيجي أو المفهوم الذي يرتبط به هو " التوافق أو التلاؤم". فالاستراتيجية ليست شكلا بسيطا أو سهلا نتحدث عنه أو ننظِّر له، بل يجب أن تترافق مع الممارسة من قبل أشخاص مسئولين و أَكْفَاء. وفي اللغة الدارجة، عندما نقول عن شيء أنه استراتيجي فهذا يعني انه مهم. أيضا بالنسبة لرجل السياسة، أو لمدراء الشركات ومن شابههم في المسؤولية ،الاستراتيجي يعني المهم. كما أننا نطلق هذه الصفة "استراتيجي" على الأشياء التي لا تقدر بثمن أو بأهميتها.

أما الدلالة الثانية التي ترافق مفهوم الفعل الاستراتيجي فهي "المستقبل". حيث أن الاستراتيجية تنقل نظرنا إلى أبعد من اللحظة التي نعيشها أو الحاضرة، إذا إنها، وكما يقول بعض الاستراتيجيين، كل ما يمنعنا من الخضوع إلى دكتاتورية اللحظة. ولكن الاستراتيجية لا تختزل إلى فعل أو مخطط للتطبيق، فالمخطط هو توقع أو عمل مسبق يجعل من الممكن القيام بالفعل مستقبلا، أما الاستراتيجية فهي

شكل من أشكال تخيل المستقبل بأكمله. إذا وبعكس العمل الذي يقوم به الإداريون، فالاستراتيجي هو من يملك رؤية كاملة وبعيدة.

إننا في هذا الكتاب نعتمد على العديد من المصادر الفرنسية[1] والإنكليزية المترجمة إلى الفرنسية، ثم إلى المصادر الإنكليزية. طبعا لا ننسى القول بأنه وأثناء قراءتنا للكتاب سيمر معنا عدد كبير من أسماء الاستراتيجيين الألمان، الإيطاليين و الأنكلو- سكسون، حيث يشار إلى بعض نصوصهم الاستراتيجية والتي تم تحليلها من قبل مؤرخي الاستراتيجية الغربيين. أيضا يتناول هذا الكتاب بعض الأسماء الكبير في العلوم الاستراتيجية التي ظهرت في القارة الآسيوية، لاسيما في الصين.

تمت صياغة الكتاب بأقرب ما يمكن إلى المحاضرات التي تلقى في العادة على طلاب الجامعات، وبالتالي حاولنا الاختصار بطريقة لا يُرى فيه الكتاب على أنه همًّا أو مصدرا للقلق عند الطالب، وكما درجت العادة في إعداد الكتب الجامعية في العالم العربي. لذلك كان لدينا طموح منذ البداية وهو أن يكون للطالب الوقت والقدرة على الاطلاع على الكتاب بأكمله. ونأمل، كما سنعمل جاهدين على إعداد تكملة أو جزء ثان لهذا الكتاب يبدأ من حيث انتهى الجزء الأول وذلك لإيماننا العميق بأهمية معرفة العلوم الاستراتيجية من ألفها إلى يائها، وأيضا لأن هذا العلم لم يأخذ حقه في الجامعات العربية، لا بل هو شبه غائب ويعاني من ندرة كبيرة في المصادر المكتوبة باللغة العربية.

[1]ـ تعتمد دراستنا بشكل رئيسي على أمهات الكتب الفرنسية الاستراتيجية، ونذكر منها بشكل خاص مجموعة الأعمال الكبيرة و الهامة التي قدمها "هيرفي كوتو بيغاري"، وهي مؤلفة من ثلاثة كتب كبيرة تتكون من 1022 صفحة، حيث تشكل هذه الكتب مرجعا لا يمكننا إلا أن نعود إليه في أية دراسة علمية تتعلق بالعلوم الاستراتيجية أيضا يعتمد الكتاب أمهات الكتب الإنكليزية و الإنكليزية المترجمة إلى الفرنسية.

# مفهوم الاستراتيجية

يمكن أن تكون الاستراتيجية "فن" كما هي علم وذلك أثناء تطبيقها وممارستها عمليا. في الاشتقاق الروسي وبشكل دقيق ، هناك تمييز مثلا في المجال العسكري بين النظرية العسكرية و العمل العسكري: "كل قطاع وكل مستوى في الحقل العسكري له هذين الجانبين النظري والعملي". إن كل نشاط أو فعل يكون مقادا من خلال القوانين، و المبادئ و الطرائق، وهذا الفعل أو النشاط يقام أولا من خلال النظرية. ثم يأتي الفعل والممارسة ليزيد من غنى النظرية. إذا في "التخطيط الاستراتيجي" لابد من معرفة الكثير نظريا من أجل الحصول على القليل عمليا.

إنها حقيقة أبدية يقول الاستراتيجي الصيني الشهير" Sun Zi":" إن الأكثر تميزا من القادة بيننا هم هؤلاء الأكثر حكمة و الأكثر استشرافا و رؤية". بعد عشرين قرنا من مقولته يأتي القانون العسكري الياباني متأثرا بشكل عميق بهذه المقولة و ليفرض على العسكريين " العسكر يجب أن يعرفوا في نفس الوقت الفنون و النظريات العسكرية". ثم يأتي "فريدريك الثاني " في أوربا ليؤكد أن "قراءة الأدب و الرسائل الجميلة هي ضرورية لهؤلاء الذين في الحياة العسكرية".

هناك ضرورة قصوى لقراءة الاستراتيجية "كعلم" من أجل الحصول على تطبيق عملي في غاية الكمال و الحصول على الاستراتيجية "كفن" في أرقى أشكالها. هنا يرى بعض الاستراتيجيين الفرنسيين:" النظرية التي تريد دائما السير بشكل مزدوج مع التجربة فإنها ستسقط آنيا أو لاحقا و ستهمل". إذا هنا نرى التركيز على المعرفة النظرية كسابقة على العمل التنفيذي وهذه من حقائق الفكر الاستراتيجي. و للاستراتيجية قواعدها كبقية العلوم والفنون وهي متغيرة ولكنها ثابتة في بعضها والجهل بقواعدها لابد أنه يقود إلى السقوط. هذا ما يؤكده أحد الاستراتيجيين

الفرنسيين :" إن مراقبة المبادئ و معرفتها لا يكفي دائما للحصول على النصر ولكنها تخفف من وقع الهزيمة". (الجنرال Lewal). و يؤكد " كلوزويتز" : "النظرية هامة جدا لتكوين المنفذين أو الذين سيطبقونها ،حتى تصبح لديهم محاكمة جيدة وتخدمهم وتساندهم في كل خطوة ضرورية لإكمال مهمتهم". ( من كتاب له ظهر في عام 1814،باريس).

النظرية إذا تهدف لتوضيح المحاكمة و تسهل عملية اتخاذ القرار:" إنها تلقي الضوء على مجموعة المواضيع وتعطي القدرة على معرفة الطريق إنها تساهم في اقتلاع الأعشاب الضارة وتبين العلاقات المتبادلة بين الأشياء،وتفصل بين ما هو هام وما هو ثانوي". ( من كتاب "الحرب" ،كلوزويتز،باريس،1955).

الاستراتيجية هي في آن واحد كيمياء تحدث تحول جذريا وكيمياء كلاسيكية قديمة. كيمياء "جديدة "جذرية يصل إليها الإنسان الشريف النبيل فقط و التي تتكون من التنظيم للمبادئ المستقرة الثابتة ومن منهج أو خطة أو معادلة من طرفين. كيمياء "قديمة" محصورة في قبضة مجموعة من الأتباع أو الأنصار حيث لديهم القدرة على تحقيق تحولات وتغيرات ليست في متناول الجميع في عمقها و إدراكها. ولدى العديد من الاستراتيجيين، الاستراتيجية المنهجية يمكن الحصول عليها ومعرفتها من خلال التجربة بالتأكيد ولكن أيضا من خلال الدراسة وكما يعبر عن ذلك " كارل بوبير" :" العلم ليس إلا معنى مشتركا واضحا".

**أولا ـ الاستراتيجي العملي و الاستراتيجي النظري:**

إنه أمر واقعي و حقيقي القول بأن الانصهار الكامل بين النظري و العملي هو أمر نادر. فالعديد من القواد العسكريين كتبوا عن ذلك." تورين" ترك العديد من المذكرات أيضا خصمه "مونتي توكلي" حرر العديد من المحاولات حول فن الحرب ونابليون، وخاصة في منفاه الطويل فقد ألّف ملخصات عن الحروب و إجراءاتها

الطويلة و المعقدة. ولكن هذه الأعمال من النادر أن يكون لها قيمة نظرية استثنائية . على العكس من هؤلاء المحاربين المنظرون لم يكن له بريقا أو لمعانا في ميادين الصراع أو في كبرى قيادات المعارك الأعظم من بين هؤلاء Clausewitz ، كان له وفق ما يقول "ريمون أرون" : " عملا ومهنة في غاية اللمعان و البريق" [1]، ودوره في القيادة العسكرية البروسية خلال حملة عام 1815 كان متنازع عليه وخاضع للكثير من الجدل.

ويبقى هنا السؤال الأهم : هل من الواجب الحصول أو التمتع بمعرفة عملية من أجل الوصول إلى المعرفة النظرية؟ هذا السؤال أحدث جدالا واسعا من غير نهاية. فمنذ القرن الثامن عشر، المارشال Puységur دافع عن أن نظرية قيادة المعركة هي مستقلة وموجودة بشكل مستقل عن الشكل العملي حيث يقول: "ليس من الضروري أن تكون في قلب الجيوش حتى تكون في قلب هذا الفن"[2] . وعلى العكس من هذا الطرح، الكاتب "المغمور" . ماركيز دو فوكيير يعتبر أن المؤرخ لا يستطيع أن يعلم "الفن العظيم للقيادة والنصر" حيث يفتقد في الغالب إلى "معرفة الحركة المفاجئة والخفيفة جدا وإلى الاختلافات في الحالات داخل الميدان أو في المعركة أو حتى داخل الجيش. الجنرال البارع و القادر هو الذي يرى بنظرة واحدة كل الاختلافات في الميدان ولكن في عملية وصف هذا الفن أو المادة المؤرخ الذي لا يقاد أو يوجه من قبل هؤلاء الخبراء في ميادين المعركة لن يكون قادرا نهائيا وبنفسه يراقب هذه الاختلافات"[3].

---

[1] - Raymond ARON, « Penser la guerre, Clausewitz », tom I, l'âge européen, Paris, Gallimard 1976, P.31.

[2] – Maréchal de PUYSEGUR, « Art de la guerre par principes et par règles », Paris, chez C.A. Jombert 1748 ?P.26.

[3] – Mémoires de M. le marquis de Feuquière, London, chez Pierre Dunoyer 1736 ? PP. VII-VIII.

دون شك، الإستراتيجية كانت إحدى الميادين المنتخبة للتمييز عند Ernst Jünger بين إنسان المعرفة و إنسان القوة.الأجواء مختلفة، و أيضا نماذج التوظيف. الاستراتيجي ( ذلك الذي يفكر) يجب أن يفكر بكل شيء وشموليا، بينما الاستراتيجي (ذلك الذي يفعل و يتصرف ) يجب أن يفكر بشكل موضعي محلي. الأول لا يعمل إلا وفق منطق البرهان أو الاستدلال ،يعمل بهدوء في مكتبه و لديه الوقت ليفكر،الثاني مجبر أن يتصرف في لحظة وفق قاعدة من المعطيات و المعلومات غير كافية و لا أكيدة، إنه خاضع لضغط كبير. أكد ذلك سابقا المارشال Schaumburg -Lippe :" الحرب هي نظرية ولكن لا تكون كذلك إلى في المكاتب. كل جوانبها خاضعة للبراهين ومعظم العمليات تعتمد على التأمل والتفكير والحسابات ولكن عمليا، الصدفة هي التي تقرر وخاصة في الميدان وهذا يعني التصرف مع هذا الجانب كما يكون في حقل المعركة حيث ما نريده نقرره حالا"[4]. هذا التفاوت و الاختلال لا يمكن تجنبه. علم الاستراتيجية ليس إلا مرحلة تحضيرية في خدمة فن الاستراتيجية. ووفق التعبير الجميل لصاحبه Julien Freund :" من أجل القرار المعرفة عامل مساعد يجعل القرار أشد تأثيرا ،ولكن المعرفة ليست هي العنصر الأساسي التكويني و الجوهري"[5] ،" إن النظرية أو المذهب الأفضل ليس ذلك المبني بشكل أفضل نظريا أو منهجيا ،بل ذلك الذي يؤدي إلى النصر"[6].

---

[4] – Comte de Schaumburg-Lippe, « schriften und Brief „ P.158.
[5] – Julien FREUD, « Que veut dire :prendre une décision ? », Nouvelle école, 41,automne 1984 ,P.54.
[6] – Hervé coutau –BEGARIE, « Traité de stratégie », économica, paris, 1999, PP.36-37.

## ثانيا. في أصل المصطلح أو الاشتقاق

إذا انطلقنا من التحليل الكلاسيكي للمصطلحات، نجد أن مفهوم أو مصطلح الاستراتيجية يوجد في مختلف اللغات الأوربية أو اللغات الإغريقية/اللاتينية. ففي الألمانية نجد strategie ،وفي الروسية strategija وفي الهنغارية strategi . وعندما نقول ( stratos agein )فهو مصطلح الإستراتيجية ذاته مقسم إلى جزئين ويعني " الجيش الذي ندفع به إلى الأمام". وبوصل طرفي المصطلح stratos و agein نحصل على strategos وهذا يعني " الجنرال "، وفعل stratégô يعني قاد أو أمر، أما الصفة منها strategikos و التي تجمع strategika فهي تعني وظائف و أعمال الجنرال بالمفهوم العسكري للكلمة وتعني الصفات التي يمتلكها الجنرال[1] . الإستراتيجية إذا هي فن القيادة للجيش أو بشكل أشمل هي فن القيادة.

هناك فرضية أخرى حول أصل الاشتقاق في جذوره الأولى. عندما نقول stratos فهذا لا يعني الجيش أو الجيوش بشكل عام، بل يعني الجيش الذي يعسكر في منطقة ما ويكون في حالة حرب.الإستراتيجية في الواقع لا تحدد في حالة صراع واحدة. فكلمة stratos تتعلق بكلمة أخرى وهي أكثر قوة في المعنى :

(gia) تعني الأرض، أما (agein) فهي تعني الدفع إلى الأمام .هذه الفرضية الأخيرة هي الأكثر واقعية عند الكثير من مؤرخي العلوم الإستراتيجية. ربما لأن هذا الاقتراح في التحليل يشير إلى أن الإستراتيجية ليست شيئا "ساكنا" بل هي مرتبطة " بالحركة".

[1] – L.Wheeler, « stratagem and the vocabulary of military trickery », Leyde, Brill, Mnemosyne supplement 108, 1988, P. 3.

كلمـة strategia أيضـا خرجـت مـن نفـس الجـذر ككلمـة strategema و الـتي خرجـت منهـا كلمـة stratagème. ولكـن المارشـال De Puységur ( القـرن الثـامن عشـر) يـرى أن :" هـذه الكلمـة الأخـيرة كـان لهـا معنـى آخـر في اللاتينيـة لم يكـن في الفرنسية : حيـث تعـني في اللاتينيـة الحيلـة أو الخديعـة أو الوسـيلة في الحـرب". ( انظر Hervé coutau Bégarie ، المرجع السابق ). لكـن stratagème ( الوسـيلة أو الخديعـة الحربيـة ) ليسـت فقـط خديعـة أو حيلـة ،بـل هـي فعـل عقلـي ذكـي يتمتـع به"الجنرال". ففي عالم الحروب و الصراعات التي يسيطر عليها بالقوة، الإستراتيجية هي ترجمة حقيقية لهذا الفعل الذكي للعقل.

**ثالثا. في التأسيس و التكوّن**

لقد ظهرت في أثينا منذ القرن الخامس قبل الميلاد وظيفة ما يمكن أن نسميه المخطّـط الإسـتراتيجي أو الحربـي stratège . حيـث "القبائـل" تختـار عشـر " استراتيجيين" أو مخططين. يؤسسون مدرسة يستطيع أحد من داخلها أن يفرض نفسه على الآخرين المتبقين. لكن جميع الأعضاء في هذه المدرسة ليدهم الإمكانية في قيـادة الجـيش أو جـزءا منـه، فاسـتراتيجي مـن بيـنهم يقـود الجنـود المسـلحين في المناطق الريفية وآخر مكلف بالدفاع عن الإقليم أو الدولة واثنـان آخران مهمتهما الدفاع عن الشواطئ أما الخامس يهتم بتسليح الأسطول، والخمسة الآخرون يكون لديهم أعمال متعددة ومتغيرة. بعد الاسكندر الأكبر مدرسة الاستراتيجيين ستتبدل وتتغير في المملكة الهيلينيـة،ولكن تبدل نحو التوسع على كافة أراضي المملكة مع ضعف في الأهمية لهذه المدرسة. ومع أن وظيفة الاستراتيجي يبدو أنها أصبحت مؤمنة ومضمونة لكن فكرة الاستراتيجية بقيت غامضة.

إن كلمة strategema ستظهر في الربع الثاني من القرن السادس قبل الميلاد، ولكنها ستوجد ولمرة واحد عند Xénophon ،أما تعريفها الحقيقي سيأتي فيما بعد على يد الحكيم المسيحي Clément Alexandrie في القرن الثاني قبل الميلاد. وتقريبا في نفس العصر ستظهر كلمة strategika على يد Demetrois de Phalère. المصطلحان مرادفان لكلمات أخرى، من غير أن يشير المعنى إلى الخداع و الحيلة،ولكن رغم ذلك يبقى المعنى الأكثر تداولا وقتها هو ما يشير إلى الحيلة و الوسيلة والخداع. لكن المصطلحين السابقين لا نجدهما لا عند "هيرودوت" و لا عند " ثوسيدس". ابتداء من مؤرخي القرن الأول قبل الميلاد كلمة strategema ترتبط بفكرة الحيلة والوسيلة والخداع في المعركة، بينما كلمة strategika سيكون معناها مرتبط بوظيفة ومكتب "الجنرال". أما الفعل strategeo سيحصل على معنى أكثر دقة، فعند Onosander سيعني تماما " ناور" من المناورة.

ضمن هذا الوضع سيلجأ الرومان إلى " لتينة" المفهومين ( لتينة: أعطى كلمة غير لاتينية صيغة لاتينية ). حيث سيتحدث " شيشرون" عن strategema في رسالة مؤرخة في العار من أيار سنة الواحد والخمسين قبل الميلاد، أما هذا المصطلح سيحل تدريجيا مكان معناه اللاتيني المنافس له( sollertia ,ars ,astutia, dolus ). ولكن حتى نحافظ على الجانب العلمي للدراسة لابد من القول أن الرومان تحدثوا عن العلوم العسكرية أو عن علم الأشياء العسكرية ( scientia rie militaris ) و الذي يتضمن الاستراتيجية.

المنظرون الاستراتيجيون البيزنطيون ،والذين سيبقون ناشطين حتى القرن الخامس بعد الميلاد ، يقدمون strategos أو stratège ليكون " الاسم الذي نعطيه لمن يكون في المكان الأول في الجيش والذي يكون رئيسه". أما الكاتب Syrianos سيعرف أحد فصول دراسته في القرن السادس الميلادي تحت عنوان Peri strategikes أو الاستراتيجية . بعد سيعرف مصطلح الاستراتيجية الكثير من التراجع في العصر الهيليني، وسيصبح الاستراتيجي هو قائد ضمن الإقليم قبل أن يترك المكان بمعنى آخر وهو " الدوق". مع ذلك مصطلح الاستراتيجية بقي له بعض الاهتمام، حيث مع مصطلح " التكتيك" Taktika سيساعد لعودة بعض الروح للفن العسكري.

بعيدا عن العالم الروماني و اليوناني: لا نجد مفاهيم معادلة لمصطلح الاستراتيجية ،حتى في المجتمعات التي كان لها عمقا وتجربة كبيرة بالفن العسكري. الاستثناء الوحيد كان في الصين مع الاستراتيجي الصيني الشهير Zun zi ، و الذي وضع ( bing-fa )، وقد عمد المترجمون المعاصرون لترجمته بالإستراتيجية، وإن كان يعني هذا المصطلح مفهوما أوسعا من مفهوم الطرق العسكرية أو فن الحرب. تحليل هذا المفهوم يرتكز على "الطرائق"، ويوجه حديثه و تحليله إلى من سيقود جيشا أو حملة، إن ما يتحدث عنه Zun zi هو الإستراتيجية بعينها.

في نفس العصر المشرعون يطرحون وبكل وضوح العلاقة ما بين الحرب والسياسة:" أن يصبح ملك محترما، لديه أرضا واسعة، وحاكما للعالم، أو أن يكون ضعيفا أرضه محتلة ويفقد سلطته، كل ذلك تقريره بالحرب .من القديم وحتى أيامنا هذه، ليس لدينا أي مثل أو نموذج على أحد أصبح قائدا للعالم من غير

الانتصار بالحروب أو بالحصول على السلطة من غير منازع"[1]. إذا كنا لا نستطيع أن نحصل على مفردة معادلة لكلمة الاستراتيجية في الصين القديمة،هذا يعود إلى أن طريقة التفكير الصينية تختلف عما هو عليه الحال في العالم الغربي أو غيره، ولكن ( فن الجنرال تحضير الخطط تحليل الحالات و الأزمات الطرائق ) هي موجودة بالفكر الصيني ولم توضع فقط بشكل عملي في الحروب وغيرها ولكن لها نظرياتها ومنظروها.

منذ القرن الثامن عشر عودة و نهوض مفهوم الاستراتيجية وكل تحولاته يمكن رصدها وملاحظتها من خلال مراحل عدة. الأميرال Mathey يرى أن عودة المصطلح كانت من الإنكليز من خلال استخدام كلمة stratège في كتاب Oceana لمؤلفه Harrington عام 1656، ولكن بكل بساطة هذا يعني عودة الكلمة اللاتينية strategns. مصطلح strategy في الإنكليزية ظهر 1688 في كتاب Geography لمؤلفه Morden ، ولكن ضمن معنى إدارة مقاطعة أو إقليم، لم تأخذ أي معنى عسكريا حتى عام 1810 وذلك في الطبعة الثالثة للقاموس Military Dictionary لصاحبه James ،في نفس السنة الوقت ظهر الظرف strategically في الإنكليزية. على الجانب الآخر نجد أن هذه الكلمة لم تظهر في كتاب ميكيافلي، ولكنها ظهرت في كتاب Francesco Patrizi وهو " Paralleli militari" وذلك في عام 1594 حيث يقول في كتابه:" العسكري يجب أن يتعلم مهنته في كتب عن التكتيك و الاستراتيجية و الميكانيك...". على كل حال، هذا المصطلح أو المفهوم سيختفي فيما بعد من اللغة الإيطالية. ثم لن يحظى مصطلح الاستراتيجية بقدر كبير من النجاح في أوربا الشمالية، إلا عندما،

---

[1] - Guang Zi, « les sept méthodes du gouvernement », cité dans Xu Zhen Zhou ( l'Art de la politique chez légistes chinois », Paris, Economica 1995, P.229.

وفي نفس العصر، Jean de Nassau يقترح تقسيم الآداب العسكرية الرومانية إلى ثلاثة أقسام رئيسة: strategetica,tactica,poliorcetica .

في الواقع إن اللغة الفرنسية ومن دون شك أعادت إدخال مفهوم الاستراتيجية في اللغة الحديثة. فالمفهوم أو كلمة استراتيجية استعملت سابقا في القرن السادس عشر من أجل الإشارة إلى إدارة عسكرية في إقليم أو مقاطعة وذلك عند الرومان. في عام 1721 قاموس Trévoux يعيد كلمة الاستراتيجي للإشارة إلى " قيادة الكتائب والجماعات عند اليونانيين". في كلتا الحالتين وكما هو الحال في الإنكليزية، لم يكن المفهوم أو المصطلح" الإستراتيجية" إلى مصطلحا قديما، لم تمسه أي تغيرات أو تحولات. في قاموس Trévoux يشرح كلمة stratagème :" حيلة أو وسيلة عسكرية تستخدم في الحروب من أجل مفاجأة أو خداع العدو". القاموس اللاتيني لمؤلفه Du Cange يعد ويحصي أكثر من اشتقاق strategus, straticus, stratigus, stratigotus . أما قاموس Estienne يعرف كلمة strategus بأنها رئيس الجيش، وفي النهاية القاموس العالمي لمؤلفه Moreri لا يذكر شيئا عن الإستراتيجية.

## الاستراتيجية كفئة من الصراع

### 1- فائدة التصنيف:

أصبحت الصلة الوثيقة بين الاستراتيجية والحرب في موضع تساؤل في العقود الأخيرة، مما أدى لظهور فئات وتقسيمات جديدة لمفهوم الاستراتيجية. للوصول إلى أفضل مقاربة لتلك الفئات تم اللجوء إلى علم التصنيف taxinomie ، بمعنى ترتيب كل المفاهيم المتقاربة من اجل وضع الاستراتيجية في البنية السياسية- العسكرية.

**أ - الثلاثية trilogie الكلاسيكية**

**نشوء الثلاثية:**

ظهرت الحاجة إلى ترتيب تسلسلي لمستويات فن الحرب منذ نشوء الفكر الاستراتيجي. اليونان مثلا فصلوا التكتيك taktika عن strategia . ميز Dietrich von Bulow بينهما كالآتي: الإستراتيجية هي الحركات التي تتم أثناء الحرب بين جيشين،لكن خارج دائرة المعارك المتبادلة، أي خارج الدائرة المرئية. مهارة الحركات التي تتم بوجود العدو ، بحيث تكون إمكانية رؤيته قائمة دون قدرة مدفعيته على بلوغ الأهداف، هذه المهارة تسمى التكتيك.

تم تبني مفهوم الثلاثية عالميا، بحيث نعرفها كما يلي: السياسة تحدد أهداف الحرب في إطار حكومة البلد، االاستراتيجية موقعها ضمن الحرب: إنها تضع في العمل الوسائل العسكرية من اجل تحقيق أهداف سياسية، أما التكتيك فانه يضع في العمل القوات لكن في إطار الفعل العنيف نفسه.

- **السياسة تحدد أهداف الحرب:**

لقد دافع Clausewitz بقوة عن هذه الفكرة في أطروحته: الهدف السياسي، كدافع أساسي للحرب، يقدم حجم الهدف المطلوب من خلال العمل العسكري. الفكرة الأساسية لهذه الصيغة هي أن : الحرب استمرار للسياسة بوسائل أخرى. الحرب ليست فقط عمل سياسي، لكن أداة سياسية حقيقية، متابعة للأهداف السياسية، تحقيق لها بوسائل أخرى.

لكن ، في المقابل، هذه الفكرة لم تلق تأييدا عند العسكريين ، ومنهم رئيس هيئة الأركان الألماني في عام 1866 Moltke ( في عهد بسمارك ) . حسب الأخير: الحكومة المدنية لا تتدخل في قيادة العمليات العسكرية. إذن، الحرب لم تعد استمرار للسياسة، بل وكيل للسياسة. بمعنى آخر، السياسة تتدخل في مرحلة ما، لكن عند اندلاع الأعمال العسكرية على السياسة أن تخلي الساحة للإستراتيجية.

الجنرال Lewel كان واضحا في هذا الشأن، حيث يعتبر أن المهارة العسكرية ليس لها علاقة بالسياسة ولا يجب عليها أن تهتم بالأخيرة، مبادئ الحرب مستقلة تماما عن طبيعة الحرب أو عن الأسباب التي أدت إلى وقوعها. تجب الإشارة هنا إلى أن هذا النموذج paradigme بقي غالبا حتى الحرب العالمية الأولى. كأمثلة على هذا النموذج نذكر هنا الجنرال الفرنسي Joffre الذي لعب دورا مستقلا عن حكومته عندما قام بإصلاح البحرية ومن ثم إعلان العمليات الهجومية في عام 1915 . كذلك الجنرال الالماني Ludendorf الذي دعا إلى تغييب التبعية للسلطة السياسية ، بل إلى إلغاءها تماما ، حيث على السلطة السياسية عدم التدخل لا في قيادة العمليات ولا حتى في قيادة الحرب. هذه (الامبريالية) الإستراتيجية ، بمعنى السيطرة المطلقة للإستراتيجية، التي تنكر مقتضيات السياسة، ساهمت بشكل حاسم في هزيمة ألمانيا : حيث أن الأخيرة أطلقت ما سمي حرب الغواصات بدون الأخذ بعين الاعتبار الدول المحايدة مما أدى لدخول الولايات المتحدة في الحرب.

لكن نموذج (الأولوية للإستراتيجية) لم يستطع التفوق بشكل دائم على نموذج (الأولوية للسياسة). الجنرال Poirier اقترح ما أسماه الاستراتيجية الكاملة، حيث لم يرفض مبدأ تحديد الغايات من خلال السياسة. يعرف الاستراتيجية كسياسة في إطار الفعل أو التطبيق، إنها المهارة وفن المناورة الذي تتبعه القوات من أجل الوصول إلى غايات السياسة، الغايات المترجمة في أهداف استراتيجية.

**- الاستراتيجية تعرف وتضع في التطبيق الوسائل من أجل تحقيق النصر في الحرب:**

وضعت تعاريف عدة للاستراتيجية في القرن التاسع عشر وتحديدا بين 1820 – 1830 ، تم اعتبارها كنتيجة للمناخ الفكري الذي ساد آنذاك، وللأثر الذي تركته المعارك الكبرى لنابليون. يمكننا ان نذكر مثلا التعريف الذي قدمه المارشال Marmont بانها التحركات التي تتم في منأى عن نظر العدو وقبل المعركة، هدفها تحقيق تفوق عددي في يوم المعركة. Clausewitz يقدم تعريفا أكثر شمولا حيث يعتبر الإستراتيجية استخدام القتال من أجل غايات الحرب. يجب عليها أن تحدد، من كل فعل الحرب،غاية تتعلق بالهدف من الحرب. بمعنى أن تضع خطة الحرب حسب الهدف المراد وأن يتم تنفيذ الخطة وفق سلسلة من الأفعال التي يجب أن تقود إلى تحقيق هذا الهدف.

لقد ظهرت نظرية بديلة تميز الاستراتيجية كمفهوم عن التكتيك كتنفيذ. من روادها الجنرال البروسي Ruhle Von Lilienstern – (وهو من المبشرين بقدوم Clausewitz) حيث قدم تعريفا شبه فلسفي : الإستراتيجية تنظر إلى الطريقة التي من خلالها يجب أن تقاد الأشياء، التكتيك بالمقابل هو السبب الذي يجعل شئ ما يحدث أو ينتج أو يتحقق بطريقة أو بأخرى. الأولى تسبق في الزمن التنفيذ الحقيقي، إنها بالنتيجة مختلفة تاريخيا عن الثانية، مختلفة في طبيعتها حتى في سلوكها ، بالنسبة للفعل action، كالكلام بالنسبة للتنفيذacte .

تم الآخذ بهذه الأفكار فيما بعد ، خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث يعتبر الكولونيل الفرنسي Blume أن الاستراتيجية تحدد للجيش الهدف والاتجاه. أما التكتيك فيقع على عاتقه أمر بالتنفيذ. في فرنسا نجدها في

دراسات الحرب للجنرال Lewel كذلك في محاضرات الجنرال Bonnal في المدرسة الحربية العليا: الإستراتيجية هي فن التصور، أما التكتيك فهو علم التنفيذ.

لكن يوجد من طعن بصحة هذه المقاربة كالقائد العسكري Grouard أو الأميرال Castex حيث يعتبر الأول أنه من عدم الدقة القول أن التكتيك ينفذ ما ترسمه الإستراتيجية: لأنهما ليسا التصور والتنفيذ للشئ نفسه. إنهما يعالجان مواضيع مختلفة والقواعد التي يتبعانها تنطبق على مراحل غير متزامنة، لكن تالية لعملية عسكرية.... التكتيك ، كما كل الأعمال الحياتية،يسلك التصور والتنفيذ. أما الثاني فيعتبر أن كل شخص، وفي كل مستويات القيادة يقوم بفعل استراتيجي وتكتيكي في آن معا. يخلص Castex إلى أن التكتيك هو القتال أما الإستراتيجية فهي كل الحرب قبل وبعد القتال. هنا نعود إلى نقطة البدء التي لا تحل مشكلة الدرجة التي منها تبدأ الإستراتيجية: إذا الإستراتيجية ليست إلا القيادة العامة للعمليات، الفن الأرقى الذي يمارسه القادة في مناصب عليا تسلسلية، يبقى القول أن قيادة العمليات ليست إلا القتال تحت هذه العتبة. عدد من الكتاب يعتبر أن قيادة العمليات من اختصاص اللوجستيك logistique أي فن أو علم نقل الجنود وإمدادهم.

- **التكتيك يضع موضع العمل وسائل القتال ناظرا إلى تحقيق النصر في المعركة:**

يشمل التكتيك بشكل أساسي قيادة المعركة، ما أن تصل هذه الأخيرة إلى درجة معينة من التمام، بمعنى أنه يجب ألا تقود إلى معارك أخرى منفردة. يأتي من النظام الإغريقي، من التنظيم ، الجاهزية. كذلك، كما تقول Joly de Maizeroy في كتابها نظرية الحرب، هذا المصطلح بمعناه العسكري يعني الوضع الخاص للرجال الذين يشكلون قواتا أيا تكن، وضع قوات مختلفة تشكل جيشا، وضع

تحركاتها، عملها، والعلاقات فيما بينها. Jean de Vignay يقول في الترجمة الفرنسية للكلمة – التي ظهرت بين 1310 و 1320 أن التكتيك هو mestres d'armes . لكن تعتبر انكلترا أول من تكلم عن التكتيك: تمت الإشارة إلى هذه الكلمة – tactice – عام 1570 . في فرنسا ، ظهرت في السياسة العسكرية التي اتبعها Paul Hay du Châtelet عام 1968 . كما توجد الكلمة في قاموس Furetière لعام 1690. ظهرت في قاموس أكسفورد عام 1766 . أما الفرنسي Mesnil Durand فيكتب في العام 1770 : لم يكن لدينا أي عمل عن التكتيك قبل عشرين عاما.. حيث بالكاد كنا نعرف ما هو التكتيك، موضوعه وتعريفه، العسكريون ليسوا تماما متفقين فيما بينهم.

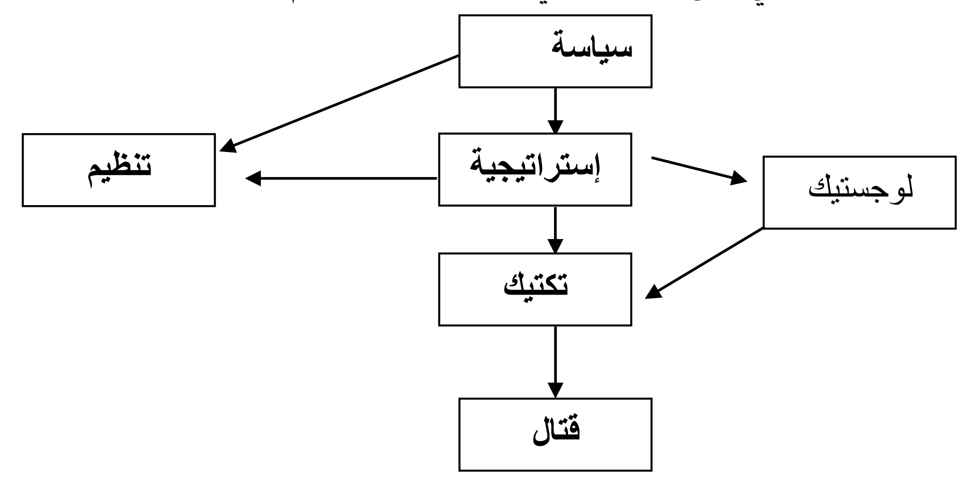
يعتبر Clausewitz أن التكتيك هو النظرية النسبية لاستخدام القوة المسلحة في المعركة. انه العملية التي تستخدم الذكاء، المعرفة والتنظيم كما يشير نابليون في أحد تعليقاته. يعتبر Antoine Grouard في كتابه للاستراتيجية : موضوع- ارشاد- عناصر والصادر عام 1895 أن التكتيك له ثلاثة أجزاء: التكتيك الأولي، أو التكتيك المفصل، يضم أساليب القتال للوحدات الصغيرة في كل جيش؛ تكتيك المجموع أو للجيوش الثلاثة (المشاة، الفرسان، المدفعية) يعمل لمعرفة دور كل جيش في المعركة؛ التكتيك الكبير أو تكتيك الوحدات الكبيرة، وهو مهارة قادة الجيش ، الفن الذي يتبعه قائد الجيش لتحديد دور كل من جيوشه في المعركة، للنصح باستخدام قوات الاحتياط، وجعلها تتدخل في الوقت المناسب وفي الشروط الملائمة.

- **يجب تمييز التكتيك عن القتال:**

يجب التمييز بين التكتيك و القتال البدائي الذي يدعو إلى القوة والشجاعة. في هذا الوسط يمكن أن تتحطم الحسابات العلمية كنتيجة لردود فعل أولية لا يمكن ضبطها. نذكر هنا حالات الهلع التي تسيطر على القوات مهما كانت قوتها كما

حـدث لقـوات الحمايـة الفرنسـية في Malplaquet عـام 1709 . في بدايـة القـرن العشرين، كرس الجنرال الفرنسي Jean Colin جزءا من كتابه - تحولات الحرب Transformations de la guerre- للحديث عن القتال الأولي أو البدائي، حيث يستنتج أن علم التكتيك لديه مبرر لوجوده؛ لكنه غير فعال في حال أن الجنود غير مشبعين بروح الشجاعة والحماس وإرادة النصر. بالطبع، لم يفقد هذا المعطى الأساسي من أهميته رغم تطور وسائل الحرب فيما يتعلق بقوة النيران أو القوة الكترونية. الأمثلة هنا موجودة من الحرب العالمية الثانية كمعارك Bir-Hakeim ، Stalingrad أو Budapest .

الشكل الآتي يوضح التيبولوجيا الكلاسيكية لتسلسل هرم القيادة، حيث تأتي السياسة في أعلى التسلسل ، أي أنها المسؤولة عن رسم الخطط الإستراتيجية:




- **اللوجستيك Logistique كبعد ثانوي:**

لم يعط الكتاب الكلاسيكيون أهمية كبيرة لأمور الإمداد بمستلزمات العيش، إذ برأيهم على الجيش أن يتدبر أمره. مثلا Guibert يقترح عدم الإكثار من التجهيزات اللازمة للمؤونة، وهذا ما وضعه نابليون موضع التطبيق.

عند اليونان كلمة logisteuo تعني الإدارة. أشارت الكلمة في القرن xviii إلى فرع من فروع الرياضيات ( علم الحساب الرمزي ) حسب قاموس Trévoux. أما Jomini فقد أدخل الكلمة في المجال العسكري، حيث يعتبر أن اللوجستيك هو ما تقوم به هيئات الأركان في الجيوش، إذ تقوم بتوجيه الأوامر والتعليمات، تنظيم وسائل النقل، خدمة المعسكرات. برأيه، جزء الأساسي من اللوجستيك هو تقنية التحركات (فرع قريب من الإستراتيجية)، أي عندما يتحرك الجيش، (وفرع أخر قريب من التكتيك ) أي عندما ينتقل الجيش من أمر السير إلى أوامر القتال. لا يعتبر أن اللوجستيك في أي من الأحوال كجزء من فن الحرب متعلق بالتزويد أو التموين.

تشير الكلمة في العالم الانكلوساكسوني إلى معنى مادي، حيث هو فرع من العلم العسكري مرتبط بحركة، بوقوف ، اصطفاف، وتموين الجيوش. يذكر James A. Huston في كتابه -مصدر قوة الحرب The sinews of war - أنه لن يتم الاعتراف باللوجستيك، كفرع هام من فن الحرب، إلا أثناء الحرب العالمية الثانية، عندما يقوم الأمريكيون بوضع طرق ومفهوم ما يسمى logistics : فن تخطيط وقيادة التحركات العسكرية، الإجلاء والتموين. يشار أنه في الترجمة العربية للكلمة تعني: السوقية- بفتح السين- وتعني فن أو علم نقل الجنود وإمدادهم بالطعام وإيوائهم.

- **البعد التنظيمي:**

لم يعط الكتاب الكلاسيكيون من أمثال Clausewitz أهمية كبيرة للعمليات أو لفن الحرب بمعناه الضيق، على العكس من Nockern de Schorn في القرن xviii والذي شدد على ضرورة تحديد ما أسماه (البنية العامة للوضع العسكري )، والتي تشكل جزءا من علم الحرب مثلها مثل الإستراتيجية أو التكتيك:

يجب تعميق المبادئ التي تساعد على بناء الوضع العسكري بشكل عام، توفير ما يلزم لصيانته والقيام بكل التدابير من أجل استمراره بحالة جيدة؛ كل ذلك يشكل مدخلا إلى علم الحرب و أول جزء منه هو بناء الفن العسكري.

تزايد الاهتمام بما يسمى - تنظيم القوات- في القرن التاسع عشر وخاصة بعد هزيمة فرنسا أمام ألمانيا عام 1870 ، حيث دافع الكولونيل الفرنسي Lewel عن فكرة التنظيم العقلاني Organisation rationnelle : التكوين العقلاني للجيوش الفعالة له أهمية لم تكن موجودة قبل 12 عاما فقط. لذلك من الإجباري البحث عن الشروط الضرورية من أجل الوصول إلى أفضل النتائج. تكلم عن الجزء التنظيمي Partie organique عند دراسة الحرب، والذي أخذ صدى واسعا في ايطاليا حيث عرفه Sechi Giovani بأنه الجزء من الفن العسكري المرتبط بالإعداد organisation وبتحضير العتاد والأشخاص. بالرغم من أهمية هذا الفرع من العلم العسكري إلا انه لم يتم الاعتراف به كفرع مستقل كالاستراتيجية مثلا.

**ب.: تقسيم الإستراتيجية في القرن العشرين:**

- ارتقاء الاستراتيجية:

أصبحت الثنائية استراتيجية- تكتيك في موضع تساؤل خاصة بعد تزايد أعداد المقاتلين في الجيوش. إذ أنه اعتبارا من القرن التاسع عشر أصبح تعداد بعض الجيوش مئات الآلاف، مما جعل من الضروري تعدد مستويات القيادة، وهذا ما جربه نابليون فعلا عندما أوكل قيادة الجيوش إلى ماريشالاته أثناء الحملة ضد ألمانيا عام 1813. خلال سنوات العشرينيات من القرن المنصرم يشير الكولونيل Culmann إلى أن هدف الاستراتيجية هو إدارة مجموعات الجيوش وكذلك الجيوش المنفردة. أما مع الحرب العالمية الثانية فإننا نلاحظ ارتقاء مستوى العمليات، والتي من الآن فصاعدا في علاقات متبادلة ودائمة رغم توسع مسرح الحرب.

التطور الثاني تقني. إذ أنه في السابق، ونتيجة لبطء نقل المعلومات، كانت عملية القيادة المركزية للحرب مستحيلة. أما مع ظهور التلغراف، ومن ثم التلفون، سكة الحديد، الاتوموبيل، الطائرة، أصبح من الممكن للقيادة المركزية متابعة الحرب عن بعد أو التنقل شخصيا إذا اقتضت الضرورة. كذلك مع هذه التطورات فان تصور خطة الحرب وقيادة العمليات لم تعد منفصلة بالكامل كما في السابق حيث تمتع القادة الميدانيون بحرية تصرف كبيرة نتيجة صعوبة التواصل مع المركز.

التطور الثالث يتجلى في أن الحرب الحديثة تتطلب حشدا ضخما للوسائل ومن كل الأنواع. تتطلب الحرب تعديلا للنشاطات الصناعية من أجل إنتاج كميات ضخمة من الأسلحة والذخائر، وأن تأخذ الدولة على عاتقها عملية التقنين وضبط التجارة الخارجية وتنظيم دعاية منظمة فيما يتعلق بسكان أكثر تعليما واطلاعا من الماضي، ولذلك فهم اقل إذعانا.

نمت درجة شمولية وتجرد الإستراتيجية مع تصنيع industrialisation الحرب، بحيث أنها توسعت وارتقت إلى درجة الفكاك عن التكتيك. مفهوم الإستراتيجية السائد ما بين الحربين أصبح متداولا فبما بعد الحرب العالمية الثانية. هذا التوسع أدى إلى تقسيمها وظهور مستوى وسيط سمي: الفن العملياتي.

- **استراتيجية كبيرة، استراتيجية عامة، استراتيجية متعلقة بالعمليات العسكرية :**

للاستراتيجية جناحان: سياسي وعسكري. تضمن الإدارة العامة للحرب وللازمات والقيادة العامة للعمليات أو للأعمال العسكرية. في هذا الإطار يعرفها Herbert Rosinski بأنها المفهوم المركزي الموجه الذي ينظم كل العناصر ويوجهها نحو غاية محددة سلفا.

1 – تتطابق الإستراتيجية، في القيادة العامة للحرب وفي إدارة الأزمات، مع السياسة في الفعل، لا بل تستحوذ على مجمل قيادة العمل حيث في هذه الحالة تندمج السياسة التقليدية في الإستراتيجية العامة، وهنا تتنوع المسميات حسب الدول.

الاستراتيجية الكبرى مفهوم أنكلوسكسوني، أصبح متداولا في منتصف القرن الماضي. يعرفها Liddell Hart في كتابه strategy على أنها سياسة الحرب؛ هدفها تنظيم وإدارة كل موارد الأمة أو تحالف ما من أجل الوصول إلى هدف سياسي للحرب. بهذا المعنى إن الحرب استمرار للسياسة لكن بوسائل أخرى . يفضل الأمريكيون الحديث عن استراتيجية قومية ، والتي قسموها مؤخرا إلى استراتيجية الأمن القومي واستراتيجية الأمن العسكري، الأولي تتعلق بالاستراتيجية الكبرى.

فضل الفرنسيون في سنوات الخمسينيات مفهوم الاستراتيجية العامة. ورد تعريفها في برنامج التعليم حول استخدام القوات المسلحة لعام 1959 والذي تم استبداله ببرنامج عام 1984 على أنها الفن الذي يجمع كل الوسائل التي تستحوذها السلطة السياسية من اجل الوصول إلى الأهداف التي وضعتها.

ميز الروس بين السياسة العسكرية والإستراتيجية العسكرية. كما يشرح Jacques Laurent في عمله outil pour la pensée militaire soviétique أو أداة من أجل الفكر العسكري السوفييتي فان الأولى تتعلق بالتحضير وباستخدام وسائل القوة المسلحة من اجل الوصول إلى الأهداف السياسية؛ أما الثانية فهي جزء أساسي ومجال أعلى من الفن العسكري يشمل النظرية والتطبيق فيما يتعلق بتحضير القوات المسلحة أو بلد ما للحرب. يمكن أن نفسر رفض الروس للإستراتيجية الكبرى على أنه رفض من جانب الحزب الشيوعي لإخضاع الغايات السياسية للوسائل ، في إشارة واضحة إلى اقتسام سلطته المطلقة مع المتخصصين.

2 – في القيادة العامة للعمليات وللأعمال العسكرية، الاستراتيجية تمارس دورها التقليدي، خاصة العسكري، حيث تخضع لقيادة عليا في صلة وثيقة مع الحكومة. الأميركيون يسمونها الاستراتيجية العسكرية القومية. في فرنسا، ممارسة القيادة في أعلى مستوى عسكري يشمل تصور، تحضير وقيادة العمليات العسكرية[1].

القيادة العامة للعمليات تسير وفق اتجاهين: الاستراتيجية القديمة على الأرض من الآن فصاعدا تسمى الاستراتيجية العملياتية: تضعها موضع التطبيق القيادات العسكرية العملياتية، مجموعات الجيش، القوات البحرية أو قيادة مسرح العمليات، و إستراتيجية الوسائل التي تقوم، من خلال الموارد المتاحة، بالتنظيم والإمداد اللوجستي .

بالتدريج، الصلة بين الاستراتيجية والعمليات تتفكك: حيث أن الفن العملياتي سوف ينافس الاستراتيجية العملياتية، لا بل سيحل محلها.

**هنا انتهت المحاضرة الثانية**

- الفن العملياتي opératique :

من المتداول أن المنظرين السوفييت هم أول من اوجد مفهوم الفن العملياتي art opératif في عشرينيات القرن الماضي. لكن الفكرة كانت موجودة في بدايات القرن حيث ميز الجنرال الاسباني Richardo Burguete القطيعة التكتيكية – الحاصلة على جبهة المعركة نتيجة لهجوم قوي جدا -، القطيعة العملياتية- الحاصلة على آلية التنظيم بمجملها وذلك عندما نصل من خلال المعركة إلى تدمير هذه الآلية. في القطيعة العملياتية يجب، ومن خلال ضربات سريعة كالبرق ، التغلب على المجموعات القريبة الواحدة بعد الأخرى. يفترض الجنرال أن الأولى

[1] - العقيدة الفرنسية عرفت الإستراتيجية العامة على أنها جزء من الإستراتيجية الكلية Globale : هذه الأخيرة تضم كل الوسائل العسكرية الاقتصادية والدبلوماسية والتي من خلالها يمكن للسلطة السياسية أن تتصرف من اجل الوصول للأهداف المحددة، فيما العامة هي خلق ، عرض ، واستخدام الوسائل من اجل الوصول إلى أهداف الإستراتيجية الكلية . انظر le Glossaire interarmées , 1995 .

مستحيلة وان الثانية لا يمكن تحقيقها بإتباع طرق نابليون، إذن : النتيجة لا تأتي إلا من تجمع قطيعات وسطى بين التكتيكية و العملياتية.

يشير المفهوم حسب المدرسة السوفييتية إلى أن توسع الجبهات يجعل من المستحيل من الآن فصاعدا تدمير العدو من خلال معركة واحدة، هذا لايمكن حصوله إلا من خلال سلسلة متعاقبة من العمليات المرتبطة فيما بينها. الفن العملياتي يقيم الصلة بين التكتيك والاستراتيجية ( انظر الشكل في نهاية الفقرة)، كما يشرح Alexandre Svechin مخترع المفهوم : المعركة هي وسيلة العملية، التكتيك هو أساس الفن العملياتي. العملية هي وسيلة الاستراتيجية والفن العملياتي هو أساس الاستراتيجية[1]. في سنوات السبعينيات، عرفت الأنسكلوبيديا العسكرية الروسية الفن العملياتي على انه نظرية وتطبيق التحضير وقيادة العمليات فيما بين الجيوش المجتمعة أو المستقلة، هذه العمليات تقاد من خلال تشكيلات كبيرة لمختلف أنواع القوى (بحرية، مشاة، فيالق...). يضيف: في عدد من البلدان الأجنبية نستخدم في النظرية العسكرية بدلا من الفن العملياتي مصطلحات من قبيل التكتيك الكبير أو الاستراتيجية الصغيرة.

الجيش الأميركي تبنى هذا المفهوم عام 1982 ، البحرية الأمريكية أخذت به في الوثيقة العقائدية المعنونة 2020 vision : A Navy for the 21st Century : هدف الخيارات الإستراتيجية كسر إرادة العدو أو تعديل نواياه؛ الخيارات العملياتية تهاجم البنية التحتية للعدو، المكونات العسكرية والصناعات المدنية التي تسمح لقواته بالقتال بفعالية؛ هدف الخيارات التكتيكية هزيمة القوات العسكرية

---

[1] تمت الاشارة اليه في Jocob W. Kipp في مقدمة كتاب V. K. Triandafillov ، The Nature of Operations of Modern Armies ، لندن، 1994

للعدو على ارض المعركة. يتبين لنا أن التمييز بين الخيارات الإستراتيجية العملياتية يبقى مصطنعا أو بكلمة أخرى سطحيا.

في فرنسا ميز الجنرال Beaufre في كتابه- مدخل إلى الإستراتيجية- بين العمليات والقتال. الأولى هي مجموع التدابير والمناورات المخصصة للدخول في القتال وبشروط مثالية، لكنه لم يضف مستوى عملياتي بين الإستراتيجية والتكتيك؛ ظهر وكأنه يضع الخطوط العريضة لتمييز ثلاثي في عمله المذكور، لكن فيما يتعلق بالسلاح النووي التكتيكي. فيما بعد الجنرال Poitier دافع في كتابه- الإستراتيجية النظرية – عن المفهوم العملياتي opératique . أما الكولونيل Francart فيشير في مجلة Objectif 21 المتخصصة (عدد 2 ، الفصل الأول 1996) إلى انه في المستوى العملياتي العملية مخططة، مدعومة ومقادة ، من اجل الوصول إلى هدف استراتيجي على مسرح العمليات. هذا هو مستوى توحيد أفعال مختلف الجيوش وتحت مسؤولية القائد العسكري في مسرح العمليات.

**الاتحاد السوفييتي- المجال العسكري**

الفن العملياتي متعلق بكل أنواع الجيوش، من الإجباري التنسيق بين القوات البرية والجوية، أو الجوية والبحرية... مع ذلك أعد السوفييت فنونا عملياتية خاصة بكل نوع من القوات، بما فيها فنا عملياتيا لحماية الخطوط الخلفية وللدفاع المدني.

**-التكتيك.**

التكتيك هو أقل شأنا أو درجة من الإستراتيجية، يهدف إلى تنفيذ الالتزامات التي تم وضعها ضمن نطاق الاستراتيجية العملياتية وبغرض الوصول إلى الأهداف المثبتة بواسطة الاستراتيجية العامة. لكن التكتيك ليس بالضرورة يهدف إلى قيادة

العمليات أو الصراع،بل يمكن أن يستخدم في العمليات التحضيرية.[1] بعد الجنرال Lewal، الجنرال Iung اقترح تعريفا بقي صالحا لزمن طويل :" التكتيك العسكري يشكل مجمل الأحكام أو التنظيمات القادرة على تنظيم توظيف مهارات الإنسان،الوسائل و الأماكن، بهدف تحقيق هدف فوري". ([2])

وقد عرف السوفييت التكتيك في السابق " هو النظرية والتطبيق للتحضير ولقيادة الصراع بواسطة الوحدات الصغيرة، والوحدات الكبيرة من مختلف أنواع القوى، المسلحة أو القوى التابعة للعمليات الخاصة". (3) في الواقع هذا التعريف يضم فكرتين قويتين :

**. التكتيك، كما الاستراتيجية، لديه وجهين، نظري وعملي.**

- التكتيك يظهر في المستوى الأساسي،بمعنى على مستوى الوحدات الصغيرة، ولكن يظهر أيضا في المستويات الأكثر ارتفاعا. حيث أن التكتيك السوفييتي تألف من :

- . التكتيك العام.
- تكتيك القوى ( الاستراتيجية، المشاة، الدفاع الجوي، القوى الجوية، القوى البحرية ).
- . تكتيك الأسلحة ( كل نوع من القوة العسكرية ينقسم وفق الأسلحة المستخدمة ).
- . تكتيك الوحدات الخاصة ( كل سلاح يمتلك وحداته الخاصة ).

إن نمو وتنوع الوسائل ساهم بشكل كبير بزيادة الاعتبار للجانب المتعلق بالتكتيك. الجنرال Poirier يعرف التكتيك بعد أن يشير إلى تعقيداته المتنامية :" فن التوفيق، أثناء العمليات، بين سلوك وأفعال جميع الوسائل العسكرية". ([4])

---

[1] - Général LEWAL, « Etude de guerre. Tactique de mobilisation. Tactique de combat », Paris, Librairie militaire Dumaine, 1875, pp. 32-33.

[2] - Général IUNG, « Stratégie, tactique et politique », مرجع سابق، الصفحة 18.

[3] - Jacques LAURENT, « Un outil pour la pensée militaire soviétique ». p. 87.

[4] - Lucien POIRIER, « les Voix de la stratégie ».

### ت . تنظيم أو فصل المستويات.

### . سياسة و استراتيجية.

إن الصلة أو العلاقة التي وضعت من قبل منظري الاستراتيجية في القرن التاسع عشر أو قبل وبعده، بين السياسة و الإستراتيجية و الحرب و الاستراتيجية ،ظلت قائمة لم تتغير حتى من قبل كبار منظري هذا العلم في القرن العشرين. ولكن الإشكاليات التي يمكن طرحها في إطار العلاقة بين السياسة و الاستراتيجية (بمعنى علم الحرب) هي إشكاليات تتعلق بالسلطة المدنية وعلاقتها بالسلطة العسكرية. فالمدنية وبشكل طبيعي لها نزعة تجاوز مناخها أو بيئتها من أجل التدخل في قيادة العمليات، بينما الثانية تطعن في محاولة تجاهلها.

نجد هذا الشكل من الصراع بين السلطتين في جميع المجتمعات. وقد طرحه مسبقا " Sun Bin"، وهو من أهم مؤسسي العلوم الصينية الحربية بطريقة ظلت تحتفظ بقيمتها حتى الآن : " لا نتعدى على حقوق أو سلطات الجنرال. أوامر الملك يجب ألا تتجاوز أبواب المعسكرات وهذا ما يضمن حالة أو وضع الجنرال. وإذا الأوامر تجاوزت أبواب المعسكر ،الجنرال لن يخدم طويلا و الجيش لا يمكن أن يحافظ على بقائه".([1])

### . الإستراتيجية و التكتيك.

التمييز بين الاستراتيجية و التكتيك ليس سهلا كما تريد أن تقول الأدبيات الكلاسيكية حول هذا الموضوع. حتى المفهوم الغير منتشر كثيرا والذي يعرف الاستراتيجية "كمفهوم نظري" و التكتيك"كتنفيذ" لهذا المفهوم ليس دقيقا جدا، لأنه يعني بأن الاستراتيجية تأتي قبل التكتيك وثم تترك له المكان بعد وضع اللمسات الأخيرة على المخطط،ثم تتدخل من وقت لآخر لتوجيه التكتيك. هذا المفهوم لا يمكن مساندته كثيرا كما يقول Hervé Coutau Bégarie.[2] ولكن إذا اقتربنا من المفهوم الذي يعتمده معظم الاستراتيجيين للتميز بين المفهومين،فأين يقع خط الفصل

---

[1]- Sun BIN، " Le Traité militaire" ، مرجع سابق ، الصفحة 87.
[2]- مرجع سابق ،الصفحة 132.

بينهما، بين الإستراتيجية والتكتيك ؟ مع Bülow و Jomini يمكن أن نفهم هذا، ومن خلال اقتراحهما معيارا سهلا هو المعركة. علما أنه ومن القرن التاسع عشر وجد من يتحدث عن ضبابية هذا المعيار. يقول Jomini:" يوجد عمليات مختلطة تشارك فيها الإستراتيجية من أجل القيادة والتكتيك من أجل التنفيذ، ويكون هذا مهما من أجل المفاجآت أو في الحروب الكبيرة.."([1] ).على الصعيد النظري، يمكننا أن نضع تمييزا وضاحا جدا في حالة أن الصراع يصل إلى ذروته أو أوجه paroxystique وهذه حالة نادرة: مثال على ذلك بعض الحروب النابليونية التي كانت تحسم بساعات أو بأيام فقط كما حصل في Leipzig.

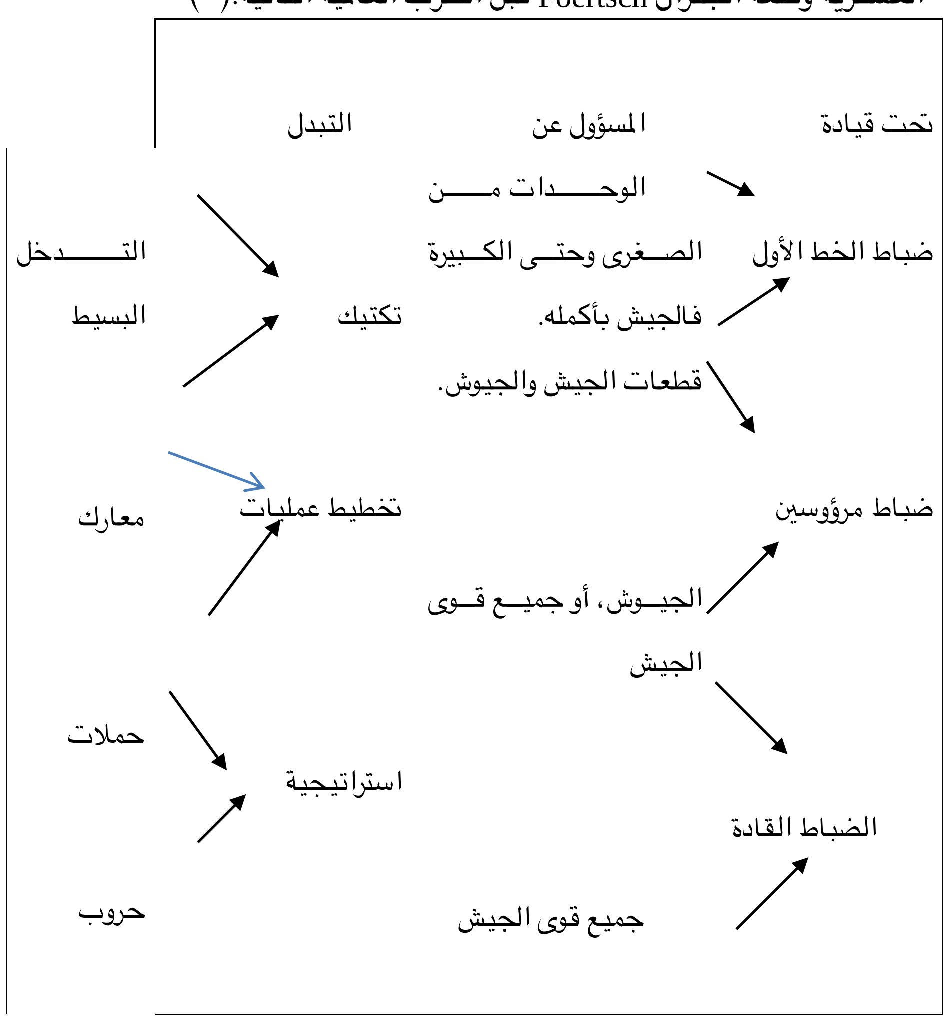
بشكل عام، يمكن أن نقول بأن الإستراتيجية و التكتيك يتميزان من خلال توقعات أو رؤى مختلفة كما يشير على ذلك Antoine Grouard في عمله " اختيار نقاط هجوم حاسمة". حيث "الاعتبارات التكتيكية" تقود إلى مهاجمة النقاط الأكثر سهولة، و "الاعتبارات الإستراتيجية" تقود لوضع مواقف تعطي النتائج الكبرى والحاسمة. [2] أما الجنرال Iung فقد شرح نفس الفكرة ولكن بمفردات أكثر شمولا:" التكتيك لا يختلف عن الإستراتجية إلا من خلال الهدف.وسائلهما متشابهة.فقط هدفها ليس واحد.في الإستراتيجية،لا يوجد نهائيا تصرف أو فعل فوري، بينما في التكتيك هو دائم فوري" 3.

---

[1]- Henri – Antoine JOMINI، " تعريفات حول فن الحرب"، بالفرنسية، باريس، الصفحة ، 80.
[2]- Antoine GROURAD، " الإستراتيجية"، بالفرنسية، باريس، الصفحة 18.
[3]- Général IUNG، " إستراتيجية،تكتيك وسياسة"، بالفرنسية، مرجع سابق، الصفحة 305.

. إستراتيجية . تخطيط عملياتي . تكتيك.

هذا الجدول الذي يبين التداخل في وضع وقيادة الخطط و الإستراتيجيات العسكرية وضعه الجنرال Foertsch قبل الحرب العالمية الثانية.([1])




## الاستراتيجية كعلم

## أولا. مجال علم الإستراتيجية

[1] ـ المصدر : Herman Foertsch ،" The art of Moderne Warfare " ، نيويورك، Veritas Press، 1940، الصفحة 20.

عنـدما نحـدد الاسـتراتيجية مـن خـلال إعطـاء تعريـف لهـا فـإن هـذا لا يعـني بالضـرورة تحديـد أو حصـر المجـال للاسـتراتيجية كعلـم. فالاسـتراتيجي كمنظـر والاستراتيجي الـذي يطبـق المخططـات الاسـتراتيجية كلاهمـا يستطيع اسـتخدام جميع الوسائل. والاستراتيجية تختلف عن جميع العلوم، حيث بإمكانهـا الاستفادة مـن جميـع العلـوم: فهي بحاجـة للعلـوم التجريبيـة مـن أجـل تطـوير وتقييم قاعدتها التقنيـة، بحاجـة للاقتصـاد لتطـوير إمكاناتهـا، للعلـوم السياسـية بسـبب علاقتهـا الخاصـة مـع السياسـة لعلـم الاجتمـاع مـن أجـل وضـع الصـراع علـى أي مسـتوى في سياقه العام للتاريخ للاستفادة من أمثلته والمعلومات التي يقدمها.

بشكل آخر، يمكننـا أن نضع في المكتبـة الاستراتيجية جميـع الكتـب. بدايـة مع التـاريخ، وخاصـة تـاريخ الحـروب. ثـم مـذكرات كبـار القـادة وكبـار المؤرخين، فمـن الصعب مثلا أن نقرأ الإستراتيجية القديمة من غير العودة إلى Thucydide ، César و Tacite. أمـا في العصـر الحـديث فـإن مـذكرات Turenne هـي إجباريـة لفهـم الاستراتيجية.

تطور النظريـة الاسـتراتيجية في الحيـاة المعاصـرة لم يـرفض هـذا المصـدر القـديم: فمذكرات المارشال Von Manstein ( Verlorene Siege ) الصـادرة في عـام 1955 بالإنكليزية وعام 1958 بالفرنسية، و"دفـاتر" المارشـال Rommel هي جميعهـا تعتـبر مصـادر أساسـية للاسـتراتيجية. ولكـن معلوماتهـا تسـتخرج بصـعوبة حيـث علـى القارئ نفسه أن يبذل جهدا من أجل فهمها وفهم النظرية التي أراد الكاتب قولها. وأخـيرا نريـد القـول أن علـم الاسـتراتيجية اليـوم لا يمكنـه اسـتبعاد أي مجـال مـن مجالات العلوم.

**. علم عسكري وعلم استراتيجي.**

إذا الاستراتيجية ليس مجالا مستقلا. فهي فرع من مجال ضخم جدا، إنه قيادة الحرب، وبشكل أعم اليوم، قيادة الصراع، حيث كانت تدعي في الماضي "علم عسكري" (خاصة في العصر الروماني)، أو "فن الفروسية" (في العصر الوسيط)، " فن الميليشيات أو الوحدات" (مع بداية العصر الحديث)، "فن الحرب"( تسمية بدأت تفرضها نفسها مع بداية القرن الثامن عشر). والسؤال: هل يمكننا فك ارتباط الاستراتيجية من كل هذا التاريخ الذي يعطيها اليوم معناها؟ في الواقع وحتى وقت متأخر، الاستراتيجية كانت دائما ضمن فن الحرب بمعنى أنها داخل الفكر العسكري، وهي اليوم تشغل المرحلة العليا في هذا الفكر.[1]

إن علم الاستراتيجية يحتاج مساندة علم التكتيك من غير أن يتضمن الأول جميع ما يتعلق بالثاني. في القرن السابع عشر والثامن عشر تم تطوير فكر تكتيكي مستقل، ولكن معظم الكتاب العسكريين ركزوا بشكل كبير على جدلية السلام والحرب. [2] بعد ذلك تم انتشار الاستراتيجية من خلال اتساع التنظير للتكتيك، ولكن كان لديها في البداية مفهوما يربط الحرب بالسياسة. والمشكلة هنا أن جميع هذه الفئات أو التصنيفات المختلفة لم يتم تحديدها أو تظهر معالمها الخاصة إلا ببطء شديد، وهذا ما رأيناه عندما درسنا في البداية مفهوم الاستراتيجية وتطور مفهوم هذا المصطلح. إذا لا يمكننا الادعاء وكما يشير الكثير من منظري هذا العلم، أنه بالإمكان تحديد مجال أو حقل البحث في الاستراتيجية من خلال الاستناد فقط على مراجع أو مؤلفات استراتيجية "نقية أو خالصة". فلا بد من تبني رؤية متطورة تنطلق من العلم العسكري من أجل الوصول، حاليا، إلى علم الاستراتيجية.

[1]- انظر : Jean Pierre Bois ،" فن السلام في العصر الحديث"، بالفرنسية، باريس، 1997، أيضا ، Hervé COUTAU ، "الإستراتيجية"،مرجع سابق،الصفحة 144.

[2]- انظر : Jean Pierre Bois، المرجع السابق.

. هل هناك عالمية لعلم الاستراتيجية؟

الحرب هَمٌ و انشغال عالمي ونرى ذلك في معظم الأدبيات التي أنتجتها الحضارات المختلفة التي أُرخت بالكتابة، ولكن هذا لا يعني أن جميع الحضارات أنتجت أدبيات استراتيجية تشير إلى الاستراتيجية كعلم. أشهر المؤلفات التي تتحدث عن عالمية علم الاستراتيجية هو ما قدمه Gérard Chaliand في مؤلفه "الانطولوجيا العالمية لعلم الاستراتيجية" ( l'Anthologie mondiale de la stratégie). [1] فهو ينقلنا في هذا الكتاب من أيام العبريين إلى الاستراتيجية النووية مرورا ببلاد ما بين النهرين و الشرق الأقصى، ولكنه لا يصل إلى نتيجة إلا بعد أن يدرس العديد من النصوص التي لا يتفق معه العديد من المنظرين أنها نصوص تتعلق بعلم الإستراتيجية. طبعا يتحدث في كتابه عن التوراة و عصر غلغامش (بلاد ما بين النهرين قبل 2000 عام تقريبا من الميلاد)، ثم يصف الصراعات التي سادت آنذاك، ولكنها لا تشكل قاعدة لبناء علم للاستراتيجية ولو تضمن العديد من فنون الحرب.

ويعتقد Hervé Coutau :"أنه لا المصريين القدماء ولا الأشوريين،ولا حتى الفرس لم ينتجوا اتفاقيات عسكرية أو مفاهيم تقترب ولو من بعيد من مفهوم الاستراتيجية أو التكتيك". فيما يتعلق بالشرق الأقصى فقد تحدث الهنود عن مفاهيم اقرب للسياسة منها إلى الاستراتيجية. أما الحضارة اليونانية، تحدثت من خلال مؤرخيها عن وعي بالأبعاد العليا والراقية لفن الحرب وعن العلاقة بين الحرب والسياسة وهذا ما ندعوه اليوم "استراتيجية"، ولكن هذا لا يعني صياغة علم أو نظرية للإستراتيجية. في الواقع، الفكر الاستراتيجي ليس عالمي،إلا إذا أردنا إضعاف محتواها بإدخال نصوص كثيرة عن فنون الحرب وبأي طريقة داخل

[1]- صدر هذا الكتاب عن دار نشر Laffont، باريس 1990.

"الاستراتيجية". علم الإستراتيجية لديه تاريخ غير مستمر أو غير متصل. ومن بين الحضارات التي طورت فنا للحرب معقدا وعميقا حتى أننا يمكن أن نسميه استراتيجية ،العديد منها لم تنتج أية أدبيات استراتيجية يمكنها أن تحمل هذا الاسم.

**. دور العوامل الاجتماعية في علم الاستراتيجية.**

تحدثنا في الفقرة السابقة وقلنا أن علم الإستراتيجية لديه تاريخ متقطع، في الواقع هذا التقطع ليس من السهل حصر أسبابه وفهمها بشكل كامل. ولكن مع ذلك هناك خمسة عوامل مشتركة بين معظم الذين أرخوا لهذا العلم وأكدوا في نفس الوقت أنها تحتاج إلى تعميق معرفي وتاريخي.

1. الفكر الاستراتيجي يجب أن يستجيب إلى حاجة معينة، كما يقول Hervé Coutau في كتابه عن علم الإستراتيجية (مرجع سابق، صفحة 146). أما المؤرخ الأمريكي Everett L. Wheeler قام بدراسة مقارنة ،للظهور المتزامن تقريبا،للنظرية العسكرية في اليونان القديم وفي الصين أثناء القرن الرابع قبل الميلاد. وصل المؤرخ الأمريكي إلى نتيجة أن: " رغم الاختلافات الثقافية الكبيرة،إلا أنه وجدت عوامل متشابهة سهلت تطور النظرية العسكرية في قلب هاتين الحضارتين،وأدت في الواقع بين أولى النظريات في الغرب و أولى النظريات في الشرق إلى بناء مواضيع مشتركة".[1]

من بين العوامل المشتركة، أن الصين و اليونان لم تعرفا استقرارا سياسيا بل على العكس كان فيهما الكثير من الحروب، في الصين حروب Royaumes Combattants وفي اليونان حروب Péloponnèse.بمعنى آخر كان هناك طلب كبير

---

1- Everett WHEELER، " The Origins of Military Theory in Ancient Greece and China"، عن المجلة العسكرية الدولية للتاريخ العسكري، العدد 5، بوخارست، 1980، الصفحة 75.

على الخبرات العسكرية. ففي اليونان وجد ما يسمى الأساتذة أو Hoplomachoi Hoplomachoi وهم يعلمون فن القيادة، أما في الصين فقد أحاط الملك نفسه بمجموعة من المستشارين العسكريين مثل الاستراتيجي الشهير Sun Zi أو Sun Bin.

2 . الفكر الاستراتيجي يفترض انفتاحا، حيث يتوجب عليه الاستفادة من مختلف الخبرات مهما كانت وأينما كانت. مع ذلك عبر التاريخ، تحفظ القادة العسكريون والسياسيون على مخططاتهم، وخير مثال على ذلك ما كان يفعله الفينيقيون والقرطاجيون من إخفاء لسير رحلاتهم البحرية بغرض عدم كشفها أمام المنافسين لهم. ومن الصعوبات الأخرى التي كانت أمام انتقال مبادئ علم الاستراتيجية هي وجود مجتمعات لم تعرف الكتابة، وعملية تناقل الأفكار الاستراتيجية كانت شفهية وهذا ما أعاق عملية الانفتاح والمعرفة.

3 . الفكر الاستراتيجي يفترض، في نفس الوقت، خبرة عملية و نزوع أو ميل للتفكير والتأمل الذي لا يتكرر عادة عند نفس الشخص. فأكبر قادة الحروب كتبوا رؤيتهم النظرية بعد أن استطاعوا التفرغ لذلك وأصبح لديهم القدرة على المراقبة من خارج الحدث. ولكن التنظير الاستراتيجي يفترض كما يرى الكثير من المؤرخين، مستوى من التعليم و التكوين، كما يفترض أيضا الكثير من الابتعاد عن الذات أو النظرة الشخصية الضيقة.

4 . الفكر الاستراتيجي يفترض شكلا من أشكال العقلية القادرة على التجريد. فاليونان القدماء ومعهم البيزنطيون صاغوا أدبا استراتيجيا لأنهم كانوا مفتونين و معجبين بالفلسفة وعلم اللاهوت. أما الرومان فلم يكتبوا شيئا في هذا الصدد لأنهم ابتعدوا عن التنظير الاستراتيجي و استندوا فقط على الممارسة العملية. في العصر الحديث، وبعد الانفتاح الذي حصل على العالم في القرن التاسع عشر، الأدب

الاستراتيجي الياباني بقي فقيرا، مقارنة بالإنتاج الغني لهذا النوع من الدراسات في الصين، وقبل انتصار الإيديولوجية الكنفشيوسية.

5 ـ أخيرا، الفكر الاستراتيجي "ربما" يفترض شكلا من أشكال العقلية المحكومة بمبدأ الفعالية. فالفكر الاستراتيجي،كما الفكر الاقتصادي، يتطلب تصرفا عقلانيا لشخص يمركز عمله بالكامل حول هدف واحد. فمثلا الرجل الاستراتيجي لن يبحث سوى عن النصر على العدو. وكل ما يمكن أن يؤدي إلى النصر يمكن وضعه في خدمة الإستراتيجية من غير الانتباه إلى الاعتبارات الأخلاقية أو احترام العدو. والفكر الاستراتيجي المعاصر يشارك في "إزالة الأوهام" عن العالم، وقد حلله السيسيولوجيون منذ "ماكس فيبر" و أسس على الفصل بين النشاطات الإنسانية و محاولة عقلنتها rationalisation.

**ـ ندرة علم الاستراتيجية.**

يمكننا القول أن علم الإستراتيجية بقي محصورا في المجتمعات المتطورة، والتي كانت في حالة مواجهة مع الحروب، فيها نقاشات مفتوحة ومحكومة بالبحث عن الفائدة و الأداة. وعمليا، كما يرى بعض منظري الاستراتيجية، هذه الشروط ليس متوفرة بشكل دائم. فالعصر الوسيط،على سبيل المثال، لم يكن قادرا على إنتاج المرحلة الجنينية لعلم الإستراتيجية،بينما أوصل الفكر اللاهوتي إلى القمة مع saint Bonaventure و saint Thomas d’Aquin وآخرين. مع ذلك يمكننا أن نجد كتابا معزولين هنا وهناك أو أعمال استراتيجية بأشكال أخرى، ولكنها لم تكف لبناء فكر استراتيجية مبني بشكل علمي. وأخيرا نستطيع القول أن الفكر الاستراتيجي تركز حول ثلاثة مدارس إذا صح التعبير: المدرسة الصينية، المدرسة اليونانية القديمة بامتداداتها الرومانية و البيزنطية، ثم أوربا الحديثة والتي صدر عنها الفكر الاستراتيجي المعاصر.( Hervé Coutau، المرجع السابق، صفحة 150 ).

## ثانيا . نماذج من العلوم الإستراتيجية.

### 1 . الفكر الإستراتيجي الآسيوي القديم.

#### . نموذج الفكر الصيني.

كان للكتابة مكانة رفيعة في الصين، وقد كرس الكثير منها للأشياء العسكرية. ففي القرن الخامس والرابع قبل الميلاد بدأ تشكل الفكر الاستراتيجي الصيني،ولكن اليوم هناك الكثير من هذه الكتاب التي فقدت.[1] ومن أهم أعلام الفكر الاستراتيجي الصيني نجد "المعلم Hsün"، " المعلم Kuan"، Lao Zi, Mo Zi.[2]

أما أشهر الاستراتيجيين الصينيين فكان Sun Zi، ويعتقد أنه عاش في القرن الخامس قبل الميلاد. تجاهله الكثير من المؤرخين والبعض الآخر لم يعترف إلا بعد وقت متأخر. ولكن هناك كتابات جادة تشهد بقدم إنتاجه حول الفكر الإستراتيجي، أهمها : ثلاثة عشر مقالا حول"فن الحرب" استفاد منها معظم القادة في الجيش الصيني قديما.

بعد Sun Zi يأتي Sun Bin وهو حفيده. فقدت أعماله لفترة استمرت ألفي عام، والسبب أن أعماله لم توضع مع أو من بين "الأعمال السبع" الكلاسيكية التي جمعت في عصر Song. اعتقد المؤرخون أن الاثنين هما شخص واحد، ولكن عمل الثاني اكتشف في مقبرة صينية عام 1972وهو يدور حول "الاتفاقية العسكرية". يغلب الطابع العملي على رؤيته الإستراتيجية أكثر من جده. أيضا تحدث عن الدعم اللوجستي و دوره في زيادة فعالية إطالة الحملات العسكرية. وأخيرا يمكن القول أنه كان أقل اهتماما بالتنظير الاستراتيجية من جده.

---

[1]- تشير بعض الدراسات البيبلوغرافية إلى وجود فهرس عسكري صيني وضعته الصين حاليا ويحصي أكثر من 4000 عنوانا حتى تاريخ ثورة عام 1911.

[2]- عاش هؤلاء في منطقة "شانغ يونغ"، وقدر صدر في باريس كتاب بعنوان " كتاب أمير شانغ"، عن دار Flammarion،عام 1981.

## .تكون الثقافة الإستراتيجية.

أسس Sun Zi فكرا إستراتيجيا هاما.ثم بعد عقود عدة جاء إستراتيجيون آخرون مثل الجنرال Cao Cao وهو من أهم العسكريين في عصر أسرة Han، و Li Quan الذي عمل في ظل وجود الأسرة المالكة Tang في القرنين السابع و الثامن بعد الميلاد، ويأتي بعده He Yanshi و Zhang Yu في صر الأسرة المالكة Song. معظم هؤلاء وجد في عصر Royaumes Combattants، أي قبل توحيد الإمبراطورية، حيث عرف الفكر الإستراتيجي تيارين أساسيين: تحليلا عميقا للعلاقة بين الحرب والسياسة من قبل التيار الأول، أما التيار الثاني فقد كان لديه اتجاها ضد "العسكرة" وشارك بشكل متناقض في تطوير الفكر العسكري، فهو يرفض الحرب ويقبل حق الدفاع عن النفس.

في نهاية القرن الحادي عشر،الإمبراطور Shen Zong أوقف ما سمي قائمة "السبعة أعمال" وليتم التعامل مع قائمة جديدة من المؤلفات الإستراتيجية، **وهي:** ( Hervé Coutau، مرجع سابق،صفحة 156)

- Wu Zi Bingfa، كتاب وضعه جنرال من القرن الرابع قبل الميلاد، يتألف من عشرة فصول تتركز جميعها على تحقيق المصالحة بين الأخلاق الكنفشيوسية والشؤون العسكرية.
- Sima Fa، وهو نص مختصر ظهر في نفس العصر ويمكن أن يترجم عنوان كالتالي" كتاب معلم الفروسية". يتحدث على إدارة الجيش، ضرورة أن تكون الحرب عادلة و يحلل قليلا المناورات العسكرية وقيادتها.
- Wei Liao Zi، كتاب أعده مشرع صيني في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، ويتحدث فيه عن تنظيم الجيش.

- San lüe، أو "الاستراتيجيات الثلاث" لمؤلفه Huang Shegong ، يحلل في سيطرة الحكومة و الأبعاد السياسية للإستراتجية.
- Tai Gong Liutao، أو " التعليمات السرية العشرة"، كتبها Taigong ،ويقيم هذا الكتاب بأنه الأكثر قوت وإنجازا للمدرسة الإستراتيجيين.
- Tang Li Wendui ،" سؤال و جواب بين Tang Taizong و Li Weigong"، ظهر في القرن السابع الميلادي، يركز على الأمور العسكرية بشكل كبير، ثم يدرس الاستراتيجية والتكتيك.

إن عملية انتشار الثقافة الاستراتيجية لم تتوقف على النخبة الإدارية بل دخلت إلى الأدب والمسرح الشعبي لدرجة أنه من الصعب أن تجد مثلها في الدول الغربية.

**1. الفكر الاستراتيجي الصيني و الغرب.**

وجد اتجاه دائم عند الغربيين يعتقد أن الفكر الصيني هو حكمة أكثر هو علم، بمعنى أن الصينيين يفضلوا أن يقترحوا أكثر مما يحددوا بدقة ما يريدون. في الواقع هذا الرأي يتناسى السياق الثقافي العام التي ظهرت فيه الكتابات الاستراتيجية الصينية.

مع بداية القرن الثامن عشر، أحد اليسوعيين الفرنسيين وهو الأب Amyot قدم الأفكار الصينية إلى أوربا، وذلك عبر كتابه "الفن العسكري عند الصينيين"، ويعود بكتابه إلى التحليلات حول الحرب في الصين والتي سبقت العصر المسيحي، والكتاب هو أيضا تقديم للعديد من الجنرالات الصينيين، وتمت ترجمة هذا الكتاب من الفرنسية إلى الألمانية في عام 1779. ولكن عمليا يمكن القول أن الروس وحدهم قدموا ترجمة كاملة للاستراتيجي الصيني الشهير Sun Zi في عامي 1860 و 1889. وعلينا أن ننتظر بداية القرن العشرين حتى نرى الاهتمام الأوربي الحقيقي بالفكر الاستراتيجي الصيني عبر الترجمة الإنكليزي التي قدمها الجنرال Calthorpe للكتاب

الذي ذكرناه سابقا وترجمه الروس[1]. ثم عاد الروس،الألمان و الإيطاليون بتقديم ترجمة جديدة لنفس الكتاب في أعوام 1957،1950 و 1950. أما بالنسبة للعرب فليس هناك أي اهتمام على الإطلاق بالفكر الإستراتيجي الصيني.

### 2 . الفكر الاستراتيجي الغربي القديم.

#### . التكتيكيون و الإستراتيجيون اليونان القدماء.

في الواقع لم يبق الكثير من التراث العسكري اليوناني القديم،وما نقل منه على اللغات الأوربية الأخرى مثل الإنكليزية والفرنسية لا يساعدنا في التعمق به، بل نحتاج لمعرفة اللغة اليونانية حتى نستطيع التوسع أكثر في هذا التراث. مع ذلك يمكن القول أن اليونان امتلك العديد من التحليلات التكتيكية والإستراتيجية في عصرها القديم. ووفق كتاب نشر في أحدى المدن الفرنسية [2] ،فإن "الإسبارطيون" كانوا أول من كتب، بالاستناد إلى تجاربهم في الصراع والحرب، تحليلا لهذه الصراعات، وكانوا أول من علم هذه الأفكار لشبابهم من خلال معلمين عسكريين سموهم بالتكتيكيين. (الصفحة 57، من الكتاب الفرنسي المذكور أعلاه).

يعتبر Enée الأقدم والأكثر شهرة كما يعتقد المؤرخون من بين هؤلاء الاستراتيجيين و التكتيكيين. عاش في القرن الرابع قبل الميلاد وليس هناك الكثير عن حياته. ألّف موسوعة عسكرية في عدة أجزاء. بعد Enée علينا أن نقفز من فوق ثلاثة قرون حتى نجد تحليلا تم الاحتفاظ به. يعود هذا التحليل للاستراتيجي اليوناني Asclépiodote الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد. يقول Alphonse Dain في كتابه "الاستراتيجيون البيزنطيون "،وفي الصفحة 326 منه:" لم يكن Asclépiodote عسكريا في مهنته،بل اهتم بالتدوين وبمنطق إدارة الصراعات،لقد نظر لوحدات الجيش وتنظيم المعارك في مقدونيا".

---

[1]- انظر : Frank A. Kierman and John K.Fairbank،" Chinese Ways in Warfare "، جامعة كامبردج و جامعة هارفرد، 1974.

[2]- Flavius Végèce، " الفن العسكري"،بالفرنسية، Bordeaux، Ulysse، 1998.

في نفس الفترة ظهر استراتيجي آخر وهو Onesandros لم يكتب كثيرا حول الحروب أو العلوم العسكرية بل ترك لنا كتابا حول وظائف ومهام الجنرال. جاء بعده Elien وهو أيضا عاش في القرن الأول قبل الميلاد، وقد ألف كتابا أهداه إلى "طروادة" وكان الهدف منه فهم الكتاب الذين عاشوا من قبله. نستنتج أن الفكر الاستراتيجي اليوناني القديم اعتمد بشكل كبير على الممارسات العملية أكثر من التنظير.مع ذلك يمكن متابعة التنظير للفكر الإستراتيجي مع Xénophon و Thucydide[1]. فقد تحدث Thucydide عن "تاريخ حرب Péloponnèse" مبينا من دون أدنى شك أو غموض،أن البعد الإستراتيجي كان حاضرا ومفهوما من قبل اليونان القدماء. أيضا Xénophon كان أول كاتب عمق دراسته التاريخية من خلال التفكير النظري وخاصة حول التكتيك، وذلك في كتابه "تحليل الفروسية" والذي ينطلق من مفاهيم إستراتيجية.

**. المقاربة البراغماتية عند الرومان.**

يعتقد الكولونيل "رتبة عقيد" Reichel أن الرومان :"كان لديهم فكرا عسكريا أصيلا وجديدا ،وصل إلى عمق الأشياء كما وصلنا في محتوى العديد من النصوص الرومانية" [لج]. أما التفوق التكتيكي والاستراتيجي الروماني خلال قرون متتالية لم يكن من غير هذه البنية التنظيمية الدقيقة للعقيدة العسكرية الرومانية. هذه البنية كانت ثمرة للممارسة والخبرة كما يقول Polybe:" المرشحون للوظائف العامة كان عليهم المشاركة في عشر حملات عسكرية قبل اختيارهم من قبل المواطنين" [3]. رغم

---

[1]- Xénophon،" الرسائل الجميلة"، ترجمة M. Bizos and E. Delebecque، باريس،نشر مجموعة الجامعات الفرنسية،1971-1978.

[2]- Daniel REICHEL،" الصدمة"، منشورات الجيش السويسري، قسم الخدمات التاريخية، 1984، الصفحة 38.

[3]- William V. HARRIS،" War and Imperialism in Republican Rome"، الصفحة من 327 إلى 370، منشورات جامعة أكسفورد، Clarendon Presse، 1985.

ذلك لم تحول الخبرات الروماني إلى مؤلفات استطاعت أن تشكل أدبا استراتيجيا رومانيا في النهاية.

لكن يوجد بعض التحليلات للتكتيك و الإستراتيجية. ففي القرن الثاني قبل الميلاد كتب أحد أشهر الرومان في ذلك العصر وهو Caton مؤلفه " De Re militari" ولم يبق منه شيئا. أما Polybe فكتب "Taktika" واليوم يعتبر من الكتب الرومانية المفقودة. والكاتب الأكثر شهرة في الإمبراطورية الرومانية كان Frontinus فقد قدم مؤلفا خصصه للتعليق على "تعليقات عسكرية عند هوميروس". أما Arrien كان يعتبر من ورثة التكتيكيين اليونان، وقد قدم أيضا عمله الخاص به " فن التكتيك" الذي قارن فيه بين التكتيك اليوناني و المقدوني القديم و التكتيك الروماني[1].

ظهرت بعض الانتقادات للفكر التكتيكي والاستراتيجي الروماني كان أهمها ما كتبه Brian Campbell:" الرومان لم يكن لديهم أكاديمية عسكرية،ولا يوجد عملية مؤسساتية للتكوين و التدريب فيما يتعلق بالإستراتيجية والتكتيك،ولم يكن لديهم وسائل منظمة ومنهجية لتقييم المرشحين للوظائف العليا"[2].

يعتبر القيصر الروماني من المعلمين النادرين لفن الحرب خاصة انه كان في نفس الوقت منظرا للاستراتيجية وممارسا لها. لقد حقق انتصارات عسكرية كبيرة وقدمها في مؤلفات تتحدث عنها، حيث لاقت هذه المؤلفات نجاحات واسعة في عصرها، ونذكر منها (حرب Alexandrine،حرب إسبانيا، حرب أفريقيا). ما يميز مؤلفاته أنها جمعت التحليل العسكري للحرب الأهلية و تحليل السياسات القائمة، بمعنى تحليل الاستراتيجية من خلال ظروف سياسية أو سياق سياسي قائم.

---

[1] - P .A . STADTER، "The Ars Tactica of Arrian "، ترجمة عن النص الأصلي، صدر عن Classical Philology. 1987.

[2] - Brian CAMPBELL، " Teach Yourself to Be a General"، صدر في صحيفة " الدراسات الرومانية"،1987، الصفحة 22.

بعد القيصر، جاء مؤرخو الإمبراطورية، ومن أهمهم Tacite.وهو كاتب عسكري، قدم مؤلفا يحتوي على معلومات كثيرة موضوعية ومتماسكة حول استراتيجية الدولة العظمى أو الإمبريالية.[1]

**. الفكر البيزنطي.**

ترك البيزنطيون العديد من المؤلفات التي تحدث عن المؤسسات العسكرية، ونجد فيها أدبا استراتيجيا مزدهرا في الكثير من الأحوال، رغم تركيزهم الكبير على قيادة المعاركة أكثر من أي شيء آخر. ولكن التراث الاستراتيجي البيزنطي فقد في معظمه. من الأسماء الاستراتيجية المعروفة عن تلك الحقبة اسم Syrianos القاضي والذي كان صلة وصل بين اليونان القدماء و بيزنطة، حتى أن الإمبراطور Constantin السابع طلب من ولده أن يحمل معه في حملاته العسكرية كتب كل من Polyen و Syrianos. يذكر هنا أن مجموعة من الدراسات المجهولة في الاستراتيجية يرجعها المؤرخون في بعض أجزائها إلى Syrianos.[2]

اليوم تهدف مجمل الدراسات عن الفكر الاستراتيجي البيزنطي إلى إعادة ترميم و التعرف على النصوص المفقودة أو المجهولة. ومن هذه الدراسات "مجموعة الإستراتيجيين" التي تهدف للتعرف على التراث الاستراتيجي البيزنطي.([3])

**3. الفكر الإستراتيجي العربي /الإسلامي.**

تأثر العرب و الفرس كثيرا بالكتاب البيزنطيين. لكن العلوم الدينية التي لها طابع الإجبار في القرآن أعاقت ظهور فكر استراتيجي حقيقي عند العرب. في كل الأحوال وبعد مراجعاتنا للعديد من الكتب الغربية حول هذا الموضوع (حيث لم

---

[1]- انظر: Pierre LAEDRICH، "حدود الإمبراطورية، إستراتيجيات الإمبريالية الرومانية كما جاءت في كتاب Tacite"،بالفرنسية،صدر في باريس عن دار نشر Economica،المكتبة الإستراتيجية 2001.

[2]- انظر: Constantine ZUCKERMAN، "The Military Compendium of Syrianus Magister"، 1990.

[3]- انظر: Walter E. KAEGI، "Some Thoughts on Byzantine Strategy"، Brookline، The Hellenic Studies Lecture، 1983.

يتوفر لدينا مراجع عربية)،وجدنا إجماعا على أن أهم المخطوطات أو التراث الفكري الإستراتيجي العربي فقد في بغداد بعد أن سقطت بيد المغول. وفي القرن الرابع عشر، كتب المؤرخ العربي الشهير ابن خلدون عن الحروب والطرق المستخدمة في المعارك من قبل مختلف الشعوب، ويقول ابن خلدون في هذا الصدد: "ليس من المؤكد وجود نصر في الحرب، حتى ولو وجد تفوق في التسليح والفعالية. النصر و التفوق في الحرب يعودان للحظ و الصدفة".( نص مقتبس من كتاب Gérard Chaliand، بعنوان "الانطولوجيا العالمية للإستراتيجية"،الصفحة 499).

في مصر العهد المملوكي، القرن الثالث عشر و السادس عشر، وضعت العديد من المؤلفات التي تقترب من التكتيك والإستراتيجية من بينها كتاب "تعليمات رسمية للتعبئة العسكرية" لصاحبه "ابن منقولي"(لدينا شك في صحة الاسم أو طريقة كتابته). هذا الكتاب يعالج الحملات البرية ويتحدث باختصار عن المعارك البحرية[1]. في إمارة غرناطة وضعت العديد من الآداب العسكرية والتي حاولت فهم آليات فن الحرب عن المسيحيين، وفي القرن الثامن عشر تم الكشف عند العديد من المخطوطات كان أهمها مخطوطة بعنوان"الفن العسكري" كتبها محمد بن عبد اللّه، و "الفن العسكري والفروسية" كتبها علي بن عبد الشامان بن هزيل، أيضا "تحليل ومعالجة الصراع" مؤلفه مجهول حتى اليوم. أما ابن هديل الأندلسي فقد ألّف في القرن الرابع عشر مجموعة حول فن الحرب تضمنت مبادئ لقيادة المعارك و الحروب.(وردت هذه المعلومات في كتاب " الانطولوجيا العالمية للإستراتيجية"، مرجع سابق، الصفحة 484-486، و الصفحات 519 - 522).

[1]- انظر: Vassilios CHRISTIDES، " Ibn al-Manqali and Leo VI : New Evidence on Arabo-Byzantine Ship Construction and Naval Warfare"، Byzantino-Slavica، LVI، 1995.

## ثالثا. الفكر الاستراتيجي الأوربي الحديث.

يعتبر الفكر الاستراتيجي في العصر الوسيط فقيرا جدا. ولم يتطور هذا الفكر بشكل حقيقي إلا في النصف الثاني من القرن الخامس عشر. الفكر الاستراتيجي العسكري بدأ الإعلان عن نفسه بشكل واضح في إسبانيا، مع كتاب " Libro de la Guerra" (كتاب الحرب) حوالي عام 1420،وقد كتبه الماركيز Vellena،أيضا كتاب"le Tratado de la PERFECCIÓN del triunfo militar" ( تحليل الانتصار العسكري) حوالي عام 1459،وكتبه Alfonso Hernandez.

في فرنسا، نجد العديد من الكتاب مثل Robert de Balsac وكتابه " مبادئ الصراعات النبيلة" في عام 1502،وفي إنكلترا في نفس الفترة الزمنية نجد كتاب "تحليل لفن الحرب" وضعه Béraud Stuart،وفي ألمانيا كتاب "Kriegsbuch" (كتاب الحرب) لمؤلفه Philippe von Seldeneck نحو نهاية القرن الخمس عشر. في إيطاليا بعد كتاب " Semideus liber tertius de re militari" عام 1438 لمؤلفه Catone Secco، نجد كتاب "De Re militari" لمؤلفه Roberto Valturio،وكان أول كتاب يتحدث عن التحليل العسكري ويتم طبعه. [1]

### . ميكيافلي: التكتيكي والإستراتيجي.

المؤلف الأكثر شهرة في القرن السادس عشر هو مؤلف ميكيافلي الذي يحمل عنوان " L’arte della Guerra" (فن الحرب)وفي الواقع هو كتابه الوحيد الذي نشر أثناء حياته. كما في كتاب "الأمير"، الكتابات العسكرية عند ميكيافلي "هي بشكل

[1]- انظر : Philippe CONTAMINE،" مرجع مجتمع أصدقاء متحف الجيش"، بالفرنسية، صادر عام 1997،الجزء الثاني، العدد 114، الصفحة 50؛ أيضا : لنفس الكاتب " الحرب في العصر الوسيط"، بالفرنسية،باريس، المطابع الجامعية لفرنسا، 1980،الصفحات 356 - 357؛ أيضا: René Quatrefages،" الفكر العسكري الكتلاني وتأثيره على الحرب في بداية العصور الحديثة"، مدريد - إسبانيا،1990،الجزء الثاني،الصفحة 215.

أساسي كتابات سلبية، أو نقد للمؤسسات العسكرية التي كانت سائدة في عصره"[1].

إن تأثير "فن الحرب" سيكون كبيرا وسيستمر طويلا:" لقد أصبح من الأركان الأساسية للآداب العسكرية. وتمت إعادة طباعته سبع مرات في القرن السادس عشر، ثم ترجم إلى معظم اللغات الأوروبية،في فرنسا عام 1546،في إسبانيا عام 1536،في إنكلترا عام 1560،في ألمانيا عام 1623،في اللاتينية عام 1610"[(2)]. بعد ذلك سيعاد طبعه باللغة الروسية في عام 1839. في هذا الكتاب تحدث ميكيافلي عن العديد من المحاور الهامة ونوجزها بما يلي: الكتاب الأول، في عدم أهمية ووهم حماية الممرات، الكتاب الثاني: حول المصلحة من قيام حرب ما، الفصل العاشر من الكتاب الثاني :حول العلاقة بين المال والحرب، الكتاب الثالث: حول المعلومات وأهميتها في الحرب. أخيرا إذا وضعنا كتابي "الأمير" و "فن الحرب" جنبا إلى جنب نستطيع القول أن ميكيافلي أعلن ولادة و تسريع ظهور فكر استراتيجي منظم ومؤسس.

**. المفكرون الإنكليز و الفرنسيون.**

عرف الفكر الاستراتيجي الإنكليزي تأخر كبيرا بعد حرب "المائة عام" وحدوث القطيعة بعد نهاية هذه العرب مع القارة الأوربية. بشكل عام لم يستطيع هذا الفكر تحقيق أي تطور بل تمسك بالإنتاج الفكري القديم أو الماضي مثل "النظرية العسكرية الإنكليزية في القرن السادس عشر "والتي ستصبح مسيطرة على التفكير العسكري الوطني. كما أن العديد من الكتاب سيلجؤون على الماضي وخاصة على "الانتصارات الشهيرة للملوك التي حملت اسم إدوارد وهنري في التاريخ الإنكليزي"[3].

---

[1]- انظر :Félix GILBERT، " ميكيافلي: ولادة فن الحرب"، ضمن كتاب Edward Mead EALE،"معلمو الاستراتيجية"، الجزء الأول، الصفحة،23. (بالفرنسية).

[2]، المرجع السابق، الصفحة 30 - 31.

[3]- انظر: Claude GAIER: "جيوش ومعارك في عالم القرون الوسطى"، صادر في بروكسل، بلجيكا، جامعة De Boeck، 1995،الصفحة 331.

وكان الكاتب الإنكليزي الأكثر أهمية والمثال على هذه الحالة هو John Smythe في كتابه "خطابات عسكرية" عام 1590، أيضا Ascham Roger و Matthew Sutcliffe في كتاب " The Practice, Proceedings and Laws of Arms" عام 1593.

**ويمكننا أيضا أن نذكر بعض المفكرين و مؤلفاتهم بشكل متسلسل كالتالي:**

- Roger William (A Briefe Discourse of Warre, 1590).
- Humphrey Barwick (A Briefe Discours, concerning the force and Effect of all manual Weapons of Fire, 1594
- Thomas Smith ( The Art of Gunnery, 1600)
- Robert Barret ( The Theorike and Practike of Moderne Warres, 1598).

يشار هنا إلى أن الحرب الأهلية أثرت بشكل كبير على إنتاج الفكر العسكري في إنكلترا، خاصة أنها استمرت لوقت طويل جدا.

أما الفرنسيون فقد استفادوا كثيرا من الحروب الإيطالية مما فتح أمامهم مجالا واسعا للخبرة، وكانت البداية مع كتاب " أشجار ورد الحروب" في عام 1502،وقد كتب بناءا على طلب الملك لويس الحادي عشر من أجل تربية وتعليم ولي عهده، وقد استخدم ميكيافلي عنوانا مشابها لهذا العنوان في عام 1510 في كتابه "شجرة الصراعات". بعد ذلك وضعت كتب كثيرة في فرنسا تتناول فن الحرب وكان أهمها " معلومات أو معرفة حول تأثير الحرب" لمؤلفه Rémy Rousseau نشر عام 1548، ثم ترجم إلى معظم اللغات الأوربية.

**.المفكرون الألمان.**

أنتج الألمان العديد من المؤلفات الإستراتيجية العسكرية، خاصة أنها عرفت حروبا بين مقاطعاتها أو مع الإمبراطور نفسه. الكاتب "فيليب" وهو دوق Clèves

،في مقاطعة Flammand وكان تحت حكم Habsbourg ، أعطى ما بين عامي 1508 و 1516 "معرفة حول كل أشكال الحرب البحرية والبرية". جاء بعده Reinhard وهو كونت Solm،وقد ألف مجموعة من ثمانية كتب من غير أن يعطي لها عنوانا،مابين عامي 1544 و 1549؛ ثم L. Fronsberger وقد قدم خمسة كتب بعنوان " Fünff Bücher von Kriegsregiment und Ordnung" ( خمسة كتب في الحرب و نظام الأفواج أو الحشود)، ما بين عامي 1554 و 1556 وقد كانت لهذه الكتب نجاح كبير وواسع.

أما الكاتب الأكثر شهرة فكان Lazarus von Schwendi، وكان قائدا للأركان أو للجيوش في عهد الجيش الإمبراطوري، وقد تأثرا كثيرا بميكيافلي لاسيما عندما كتب Kriegsdiskurs (خطابات الحرب) بين عامي 1571 و 1577،داعيا إلى جيش دائم و منظم. بعد ذلك جاءت حرب السنوات الثلاثين لتستخدم أدوات تكتيكية جديدة وستستمر هذه الأدوات طويلا ولتؤثر على التكوين الفكري الإستراتيجي الألماني الذي استفاد منها كثيرا، ويجب الاعتراف هنا بأن السويسريين كانون من أهم أذا لم نقل أنهم مخترعو التكتيك الحديث.

**. ملاحظات حول الإستراتيجية في القرن السادس عشر.**

يمكن القول بان الجوانب غير العسكرية، السياسية و الاقتصادية، لعبت دورا وكان لها حضورا مميزا في الفكر الاستراتيجي[1]. إنه العصر الذي فرضت فيه "الميركنتيلية" mercantilisme (نظرية اقتصادية نشأن على أنقاض النظام الإقطاعي وتفسخه وتدعو إلى تنظيم الاقتصاد)،العديد من المشاكل في العلاقات بين الحرب والاقتصاد،خاصة عندما ألحت على أهمية التجارة الخارجية والمواجهات

---

1 - Philippe CONTAMINE، مرجع سابق، الصفحة 364.

التي يمكن أن تنشأ عنها[1]. فالحرب كانت وسيلة لإدخال المال إلى صندوق الدولة، والاقتصادي والفيلسوف الكبير "جان بودان" لم يتردد في طلب ذلك وفي وصفه أيضا في كتابه "الجمهورية" عام 1576. أما Mendoza فقد أطلق جملة شهيرة جدا عرفت ازدهارا كبيرا وتقول :" النصر سيذهب للذي سيمتلك آخر écu" وهو عملة فرنسية قديمة". مع ذلك، ورغم الصعوبات الكثيرة أمام ولادة علم للإستراتيجية، فإنه لن يمضي وقت طويل حتى يظهر فكر استراتيجي حقيقي.

**رابعا. الإستراتيجية والقرن السابع عشر.**

يتميز القرن السابع عشر بإنتاجه الفكري حول التكتيك، والمشكلة الأساسية التي كانت أمام الاستراتيجية هي التخصص أو الحقل، فقد كان هناك حاجة لآليات جديدة ضرورية وتتوافق مع نظام جديد للمعارك. قدم Maurice Nassau،ضن هذا المجال،تجديدا و ودعما كبيرا للإنتاج النظري حول التكتيك. لكن هذا الإنتاج وغيره تأثرا سلبا وبشكل كبير بظهور أفكار جديدة استطاعت تغييبه وأهمها أفكار عصر الأنوار. ومن جهة أخرى كان للصراعات داخل القارة الأوربية تأثير من حيث ان الممارسة سبقت النظرية، علما أن بعض المؤرخين مثل Antonio Espino Lopez يعتبر أنه في القرن السادس عشر: "تم إنتاج أعمال نبيلة كان لها أهميتها مقارنة بالكلاسيكيات في نهاية القرن السادس عشر"[2] .

**. صعود أوربا الشمالية.**

يعتبر الكثيرون أن "النموذج الهولندي" أحدث توازنا في الآداب العسكرية لصالح أوربا الشمالية،بعد أن كانت خاضعة للمدرسة الإسبانية/الإيطالية في القرن السابق[3]. فالهولنديون هم من أهم من أسس مقاربة أكثر علمية لفن الحرب وللتنظيم العسكري. Johan Jakob von Wallhause مدير أول أكاديمية عسكرية

---

[1]- انظر: Edmond SILBERNER، " الحرب في الفكر الاقتصادي في القرن السادس عشر والقرن الثامن عشر"،بالفرنسية، صدر في باريس،دار نشر Sirey،1939.

[2]- Antonio LOPEZ ،" الحرب والثقافة في العصر الحديث"،بالإسبانية،إسبانيا،الصفحة 77.

[3]- Hervé BEGARIE، مرجع سابق، الصفحة 180 - 190.

والتي أسسها Jean Nassau ،ترك كتابا غنيا حول توظيف مختلف الأسلحة في عام 1615 وقد ترجم إلى معظم اللغات الأوربية، وهو الكاتب الأكثر قراءة في ذلك العصر.( Hervé BEGARIE،المرجع السابق ).

في إنكلترا،وقبل الحرب الأهلية،ظهرت العديد من الدراسات العسكرية التي مهدت الطريق أمام "نموذج جديد للجيش في عهد كرومويل"،مستفيدة من أعمال خارجية مثل " The principales of the art Militarie" الذي يتحدث عن الجيش الهولندي.

**.انحطاط أوربا الجنوبية ؟**

يرى مؤرخو الإستراتيجية أن بلدان أوربا الجنوبية أصابها تراجع فيما يتعلق بالفكر الإستراتيجي، وذلك لصالح توازن جديد عاد إلى البلدان الأنكلو. سكسونية. ولكن رأيا آخرا يرى أنه رغم التراجع النسبي لهذا الحقل الفكري في أوربا الجنوبية إلا أن إنتاجا غزيرا وجد في ذلك العصر لكنه بقي غير معروف. والأمثلة على ذلك كثيرة كما يرى هؤلاء: منها الفهرسة التي وضعها Francisco Barado، و الفرضيات الجديدة لصاحبها Antonio Espino Lopez واليت تغطي جميع حقول فن الحرب.أما التكتيك فتمت دراسته من قبل Fernando Alvia Castro و Cristobal de Rojas ثم Luis méndez de Vasconcellos.

ونجد أيضا بعض الكتاب الذي عالجوا تنظيم الجيوش والعديد منهم وصل إلى مرحلة الحديث عن الإستراتيجية،كما كان مع Francisco Melo في عام 1638 وكتابه " Politica militar y avisos de generales" ( آراء عامة في السياسة العسكرية ).

الإنتـاج الإيطـالي كـان أقـل غـزارة مـن القـرن السـابق، ويظهـر أن هـذا منطقيـا ،حيـث أن إيطاليـا لم تعـد مسـرحا للحـروب الأوربيـة[1]. أمـا الكاتـب الاكثـر أهميـة في هذه المرحلة الإيطالية فقد كـان Giorgio Basta وهـو مـن أصـول ألبانيـة، وخاصـة في كتابه " Il maestro di campo general " الصادر في عام 1606، ثم كتاب "Del governo dell'artigliera"و صادر عام 1610.

## . الفكر العسكري الفرنسي.

في فرنسـا قـام Louis de Montgomery بتحليـل إصـلاحات Maurice de Nassau وقـد ذكرنـاه في السـابق، أيضـا Jérémie de Billon تحـدث عـن الأنظمـة المختلفــة للمعركــة في كتابــه "مبــادئ فــن الحــرب" الصــادر في أعــوام 1612،1622،1636،1641 . أمـا دوق Rohan وهـو مـن زعمـاء الحـزب البروتسـتانتي فقد نشر كتابه "القائد الكامل" في عـام 1636 وقد كـان مثلـه الأعلى في هذا الكتـاب هـو "القيصـر". وفي عـام 1663 صـدرت مخطوطـة "كتـاب الحـرب" لمؤلفـه Aurignac ويصــف فيــه ( المبــادئ الخمــس للعمــل العســكري والــتي هــي : العســكرة، السير،القتال،الهجوم،الدفاع عن الأماكن ). وأخيرا عمد الفرنسيون إلى ترجمة الكثير من الكتب الصادرة في الدول الأوربية الأخرى على لغتهم.

## - Montecucculi الاستراتيجي الأول.

عـرف النصـف الثـاني مـن القـرن السـابع عشـر سـيطرة المفكـر الإيطـالي Montecucculi [2] ، فقـد كتـب عـن قيـادة الجيـوش بشـكل وصـل إلى الدراسـات الإستراتيجية،مع تصنيف للحروب( أهلية أو خارجية، دفاعية أو هجومية، بحرية أو

---

[1]- انظر: Gregory Hanlon، " The Twilight of a Military Tradition : Italian Aristocrats and European Conflicts 1560-1800، صادر في لندن، دار نشر UCL Press – Taylor and Francis، 1997.

[2]- كتب عنه الكاتب الفرنسي Jean Thiriet في بحثه " إعادة اكتشاف رجل للحرب والحرف: Montecucculi"، صادر في مجلة "إستراتيجي" الصفحة 60،فرنسا، 1995.

برية )،ثم قارن بين الحرب بلعبة الشطرنج. لكن جميع كتاباته لن تنشر بشكل حقيقي وواسع إلا بعد موته،وأهمها "الفن العسكري" الذي هر باللغة الإيطالية في عام 1653،والإسبانية 1693،أما الكتابات المتبقية لم تنشر حتى القرن الثامن عشر. كتب مذاكراته بالفرنسية وطبعت تسع مرات بين عامي 1712 و1760. اعتبر كتابه " Della Guerra col Turco in Ungheria" هو الأكثر شهرة وتأثيرا، حيث أنه طبع سبع مرات بالإيطالية،ست في الفرنسية، اثنتان في اللاتينية، اثنتان في الإسبانية،اثنتان في الألمانية وواحدة في الروسية.

**خامسا. الإستراتيجية في القرن الثامن عشر.**

. حوار التكتيك في فرنسا.

بدأ الفكر العسكري بالتفتح أكثر في القرن الثامن عشر. ويعود تطوره إلى التعقيدات المتنامية لفن الحرب، قوة الدولة وإلى حالة السلام الطويلة في القارة الأوربية. أيضا يعود هذا التطور إلى جانب فكري متطور من خلال تطور عمليات الطباعة والنشر، ازدهار الكتابات العسكرية و اهتمام العامة بالقضايا العسكرية[1]. عرفت هذه الفترة الحديث عن التكتيك أكثر من الاهتمام بالفكر الاستراتيجي بشكل عام.

من أهم الدراسات التي ظهرت في هذه الفترة " اكتشافات جديدة حول فن الحرب" في عام 1724،ثم جاء بعده "تاريخ Polybe" ونشر منه ستة أجزاء بين عامي 1727 و1730،وأعيد طبعه في عامي 1753 و1774،أما مؤلف الدراستين فكان " Folard". [2] في منتصف القرن، ألّف المارشال Maurice Saxe دراسات ستنشر بعد موته في عام 1756 والتي تركز على " روح قوانين التكتيك". وقد افتتح

[1]- انظر : Hervé BEGARIE،المرجع السابق، الصفحة من 190-200.
[2]- انظر : Jean Chagniot، " إستراتيجية عدم التأكد،فروسية Folard"، بالفرنسية، دار نشر Rocher، فرنسا 1997.

دراساته أو مؤلفاته بجملة شهيرة سنجدها في مقدمة الكثير من الكتب التي جاءت بعده:" الحرب هي علم مغطى بالظلام، في داخلها لا نخطي خطوة واحدة مؤكدة؛ تقييماتنا المسبقة هي الأساس والقاعدة. كل العلوم لديها مبادئها، بينما الحرب فقط لا تملكها حتى الآن".

في أعوام 1770-1780، الحوار حول التكتيك سيبقى مكثفا في فرنسا إن كان في مجال العلوم العسكرية البحرية أو العلوم العسكرية البرية. واستمر هذا حتى بدايات تبلور الأفكار الاستراتيجية في فرنسا.

**. ظهور البعد الإستراتيجي في فرنسا.**

هذا الفكر الإستراتيجي، الذي كان مؤسسات على الكثير من التكتيك، بدأ بالتدريج الانتقال إلى الاستراتيجية. حيث أن النمو في الفعاليات العسكرية وفعاليات الجيوش سمحت باتساع ميدان المعركة وبالتالي الحاجة إلى تخطيط إستراتيجي شامل. النصف الأول من القرن الثامن عشر هيمنت عليه ثلاثة أسماء هي Folard, Feuquière , Puységur ولكنها كانت مختلفة في وجهات النظر. مع Feuquière كان هناك تطلع إلى الإستراتيجية، ومع Folard على التكتيك،أما مع Puységur فكان اللوجستيك Logistique[1]. وكلمة اللوجستيك هنا تأتي بمعنى"علم رئاسة أركان الجيوش".

في عام 1736 نشرت ولأول مرة مذكرات الجنرال Antoine de Pas ثم أعيد طبعها بعد ذلك خمس مرات. يحاول فيها هذا الجنرال التنظير لفن المناورة عبر التاريخ الذي سبقه أو في الأنظمة القديمة.وفي عام 1748 نشر كتاب المارشال Jacques-François de Chastent "فن الحرب من خلال المبادئ والقواعد. وصف كتابه بأنه عقلاني يعتمد تنظيم المعارك وخطواتها وكيفية تطبيقها.

[1]- انظر: Henri – Antoine JOMINI ،" فن الحرب"، لم نجد لا تاريخ الشر ولا دار النشر.

الموجة الثانية من تطور الفكر الإستراتيجي في فرنسا ضمت العديد من الكتاب ومن أهمهم Roy de Bosroger والذي وضع كتاب "مبادئ فن الحرب" عام 1770، وكتاب "عناصر الحرب" عام 1773. ثم يأتي كتاب " دراسة نظرية حول الصراعات" وضعه كونت منطقة Grimorad في عام 1775، ومن بعده – Paul Gédéon والذي أدخل في المفردات العسكرية مفهوم الإستراتيجية. ( Hervé BEGARIE،المرجع السابق، الصفحة 195 ). هذا الأخير تقوم نظريته على " من غير نظرية مؤسسة على قواعد ثابتة،لن نتقدم نهائيا في علوم الجيش والتسلح"[1]. وفي الجزء الثالث من كتابه يتحدث عن الإستراتيجية أو جدل عمليات الحرب. إنه يبين أن "علم الحوار أو الجدل يستند دائما على حسابات الزمن والمسافة".

**.الكتّاب الألمان.**

في رأي الكثير من الكتاب الأوربيين،يعتبر "فريدريك الثاني" أفضل محلل لنظامه. حيث وضع مؤلفا شهيرا بالفرنسية هو " الوصية العسكرية" في عام 1768، وكان من قبل قد كتب دراستين أيضا وهما" المبادئ العامة للحرب" في عام 1746، و"تعليمات من أجل ضباطي" في عام 1747، أما في عام 1771 فقد وضع كتابه "عناصر التكتيك". الكاتب الألماني الأكثر شهرة في حقل الفكر الاستراتيجي هو Wilhelm Schaumbourg-Lippe [2] ترك ألمانيا ووضع نفسه في خدمة ملك البرتغال الذي عينه مارشالا. كتب بالفرنسية العديد من المذكرات. ومن وجهة نظر استراتيجية يمكن الحديث عن تنظيره لعمليات الدفاع ثم إعطاءه دورا كبيرا لعلم النفس في الحروب.

---

[1] ـ انظر : Joly de Mazeroy،" نظرية الحرب"، صدر في نانسي،فرنسا، دار نشر Leclerc،1777، الصفحة 18.

[2] ـ كان غائبا تماما من تاريخ الفكر الإستراتيجي ،ثم تم التذكير به من قبل البروفسور Curd Ochwadt الذي أعاد نشر كتاباته.

**.الإنتاج البريطاني.**

تـرك Henry Lloyd كتابا غنيـا وغزيـرا بالمعرفـة تحـت عنـوان " A Political and Military Rhapsody on the Invasion and Defence of Great Britain and Ireland" وذلك في عـام 1790،وقد تمـت طباعتـه سبـع مـرات بمختلـف اللغـات الأوربية. ومن كتبه الأخرى " The History of the late War between the King og Prussia and the Empress of Germany and her Allies" صدر في عـام 1763.

ويمكن أن نذكر أيضـا مـن بريطـانيـا، Humphrey Bland في كتـابـه " A Treatise of Military Discipline" وقـد طبـع تسـع مـرات ابتـداء مـن عـام 1727 وحتـى عـام 1762. وقـد تحـدث العديـد مـن الكتّـاب البريطـانيين عـن "الإسـتراتيجية الكـبرى" في مختلف إنتاجهم المعرفي في هذا المجال. (1)

**سادسا ـ الفكر الاستراتيجي المعاصر.**

مـا بـين عـامي 1789 و 1815،عرفـت أوربـا حروبـا مسـتمرة تخللـها بعـض الاستراحـات هنـا وهنـاك. في هـذه الفـترة أصـاب فـن الحـرب تحـولات عميقـة. بـدأ التحـول مـع Lazare Carnot الـذي أخـذ بوضـع استراتيجية جديـدة لم يوضـحها إلا بملاحظات و كتابة مختصرة جدا. أما مؤلفه الأكبر فقد عالج موضوعا أكثر تحديدا: "الدفاع عن المراكز القوية" وكتبه في عام 1809،ترجم إلى العديد من اللغات الأوربية.

في هذه الفترة عرفـ الإنتـاج الفرنسي قوة اكبر: مع كتـاب "مدخل إلى دراسة فن الحـرب" وضعه Roche-Aymon بـين عـامي 1802-1804 وتحـدث فيـه عـن التكتيـك فقط؛ ثم كتـاب "المعالجـة الأساسية للفـن العسكري" كتبـه Simon-François Gay في عـام 1805 وتـرجم لمختلـف اللغـات العـالمية. بعـد ذلـك جـاء كتـاب Reveroni de

[1]- انظر : D. GRUBER، "British Strategy : the theory and practice of eighteenth century warfare"، لندن، دار نشر Greenwood Press، 1978.

Saint-Cyr وهو كتاب غني جاء تحت عنوان "دراسات حول آلية الحرب "كتبه في عام 1808 وقد نشر فيما بعد بعنوان جديد هو "سكونية الحرب أو مبادئ الاستراتيجية والتكتيك" وذلك في عام 1826.

المقاربة الهندسية للفكر الاستراتيجي وصلت إلى ذروتها مع كتاب Prussien Dietrich الذي نشر في مدينة هامبورغ الألمانية كتابه " Geist des neuern Kriegs Systms" (روح نظام الحرب الحديثة) في عام 1799، ويتحدث فيه عن طرح مسلمات أو بديهيات معينة يمكن الحصول عليها بالمنطق و الاستدلال ثم توضيحها فيما بعد بواسطة التجربة. وفي كتابه الثاني يتحدث الأسبقية الفكرية عند نابليون بونابرت زجاء الكتاب تحت عنوان" Lehrsätze des neuen Krieges oder reine und angewandte Strategie" (نظريات الحرب الحديثة أو الاستراتيجية الخالصة والمطبقة) ووضع الكتاب في عام 1805.

أيضا في ألمانيا، كتب الأرشيدوق Charles العديد من المؤلفات : " Grundsätze der grosse Kriege" (مبادئ الحرب الكبيرة) في عام 1808، " Grundsätze der Strategie erläutert durch die darstellung des Feldzugs von 1796 in deutschland" (مبادئ الاستراتيجية المطورة من خلال حملة 1796 في ألمانيا) في عام 1813.

**- الآباء المؤسسون للفكر الإستراتيجي المعاصر.**

**أولا- Jomini**

وهو Henri-Antoine Jomini الذي سيعمل على الموافقة بين إرث كتاب القرن الثامن عشر وتعليمات المأخوذة من نموذج نابليون. ومعه بدأ بشكل حقيقي يتأسس علم الإستراتيجية المعاصر[1]. ولد في سويسرا عام 1779 خدم في الجيش

[1]- انظر: Bruno COLSON، " حروب الثورة 1792 1797"،بالفرنسية ، باريس، دار نشر hachette و Pluriel 1998.

الفرنسي وأصبح رئيس أركان المارشال Ney في عام 1805. وفي هذا العام نشر كتابه الأول "معالجة التكتيك الكبير أو علاقة حرب السنوات السبعة"،وهو في الواقع تطوير لعمل سابق كان قد كتبه الجنرال Tempelhof من بروسيا في عام 1783، والذي كان بدوره تطويرا لعمل سابق هو للجنرال Lloyd وكان يحمل العنوان "تاريخ حرب السنوات السبعة".

الفرق بين هذه المؤلفات هو أن Jomini أدخل تعديلات مبنية على مقارنات مع العمليات التي حضرها أو شارك فيها. في السنوات التالية نشر العديد من المؤلفات التي تحلل الحروب النمساوية ثم حروب "ثورة الإمبراطورية"،وفي النهاية وصل مؤلفه إلى ثمانية أجزاء كان آخرها في عام 1816، وقد عاد ليعيش في فرنسا،ثم توفي في عام 1869 عن عمر 90 عاما. ( من كتاب تاريخ الإستراتيجية، Hervé Bégarie الصفحة 200 إلى 210).

في الشكل النهائي لمؤلفه يمكننا ملاحظة جزأين رئيسيين : " تحليل العمليات العسكرية الكبرى" وقد كرّسه لحروب فريدريك الثاني؛ ثم " تاريخ النقدي والعسكري لحروب الثورة" ويتألف من 15 مجلدا. ربما يكون هذا المؤلف الكبير منسيا إلا أنه من أهم الآباء المؤسسين للفكر الإستراتيجي المعاصر[1] .

لقد كان له تأثير كبير على جميع منظري الفكر الإستراتيجي من روسيا إلى الولايات المتحدة ومرورا بالقارة الأوربية،وقلما تجد لغة لم يظهر فيها كتاب عنه أو ترجمة لأعماله. وبشكل خاص كان له تأثير واضح على الكتاب الأوائل للفكر الإستراتيجي الأمريكي الممثل بكل من William Duane و John Armstrong ،ثم Dennis Hart Mahan أستاذ التكتيك في West Point ، و Alfred Thayer

[1]- ظهرت العديد من المؤلفات عنه أهمها : " عظمة و تراجع Jomini"، لمؤلفه Emile MAYER،بالفرنسية؛ وكتاب John I ALGER " Jomini : A Bibliographical Survery" ، صادر عن US Military Academy، 1975.

Mahan ( ابـن Dennis )، و المعـروف بتحليلـه للقـوة البحريـة والـذي سـتتحول تعليماتـه و أفكـاره إلى إستراتيجية بحريـة. ولم يعـرف تـاريخ الثقافـة الإسـتراتيجية الأمريكية تأثرا بكاتب آخر كما عرف تأثره بالكاتب Jomini[1].

**ثانيا. Clausewitz.**

يعتبر اليوم الأشهر من بين جميع المفكرين العسكريين. وضع كتابا شهيرا تحت عنوان Vom Kriege وهو يقابل كتاب "الأمير" عند ميكيافلي، ولقد أصبح مرجعا لمعظم المفكرين الاستراتيجيين، وقلما نجد كتابا استراتيجيا لم يأخذ منه. ولد Clausewitz في عـام 1780[2]. لديـه خـبرة عسكرية طويلـة وتجـارب مـن خـلال مشاركته في الحروب. أول كتابة استراتيجية له كانت بعنوان " نقد عميق لنظام الحرب عند von Bülow. في عام 1806 بدا بالإعداد لأكبر مؤلف له ثم بدأ كتابته بعد عام 1815، عندما وصلت حياته العسكرية إلى طريق مسدود.

كتـب العديـد مـن المؤلفـات التاريخيـة حـول الحمـلات العسكرية لكـل مـن Turenne, Frédéric II و ثـورة الإمبراطوريـة. ومـن خـلال القاعـدة التاريخيـة الـتي يمتلكها استطاع وضع كتابه opus magnum ويضم ثلاثة كتب هي: تحليل للحرب الكبرى أو الإستراتيجية، تحليل للحرب الصغرى، وأخيرا تحليل للتكتيك. بسبب موته المفاجئ، لم يستطع Clausewitz إكمال هذا المشروع الضخم حول الفكر الإستراتيجي.فمن كتاب "تحليل التكتيك"، لم يبق إلا بعض الصفحات التي لم تشد انتباه أحدا .إما كتاب "الحرب الصغرى" فد فقد بكامله، ولم يبقى منه سوى المحاضرات التي ألقيت عنه في Kriegsakademie في عـام 1810. وأخيرا كتاب

---

[1]- انظر : Bruno COLSON، " الثقافة الاستراتيجة الأمريكية، تأثير Jomini" ، بالفرنسية ، صادر في باريس، دار نشر Economica، المكتبة الإستراتيجية.

[2]- أفضل تأريخ له كتبه Peter Paret، " Clausewitz and the State"، Princeton University Press، 1976.

"تحليل الحرب الكبرى" فقد استطاع إكماله، ولكنه يشير في أعلى المخطوطة وبوضوح: إلا أن من الكتاب هو وحده كامل أو منجز من الناحية الفكرية.

ووفق ملاحظة تمت كتابتها في 10 تموز عام 1827، Clausewitz حقق مرحلة جديدة في تفكيره الاستراتيجي حيث تركز على الحرب كاستمرار للسياسة ولكن بوسائل أخرى وعلى قاعدة التمييز بين الشكلين أو وجهي الحرب. وأخيرا نقول بان القراءات الدوغمائية للفكر الاستراتيجي عند Clausewitz أدت إلى تعليقات و تحليلات مختلفة ومتغايرة ومن ثم إلى نتائج مختلفة زادت من تعقيد نظريته. و نضيف أخيرا أن كتابه السابع كان حول "الهجوم"، وكتابه الثامن حول "مخطط الحرب"، وهما غير مكتملين.

**ثالثا. New- clausewitziens**.

إن Clausewitz لم ينشر شيئا من دراساته وهو على قيد الحياة، لأنه كان يعتقد بأنها لم تصل بعد إلى مرحلة الإتمام والكمال. وبعد وفاته عمدت زوجته إلى نشر مخطوطاته في عشر أجزاء ما بين عامي 1832 و 1837. ردة الفعل حول فكره الإستراتيجي كانت متغايرة كما أشرنا سابقا، وهذا لم يساعد في نفاذ 1500 نسخة من كتاباته كانت قد طبعت خلال 15 عاما. في فرنسا مثلا لم يكن معروفا بشكل جيد إلا بين قلة من الأفراد. وفي عام 1880 نشر بحث عنه في دورية فرنسية شهيرة le Spectateur militaire من قبل ضابط من أصول بولونية وهو Louis de Bystrzonowski.

وسننتظر حتى عام 1870 حتى نرى انطلاقة Clausewitz وانتشار سمعته كمفكر إستراتيجي،ويعود هذا لأسباب قومية أكثر منها أسباب فكرية. فالإمبراطورية البروسية المنتصرة في Sadowa عام 1866 وفي Sedan عام 1870،كانت تبحث عن شرعية نظرية لتفوقها الميداني ودراسات Jomini التي

تحدثنا عنها سابقا لم تكف هذه الإمبراطورية أو ترضيها، خاصة لأنه سويسري وكان في نفس القوت منظرا للاستخبارات و المعلومات عند نابليون، ونضيف أنه كان ينتقد فريدريك الثاني من وقت لآخر. Clausewitz كان بروسيا حقيقيا ورأى فيه فريدريك الثاني نموذجا له، كما كان مرضيا للقراء الألمان.

إذا بعد الانتصارات الألمانية، حاولت الكثير من البلدان تقليد النموذج الألماني والمعلم الجديد للنظرية الإستراتيجية. من هنا تمت ترجمة Clausewitz للكثير من اللغات. وفي ألمانيا نفسها أصبح Clausewitz مرجعا قانونيا لهذا الفكر، أما كتابه Vom Kriege فقد قام أكبر القادة آنذاك Schlieffen بكتابة مقدمة له،وذلك في عام 1905. ولكن لا بد من الإشارة إلى أن تركيزClausewitz على السياسة كحل ومن ثم ثانيا على الدفاع تم رفضه من قبل الكثيرين أو تم تجاهله. فالمعجبين بكتاباته بحثوا فيها عن الحجج التي تدعم أفكارهم في الهجوم أثناء المعارك الفاصلة.

في فرنسا التي كانت ضحية لألمانيا وخصما مصنفا في أي حرب جديدة، أظهرت الكثير من المصلحة في قراءة Clausewitz وخاصة بعد هزيمة عامي 1870/1871. ومنذ عام 1880 إلى 1905، ستظهر فيها موجة عارمة من أنصار مدرسة Clausewitz. وكانت البداية مع قائد الجيوش Cardot في"المدرسة الحربية العليا" حيث حاضر عنClausewitz منذ عام 1884، وبعد ذلك من خلال دراسة للكابتن Georges Gilbert في عام 1887. وقامت المدرسة الحربية فيما بعد بترجمة معظم الحملات العسكرية التي كتبها Clausewitz. أما الكتاب الألمان والفرنسيون فقد اختلفوا حول شرح حروب نابليون من قبل Clausewitz، فالفرنسيون يقولون أن الإستراتيجي الألماني لم يحلل نابليون بشكل كاف أو صحيح، والألمان يباركون هذا الشرح والتحليل.

بالنسبة للعالم الأنكلو- سكسوني فقد بدا أنه أكثر تحفظا وتكتما تجاه كتابات Clausewitz[1].ففي عام 1834 ترجمت وفي مرجع إنكليزي وآخر أمريكي بعض الصفحات التي لم تتجاوز العشرين والتي أخذت من كتاب Vom Kriege. أما الأعمال الكاملة فلن تترجم إلا مع العقيد Graham في عام 1873 وسوف يتخلل الترجمة الكثير من الأخطاء والتي ستصحح على يد F.N Maude في عام 1908. لكن هذه الأعمال أصابها فشكل كبير في العالم الأنكلو - سكسوني، حيث لم يطبع منها سوى 69 نسخة خلال 12 عاما.

فالشكل الفلسفي لأعمال Clausewitz اصطدم بالبراغماتية البريطانية. فبالنسبة للإستراتيجي Corbett الذي أيد المقاربة التي وضعها Clausewitz حول الاستراتيجية البحرية، فقد بقي حالة استثنائية. أما Fuller و Liddell Hart،وبعد قراءة Clausewitz لم يجدا العناصر التي تتوافق مع نظريتهما[2]. في الولايات المتحدة كان هناك ازدراء عام لكتابات الإستراتيجي Jomini وبقي هذا الوضع قائما حتى النصف الثاني من القرن العشرين. وقد كتب "ريمون آرون" في عام 1976 عن هذه الوضع قائلا:" من بين الأسماء الكبيرة التي تعمل في الحقل الإستراتيجي في الولايات المتحدة، فقط Bernard Brodie هو الذي قرأ Clausewitz بشكل عميق"[3].

[1]- انظر : Christopher BASSFORD، "Clausewitz in English : The Reception of Clausewitz in in Britain and America 1815-1945، نيويورك، مطابع جامعة أكسفورد، 1994.

[2]- Jay Luvaas، "Clausewitz, Fuller and Liddell Hart"، من كتاب Michael Handel، "Clausewitz and Modern Strategy" ، من الصفحة 197 حتى 212.

[3]- Raymond ARON، " التفكير بالحرب"، بالفرنسية، الصفحة 347.

في إيطاليــا، لم يقــرأ Clausewitz إلا بشــكل قليــل في القــرن التاســع عشــر. واكتشــافه بشــكل حقيــق كــان علــى يــد الكاتــب الإســتراتيجي Emilio Canevari،عنـدما كتـب عنـه مؤلفـه " Clausewitz e la guerra odierna" ( Clausewitz والحرب اليوم )[1] .

وفي إسبانيا، كـان العقيد Banus Comas في كتابـه "Estrategia" الصـادر في عـام 1887 واحـدا مـن النـادرين الـذين قـرؤوا Clausewitz. وسـوف ننتظـر حتـى عـام 1908 لنـرى ظهـور أول ترجمـة لأعمالـه في الإسـبانية. أمـا الترجمـة الكاملـة فلـم تظهـر ألا بعـد نهايـة الحـرب العالميـة الثانيـة. ولم يصـبح Clausewitz معروفـا في هـذا البلـد بشكل جيـد حتـى عـام 1970. وبعـد هـذا العـام انتشـرت ترجمتـه إلى معظـم اللغـات الأوربيـة، وحتـى الصـينية، العبريـة، الاندونيسـية، والعربيـة بشـكل بسـيط أو جزئـي. أمـا الـروس فقـد أولـوا اهتمامـا خاصـا لكتاباتـه وكـان لـه تـأثير كـبير علـى المكتبـة الاستراتيجية الروسية[2] .

## سابعا ـ الاستراتيجية في القرن التاسع عشر.

### أولا ـ المدرسة الألمانية.

يشــير Jomini في كتاباتــه و ينقــل عــن Bavarois Xylander, Wurtembergeois Theobald, Müller, Valentini, Decker, Hoyer وهـؤلاء كلــهم مــن الجنــرالات، ونســي أن يضــيف علــيهم المــاجور جنــرال Hôheren Kriegskunst. وفي نفـس الوقـت يـرى الكـثير مـن مـؤرخي الإسـتراتيجية أنـه أيضـا نسي أن يذكر أكبر استراتيجيين سبقا Clausewitz وهمـا الجنرالان Von Lossau

---

[1] ـ أيضا ظهرت الترجمة الإيطالية للإستراتيجي البروسي على يد الجنرال Bollati، ثم كتاب Ferruccio Botti " Clausewitz في أيطاليا"، من مجلة Stratégique الأعداد ، 78-79، 3/2-2000.

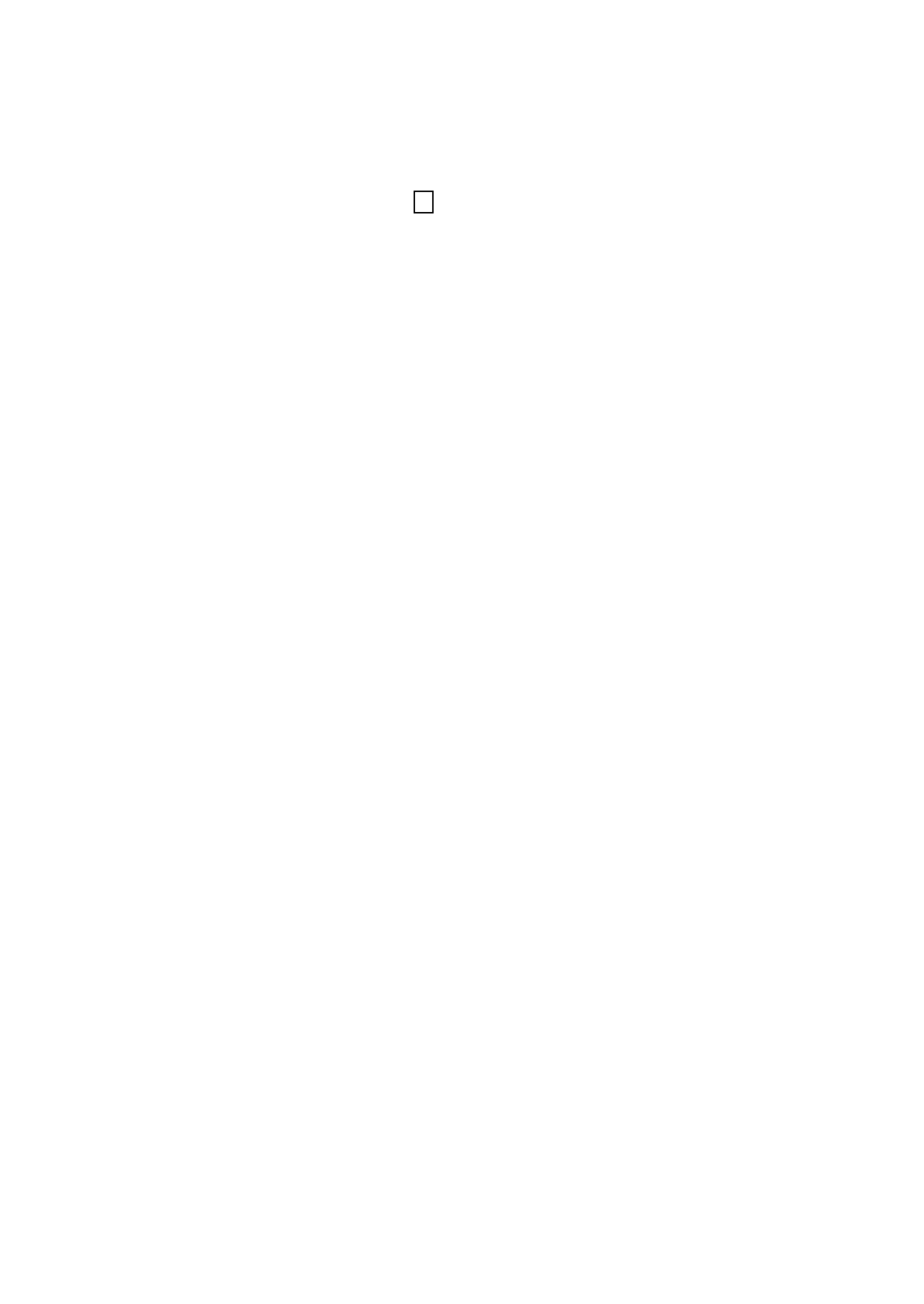
[2] ـ انظر : Olaf ROSE ،" Carl von Clausewitz, Wirkungsgeschichte seines Werkes in Russland und der Sowjetunion 1836-1995"، ميونخ، دار نشر Oldenbourg Verlag، 1995، (Clausewitz تأثيره في روسيا والاتحاد السوفييتي).

و Rühle von Lilienstern[1]. ولكن لا بد من القول هنا أن Clausewitz هو الذي أنقذ المدرسة الألمانية من جمودها.

***ثانيا ـ المدرسة الإيطالية.***

عرفت إيطاليا إنتاجا إستراتيجيا غزيرا في هذا القرن. تركز هذا الإنتاج بشكل كبير عند Joseph Pougni-Guillet وخاصة في عمله " عناصر للاستراتيجية والتكتيك" كتبه في عام 1832، و Paul Racchia في مؤلفه " تحليل دقيق لفن الحرب" كتبه في عام 1832. ثم جاء Enrico Giustiniani في "دراسة حول تكتيك الأسلحة الثلاثة بشكل منعزل ومجتمع" في عام 1848.أما الكاتب الاستراتيجي الأكثر شهرة في إيطاليا النصف الأول من القرن التاسع عشر كان Luigi Blanch ،ويعتقد أنه كان فيلسوفا للحرب أكثر مما هو إستراتيجي. إلى جانب هؤلاء ظهر تصنيف آخر للاستراتيجيين الإيطاليين، الأول سمي Scolastiques أو المقرّب من الأوساط الرسمية، والثاني Laïc وهم مجموعة من المفكرين المستقلين كان صوت النقد "نقد الحرب" لديهم مرتفعا بشكل أكبر.

[1] ـ لمعرفة أهم أعلام المدرسة الإستراتيجية الألمانية يمكن العودة إلى بحث Herbert ROSINSKI :" the Rise and Decline of Germn Military Thought"، في مجلة Naval War College Review، صادر في صيف 1976،الصفحة 83.



# الفصل الرابـع

## مشاهد مستقبلية للتنـافس الأوروبـي –الأمريـكي– وانـعكاساته على الأمن الإقليمي العربـي

**نحـاول في هـذا المبحـث عـرض ثلاثـة مشـاهد مسـتقبلية محتملـة للتنـافس الأمريكي –الأوروبي في المنطقة وفق تقنية السيناريو.**

1-السيناريو الأول: استمرار التنافس في مختلف المجالات.

2-السيناريو الثاني: حدوث اتفاق واندماج بين مصالح الطرفين.

3-السيناريو الثالث: احتمال نجاح مشروع أحد الطرفين مقابل فشل مشروع الطرف الآخر.

**1-السيناريو الأول: استمرار التنافس الأمريكي –الأوروبي:**

حاولت دول الاتحاد الأوروبي، منذ حرب الخليج الثانية، أن يكون لها نوع من الاستقلالية عن الولايات المتحدة الأمريكية، وخاصة بعدما اقتنعت أن هذه الأخيرة تعمل على ألا يكون لأوروبا الموحدة أي تأثير فاعل في الحياة الدولية. وظهر ذلك جلياً إبان أزمة كوسوفو التي سعت دول الاتحاد الأوروبي إلى المشاركة في حل النزاع من خلال مساعي أوروبية. ولكن تدخل الولايات المتحدة في النزاع عبر الحلف الأطلسي أبعد أي دور أوروبي في حل الأزمة، عندها بدأت ترتفع أصوات تطالب المجموعة الأوروبية بأن يكون لها كيانها المستقل عن المظلة الأمريكية.

فبعد أن عززت دول الاتحاد الأوروبي –بعد إصدارها للعملة الأوروبية الموحدة– من موقعها كقوة إقليمية، كتبت جريدة (الواشنطن بوست) قائلة: إن دول الاتحاد

الأوروبي(37) بإصدارها لعملة واحدة سوف تدخل في متاهات كبرى لأن القارة الأوروبية لا تزال تعيش في إرث تاريخي حيث أن العديد من الدولي الأوروبية لا تزال تحاول الاستحواذ على الكيان الأوروبي(38). وكانت الجريدة تقصد أن التنافس بين الدول الأوروبية (فرنسا وألمانيا وبريطانيا) سوف يفشل المشروع الأوروبي مستقبلاً.

ومع ذلك، فإن الولايات المتحدة الأمريكية تراقب عن قرب المشاريع الأوروبية الوحدوية لأنها تعتقد أن أي خطوة تقدم عليها أوروبا تضر بمصالحها في المنطقة. ولذلك فإنه من غير المستبعد أن يتزايد التنافس بين القوتين في المستقبل لأن دول الاتحاد الأوروبي الفاعلة سوف تعمل جاهدة على تثبيت وجودها في المنطقة لأنها تعتبرها منطقة نفوذ تابعة إليها(39)(40). ومع التحولات الدولية التي أعقبت حرب أفغانستان والتي أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية خلالها أنها سوف تشن حرباً على ما أسمته بالإرهاب الدولي، فإن الدول الأوروبية تعتقد أنه عليها هي أيضاً أن تشارك في الحملة الدولية ضد الإرهاب.

ومع أن الولايات المتحدة الأمريكية أرغمتها على اتخاذ إجراءات رادعة ضد العناصر التي تنتمي إلى تنظيمات إرهابية، وذلك بإلقاء القبض عليها، وبالإضافة إلى تجميد أرصدة التنظيمات المتهمة بضلوعها في أعمال إرهابية، إلا أن دول الاتحاد الأوروبي (خاصة فرنسا وإيطاليا) سوف لن تستجيب للقرارات الأمريكية كلها لأنها تعتقد أن استجابتها الكاملة للإدارة الأمريكية في حربها الجديدة معناه بالنسبة إليها أنها تظل تابعة للقرار الأمريكي وهذا سوف يؤثر باعتقادها على كيانها الأوروبي وعلى مصالحها في المنطقة.

ومع أن التنافس بين القوتين سوف يكون على مناطق النفوذ الاستراتيجية في العالم، خاصة في إطار الترتيبات الدولية الجارية لإقامة نظام دولي جديد، فإن دول

الاتحاد الأوروبي تريد أن يكون لها منطقة تتبع نفوذها، وهي تعرف أن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تعمل على أن تسيطر على كل مناطق النفوذ في العالم، أي أن الولايات المتحدة الأمريكية ودول الاتحاد الأوروبي يحاولان بسط نفوذهما على المنطقة وسوف يساهم ذلك في تزايد تنافسهما مستقبلاً لأن كل قوة ترى أنها إذا بسطت نفوذها على المنطقة عندئذ يكون لها دور بارز في الحياة الدولية وهذا تجسيد لمقولة مورتن كابلن الذي قال أن منطقة أوروبا والبحر المتوسط تعد قلب العالم وذلك لما تتمتع به من أهمية استراتيجية.

هنالك اتجاهان رئيسيان سوف يحددان طبيعة التنافس الأمريكي الأوروبي مستقبلاً والتي سوف يكون لهما انعكاسات دولية خصوص المنطقة العربية التي تسعى كل قوة إلى احتوائها في إطار الترتيبات الجارية لإقامة نظام دولي جديد.

**الاتجاه الأول: التنافس على تحديد مسار السلام في منطقة الشرق الأوسط:**

مع أن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر الشريك الاستراتيجي لإسرائيل في منطقة الشرق الأوسط وتعمل جاهدة على أن تظل إسرائيل متفوقة عسكرياً على دول المنطقة، إلا أن التحولات الدولية التي أعقبت التفجيرات التي شهدتها مدينتي نيويورك وواشنطن في 11 سبتمبر عام 2002 غيرت العديد من معطيات الصراع في الشرق الأوسط. فالولايات المتحدة الأمريكية التي ادعت أنها الشريك الرئيس في عملية السلام في الشرق الأوسط التي ابتدأت من مدريد عام 1991 أصبحت تميل علناً للطرف الإسرائيلي بحيث أنها اعتبرت ما تقوم به التنظيمات الفلسطينية كحماس والجهاد الإسلامي شكلاً من أشكال الإرهاب، وطالبت السلطة الفلسطينية بتفكيك التنظيمات الفلسطينية كشرط رئيسي لاستئناف المفاوضات مع الطرف الإسرائيلي. وهكذا تغيرت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية من سياسة تحاول جاهدة إيجاد مخرج للصراع إلى سياسة تحاول تضييق الخناق على

الطرف الفلسطيني لكي يستجيب هذا الأخير للطلبات الأمريكية والإسرائيلية بضرورة إيقاف العمليات الاستشهادية ضد الأهداف الإسرائيلية.

أما الطرف الأوروبي ممثلاً في دول الاتحاد الأوروبي وخاصة الدول الأوروبية الفاعلة فإنها عبرت عن استنكارها للسياسة الجديدة التي يتبعها الرئيس الأمريكي جورج بوش والذي حاول برأيها الربط بين ما حدث بالولايات المتحدة الأمريكية في 11 سبتمبر وبين الصراع في منطقة الشرق الأوسط، حيث اعتبر الرئيس الأمريكي المقاومة الفلسطينية بأنها مقاومة إرهابية يتعين على المجتمع الدولي الذي قالت أنه ساندها ووقف إلى صفها في محاربة ما أسمته بالإرهاب الدولي، أن يساعدها على تفكيك الجماعات الإرهابية الفلسطينية لأن هذه التنظيمات تهدد الأمن الدولي ومعنى ذلك –في التصور الأمريكي- أنها تهدد الأمن الإسرائيلي.

لقد عارضت دول الاتحاد الأوروبي التوجه الأمريكي الجديد ورأت أنه لا يخدم مسار السلام في المنطقة، وهذا ما جعل الطرف الفلسطيني والعربي يطالب خلال القمة العربية التي عقدت في لبنان في 27 و28 مارس عام 2002 بدور فاعل للشريك الأوروبي في عملية السلام(41)(42)، لأنه يعتبر أكثر نزاهة من الطرف الأمريكي الذي أعلنت الإدارة الجديدة برئاسة جورج بوش دعمها المباشر والعلني لسياسة رئيس الحكومة الإسرائيلية أرييل شارون.

من هذا التحليل يمكن أن نستشف أن طبيعة التنافس الأوروبي –الأمريكي- سوف تتزايد خلال السنوات القادمة، وهذا التنافس لا يمكن أن نفصله عن تنافسهما على الترتيبات الدولية.

فدول الاتحاد الأوروبي تعرف أن الولايات المتحدة الأمريكية اتخذت من حوادث 11 سبتمبر بالولايات المتحدة الأمريكية الذريعة لبسط نفوذها على العالم عبر ما تدعيه بمحاربة الإرهاب، مثلما حاولت إقناع الدول الأوروبية بمحاربة

الشيوعية في أوروبا والعالم بعد الحرب العالمية الثانية، واستطاعت أن تبسط نفوذها على العالم لقرابة الخمسين سنة إلى حين تفكك الاتحاد السوفييتي وانهارت المنظومة الاشتراكية في أوروبا الشرقية. ولذلك سوف تحاول الولايات المتحدة الأمريكية جاهدة الاحتفاظ بمصالحها في منطقة الشرق الأوسط عبر إسرائيل ولكن بإضعاف الطرف الفلسطيني والعربي من خلال تضييق الخناق عليه سياسياً وعسكرياً إلى حين يفكك التنظيمات الفلسطينية التي تتبنى المقاومة لمواجهة الاحتلال الفلسطيني.

الملاحظ أن الدول العربية، خاصة المتواجدة في المنطقة، سوف تشعر بإحباط شديد من الانحياز الأمريكي لإسرائيل وسوف تضطر إلى الانحياز إلى الطرف الأوروبي لأنها سوف تعتبره السند الدولي لها في صراعها مع إسرائيل بعد أن كان السند الدولي في السابق الاتحاد السوفييتي. ويعني ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تجد نفسها في منافسة علنية مع دول الاتحاد الأوروبي والتي سوف تعمل جاهدة في السنوات القادمة لإثبات أنها جديرة بالإدارة الإقليمية لمثل هذا الصراع المعقد(43)، وسوف تستند دول الاتحاد الأوروبي إلى النجاحات التي حققتها على صعيد وحدتها كالوحدة النقدية التي جعلتها أكثر التحاماً من ذي قبل. يكفي أن بريطانيا مثلاً، التي كانت من ذي قبل، أكثر الدول الأوروبية انحيازاً للولايات المتحدة الأمريكية، بدأت تأخذ خطوات تتعارض والتوجه الأمريكي الجديد في الحياة الدولية، فقد زار مثلاً، توني بلير منطقة الشرق الأوسط والتقى الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات في وقت رفض فيه الرئيس الأمريكي جورج بوش استقبال الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات لأنه على حد زعمه شخصية تدعم الإرهاب في المنطقة.

وتعد فرنسا من أكثر الدول الأوروبية مستفيدة من تغير الموقف الأمريكي من السلطة الفلسطينية لأنها الدولة الأوروبية التي طالبت أكثر من مرة بضرورة ترجمة مفهوم الشراكة الأوروبية المتوسطية إلى حقيقة وكانت تقصد من ذلك أن الشراكة إذا ما تحققت فإنه سوف تعزز من الموقف الأوروبي المساند للقضية الفلسطينية.

ففرنسا تريد أن يكون لأوروبا كيان مستقل ولذلك فإن خلافتها مع الولايات المتحدة الأمريكية بشأن النزاع في الشرق الأوسط سوف تتضاعف في المستقبل لأنها سوف تحاول الضغط على الولايات المتحدة الأمريكية على قبول مشاريعها السلمية لإقامة السلم في المنطقة(44)(45)(46).

فدول الاتحاد الأوربي، لا تزال تعتقد أنها معنية أكثر من ذي قبل بالنزاع في الشرق الأوسط، وخاصة بعد أن وقعت معظم الدول المتوسطية على اتفاقية برشلونة التي رأت فيها الدول الأوروبية أنها تمثل ورقة هامة عليها أن تلعبها في صراعها على إدارة المنطقة في المستقبل. فإسرائيل وفلسطين تعد دولاً متوسطية ومن حق الدول الأوروبية الشريكة في اتفاقية برشلونة أن تشارك في الترتيبات لإقامة سلم دائم في منطقة الشرق الأوسط.

من هنا يمكن القول إن دائرة التنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية ودول الاتحاد الأوروبي سوف تتسع على المدى الطويل، لأن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت تنظر للنزاع في الشرق الأوسط على أنه نزاعٌ لا يمكن فصله عن الحرب التي أعلنتها ضد ما أسمته (بالحرب على الإرهاب)، وهي تعتقد أنه لا يمكن التقدم في إيجاد حل للنزاع طالما لم تتخل التنظيمات الفلسطينية عن خيار المقاومة، وهذا ما ترفضه معظم دول الاتحاد الأوروبي التي أعطت الحق للتنظيمات الفلسطينية للرد على الجرائم الإسرائيلية التي ترتكب في حق الشعب الفلسطيني.

كما إن التنظيمات الفلسطينية لا يمكنها أن تتخلى عن خيار المقاومة والانتفاضة(47) لأنها تعتبرها الورقة الرابحة التي يمكن من خلالها أن تضغط على إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية لتنفيذ الاتفاقات التي وقعت إسرائيل عليها مع السلطة الفلسطينية.

ومع الإقرار أن السلطة الفلسطينية في وضع صعب للغاية نتيجة للتفوق الإسرائيلي العسكري والدعم الذي تلقاه إسرائيل من الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة بعد حوادث 11 سبتمبر، فإنه يمكن القول إن خيار المقاومة سوف يستمر في المستقبل لأن السلطة الفلسطينية لا تخسر شيئاً بعدما أدركت أن الولايات المتحدة الأمريكية قد تخلت عن حيادها الذي قالت إنها تلتزم به عندما رعت مفاوضات السلام منذ مؤتمر مدريد عام 1991.

**الاتجاه الثاني: استمرار التنافس الأمني -الاقتصادي- على منطقة المغرب العربي:**

اعتقدت دول الاتحاد الأوروبي أن الولايات المتحدة تهتم بمنطقة الشرق الأوسط أكثر ما تهتم بمنطقة المغرب العربي. فمنذ التسعينيات تضاعف اهتمام فرنسا وإيطاليا بهذه المنطقة في وقت كانت الولايات المتحدة الأمريكية منشغلة بما يجري في الشرق الأوسط، حيث كانت ترتب لعقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الأوسط، ولكن ما ظهر، بعد انتهاء أعمال المؤتمر، أن الولايات المتحدة الأمريكية أبدت تذمراً من التحركات الأوروبية تجاه منطقة المغرب العربي، والتي رأت فيها الولايات المتحدة الأمريكية أنها تستهدف مصالحها.

لقد أصبحت منطقة المغرب العربي أمام مشروعين يرمي كلٌ منهما إلى الاستحواذ على المنطقة. ففرنسا تحاول جاهدة أن يكون لها دور في المنطقة لأنها تعتبرها منطقة نفوذ خاصة بها والولايات المتحدة الأمريكية تعتبر المنطقة مهمة

إليها لبسط نفوذها على العالم. الواقع أن فرنسا التي تقود التوجه الأوروبي الجديد نحو الانفصال عن المظلة الأمريكية لن تسلم بالأمر الواقع وسوف تعمل جاهدة على منافسة الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة.

علاوة على ذلك، فإن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تعمل جاهدة لاحتواء الدول الأوروبية الفاعلة لكي لا تستحوذ على منطقة المغرب العربي، لأن ذلك يهدد مصالح الولايات المتحدة الأمريكية خاصة مصالحها النفطية.

**2-السيناريو الثاني: التنسيق والتعاون الأوروبي – الأمريكي- في مواجهة التحديات الدولية:**

ينطلق السيناريو من الافتراض القائل بأن الوضع الدولي الجديد الذي أعقب حوادث نيويورك وواشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية في 11 سبتمبر يفرض على الولايات المتحدة الأمريكية أن تقترب وتعمل مع حلفائها من أجل إدارة النظام الدولي الجديد الذي يجري الترتيب له. ومع أن للولايات المتحدة الأمريكية ودول الاتحاد الأوروبي مصالح مشتركة، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، فقد شاركا في العديد من الحروب والأزمات، فإن التحديات الأمنية الجديدة استوجبت من الولايات المتحدة الأمريكية أن تنظر إلى المسائل الأمنية على أنها هم مشترك يتعين على المجموعة الدولية أن تواجهها جماعياً. ومع الإقرار بأن دول الاتحاد الأوروبي كانت تتبع سياسة معتدلة في تعاطيها مع ملف الشرق الأوسط، حيث أنها طالبت أكثر من مرة من أن يكون لها دورٌ فاعلٌ في عملية السلام في الشرق الأوسط، إلا أنه مع ذلك بدأت تميل إلى الطرح الأمريكي والإسرائيلي القائل بأن التنظيمات الفلسطينية تمارس بشكل وبآخر الإرهاب(48)، ويتعين على السلطة الفلسطينية أن تفكك التنظيمات التي تمارس الأعمال الفدائية لكي يتسنى للطرفين الإسرائيلي والفلسطيني الجلوس إلى طاولة المفاوضات. ومن هنا تجد دول الاتحاد الأوروبي

نفسها –وذلك للحصول على مكانة لها في الترتيبات الجارية لإقامة نظام دولي جديد- مضطرة لاتباع سياسة الولايات المتحدة الأمريكية التي تميل إلى الطرف الإسرائيلي أكثر من الطرف الفلسطيني، فيصبح الموقف الأوروبي والأمريكي متناسقاً وموحداً بمطالبة السلطة الفلسطينية والدول العربية الفاعلة ( مصر وسوريا ) بضرورة تفكيك التنظيمات الفلسطينية، وإيقاف العمليات الفدائية ضد إسرائيل.

في مقابل ذلك سوف تعترف دول الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية بإقامة دولة فلسطينية مجاورة لدولة إسرائيل. هذا التصور المستقبلي بدأت تتبلور ملامحه من خلال مطالبة فرنسا وبريطانيا السلطة الفلسطينية بالتعاون على مواجهة ما يسمونه بالإرهاب وهذا ما جعل رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات يتهم التنظيمات الفلسطينية حركة حماس والجهاد الإسلامي بممارسة الإرهاب.

لقد أرادت دول الاتحاد الأوروبي أن لا تضيع الفرصة السانحة أمامها بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية في حربها ضد ما تسميه بالإرهاب الدولي، ولذلك أدرجت الصراع في الشرق الأوسط، ضمن حملتها الجديدة في مواجهة الإرهاب الدولي.

وتعرف دول الاتحاد الأوروبي أنها إذا ما عارضت الولايات المتحدة الأمريكية في حربها الجديدة فإنها يمكن لها أن تخسر مواقع جديدة في النظام الدولي. أما الولايات المتحدة الأمريكية فإنها سوف تكافئ دول الاتحاد الأوروبي على تعاونها معها في مواجهة التهديد الآتي من الجنوب وفي إقامة مشروعها الشرق أوسطي. ولذلك فإن التعاون سوف يكون في المستقبل حول إدارة الحرب الجديدة ضد ما يسمى بالإرهاب الدولي وتحديداً في منطقة الشرق الأوسط.

وبحكم العلاقات المميزة التي تربط دول الاتحاد الأوروبي بالدول العربية المتوسطية، فإن الولايات المتحدة الأمريكية تريد أن توظف هذه العلاقة بمطالبة دول الاتحاد الأوروبي بأن تضغط على الدول العربية من أجل تغيير نظرتها لطبيعة الصراع في المنطقة، وإذا نجحت دول الاتحاد الأوروبي في إقناع الدول العربية المواجهة لإسرائيل بضرورة إيقاف الانتفاضة الفلسطينية وتفكيك التنظيمات الفلسطينية (خاصة حركة حماس والجهاد الإسلامي)، فالطريق سوف يكون ممهداً لها لتنفيذ مشروعها السياسي والاقتصادي في المنطقة.

وتتفق دول الاتحاد الأوروبي التي تشترك في قوات الحلف الأطلسي، مع التوجه الأمريكي الداعي إلى إحلال الأمن في العالم، ولذلك فإن القوتين سوف تنسقان معاً في إطار الحلف الأطلسي الذي أعطى لنفسه حق التدخل لمواجهة التهديدات والأزمات الخارجة عن الدائرة الأطلسية وجميع هذه التهديدات التي تمس بالأمن الأوروبي والأمريكي تجعل القوات الأطلسية تراقب توسع الأزمات والتهديدات، ولن تتوان في المستقبل التدخل في حالة ما إذا لاحظت أي تطور يمس بمصالحها(49).

علاوة على ذلك، فإن دول الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية، لا يزالان يعتقدان أن روسيا لا تزال تشكل تهديداً للأمن الأوروبي، ولذلك فإن القوتين سوف يواصلان عملهما بمراقبة التحركات الروسية العسكرية والأمنية، خاصة بالقرب من البحر الأسود. فروسيا سوف تحاول جاهدة بأن يكون لها منفذ حيوي في البحر الأسود، ولكن دول الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية لن يسمحا لها بأن يكون لها أي دور فاعل في المنطقة الأوروبية مستقبلاً، بل سوف يضيقان الخناق عليها عبر إدخالها في الحلف الأطلسي لكي لا يكون لها أي هامش من التحرك الذاتي بمعزل عن قوات الحلف الأطلسي(50).

**3-السيناريو الثالث: احتمال تمكن الولايات المتحدة من بسط نفوذها على أوروبا:**

بالرجوع إلى معطيات الواقع الدولي الجديد الذي أعقب تفكك الاتحاد السوفييتي، نلاحظ أن الولايات المتحدة الأمريكية قد تمكنت من إعادة ترتيب الحياة الدولية وفق مصالحها الاستراتيجية من دون أن تنافسها أية قوة دولية.

أما منطقة أوروبا، فإنه يمكن القول، إن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تضاعف من اهتمامها بها في المستقبل، وسوف يؤدي ذلك إلى إفشال المشروع الأوروبي الوحدوي في التوسع نحو مناطق النفوذ خاصة المناطق العربية لاعتبارات أساسية تتمثل في مقدرة الولايات المتحدة الأمريكية على إدارة الأزمات وحل المشكلات وفي توافرها على وسائل الردع القادرة على التأثير على دول الاتحاد الأوروبي.

وبالرجوع إلى واقع العلاقات الأوروبية العربية، فإن الملاحظ أن هذه الدول أصبحت لا تعول كثيراً على دول الاتحاد الأوروبي في المجال الاقتصادي حيث تحافظ دون الاتحاد الأوروبي على علاقاتها التجارية التقليدية ولكن العلاقات السياسية والعسكرية، فإنها تميل إلى الولايات المتحدة الأمريكية أكثر ما تميل إلى دول الاتحاد الأوروبي.

علاوة على ذلك، فإن الولايات المتحدة الأمريكية استطاعت إبعاد دول الاتحاد الأوروبي من أن يكون لها علاقات عسكرية واسعة مع الدول العربية وتضاعف الاهتمام العسكري الأمريكي بالدول العربية تحديداً عقب التفجيرات التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية في 11 من سبتمبر عام 2002، فهذا الحدث الدولي زاد تعزيز الولايات المتحدة الأمريكية لمكانتها وهيمنتها الدولية، بينما زاد تراجع دول الاتحاد الأوروبي من التأثير في الحياة الدولية وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية

تتخذ مبادرات دولية من دون الرجوع إلى استشارة شركائها الأوروبيين، وأغضب ذلك دول الاتحاد الأوروبي، خاصة فرنسا، التي رأت أن الهيمنة الأمريكية سوف تؤثر على الكيان الأوروبي وعلى علاقاته الدولية.

يمكن القول أنه بعد التفجيرات التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية أن المشروع الأوروبي سوف يتراجع لحساب المشروع الأمريكي لاعتبارات كثيرة ذكرها وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد نذكر منها(51):

1-تضاعف الاهتمام الأمني والعسكري الأمريكي بمنطقة أوروبا بحيث أعطيت تعليمات عسكرية للأسطول السادس للتأهب والاستعداد الكامل لمواجهة التهديدات الأمنية التي تواجهها الولايات المتحدة الأمريكية.

2-تعزيز الأساطيل الحربية للحلف الأطلسي بأجهزة عالية الدقة لمراقبة أي تحرك بحري يمكن أن يستهدف المصالح الأمريكية أو الناقلات الحاملة للنفط التي تجوب أعالي البحار في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي.

فإن الاعتبارات الأمنية المذكورة، تعطينا انطباعاً، أن دول الاتحاد الأوروبي المتذمرة من السياسة الأمريكية الجديدة لمرحلة ما بعد 11 سبتمبر سوف لن يكون لديها أي وسائل لمواجهة الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك لأن الولايات المتحدة الأمريكية جعلت من حوادث 11 سبتمبر ذريعة لبسط نفوذها على مناطق العالم، وبالتالي فإنها استطاعت أن تحتوي الدول الأوروبية التي كانت تتخوف من أنه يمكن أن يكون لها نفوذ مستقبلي في المنطقة الأوروبية، وها هي تجد الفرصة مواتية لها لتعيد ترتيب أدوارها الأمنية والعسكرية والاقتصادية في المنطقة الأوروبية بحجة مواجهة التهديدات الإرهابية العالمية.

الملاحظ كذلك أنه بعد التفجيرات التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية، عاد مفهوم الأمن العسكري كمحدد رئيسي في السياسة الأمريكية الجديدة

وأصبحت تصريحات المسؤولين الأمريكيين على رأسهم الرئيس الأمريكي جورج بوش ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد ووزير الخارجية كولين باول ومستشارة الأمن القومي كونداليزا رايس تتحدث عن الحرب والردع العسكري والحرب السرية وقد زادت ميزانية الدفاع الأمريكية من 330 مليار دولار عام 2002 إلى 453 مليار دولار عام 2003(52) بدافع مواجهة التهديد الجديد المتمثل في ما يسمى (بالإرهاب الدولي).

فمثل هذه المؤشرات الجديدة في السياسة الأمريكية من شأنها أن تزيد في قدرة الولايات المتحدة الأمريكية على بسط نفوذها على العالم. كما أن دول الاتحاد الأوروبي لن يكون بمقدورها منافسة الولايات المتحدة الأمريكية عسكرياً وأمنياً، وبالتالي فهذا سوف يؤثر على مشاريعها الأمنية والعسكرية في منطقة أوروبا.

يتضح مما تقدم أن المسار المستقبلي للتنافس الأوروبي –الأمريكي- سوف يكون له انعكاسات على المنظومة الأمنية للدول العربية المتوسطية، حيث اتضح أن ما ترمي إليه الولايات المتحدة الأمريكية ودول الاتحاد الأوروبي ليس حل مشاكل المنطقة المتوسطية وإيجاد حلول عاجلة لها، وإنما إدخال المنطقة العربية المتوسطية في أحلاف عسكرية وأمنية واقتصادية تبقيها تابعة للقوى المتنافسة على المنطقة أمنياً وعسكرياً واقتصادياً.

وما يمكن أن نصل إليه مما تقدم، أن التنافس بين القوتين يندرج في إطار التنافس الدولي بين القوتين على وضع الترتيبات للنظام الدولي الجديد لمرحلة ما بعد الحرب الباردة، حيث تحاول كل قوة احتواء دول المنطقة عسكرياً واقتصادياً.

علاوة على ذلك، وجدنا أن دول المنطقة العربية لم يكن أمامها خيار آخر غير التقرب من إحدى الكتلتين المتنافستين –أي الولايات المتحدة الأمريكية أو دول الاتحاد الأوروبي- ووجدنا أن المنطقة العربية المتوسطية أصبحت منطقة تميل

للطرف الأمريكي أكثر ما تميل للطرف الأوروبي، وهذا لأن هذا الأخير -أي الطرف الأوروبي- لم يحقق لها مطالبها التي اقترحتها على دول الاتحاد الأوروبي في أثناء انعقاد لقاء برشلونة الأوروبي المتوسطي، خاصة مطالبها الاقتصادية بتقديم مساعدات مالية وتجارية عاجلة لها لإنعاش اقتصادياتها المنهارة، ولذلك وجدت الدول العربية أن مصلحتها مع الولايات المتحدة الأمريكية وليس مع دول الاتحاد الأوروبي.

ومع ذلك فإن الدول العربية التي عولت على دول الاتحاد الأوروبي لكي يكون شريكها الرئيسي في عملية السلام في الشرق الأوسط، تحاول أن تبقي علاقاتها معه خاصة في المجال الاقتصادي والسياسي، مع أنها تعرف أن تقربها من دول الاتحاد الأوروبي لن تستفيد منه أكثر، لأن الولايات المتحدة الأمريكية استطاعت احتواء دول الاتحاد الأوروبي خاصة بعد الحوادث التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية في 11 سبتمبر عام 2002 حيث أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب على ما أسمته بالإرهاب الدولي، وأعلنت معظم الدول العربية مساندتها ودعمها للولايات المتحدة الأمريكية في حربها الجديدة.

من هنا وجدنا أن المسار المستقبلي للتنافس الأوروبي الأمريكي لا يخدم المصالح العربية المتوسطية بقدر ما يبقي المنطقة رهينة للمصالح الأمريكية في المنطقة المتوسطية.

بعد مضي عام ونصف على أحداث الحادي عشر من أيلول عام 2001م في نيويورك، لا بدّ من وقفة يسترجع فيها المشاهد تلك الأحداث، ليقوم بتقييم لها، ويتعرف على بعض حقائق مسبباتها، وعلى بعض من أسرارها، التي تحصلت لديه من الأبحاث والدراسات الإقليمية والدولية التي نشرت عنها. كما يتطلب منه استخدام تفكيره في فك بعض من رموزها، لعله يصل إلى بعض النتائج، التي توصله إلى القليل من الحقيقة، التي ستغيب عن العالم سنوات قد تمتد عشرات السنين أو أكثر.

فالحقيقة الكاملة لا تظهر إلا بعد مرور زمن طويل، وقد لا تظهر مطلقاً، حيث ستبقى في عالم الغيب، وسراً من أسرار صنّاع الحدث، قد يكونون في هرم السلطة وطبعاً مع أجهزتهم الأمنية المتعددة الأغراض في صناعة أحداث كما وقع في نيويورك وواشنطن في الحادي عشر من أيلول 2001م.

فليست كل الظواهر التي تنشأ مع الحدث مباشرة حقائق، بل هي ظواهر تخفي في طياتها ما هو أدهى وأمر، مما ظهر للرائي أو المستمع أثناء وقوع الحدث، فكثير من وظائف وأهداف الحدث الآنية توظف بعد وقوع الحدث، لتحقيق الهدف الرئيسي من صناعته. ثم تبقى بعد ذلك حقيقة صناعته وشخوصه وطرائق تنفيذه سراً، قلنا إما تكتشف أجزاء منه، أو لا تكتشف، إلا إذا حدث تصدع أو تمرد بين مجموعة صانعيه، فيمكن معرفة الحقيقة أو جزء منها.

إلا أن حدثاً هاماً في تاريخ العالم، كالذي حدث في نيويورك وواشنطن، أدى إلى حدوث تغيرات في مجرى تاريخ الأمم، يتطلب من كل باحث أو محلل أو مهتم بعلم تاريخ الشعوب، أن يتقصى الحدث بكل أبعاده، ليتمكن من الوصول إلى معرفة

الحقيقة أو جزء منها. وأن يقوم بالتقاط أجزاء من هنا أو هناك مما حدث، حتى يتمكن من رسم الشكل الأولي للصورة المقاربة لبعض من الحقيقة، ريثما يظهر الزمن الحقيقة كاملة أو القسم الأعظم منها.

ولقد علمنا التاريخ أيضاً، أن كثيراً من المؤامرات والجرائم، التي تحيكها، وترتكبها دول طامعة في ثروة أرض أو فرض هيمنة على بلد آخر، تقوم بحبك خيوطها، وتنفذها، وتتهم الآخرين بها، سواء أكانوا دولاً أو أحزاب ومنظمات أو جماعات من المعادين لها. حتى وإن ضحت بجزء من مواطنيها أو جنودها أو عتادها، أو حتى تضحي بقسم من منشآتها في سبيل هدف ترمي لتحقيقه. وبعد تقوم بحسابات التوازن بين الربح والخسارة. وتاريخ الإدارات الأمريكية وأجهزتها الأمنية، وحليفتها الحركة الصهيونية وجهازها السيِّئ الصيت الموساد حافل بتلك المؤامرات القذرة.

وفي هذه القراءة الأولية، نسعى للبحث عن الجزء اليسير من معرفة الحقيقة، من خلال ما توفر لدينا من معلومات عمّا حدث في الحادي عشر من أيلول 2001م في الولايات المتحدة. حتى نتمكن من تحليل بسيط لخلفيات هذا الحدث، وعن المستفيد منه، والتوظيفات التي تمت لاستثماره من قبل القوى الإقليمية والدولية، ولتحويله إلى رأس مال تباع وتشترى من خلاله الكثير من القضايا الدولية، وفي مقدمتها قضايا العرب والمسلمين.

فالحدث من حيث الشكل الذي تم به، وبهذا الحجم والدقة في الإصابة لأهدافه ليس بالأمر السهل، وتنفيذه بما خطط ورسم له، يصعب على دول كبرى القيام به. فمكان الحدث هو الولايات المتحدة، وهي أقوى دول العالم مالياً وعسكرياً واقتصادياً، والتي تملك أرقى وأحدث وسائل المراقبة والتجسس الجوية والأرضية، مما يسمح لها بالتجسس على العالم كله. إضافة إلى أن لديها شبكات من

الجواسيس والعملاء، تعم المعمورة براً وبحراً وجواً، وهي تفتخر بأن لديها مخابرات مركزية (سي. آي. أى) يحيط بعملائه وأجهزته كل دول العالم. وهي تملك تاريخاً بصناعة المؤامرات من تغيير أنظمة، وتنصيب أخرى على السلطة، وتدرب جيوشاً من التنظيمات في مختلف القارات، لتحقيق أهدافها من تفجير الصراعات العرقية والطائفية والقومية، وتدبر الاغتيالات السياسية لكبار المسؤولين في العالم، وتصنع الحروب وبؤر التوتر في أنحاء المعمورة، وتتنصت على غرف نوم قادة وزعماء حكومات، وتشارك في كل الخبائث، ولديها من وسائل المراقبة والرصد والتجسس، مما يسمح لها أن تعرف معظم ما يجري في العالم كله.

*** من صنع أحداث الحادي عشر من أيلول /سبتمبر 2001م؟**

في مقابلة صحفية تمت للرئيس السابق للمخابرات الألمانية (إيكهارت فرتباخ)، عن رؤيته عما حدث في نيويورك وواشنطن، وتحليله لقدرة مجموعة صغيرة من تنظيم القاعدة التابع لأسامة بن لادن في صناعة هذه الأحداث الضخمة. استبعد أن يقوم بها أي تنظيم، بل في رأيه لا يمكن أن تنفذه إلا دول متقدمة ومتطورة، وقال:

(إن هجمات 9/11 كانت تحتاج إلى سنوات من التخطيط. وحجمها يبين أنها نتيجة لأعمال تنظمها دول)(1).

فالاختراق للولايات المتحدة بهذا الحجم الضخم، ليس من السهولة بمكان، وخاصة لتنظيم كتنظيم القاعدة، كما تدعي الولايات المتحدة وأجهزتها الأمنية، أو كما يدعي قادة القاعدة عبر أشرطة فيديو، تبث من قناة الجزيرة القطرية. فتنظيم القاعدة لا يضاهي لا في الشكل ولا في المضمون أجهزتها الأمنية، سواء أكان في الحجم أو الإمكانات أو القدرات المادية والتقنية وغيرها، فلا توجد مقارنة ولا بأي نسبة كانت.

إضافة أن الموقع الجغرافي للولايات المتحدة المطوق بالمحيطات، لا يسمح بهذا الاختراق السهل. وهذا الموقع المحصن جغرافياً أفشل محاولات أعدائها من الدول العظمى في الحربين العالميتين الأولى والثانية من الوصول إلى برها. وطالما تغنى الأمريكيون بالأمن من خلال موقعهم الجغرافي. الذي صعب حتى على هتلر اختراقه في الحرب العالمية الثانية، أو حتى الوصول إلى شواطئها. وكان ولا زال سوراً أمنياً مانعاً، يحمي الولايات المتحدة من أي هجوم بري محتمل.

كما إن قواعدها العسكرية مزروعة في دول عدة على امتداد المعمورة، لا يسمح بحدوث ما حدث، إلا عبر تقنيات متقدمة جداً، وخدمات لوجستية ومخابراتية هائلة، سواء في داخل الولايات المتحدة وخارجها، حتى يتم تنفيذ عمليات بهذا الحجم الضخم، الذي حدث في الحادي عشر من أيلول.

وبما أن ما حدث في الحادي عشر من أيلول لا تستطيع القيام به أي دولة من الدول المتقدمة اليوم، والتي تناطح الولايات المتحدة بامتلاكها القدرات العسكرية والاقتصادية والمخابراتية. فكيف بابن لادن وإمكانياته المتواضعة أمام الولايات المتحدة ومن خلفها الحلف الأطلسي بإمكاناته الهائلة، يقوم بهذا العمل دون غطاء داخلي، وتسهيلات من أجهزة الرصد الاستخباراتي للولايات المتحدة؟.

ولدلالة على توفر غطاء مخابراتي من قبل أجهزة أمنية أمريكية وغيرها، أو من أجهزة استخبارتية دولية تعمل في الولايات المتحدة عدم استغلال عامل الزمن لمنع مسلسل الأحداث. حيث نرى أن فارقاً زمنياً بين الطائرتين اللتين اصطدمتا في مركز التجارية الدولية في نيويورك يزيد على ثلث الساعة، ووجود فترة زمنية ثانية، بين الطائرة الثانية التي صدمت برج مركز التجارة الدولية، وارتطام الطائرة الثالثة بالبنتاغون في واشنطن المحصن تحصيناً بالغاً.

فأين غابت تلك القوة الهائلة من القوات المسلحة والأجهزة الأمنية المكلفة برصد الخطر عن بلادها عن منع بقية الطائرات من التنفيذ بعد ارتطام الطائرة الأولى بمركز التجارة الدولية؟ وكيف لم تستغل القوات المسلحة والأمنية هذا الوقت في درء الخطر بعد الضربة الجوية الأولى؟ ولماذا ترك هذا الزمن لتنفيذ مخطط الجريمة؟

والسؤال الآخر الذي يخطر على البال اليوم بعد مضي أكثر من عام، أين الصناديق السوداء لتلك الطائرات، التي قامت بضرب مركز التجارة العالمي والبنتاغون؟ فمن المعروف لدى الجميع أن تلك الصناديق لا تتأثر لا بحريق أو ماء بحر أو غيرها. لماذا لم يعلن عن وجودها؟ وما هي المعلومات التي احتوتها أشرطتها؟. فحتى تاريخ هذا اليوم لم تعلن الولايات المتحدة عن اكتشاف تلك الصناديق السوداء، بل لم تقل عنها شيئاً!!. فما مصير تلك الصناديق؟ وأين هي الآن؟ ولماذا التكتم عليها من قبل الإدارة الأمريكية؟.

*** الحدث فوق طاقة تنظيم القاعدة أو غيره**

إن ما حدث في الحادي عشر من أيلول في نيويورك وواشنطن، حسب كل الخبراء من عسكريين واستراتيجيين وباحثين في كل أنحاء العالم، يستغرق إعداده عدة سنوات. فكيف لم يكتشف خلال الإعداد له، الذي قدر بعدة سنوات؟ وكيف يكتشف بعد التنفيذ مباشرة وبساعات قليلة؟ حيث اتهمت الإدارة الأمريكية بعد ساعات من الحدث تنظيم القاعدة وزعيمه أسامة بن لادن، بالهجمات التي أصابت برجي مركز التجارة العالمي ووزارة الدفاع (البنتاغون).

فالذي يتمكن من معرفة القائم بالعملية خلال ساعات، ويمتلك القدرة الدقيقة في معرفة الفاعل، وبسرعة مذهلة! أليس بالأحرى أن يكتشف عمليات التخطيط له، الذي استغرق سنوات؟.

أليس من الغريب أيضاً أن يطلب وزير الدفاع رامسفيلد من الإدارة العسكرية بعد خمس ساعات من الأحداث، وضع خطة لضرب العراق(2)، وكأن وزير الدفاع يترقب هذا الحدث، فيسرع بالاستفادة الفورية من نتائجه، فيضع جدولاً لتوظيف الحدث تنظيم القاعدة وأفغانستان ومن ثم العراق!!

ولما أطلقت على دول معينة العراق وإيران وكوريا الشمالية دول محور الشر؟ وهؤلاء ليس لهم أية علاقة بين الحدث لا من قريب أو بعيد، كما نشرت السلطات الأمنية الأمريكية عن مرتكبي الحادث، إلا لنوايا مبيتة ومرسومة مسبقاً، ثم تختار سبع دول أخرى أسماها الرئيس الأمريكي بالدول المارقة وهي (العراق وسوريا وإيران وليبيا والسودان وكوبا وكوريا الشمالية) بذريعة أنها تهدد الولايات المتحدة على زعمه، هل جاءت التسمية عبثاً أم لتصفية حسابات من دول نهجت نهجاً وطنياً مستقلاً غير تابع لها؟.

وعقب الحدث شنت وسائل الإعلام الغربية المشبوهة حملة على الإسلام، تتهمه بأنه مستودع يفرخ الإرهابيين، وبأنه يعلم اتباعه كراهية الغرب، وأنه خطر على ديمقراطية الغرب.

ولكن لمعرفة المجرم الحقيقي صانع الحدث، لا بد من العودة إلى بدهيات قانون اكتشاف الجرائم، الذي يقول: (لمعرفة المجرم أبحث عن المستفيد). فمن هو المستفيد من نتائج هذه الأحداث سوى الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني!!؟ فالإسلام المتهم، لم يستفد منه، بل تمت محاصرته، وأخذت بلدانه على حين غرة.

وقد فوجئت به كافة الدول الإسلامية بما فيها حكومة طالبان في أفغانستان، التي يتواجد فيها أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة. والمتابع لسير التداعيات العسكرية والسياسية بعد الأحداث، قد شاهد أن الاستغراب والاستنكار لما حدث، كان بادياً على جميع تلك الدول والمؤسسات الروحية والمدنية الإسلامية، لما جرى في نيويورك وواشنطن.

وهذا ينفي التهمة عن الإسلام والمسلمين. وإن كان تنظيم القاعدة بزعامة بن لادن تورط به، كما تدعي أشرطة قناة الجزيرة القطرية على لسان أسامة بن لادن وكبار تنظيم القاعدة، أو أشرطة بعض المنفذين، "وحتى وإن كانت ملفقة، فالتقنيات الحديثة في علم الصوتيات والتصوير قادر على خلق مثل هذه الأشرطة" فمن المؤكد أنه تم استغلال القاعدة لتنفيذ الحدث، سواء علمت، أو لم تعلم بهذا الاستغلال. وإنها كانت تقوم بهذا الحدث برعاية وتسهيلات ومراقبة أجهزة الأمن الأمريكي والصهيوني.

فالمستفيد كما أشرنا، وسنبينه فيما بعد هو الولايات المتحدة والكيان الصهيوني، وفق معادلة قانون الربح والخسارة لدى الرأسماليين والتجّار والحركات العنصرية وسياسي الغرب. فبالنسبة للولايات المتحدة الربح أكبر وأعظم من خسارة برجين وقسم من البنتاغون. أما عن الضحايا لا يهتم بهم من صنع، وشارك، وغطى الحدث، أمام تحقيق أرباح سياسية وعسكرية واقتصادية وثقافية.

والمستفيد الرئيسي الثاني من الحدث الكيان الصهيوني، فقد عادت له الأحداث بمكاسب كبيرة، سواء بتغطيتها للجرائم الهائلة، التي يرتكبها بحق الشعب العربي الفلسطيني وأرضه، أم في صرف أنظار الرأي العالمي عن هذه الجرائم. كما أتاحت له فرصة لصق تهمة الإرهاب بالمقاومة الفلسطينية.

*** دروس من تاريخ الولايات المتحدة في صناعة أحداث لتستفيد منها.**

والتاريخ كما قلنا أعلاه علمنا الكثير حول صناعة المؤامرات والجرائم، التي ترتكبها وتحيكها الدول الكبرى الطامعة بثروات غيرها، ومن ثم إلصاقها بالآخر. وتاريخ المخابرات المركزية الأمريكية أو الموساد الصهيوني حافل بمثل تلك الجرائم، ومن ثم إلصاقها بالعرب وغيرهم من الشعوب المناهضة للهيمنة والمشروع الصهيوني. ففي مسألة الربح والخسارة يدقق كلاهما في المسألة، وحين يتبين لهما أن الربح كبير، فلا يمتنعان عن تنفيذ أي جريمة أو مؤامرة، وإن كانت تتطلب التضحية بجنودهما أو مواطنيهما.

فالولايات المتحدة لها باع طويل في صناعة مؤامرات وأحداث، واتهام الخصوم بها، فالتاريخ يتحدث عن قصص حدثت من قبل، جرى فيها قتل وحرق وتدمير لمنشآت وآلات حربية من قِبلها، ومن ثم تقوم باتهام الآخرين بها. فمنذ النشأة الأولى لها، تمت إبادة الهنود الحمر تحت ذرائع واهية كاذبة. كما قام بعض البحارة الأمريكيون في عام 1898 بحرق سفينة الماين، وقتل 266 بحاراً فيها من زملائهم البحارة الأمريكيين، واتهموا الأسبان بها بغية إشعال حرب معهم للسيطرة على الجزيرة الكوبية، التي كانت مستعمرة من قبل أسبانيا وفرض الحماية الأمريكية عليها.

وحروب السنوات الأربع في بداية القرن التاسع عشر مع دول المغرب العربي، تمت هي الأخرى بنفس الطريقة، والقصص كثيرة عن ممارسات الولايات المتحدة في صنع جرائم واتهام الآخرين، بغية هدف رسمته، لتحقق من خلاله أرباحاً تعادل عشرات المرات من خسارتها. وكذلك الحركة الصهيونية فتاريخها حافل بمثل تلك الجرائم، واتهام الآخرين بها، حتى وإن كانت تلك الجرائم تودي بحياة المئات من اليهود.

*** من الشواهد على تصنيع الحدث**

ومن الدلائل القليلة التي توفرت بعد عام من أحداث أيلول 2001، قد اعترفت الإدارة الأمريكية يوم الخمس 19 أيلول 2002 في ردها على الكونغرس الأمريكي، بأنها كانت على علم بالتهديدات التي يشكلها أسامة بن لادن قبل 11 أيلول عام 2001. وادعت أنها لم تكن تملك ما يكفي من المعلومات الاستخباراتية الدقيقة للحؤول دون وقوع الهجمات على نيويورك وواشنطن.

واعترفت في ردها، أن أجهزة الاستخبارات الأمريكية تلقت عشرات التحذيرات، بشأن إمكانية حصول هجوم، لكنها تجاهلتها. وهذا ما أكده ريتشارد ارمتياج نائب وزير الخارجية في شهادته المكتوبة أمام اللجنة المؤلفة من مجلسي الشيوخ والنواب، واعترف أن أجهزة الاستخبارات الأمريكية تلقت العشرات من التحذيرات، تشير إلى إمكانية استخدام الطائرات كسلاح.

وبرر عدم اتخاذ الإجراءات الأمنية المطلوبة، قائلاً: (لكن أيّاً من تلك التحذيرات لم يتنبأ بهجمات الحادي عشر من أيلول).

وادعى (أن ما لم نعلمه كان على المستوى التكتيكي، لم نكن نعلم ما هي الأهداف التي ينوي تنظيم القاعدة مهاجمتها، ومتى وكيف؟)(3).

وكانت السيدة اليانور هيل رئيسة لجنة التحقيق الذي يجريه الكونغرس حول إخفاقات أجهزة الاستخبارات، قد قدمت تقريراً للجنة يوم الأربعاء 18 أيلول 2002 من ثلاثين صفحة، أكدت فيه أن هذه الأجهزة، كانت على علم بخطر وقوع هجمات، تستخدم فيها طائرات مدنية قبل هجمات 11 أيلول 2001. لكنها اعتبرت تلك الأجهزة أن هذا الخطر ليس كبيراً.

ومن المعلومات المثيرة التي أوردتها السيدة هيل في تقريرها، أن المعلومات الأولية حول احتمال شن هجمات بالطائرات، يعود إلى عام 1994، حين خطف مسلحون جزائريون طائرة تابعة للخطوط الجوية الفرنسية، وهددوا بتفجيرها في برج أيفل.

وقالت إنه في عام 1995 داهمت الشرطة الفيليبنية شقة في مانيلا، وعثرت على وثائق تفيد عن مؤامرة لصدم طائرة في المركز الرئيسي لوكالة الاستخبارات المركزية قرب واشنطن. وأحد واضعي الخطة كان رمزي يوسف الذي اعتقل وأدين في تفجير مركز التجارة العالمي عام 1993. أما الثاني فهو خالد الشيخ محمد، الذي يعتقد المسؤولون الأمريكيون أنه العقل المدبر لهجمات 11 أيلول.

وجاء في التقرير أن أجهزة الاستخبارات تلقت تقريراً في كانون الثاني عام 1996 من مصادر يعتد بها، يفيد عن تخطيط تنظيم القاعدة لعملية تقضي بانطلاق طائرة من أفغانستان إلى الولايات المتحدة، وتصطدم بالبيت الأبيض. وفي عام 1997 تلقت أيضاً تقريراً بأن مجموعات إرهابية اشترت طائرات، لتضرب بها مبان في الولايات المتحدة. وفي آب 1998م تلقت تقريراً يفيد بأن نشطاء عرب، يخططون لقيادة طائرة محملة بالمتفجرات من بلد أجنبي، وصدمها بمركز التجارة الدولي. وفي أيلول من نفس العام علمت الأجهزة أن ابن لادن، يخطط لتفجير طائرة في إحدى المطارات الأمريكية. وبعد أسابيع وردت معلومات، تفيد أن ابن لادن سيستهدف مركز التجارة الدولي.

وفي شباط 2001 وردت معلومات، أن ابن لادن سيضرب في الأشهر المقبلة، وأن الهجوم سيكون في نيويورك وكاليفورنيا.

وفي نيسان 2001 وردت معلومات أن ابن لادن مهتم باستخدام طائرات تجارية للقيام بهجمات في الولايات المتحدة. وفي أيار وحزيران من العام نفسه ورد /23/ تقريراً، أفادت جميعها أن الهجوم وشيك. وفي نهاية صيف عام 2001 أكدت معلومات للمخابرات الأمريكية المركزية أن تنظيم القاعدة، يستعد لشن هجوم في الولايات المتحدة. وفي 10 أيلول 2001م رصدت أجهزة الاستخبارات مكالمتين هاتفيتين تتحدثان عن هجوم وشيك، ولم تترجم المكالمتين إلى اللغة الإنكليزية إلا في 12 أيلول 2001(4).

*روايات تحمل كثيراً من الثغرات عن دور تنظيم القاعدة في الحدث من المفارقات التي تدعو إلى إعادة صياغة الأحداث بشكل تسلسلي، حتى يتبين للباحث أن أصابع المخابرات المركزية غير بعيدة عن صناعة الأحداث، من خلال المشاركة والتسهيلات اللوجستية، وغض الطرف والحماية، وعدم منع الحدث قبل وقوعه. فمن بعض المواقف التي تدعو للشك، فنرى أن زياد الجراح أحد المتهمين في تنفيذ هجمات 11 أيلول هو من المطلوبين من قبل الأجهزة الأمنية الأمريكية، يتم توقيفه بناء على طلب تلك الأجهزة في مطار دبي عام 1998، وهو في طريقه إلى لبنان، ومن ثم يسمح له بالسفر بعد اتصال مسؤول أمريكي في المخابرات المركزية.

أما خالد المحدار أحد أبرز منفذي الأحداث، فقد عممت الأجهزة الأمنية الأمريكية على مطاراتها وحدودها وسفارتها، بأنه رجل خطر على الولايات المتحدة الأمريكية، فإذا به يدخل إلى الولايات المتحدة بتأشيرة دخول أمريكية، ويتم التغاضي عنه في المطار، وتم ذلك قبل وقوع الأحداث بثلاثة أسابيع. وادعت المخابرات المركزية الأمريكية أنها علمت به، ولكنه فر من مراقبتها.

وزكريا الموسوي الفرنسي الجنسية المغربي الأصل، تعلم المخابرات المركزية بأنه حسب ما توفر لديها من معلومات من قبل الأجهزة الأمنية الفرنسية والغربية،

بأنه كان يعد لعمل ضد المصالح الأمريكية. لكنه يدخل للولايات الأمريكية بأمان، وحين تطلب بعض الأجهزة الأمنية من إدارتها تفتيش جهازه الحاسوب (الكومبيوتر)، تتدخل الإدارة الأعلى في الأجهزة، وتمنعها من التفتيش(5).

ومن الدلائل على صناعة الحدث من قبل الأجهزة الأمنية، أن عميلاً للمخابرات يدعى (فينكس) يعمل في ولاية اريزونا، قدم مذكرة إلى المخابرات المركزية، بين فيها ازدياد العرب الذين يدرسون الطيران. وتقدم بتقرير في 2 تموز من عام 2001 حذر المباحث الفدرالية من حملة هجومية جوية على أمريكا. كما حذرت المخابرات المركزية في 6 آب 2001 من هجمة على الولايات المتحدة ستتم لها علاقة بالطيران.

ومن السخرية أن يبرر أحد المسؤولين في المخابرات المركزية مرور المكلف بحمل السكاكين إلى الطائرة المختطفة من بوابة التفتيش، التي تنذر لوجود إبرة لا سكين من دقتها، دون أن يتم تفتيشه، ومن ثم إيقافه من قِبل رجال الأمن في المطار. فيبرر هذا المسؤول عملية المرور دون تفتيش قائلاً: لقد أنذرت أجهزة التفتيش عند مرور حامل السكاكين البوابة، إلا أن مرور فتاة جميلة في نفس اللحظة، سحرت عينا الحارس وبقي ملتفتاً عليها، مما جعلته يسمح له بالدخول دون تفتيش، وبركوب الطائرة. هل هذا معقول؟(6). إلا في العرف الأمريكي، الذي يجد مبررات له، وإن كانت تافهة.

الاكتشاف الأول عقب الحدث مباشرة عن علاقة القاعدة بهذا الحدث من قِبل إف. بي. آي. يذكر بدخول عملاء من شبكة ابن لادن للولايات المتحدة الأمريكية، وأنهم تدربوا على قيادة الطائرات بصورة سريعة، وأنهم خطفوا الطائرات بعد أن تقسموا إلى مجموعات.

وفي 2001/9/14 أعلنت أسماء تسعة عشر بادعاء أنهم قاموا بعملية الخطف:
1-خالد المحدار (سعودي الجنسية). 2-ماجد مقعد (سعودي). 3-نواف الحازمي (سعودي). 4-سالم الحازمي (سعودي). 5-هاني حنجور. 6-سطام السقامي (سعودي). 7-وليد الشهري (سعودي). 8-وائل الشهري (سعودي). 9-محمد عطا (مصري). 10-عبد العزيز العمري (سعودي). 11-مروان الشحي. 12-فايز رشيد أحمد القعدي بني حماد. 13-أحمد الغامدي (سعودي). 14-حمزة الغامدي (سعودي). 15-سعيد الغامدي (سعودي). 16-أحمد إبراهيم الحزناوي (سعودي). 17-أحمد النعمي. 18-زياد الجراح.

وكذبت السفارة السعودية في واشنطن هذا النبأ، فقالت إن خمسة من هؤلاء هم أحياء، يقيم أربعة منهم في وطنهم، وهم: عبد العزيز العمري ومهند الشهري وسالم الحازمي وسعيد الغامدي، والخامس يعمل طياراً في خطوط الجوية المغربية وهو وليد الشهري يقيم في الدار البيضاء. ونفى الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية وجود أي دليل قدمته الولايات المتحدة عن علاقة السعوديين بهذا الحادث.

وتسأل تيري ميسان كيف تم اكتشاف أسماء هؤلاء الانتحاريين؟ قائلاً: (وإذا ما راجعنا اللوائح بأسماء الضحايا المنشورة من قبل شركات الطيران بتاريخ 13 أيلول، نفاجأ بعدم إدراج أسماء القراصنة عليها(7).

وذكر كل من وزير العدل جون اشكروفت ومدير جهاز أف. بي. آي روبرت مويلر في 2001/9/28، بأنه وجدت رسائل تتضمن تعليمات للانتحاريين في حقيبة، قد تركها أبرز قادتهم محمد عطا، ليتمكن من صعود الطائرة. وفق أقوال جهاز أف. بي. آي.

وقالوا أنهم وجدوا أيضاً نسخة مماثلة في حقيبة نواف الحازمي، تركها في مطار دالس، أما الأغرب ما تم ادعاؤه، هو أنهم وجدوا نسخة في بقايا الطائرة، التي تفجرت فوق ستوني كريك تانوتشيب في بنسلفانيا. والغرابة تأتي كيف تصمد ورقة تعليمات من الحريق، الذي أصاب الطائرة، في حين صهر الحريق الصندوق الأسود الذي لا يتأثر بالنيران!!؟.

أكذوبة من أكاذيب الأجهزة الأمنية الأمريكية والإدارة أيضاً، كما ادعت من قِبل أنها وجدت جواز سفر محمد عطا بين أنقاض برج التجارة الدولية، فكيف تنصهر الطائرة، والفولاذ الذي بني به البرجين، وبقي جواز سفر محمد عطا سالماً!!؟ من أي نوع صنع هذا الجواز!!؟ قد يكون صنع من مواد قد جلبت من حيث لا ندري!!.

**لنرى ماذا في تلك الورقة كما تدعي وزارة العدل وجهاز أف. بي. آي؟ فقد تضمنت التالي:**

1- عاهد نفسك على الاستشهاد وجدد نيتك به. احلق جسدك وطهره بماء الكولونيا. واستحم.

2- تأكد من حسن اطلاعك على جميع تفاصيل الخطة وكن مستعداً للرد المعاكس ورد فعل العدو.

3- اقرأ سورتي التوبة والأنفال تمعن بمضمونهما وفكر بكل ما وعد الله به الشهداء)(8).

## * القاعدة وفق الإعلام القطري والغربي تتبنى أحداث 11 أيلول 2001.

وفق الإعلام القطري (قناة الجزيرة) والإعلام الغربي الأمريكي، تم الادعاء بأن تنظيم القاعدة بزعامة أسامة بن لادن قد تبنى هجمات الحادي عشر من أيلول على نيويورك وواشنطن. هذا التبني وعلى الرغم من الأشرطة المفبركة والمصنعة، لا

يزال موضع شك لدى معظم المحللين العسكريين الاستراتيجيين والمراقبين للأحداث العالمية، بسبب ضخامة الحدث، والمتطلبات التقنية العالية لتصنيعه، وضرورات توفر إمكانات هائلة لتنفيذه بهذه الدقة كما بينا أعلاه.

وعلى الرغم من أكذوبة البنتاغون، الذي نشر شريط الاعترافات، التي قيل أن أسامة بن لادن أدلى بها في 2001/12/13. فقد جاء بث الشريط بعد إلحاح داخلي ودولي على الإدارة الأمريكية، لتقديم الأدلة عن تورط ابن لادن وتنظيم القاعدة بأحداث نيويورك وواشنطن. ومما يبين حالة التزوير والتلفيق للشريط، فقد جاء متطابقاً تماماً مع كل أكاذيب وزيف الإدارة الأمريكية وأجهزتها الأمنية، التي أعلنت عنها عقب الأحداث مباشرة، وكأن الإف. بي. أي. أو السي. آى. أي قد قامت بتلقين ابن لادن ما يقول في الشريط.

ثم تتالت الأشرطة التلفزيونية المسجلة لابن لادن وبعض من قيادة التنظيم ولأحد المنفذين في قناة الجزيرة القطرية عبر أشرطة مشكوك في مصدرها، وقيل إن مؤسسة تدعى (السحاب)، هي التي تقوم بالتسجيل والتصوير، ثم تقوم بإرسالها إلى قناة الجزيرة القطرية. لماذا قناة الجزيرة؟

والجواب لتنفي الإدارة الأمريكية عن نفسها عملية التزوير، وتقول إن مصدرها جاء من قناة عربية، ومن المعروف أن تنظيم القاعدة يضم في غالبيته من العرب وخاصة من أبناء الجزيرة العربية والخليج، ورأس التنظيم سعودي الجنسية، فتكون بذلك مصداقيتها لدى الرأي العام الغربي أكثر تصديقاً، من أن هي التي أذاعتها أو مصدرها الوحيد.

وكما قلنا لقد قدمت الأشرطة معلومات كل ما جاء فيها، كان متطابقاً مع الرواية الأمريكية تماماً. لتؤكد مصداقية ادعاءاتها باتهام تنظيم القاعدة بالمسؤولية عن أحداث الحادي عشر من أيلول. وكما أشرنا إن تقنيات العصر في صناعة وسائل التزييف والتحوير لتلك الأشرطة ممكنة لدول وأشخاص من هم أقل من إمكانيات الولايات المتحدة.

علماً أن أجهزة المخابرات المركزية بارعة في صناعة الأشرطة التلفزيونية المزيفة. فقد لعبت الأشرطة المزيفة دوراً هاماً في إثارة الرأي العام في رومانيا على تشاوشيسكو، حين أظهرت صوراً لجثث ضحايا، ادعت أنهم قتلوا على يد مخابرات تشاوشيسكو، ثم تبينت بعد تغيير النظام في رومانيا وإعدام تشاوشيسكو، أنها كانت ملفقة ومزورة. وكذلك تمت صناعة شريط من قبل المخابرات المركزية تصور صدام حسين يرقص مع الممثلة الأمريكية مادونا.

وفي حرب الخليج تم عرض فيلم لجنود عراقيين، يقومون بإلقاء الأطفال من حاضات من النوافذ في مستشفى كويتي، وفتاة تبكي، هي تروي كيف يقوم الجيش العراقي بهذه الأعمال الوحشية في الكويت؟. وتبين بعد ذلك أن الفتاة كانت تعيش في لندن مع أبيها سفير الكويت في واشنطن، ولم تكن في الكويت أثناء الاحتلال العراقي للكويت. كما صورت المخابرات المركزية فلماً لابن لادن نفسه وهو يقطع رؤوس معارضيه(9).

ويقول تيري ميسان الصحفي الفرنسي في كتابه (التضليل الشيطاني) عن شريط الاعتراف الذي أُذيع لابن لادن: (إن عميل ابن لادن لم يعمد فقط إلى تدعيم الأكذوبة القائلة أن انهيار البرجين تم بفعل الاحتراق، وأكذوبة سقوط الطائرة على البنتاغون، بل حرص على مجافاة البداهة. حقاً فإن الشريط ينتهي بهذا التعليق:

"كـانوا (أي الأمريكيـون) مـذعورين، وقـد ظنـوا أن الأمـر يتعلـق بـانقلاب سياسـي. "(صدق) عدو الولايات المتحدة رقم [1] وهو الذي يؤكد ذلك). (10).

وقد شكك ونفى الرئيس الباكستاني برويز مشرف في نيويورك، أثناء زيارة لها، إمكانيـة تنفيـذ مثـل هـذا الحـدث مـن قبـل تنظيم القاعـدة، لافتقـار تنظيم القاعـدة القـدرة على تنفيـذه، فقـال إنـه غير مقتنـع بـأن أسـامة بـن لادن، هـو الـذي كـان وراء أحداث الحادث عشر من أيلـول. وأكد لا يمكن لابن لادن، أن يكـون قـادراً على فعل هذا الأمر(11).

*** دلائل على أصابع الموساد**

لعب الكيـان الصهيوني دوراً بـارزاً في صنـاعة أحـداث نيويـورك وواشنطن، فقد كشـفت بعـض المعلومـات الـتي أعقبـت الأحـداث مباشـرة، عـن اعتقـال الشـرطة الفيدراليـة الأمريكيـة (أف. بي. أي) لخمسـة مـن الإسـرائيليين في مدينـة نيوجرسـي القريبـة مـن نيويـورك، للاشـتباه بعلاقـاتهم بـالتفجيرات الـتي جـرت في الحـادي عشـر مـن أيلـول 2001، واعترفـت صـحيفة هـاآرتس الصـهيونية أن الخمسـة المشتبه بهـم بـالتورط بالانفجـار، تم اعتقـالهم بعـد أربـع سـاعات مـن وقـوع التفجير في نيويـورك، أثنـاء قيـامهم بالتصـوير علـى سـطح بنـايـة الشـركة، الـتي يعملـون بهـا، بالتعـاون مـع صـاحب الشـركة الإسرائيلي أيضاً.

ونقلـت الصـحيفة عـن أحـد المعـتقلين قولـه: إن الشـرطة الفيدراليـة الأمريكيـة اسـتجوبتهم لمـدة ثلاثـة أيـام. في حـين حققـت معـه شخصـياً لمـدة أربـع عشـرة سـاعة متواصلة، خصوصـاً عـن انتمائـه لجهـاز الموسـاد الإسـرائيلي، بعـد أن تـبين أن لديـه الجنسية الإسرائيلية.

وأكـدت هـاآرتس نقـلاً عـن مصـادر الخارجيـة الإسـرائيلية، أن القنصـلية الإسـرائيلية في نيويـورك، تلقـت معلومـات مـن مكتـب التحقيقـات الفدراليـة

الأمريكية (أف. بي. أي)، حول ظروف الحادث، كما تستنكر السلوك الغريب بعد تفجير نيويورك، من قيام الإسرائيليين بالرقص والقهقهة ابتهاجاً بالانفجار المدمر. وأبلغ مكتب التحقيقات الأمريكية القنصلية الإسرائيلية، أنه سيتم طرد هؤلاء الإسرائيليين الخمسة من الولايات المتحدة، لتواجدهم فيها بشكل غير قانوني، ولعدم حصولهم على تصاريح عمل (12).

وكشفت صحيفة الوطن العمانية أن أكثر من أربعة آلاف إسرائيلي، يعملون في مركز التجارة الدولية، تغيبوا عن عملهم يوم الاعتداء على المركز، بناء على إيعاز من الحكومة الإسرائيلية. ونقلت الصحيفة عن مصادر دبلوماسية غربية قولها: إن عدم التحاق الإسرائيليين بأعمالهم يوم الهجوم، أثار شكوكاً لدى المسؤولين في الحكومة الأمريكية، الذين يحاولون معرفة كيف علمت الحكومة الإسرائيلية بخبر الهجمات بشكل مسبق، وإخفاء تلك المعلومات عن الحكومة الأمريكية.

وأكدت مصادر صحفية، أن التقارير الأخبارية الأولى التي وصلت من نيويورك، عقب الهجوم، أشارت إلى أن عدداً كبيراً من الإسرائيليين واليهود، يعملون في مركز التجارة العالمي، ولكن لم تذكر أية أخبار لاحقة شيئاً عن وجود إصابات بين الإسرائيليين واليهود. وهذا ما يثير الشكوك بشأن دور إسرائيلي في أحداث نيويورك وواشنطن(13).

وكشفت صحيفة ألمانية تصدر من هامبورغ تسمى (دي تسايت) في 2002/10/2 في تقرير لها من أربع صفحات عن ملف للمخابرات الفرنسية، أن الاستخبارات الإسرائيلية (الموساد) حذرت مسبقاً الولايات المتحدة بشأن مخططي هجمات 11 أيلول 2001. ويظهر من الملف الفرنسي أن الموساد كان يتتبع الخطوات العملية لتنفيذ هجمات الحادي عشر من أيلول. حيث قام باستئجار إحدى الشقق في بلدة هوليوود في ولاية فلوريدا لفريق من الموساد على مقربة من

شقة محمد عطا ومروان الشحي، ومن المعروف أن العطا هو أبرز المتهمين في قيادة الهجوم الجوي على مركز التجارة الدولية. وكان رئيس الفريق المخابراتي الصهيوني يدعى (حنان سيرفاتي)، كان يقيم قرب مركز البريد في هوليوود، حيث استأجرت مجموعة عطا صندوق بريد لها.

ومن القراءة الأولية لمجريات الأحداث، يطرح سؤال: -لماذا تواجد خمسة من الموساد الصهيوني على إحدى البنايات لتصوير الحدث قبل وقوعه، وانتشار ما يقارب المائة والخمسين من الموساد في أماكن الأحداث؟ ألا يدل هذا على امتلاك الكيان الصهيوني لمعلومات عن الحدث قبل وقوعه؟. هذا إن لم يكن مشاركاً فيه، أو من صنعه؟. ولماذا بعد ساعات قليلة تم اكتشاف اسم الفاعل (بن لادن)؟.

وتقول المخابرات الفرنسية في تقريرها: إن تلك الحقائق توحي بأن الموساد كان يراقب المجموعة، وإن الإسرائيليين قدموا للأمريكيين قبل أسابيع عدة من وقوع الهجمات لائحة بأسماء أشخاص موجودين في الولايات المتحدة، يشتبه في أنهم يعدون لهجوم إرهابي.

وانتهت عملية المراقبة التي كان يقوم بها الموساد، عندما اكتشف الأمريكيون وجود شبكة تجسس تابعة للموساد، التي كانت تضم 120 عميلاً، في 30 نيسان 2001، حيث اعتقلتهم واستجوبتهم قبل طردهم(14). ومن الملاحظات التي تثير الشك في ضلوع الكيان الصهيوني في أحداث الحادي عشر من أيلول عام 2001، أن هناك زيارة كانت مقررة لرئيس وزراء الكيان الصهيوني قبل يومين من الأحداث، وتم تأجيلها. وكذلك تأجلت زيارة وزير الدفاع الصهيوني كانت هي أيضاً مقررة للولايات المتحدة قبل الحدث بيومين. في حين نجد أن الوزير الصهيوني السابق أفرام سنيه، الذي كان في الولايات المتحدة وقت الأحداث، أقام غرفة عمليات في نيويورك بعد الأحداث، وهذا مخالف لكل الأعراف الدولية.

ومن الملاحظات التي تؤكد ضلوع الكيان الصهيوني في صناعة الحدث أيضاً، قيام عدد كبير من اليهود في الكيان الصهيوني ببيع أسهمهم من شركات الطيران الأمريكية قبل الأحداث بستة أيام، وقد جنوا بعدها أرباحاً هائلة بملايين الدولارات(15). وكشفت صحيفة هاآرتس عن تلقي مؤسسة (أوديجو) الصهيونية، وهي مؤسسة تعمل في مجال البريد الإلكتروني إنذاراً بقيام هجوم على مركز التجارة الدولية في نيويورك قبل ساعتين من حصول الهجوم، وقد اعترف مدير المؤسسة (ميشا ماكوفر) بحصول مؤسسته على مثل هذا الإنذار(16).

ومن الأبحاث الجديدة لبعض خبراء حوادث الطيران حول أحداث الحادي عشر من أيلول. فقد رأى بعض الباحثين المصريين ومنهم المستشار الدكتور حسن أحمد عمر الرئيس السابق في محاكم الاستئناف المصرية، أن هناك تشابهاً بين الانفجار الذي حدث وانفجار الطائرة الإسرائيلية في امستردام الهولندية يوم الأحد 1994/11/4، والتي كانت تحمل غازاً ساماً منقولة من نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية إلى مطار تل أبيب في الكيان الصهيوني. حيث وقفت تلك الطائرة في مطار امستردام للتزود بالوقود، وحين إقلاعها انفجرت، وسقطت على حي سكني في العاصمة الهولندية، أدى الحادث إلى مقتل (250) شخصاً من أهالي الحي المذكور، إضافة إلى ركاب الطائرة. وبقي الأمر غير معروف حتى كشفته الصحف الأوربية والصهيونية، وبينت أن الطائرة محملة بالغاز السام (أويسيد فلوفستاتنيك).

والعلاقة ما بين حوادث نيويورك وامستردام، هو التشابه في الاحتراق الكامل للطائرة. حيث أن الغاز المذكور الذي كانت تحمله الطائرة الصهيونية، يذيب الألمنيوم الذي صنعت منه الطائرة، والفولاذ أيضاً، بسبب الحرارة الشديدة التي يطلقها الغاز بعد الانفجار، فهو يصهر الطائرة بالكامل.

فالطائرات التي أذيعت بأنها قامت بعمليات التفجير على مبنيي التجارة الدولية في نيويورك، ومبنى البنتاغون في واشنطن، والتي أسقطت في بنسلفانيا، قد احترقت بالكامل. فلو فرضنا أن الطائرات التي ارتطمت بمركزي التجارة الدولية والبنتاغون، تمت إذابتها بفعل الاصطدام، فالطائرة التي أسقطت في بنسلفانيا لماذا احترقت وذابت؟ وإن لم يكن قد حملت هي والطائرات بالغاز السام الذي حملت به الطائرة الصهيونية، التي سقطت على حي في امستردام، مع العلم لا يوجد هذا الغاز إلا في الولايات المتحدة، ولم يسمح ببيعه إلا للكيان الصهيوني.

ومن المشاهدات لبعض المحللين، أن الانفجار ولد سحابة غبارية، كما تظهر الصور التي التقطت لها، وهي عبارة عن تفاعل البنزين الذي في الطائرة مع الكيماوي المحملة به. كما ظهر في الصور التي صورت السحابة الغبارية، التي ظهرت مع انفجار طائرة امستردام طبق الأصل. وبذلك نرى تطابقاً ما بين ما حدث في امستردام ونيويورك، والمفجر والمخطط والمنفذ واحد من حيث التشابه والتطابق، وهذا يوضح أن الذي حَمَلَ الطائرات بالغاز السام واحد في امستردام ونيويورك وواشنطن وبنسلفانيا. في حين نجد الرواية الرئيسية الأمريكية التي تستهزئ بعقول الناس، تقول إن الإرهابيين الذين فجروا الطائرات، بعد أن سيطروا عليها بالسكاكين، التي حملوها معهم بالطائرات.

أما عن عملية السيطرة على الطائرة، وتوجيهها، وحرفها عن مسارها بواسطة السكاكين، رواية أمريكية تتضمن الكثير من الكذب، لاستحالة الأمر مع وجود هذا الجمع في الطائرة. ولكن الذي يمكن تصديقه، هو السيطرة على الطائرة من خلال الطيار الآلي، والتحكم به عن بعد، وتوجيهه أرضياً من قِبل القوى المستفيدة من هذا الحدث.

وبذلك تكتمل لنا الصورة، لنؤكد أن تعاوناً تم ما بين المخابرات المركزية والموساد وباطلاع الإدارتين الصهيونية والأمريكية، لصناعة الحدث، لتحقيق أهداف استراتيجية على مستوى العالم.

وإن كان لتنظيم القاعدة دور في التنفيذ، فقد تم تسهيل ركوب عدد من تنظيم القاعدة في الطائرات، وزودت الطائرات بالغاز السام، الذي يبعث حرارة عالية تصهر الطائرة، بحيث تختفي كل معالم الجريمة، بما فيها الصناديق السوداء، وجرى التحكم بالطائرات عن طريق الطيار الآلي، وتوجيهها نحو أهدافها المحددة، وفجرت بعد ذلك، وتم إلصاقها بالعرب والمسلمين لتحقيق أرباحٍ جمة تعادل آلاف ما تم خسارته.

ومن شاهد الفيلم السينمائي (القبلة الطويلة)، الذي أنتج قبل الأحداث، يبين كيف تصنع المخابرات المركزية والموساد عملية انفجار مركز التجارة الدولي، ومن ثم تتهم به المسلمين.

وليس المحللين العرب وبعض الأوربيين يؤكدون ما قلناه، بل هناك العديد من المحللين الأمريكيين الموضوعيين، يؤكدون أن ما جرى هو من صنع المخابرات المركزية والموساد الصهيوني. وأخر من تحدث بذلك أمير شعراء نيوجرسي /أميري باراكا/ الذي اتهم اليهود بالتفجيرات التي حدثت في نيويورك وواشنطن حيث جاء في قصيدة له بعض التساؤلات قال فيها:

-من كان يعلم أن مركز التجارة العالمي سينسف؟

-من أخبر أربعة آلاف إسرائيلي يعملون في البرجين أن يلتزموا منازلهم في ذلك اليوم؟

-ولماذا بقي شارون بعيداً؟

وعلى الرغم من احتجاجات منظمة يهودية على قصيدته، تحت ذريعة أنها تشوه سمعة اليهود، وتؤذي مشاعرهم. وطالبت من حاكم ولاية نيوجرسي بسحب لقب أمير شعراء نيوجرسي عنه. إلا أن باركا رفض سحب القصيدة، وقال لصحيفة نيويورك تايمز: إنه مقتنع أن إسرائيل كانت على علم مسبق بهجمات الحادي عشر من أيلول، وأنه مستعد للدفاع عن رأيه، وأنه لا يعتزم الاستقالة عن إمارة الشعر.

ومضى يقول للصحيفة: (من الواضح أن الإسرائيليين كانوا على علم بهجمات الحادي عشر من أيلول، شأنهم شأن الرئيس الأمريكي جورج بوش. وأن السماح بوقوع الهجمات خدم البيت الأبيض في أفغانستان والعراق وبقية الشرق الأوسط)(17).

***الحدث يكذب الرواية الأمريكية**

كتب الصحفي الفرنسي (تيري ميسان) كتاباً سمي بـ (الخديعة الكبرى) كما ترجم للعربية، أو (التضليل الشيطاني) الصادر عن دار الوطنية الجديدة بدمشق عام 2002. يفضح فيه الإدارة الأمريكية ومحاولاتها في تضليل الرأي العام الأمريكي والدولي عن حقائق الحدث ووقائعه، ويؤكد أن هذا التضليل تم في صناعة أكذوبة ارتطام طائرة بوزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) ويقول: (الحاصل: إن هذه الخرافة المريبة بُنيت تدريجياً الكذبة تلو الكذبة، فإذا ما عدتم إلى بيان البنتاغون الأول.. سوف يتبين لكم أن لا ذكر لطائرة البوينغ فيه. لم تظهر نظرية (الطائرة الانتحارية) إلا بعد مضي نصف ساعة، كما أن مسألة مطاردة الطائرة الشبح لا أثر لها في الإفادة التي أدلى بها قائد الأركان العامة، ولم يتم اختلاق قصة ضلال الطائرات الـ ف – 16 من قبل NORAD إلا بعد مرور يومين.

إن الروايـة الرسميـة محـض دعايـة. ويبقـى أن 125 شخصـاً لقـوا حـتفهم في البنتاغون، واختفت طائرة تقل 64 راكباً؟ ما هو مصير الرحلة 77 للخطوط الجوية الأمريكيـة (AA)؟ هـل لقـي ركابهـا حـتفهم؟ إذا كـان الـرد بالإيجـاب، مـن قتلـهم ولمـاذا؟ وفي حـال العكس، فـأين هـم؟ تلـك مجموعـة مـن الأسـئلة التي يتوجـب علـى الإدارة الأمريكية الإجابة عنها)(18).

وعـن الدقـة اللامتنـاهيـة في إصـابة الـبرجين مـن قِبـل طـائرتين مـدنيتين، فيقـول تيري ميسان: (إن عرض كل من البرجين لا يتجاوز 63.70 متراً، وأكبر عرض لطائرة البوينغ 47.60 متراً. وقد لاحظنا على أشرطة الفيديو كيف أن الطائرتين قد ضربتا الهدف بدقة في وسطه، ولو أن أيًّاً من الطائرتين انحرفت عن مسارها مسافة 55.65 متراً لكانتا أخطأتا الهدف كلياً. كم يلزم ثلاثة أعشار الثانية لقطع مثل هذه المسافة بسرعة متوسطة مقدارها (700كلم/ ساعة). وتلك تجربة يستلزم تنفيذها من المهارة مستوى لا يتمتع به سوى طيارين أفذاذ، ذلك نظراً لقدرة هذه الأجهزة المحدودة على المناورة، فكيف إذا كان القبطان من الهواة؟)(19).

وتحدث تيري ميسان عن استخدام منارة إلكترونية لبلوغ الطائرتين الدقة في الهدف، تصدر عنها (إشارة صادرة من نقطة الهدف كفيلة بتوجيه الطائرة إليها آلياً). وقال إن وجود مثل هذه الإشارة كانت موجودة في مركز التجارة الدولية، وقد ألتقطها بواسطة إذاعات لهواة الراديو، وسجلوها لأنها تقاطعت مع بث هوائيات التلفزة المنصوبة على سطح البرجين(20).

وبين إن كانت الطائرة استطاعت الثبات على مسارها لأنها في اتجاه الريح، فالطائرة الثانية كانت مضطرة للقيام بمناورة التفاف معقدة لأنها بعكس اتجاه الريح، واستطاعت الارتطام بوسط البرج أفقياً كالطائرة الأولى، ويقول ميسان: (.. في كل الأحوال كان لا بد من وجود من يساعد على الأرض. فإن تأمن ذلك لا يعود

ضرورياً وجود قراصنة كثر على متن الطائرة، ذلك يكفي وجود فريق صغير لوصول الطائرة بالطيار الآلي. ومن ناحية أخرى إن صعود قرصنة على الرحلة ليس ضرورياً على الإطلاق، لأن العملية لم تعد لخطف الركاب، يكفي قرصنة برامج حاسوب الطائرة قبل الإقلاع، حتى يصبح التحكم بالطائرة ممكناً، وهي في الجو بواسطة تكنولوجية (الغلوبال هوك) التي ابتكرتها وزارة الدفاع الأمريكية. وبكلام آخر يمكن بفضل هذه التقنية التحكم بطائرة البوينغ عن بعد، بحيث تصبح طائرة شبيهة بطائرات التجسس التي لا قائد على متنها(21).

وأكد تيري ميسان بوجود متفجرات داخل المبنى، حيث أن اتحادات إطفائي نيويورك، رفضوا نظرية انهيار البرجين نتيجة إحراق وقود الطائرتين، وأن الانهيار تم من خلال الحرارة التي ولدها مخزونا الطائرتين من الوقود، الذي تسبب بضعف الهيكل المعدني المركزي للمبنيين.

فأكد اتحاد الإطفائيين إن الهيكل يتحمل الحرارة. وقال رجال الإطفاء أنهم سمعوا أصوات انفجارات في أسفل الأبنية، وطالبوا بتحقيق مستقل، وقال ميسان (كما أكد فان روميرو وهو خبير شهير من معهد نيو مكسيكو للمناجم، إن الانهيار لم يكن ممكناً إلا بواسطة متفجرات، ولكنه تراجع عن رأيه هذا أمام الضغوط الرسمية التي تعرض لها)(22).

ويستشهد تيري ميسان من إجابة الرئيس الأمريكي جورج بوش على إحدى التساؤلات الصحفية بعلم المخابرات وإدارته بهذه الهجمات. وهذا يرشح الرأي بأن المخابرات المركزية لم تقدم التسهيلات فقط، بل كانت مشاركة في صنعها، فيقول: (لنصغ الآن إلى هذا الاعتراف الغريب، الذي أدلى به الرئيس جورج دبليو بوش، وكان ذلك بمناسبة مهرجان نظم في أورلاندو بتاريخ 4 كانون 2001.

سؤال: ما أود قوله بداية سيدي الرئيس هو أنه لا يمكن تقديركم هو مهم ما فعلتموه من أجل بلدنا. والشيء الآخر هو التالي: ماذا كان شعوركم عندما علمتم بالهجوم الإرهابي؟

الرئيس جورج دبليوش بوش: شكراً يا جوردان، أنت تعلم يا جوردان، وسوف لن تصدق، إن قلت لك في أية حال أوقعني هذا الهجوم الإرهابي. كنت في فلوريدا، وسكرتيري العام أندي كارد، في الواقع كنا في قاعة للدروس، أتحدث بشأن برنامج بالغ الفعالية للتدريب على القراءة. كنت جالساً خارج القاعة بانتظار لحظة الدخول، فرأيت طائرة تصطدم بالبرج -كان التلفاز مشتعلاً- وبما أني كنت أنا نفسي قبطاناً. قلت: يا لهذا القبطان المرعب. ثم قلت: ربما كان ذلك حادثاً مخيفاً. ولكن قادوني [حينئذ إلى الصف]، ولم يتسن لي الوقت الكافي للتفكير في الأمر.

كنت جالساً في الصف وسكرتيري العام أندي كارد، الذي تراه جالساً هناك، دخل وقال لي: "طائرة ثانية ارتطمت بالبرج، إن أمريكا تتعرض للهجوم".

في الواقع يا جوردان بداية لم أكن أدري ماذا أقول ماذا سمعت. أنت تعلم أنني ترعرعت في فترة لم يخطر لي فيها أن أمريكا قد تتعرض لهجوم -ربما والدك أو والدتك كانا يفكران مثلي آنذاك- في تلك البرهة رحت أفكر ملياً في معنى نفسك مهاجماً. وكنت أعرف أنني في حال تجمعت كل الدلائل المؤكدة على أننا تعرضنا لهجوم، سأجعل الجحيم جزاء الذي تجاسر على مهاجمة أمريكا (تصفيق).

هكذا إذن وحسب ما صُرِّح به، شاهد الرئيس مشاهد أول اصطدام قبل حدوث الثاني. هذه المشاهد لا يمكن أن تكون تلك التي سجلها الأخوان جول وجدعون نوديه صدفة، بالفعل كان الأخوان نوديه قد أمضيا يومهما بالكامل، وهما يصوران في موقع مركز التجارة العالمي. ولم تبث وكالة غاما شريطهما للفيديو إلا بعد انقضاء 13 ساعة. إن الموضوع يتعلق إذاً بمشاهد سرية نقلت إليه دون تأخير إلى قاعة (23).

شكل الرئيس الأمريكي لجنة مستقلة للتحقيق بأحداث الحادي عشر من أيلول برئاسة هنري كسينجر في 2002/11/27، وتضم عشرة من الديمقراطيين والجمهوريين، وتملك تفويضاً واسعاً. وتستند في أعمالها على التحقيقات المحدودة، التي أجرتها لجنتا الاستخبارات في مجلسي الشيوخ والنواب. ومنحت اللجنة ثمانية عشر شهراً لدراسة قضايا مثل أمن الملاحة الجوية، ومشاكل الحدود بالتوازي مع الاستخبارات، ودراسة زيادة كبيرة في الإنفاق الاستخباراتي، لكشف الضعف في مجال مكافحة الإرهاب(24).

فاختياره كان لصالح القوى الصهيونية الفاعلة في الإدارة الأمريكية ومراكز تأثيرها في المخابرات المركزية ووزارة الدفاع ووزارة الخارجية، وهي طبعاً ستكون نتائجها لغير صالح العرب والمسلمين طبعاً. وستتم تغطية مساهمات الموساد والمخابرات المركزية الأمريكية، التي يسيطر عليها اليهود الصهاينة من رئيسها اليهودي جورج تنت إلى بقية قيادة هذا الجهاز الخطير على الدول العربية والإسلامية، فهنري كيسنجر معروف بعدائه للعرب وللمسلمين، وهو اليهودي الذي خدم الصهيونية في مواقعه السابقة في عهد نيكسون كمستشار للأمن القومي أو وزيراً للخارجية، وسيبقى يدافع ويعمل لصالح المشروع الصهيوني المعادي للعروبة والإسلام.

إلا أن كيسنجر استقال من رئاسة الهيئة بعد شهر من تكليفه برئاسة اللجنة، والسبب مطالبة لجنة الأخلاقيات في الكونغرس بالإفصاح عن علاقاته المالية(25)، وهكذا يتم تمييع عمليات التحقيق، بانتظار من يرأس اللجنة ويصدق على ما وصلت إليه غدارة بوش الابن وأجهزته الأمنية من نتائج، تم تحريف وتزوير وتلفيق معظمها.

***توظيف البترول القزويني لصالح أحداث أيلول/ سبتمبر.**

يقول كاتب أمريكي يدعى (غور فيدال): (وقد ثبت فيما بعد أن غزو أفغانستان لم تكن له صلة بأسامة بن لادن، وإنما كان أسامة مجرد ذريعة لاستبدال الطالبان بحكومة أكثر استقراراً، تستطيع أن تسمح لشركة "Union oil of California" بمد خط الأنابيب، الذي يحقق الأرباح لعصبة تشيني – بوش ضمن أطراف أخرى)(26).

ويورد الكاتب معلومات هامة حول هذا الخط، والمباحثات التي أجرتها رئاسة شركة يونوكال مع ممثلي حكومة طالبان في كانون الثاني عام 1997 في شوجرلاند بتكساس، وكيف قامت تلك الشركة بتدريب عناصر أفغانية لمد خط الأنابيب بموافقة الحكومة الأمريكية.

فقد استضافت الشركة المذكورة وفداً من حكومة طالبان، للبحث في كيفية مد خط أنابيب لبترول وغاز نفط قزوين من الحقول إلى شواطئ الباكستان، وقد أوردت محطة بي. بي. سي في 4 كانون الأول 1997 خبراً عن تلك المباحثات، وقالت المحطة: (إن متحدثاً باسم شركة يونوكال ذكر أن من المتوقع أن يقضي رجال الطالبان بضعة أيام في المقر الرئيسي للشركة) وذكر مراسل المحطة، إن اقتراح إنشاء خط الأنابيب عبر أفغانستان، هو جزء من مشروع دولي للاستفادة من تنمية موارد الطاقة الغنية في بحر قزوين.

وهذا يوضح أن لبترول قزوين دوراً رئيسياً في شن الحرب على حكومة الطالبان، والتي أعقبت أحداث الحادي عشر من أيلول، وليست مسألة محاربة الإرهاب إلا الوجه الظاهر لتلك الحرب. ويتساءل المرء لماذا كانت حكومة طالبان جيدة، وتمنح من الحكومة الأمريكية أربعين مليون دولار تحت ذريعة محاربتها لزراعة الحشيش؟ وذلك عندما كانت تتعاون مع شركة يونوكال وبقية الشركات

المرشحة لإنشاء خط الأنابيب، الذي يمتد من تركمانستان إلى الباكستان عبر أفغانستان بما فيها شركة شيفرون، التي كانت في السابق إحدى موظفاتها كوندوليزا رايس مستشارة الأمن القومي اليوم، وحين فشلت المباحثات تغير الأمر مائة وتسعين درجة حين اصطدمت المصالح النفطية الأمريكية مع طالبان، وأصبحوا في ليلة وضحاها إرهابيين ويؤون منظمات إرهابية، وكانت المدائح تُكال إلى طالبان، واعتبارها القوة الوحيدة القادرة على توفير الاستقرار والسلام في أفغانستان، كما تشهد جريدة (وول ستريت جورنال) الأمريكية بقولها: (سواء شئنا أم أبينا، فإن طالبان هي القادرة على تحقيق السلام في أفغانستان في اللحظة التاريخية)(27).

بل كانت الولايات المتحدة تطرح في عام 1997 بإمكانية تحول حكومة الطالبان إلى دولة حليفة لها في مواجهة إيران وروسيا تحقيقاً لمصالحها البترولية، وهذا ما أشارت إليه صحيفة (نيويورك تايمز) عندما قالت: (إن حكومة كلينتون أخذت بالرأي القائل بأن انتصار الطالبان سوف يجد قوة موازنة لإيران. ويفتح الباب أمام سبل جديدة للتجارة، يمكن أن تضعف نفوذ روسيا وإيران في المنطقة)(28).

إلا أن هذه الحسابات الأمريكية لم تجد لها آذاناً صاغية آنذاك في كابول، وفشلت الولايات المتحدة بتحويل حكومة طالبان إلى تنظيم عميل يخدم مصالحها. فبعد هذا الفشل تغير المزاج السياسي الأمريكي تجاه حكومة طالبان رأساً على عقب، وذلك منذ أواسط عام 2000، وعقب فشل المباحثات النفطية بين حكومة الطالبان والشركات النفطية الأمريكية، وازدادت حالة العداء من خلال حملات إعلامية مكثفة على حكومة الطالبان خاصة بعد نجاح بوش في انتخابات الرئاسة، فقد أصبحت حكومة الطالبان عقبة كبيرة أمام مصالحها البترولية. فكتب السيد

/فردريك ستار/ رئيس "معهد آسيا الوسطى بجامعة جون هوبكنز" في صحيفة (واشنطن بوست) يقول: (لقد بدأت الولايات المتحدة بهدوء بالوقوف إلى جانب من يدعون في الحكومة الروسية إلى القيام بعمل عسكري ضد أفغانستان، وأنها تناقش فكرة شن غارة جديدة للقضاء على ابن لادن)(29).

وليس غريباً لإتمام الصفقة البترولية، أن يؤتى بالسيد حميد قرضاي رئيساً لحكومة أفغانستان بعد الإطاحة بحكومة طالبان، وهو الذي كان يعمل في شركة يونوكال الأمريكية، التي كانت تفاوض حكومة الطالبان على مد أنبوب البترول من تركمانستان إلى الباكستان عبر أفغانستان، وذو العلاقة القوية مع المخابرات المركزية الأمريكية.

ولم نعد نسمع في الخطاب الأمريكي بعد مرور سنة على الغزو المسلح لأفغانستان ضرورة استمرارية البحث عن ابن لادن والملا عمر، بل كل ما نسمعه هو تحويل صدام حسين إلى ابن لادن، وقرع طبول الحرب على العراق. فتم السكوت عن ابن لادن بسبب تحقيق الهدف الرئيسي من الحرب على حكومة الطالبان، وهو إبرام عقد مدّ الأنابيب بين الدول الثلاث أفغانستان وتركمانستان والباكستان لاستثمار نفط بحر قزوين في 2002/12/27 في عشق آباد عاصمة تركمانستان، بين الرئيس التركماني صابر مراد نيازوف، والرئيس الأفغاني حميد قرضاي، ورئيس وزراء باكستان ظفر الله جمالي.

وتضمن العقد مدّ أنبوب غاز من بحر قزوين إلى المحيط الهندي، حيث سيربط حقل دولت آباد (جنوب شرق تركمانستان) بالمرافئ الباكستانية على المحيط الهندي عن طريق جبال أفغانستان. ويبلغ طول الأنبوب 1500 كيلو متر، وتقدر تكاليفه بملياري دولار(30).

وهكذا بدأت ثمار الغزو الأمريكي على أفغانستان تنضج، ليتناوله الغزاة الذين تستروا بما يسمى مكافحة الإرهاب، والذي أثبتت الأيام أنه صناعة أمريكية صهيونية. ولم تكن في الحقيقة أحداث الحادي عشر من أيلول 2001 كما أشرنا سبباً لغزو أفغانستان وفق ادعاءات الإدارة الأمريكية، بل كان مخطط الغزو جاهزاً قبل تلك الأحداث. إلا أن الأحداث عجلت في تنفيذه.

***لماذا تم تصنيع أحداث الحادي عشر من أيلول؟**

**أولاً**-الحدث يولد المشاعر العدائية ضد المعتدي المفترض، فتتوفر الذريعة الضرورية لشن الحرب بسرعة، فتكون أولاً تنفيساً لمشاعر العداء، وثانياً تخلصاً من حالة الذعر الذي خلقه الحدث، وأججته الإدارة الأمريكية ووسائل إعلامها. كما تتوفر أجواء عدائية تجعل من كتاب وصحفيين وإعلاميين يدعون الإدارة الأمريكية للانتقام، ومن ثم يسمح لأمثال برجنسكي وكيسنجر وبعض الاستراتيجيين الأمريكيين، يدعون إلى ضرورة شن حرب يلهي الشعب الأمريكي عن تساؤلاته للإدارة عن تقصيرها، وعن عدم قدرتها على إيقاف الحدث قبل وقوعه.

**ثانياً**-كما تم استغلال الحدث للخروج من المأزق الاقتصادي، الذي وصل إليه الاقتصاد الأمريكي قبل الأحداث، حيث بدأ التراجع الاقتصادي يبرز جلياً في مؤشرات البطالة، التي وصلت في الثامن من أيلول 2001 إلى (3.35) مليون شخص. كما انخفضت مؤشرات الإنتاج الصناعي، ففي شهر آب 2001 فقد انخفض قطاع المعادن والمرافق إلى 0.8٪ عن الشهر الذي سبقه. وانخفضت السعة التشغيلية إلى 76.2٪ وهو أدنى انخفاض منذ تموز 1983. وهبط مؤشر دأو جونز إلى 800 نقطة(31).

**ثالثاً**-الاستجابة للضغط المتلاحق من قبل شركات النفط لاحتلال أفغانستان، لتأمين الخطوط القادرة على نقل النفط عبرها، لأن الأرباح الهائلة التي

سيقدمها النفط القزويني تثير شهية شركات النفط، والتي انبثقت منها إدارة (بوش-وتشيني). إضافة إنها تخرج الاقتصاد الأمريكي من أزمته. فقد كان هناك إلحاحٌ من قبل شركات لإزالة حكومة الطالبان كونها العائق في استغلال الثروة الهائلة من الكنز النفطي القزويني، كما قال خبير النفط الأمريكي /جيمس دوربان/: (إن هؤلاء الذين يسيطرون في الطرق النفطية لوسط آسيا، سيؤثرون في الاتجاه المستقبلي، وكميات تدفق، وتوزيع الإيرادات من موارد النفط والغاز)(32).

ومن يعرف الثروات الهائلة التي ستحققها الولايات المتحدة من نفط بحر قزوين، سيتعرف على الدافع الحقيقي وراء الحرب التي شنتها على أفغانستان، فيقول إسماعيل الشطي الكاتب وعضو مجلس النواب الكويتي (يقدر ما يختزنه حوض بحر قزوين بخمسة تريليون دولار من موارد النفط والغاز، وفي أقل تقدير بحوالي أربعة تريليون دولار.. بالإضافة إلى كميات ضخمة من الموارد البترولية غير المطورة في آسيا الوسطى تقدر بـ 6.6 تريليون متر مكعب من الغاز الطبيعي و10 مليارات برميل من احتياطات النفط غير المطورة)(33).

رابعاً-من الأرباح التي أفرزتها أحداث الحادي عشر من أيلول، هو تصفية حسابات مع أعداء سابقين، يسمح للولايات المتحدة الظرف الزمني والدولي باعتبارها سيدة العالم اليوم بتحقيق انتصارات عليهم، فيقول غور فيدال: (إن عصبة تشيني-بوش تريد حرباً للسيطرة على أفغانستان. وإنشاء خط للأنابيب، والتحكم في بترول ستانات أوراسيا لصالح شركائها في الأعمال، وكذلك إنزال أكبر قدر من الدمار بالعراق وإيران بدعوى أن هذين البلدين الشريرين، ربما ينشران فوق القمح الذهبي لدينا بودرة الجمرة الخبيثة أو شيئاً كهذا)(34).

ومن تصفية الحسابات فقد كشفت وسائل الإعلام الغربية، أن رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي طلب الإعداد للهجوم على العراق بعد ثلاث ساعات فقط من أحداث 11/أيلول. كما خرج الرئيس جورج بوش بإطلاق الحملات الرهيبة على العديد من البلدان تحت ذريعة الإرهاب باسم محور الشر والدول الشريرة وغيرها من الألقاب.

*** استراتيجية الهيمنة على العالم**

أعطت أحداث الحادي عشر من أيلول الفرصة الذهبية للولايات المتحدة في فرض هيمنتها على ثروات العالم، وفرض أنماطها السياسية والسلوكية على العالم أجمع. من خلال ما أطلق عليه استراتيجية الأمن القومي للرئيس جورج بوش الابن، والذي أعلنها في 2002/9/17. وأشار إليها الرئيس بوش في خطاب الرئاسة في 2002/6/1. **وحددت الاستراتيجية بثلاث مهمات هي:**

-سندافع عن السلام بمحاربة الإرهاب والطغاة.

-سنحافظ على السلام ببناء العلاقات الجيدة بين القوى العظمى.

-سنوسع السلام بتشجيع المجتمعات الحرة والمنفتحة على امتداد القارات)(35).

وهذه الاستراتيجية كما يبدو تختلف عن سابقاتها من الاستراتيجيات، التي وضعتها الإدارات السابقة الأمريكية بما فيه الإدارة السابقة للرئيس بيل كلينتون، والتي تعتمد على تقوية أمن أمريكا، ودعم الازدهار الاقتصادي الأمريكي، ودعم الديمقراطية وحقوق الإنسان في الخارج.

فالملاحظ أن بوش قد وضع استراتيجية مختلفة وخاصة عن الحرب وبما يعرف (الحرب على من أسماهم بالطغاة)، حيث اعتبرهم مصدر الخطر على الولايات المتحدة وعلى العالم الديمقراطي. وضع نظرية افتراضية تقول: بإمكان هؤلاء الطغاة تزويد منظمات الإرهاب بالأسلحة الكيماوية أو ذات التدمير الشامل، مما يهدد الولايات المتحدة ولنظام العالمي.

علماً أن الولايات المتحدة كانت هي التي فرضت تلك الأنظمة الديكتاتورية ضد رغبات شعوبهم، وحمت الكثير منهم من غضب تلك الشعوب، ووفرت لهم الدعم المادي والسياسي خدمة لمصالحها. يقول جون لويس غاديس عن سبب محاربة إدارة بوش الابن لهؤلاء الطغاة: (لقد لاحظ بوش أن الاستراتيجية الأمريكية ركزت في الماضي على الدفاع ضد الحكام الطغاة، وهؤلاء الخصوم يحتاجون "لجيوش عظيمة وقدرات صناعية كبيرة" كي لا يهددوا المصالح الأمريكية، وهذه الإمكانيات لا يمكن تأمينها إلا عبر مؤسسات الدول)(36).

*** الحرب على العراق لأجل النفط**

كما أشرنا من قبل، أن وزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد أعلن بعد ثلاث ساعات فقط من تفجير البرجين في نيويورك بضرورة الحرب على العراق، محملاً إياه مسؤولية دعم الإرهاب، وأهم دول محور الشر كما صنفه القاموس السياسي لإدارة بوش، وهي العراق وإيران وكوريا الشمالية. ووضع العراق على قائمة الدول التي يجب أن تتحمل مسؤولية ما حدث في الحادي عشر من أيلول، على الرغم من عدم توفر أي دليل يربط العراق بما حدث، ولا بأية علاقة بينية بين أسامة بن لادن وتنظيمه تنظيم (القاعدة). فلا يمكن أن يوجد تعاون بين الطرفين لاختلاف العقائد والأهداف بين الحزب الحاكم في العراق برئاسة صدام حسين، الذي يتبنى العلمانية، وبين تنظيم ديني متطرف كتنظيم القاعدة.

إلا أن الرئيس بوش الابن وإدارته، كانوا قد وضعوا قبل الأحداث كما أشرنا أعلاه، استراتيجية تقوم على فرض السيطرة على مصادر الطاقة النفطية في العالم كرهاً أو طوعاً، تطبيقاً لطروحات بعض ما يسمى بالصقور من اليمين الأمريكي، والتي ترى ضرورة السيطرة على النفط، طالما نملك اليوم قوة عسكرية لا منافس لها في العالم. هذه الاستراتيجية بدأ تنفيذها أولاً في احتلال أفغانستان لمد أنابيب نفط

بحر قزوين كما أشرنا. أما نفط الخليج من المعروف أنه منذ سنين تحت الهيمنة الأمريكية، وأصبح بعد غزو الكويت تحت حماية عسكرة القوات الأمريكية المباشرة، لترهب من يحاول أن ينزع منها تلك الهيمنة سواء من الداخل أو من الخارج، ولم يبق إلا النفط العراقي والإيراني خارج الهيمنة المطلقة.

لهذا تم وضع العراق وإيران ضمن قائمة دول محور الشر، التي ترى فيها الإدارة الأمريكية وفق زعمها خطراً يهددها. وطبعاً كان لا بد من أن يكون العراق التالي بعد أفغانستان، فأمريكا تتدرج بالأخذ بالدول بدءاً من الضعيف، حتى تنتهي إلى الأقوى. فكانت أفغانستان الأولى، ثم من بعدها العراق، ومن ثم ستأتي حتماً إيران من بعد الانتهاء من العراق.

وهكذا انطلقت الحملة الأمريكية ضد العراق، وما أن انتهت ترتيبات مدّ الخطوط لنفط بحر قزوين عبر أفغانستان، وتوفرت الحماية لهذه الخطوط من قبل تواجد عسكري أمريكي مدعوم من قوات أوربية من دول الحلف الأطلسي. فقد بدأت مسألة التحضير لشن حرب على العراق من خلال جملة من التهديدات للنظام العراقي، تدعوه لنزع أسلحته وتدميرها، وتغيير نظامه السياسي، وترحيل صدام حسين وحاشيته عن العراق.

ولتغطية الحملة الاستعمارية الجديدة بغطاء دولي، تم استصدار قرار من مجلس الأمن في تشرين الأول عام 2002 تحت رقم 1441. والقاضي بإعادة فرق التفتيش للعراق، لنزع وتدمير أسلحته الكيماوية والجرثومية. بدعوى أن العراق اخترق الحظر الدولي عليه، والقرارات الصادرة عن مجلس الأمن الدولي بتدمير أسلحته الجرثومية والكيماوية وصواريخه بعيدة المدى. وادعت الولايات المتحدة، إن العراق يقوم بإعادة تصنيع أسلحة التدمير المحظورة عليه منذ عام 1991 بعد الانتهاء من حرب الخليج الثانية، وانتهاء الاحتلال العراقي للكويت.

وعلى الرغم من معرفة الإدارة الأمريكية ودول العالم، أن لجان التفتيش السابقة (أونسكوم)، قامت بتفكيك وتدمير معظم أسلحة العراق المحرمة، وفق قرارات مجلس الأمن الدولي خلال ست سنوات من عملها في العراق في عقد التسعينات. ويقول تقرير أعده منتدى الحرية الرابع، ومعهد ب.كروك لدراسات السلام الدولي بجامعة نوتردام:

(إن أونسكوم ووكالة الطاقة الذرية الدولية كانتا فعالتين في كشف كثير من عناصر برامج أسلحة العراق المحرمة وتدميرها.. إن معظم برامج الأسلحة المحرمة العراقية تمت إزالته. وقد أعلنت وكالة الطاقة الذرية الدولية في عام 1998 أنه: "ليس هناك من مؤشر إلى أن العراق يملك أسلحة نووية أو أية مقادير ذات مغزى من مادة يمكن استخدامها في صنع أسلحة نووية"، ومن بين 819 صاروخاً من طراز سكود كان معروفاً أنها موجودة لديه في بداية حرب الخليج، عثرت أونسكوم عليها جميعاً عدا صاروخين اثنين، ولم تعثر أونسكوم على تطوير ناجح لصاروخ وطني، ولا على مؤشرات إلى اختبار صاروخ محظور.

كذلك ذكرت أونسكوم أنها حققت تقدماً كبيراً في تدمير مخزونات الأسلحة الكيميائية ومنشآت إنتاجها، لكن مفتشي الأمم المتحدة كانوا أقل نجاحاً في إزالة قدرات الأسلحة البيولوجية)(37).

وهكذا نرى أن معظم أسلحة العراق الكيميائية والبيولوجية والجرثومية والصواريخ بعيدة المدى، قد دمر معظمها على يد لجنة التفتيش (أونسكوم)، والتي رحلت عن العراق في عام 1996 بضغط أمريكي، كما كشف أحد أعضاء تلك اللجنة بأن البعض منهم كان يتجسس على العراق لصالح المخابرات المركزية والموساد الصهيوني. فلم تكن عمليات التفتيش الجديدة إلا لخلق الذرائع لضرب العراق، ووضعه تحت الهيمنة الأمريكية، وفق استراتيجيتها الجديدة التي أشرنا إليها.

## * النظام العراقي من حليف إلى عدو

النظام العراقي الذي وضع على لائحة الأنظمة الخارجة على القانون بالعرف الأمريكي بعد الغزو العراقي للكويت، هو نفس النظام الذي كان الصديق الحميم أثناء حربه على الجمهورية الإسلامية الإيرانية ما بين أعوام 1980-1988. فالعلاقات الحميمة التي كانت بين الطرفين أثناء تلك الحرب، كانت تستند إلى إن الحرب التي قامت بين العراق وإيران كانت تخدم الهدف الاستراتيجي الأمريكي في المنطقة، الذي يهدف بإبقاء منابع النفط تحت المظلة الأمريكية.

فكان أمل الولايات المتحدة من تلك الحرب، أن تستعيد إيران بنفطها وموقعها الاستراتيجي من حكومة إسلامية متحررة، أخرجت إيران من تبعية الولايات المتحدة، وأزالت قواعدها، واستولت على سفارتها، واعتقلت موظفيها. ولم تقف عند هذا الحد، بل رفعت شعارات معادية للوجود الأمريكي بالكامل في منطقة الخليج. وأظهرت الثورة الإسلامية في أيامها الأولى عداوة للولايات المتحدة لحمايتها لنظام الشاه السابق، وأطلقت على الولايات المتحدة اسم (الشيطان الأكبر). ولم تكن خطيئة الثورة العداء لأمريكا فقط، بل عداءها للكيان الصهيوني، حيث طردت سفارة الكيان، وقطعت العلاقة التوحيدية بين المخابرات الإيرانية (السافاك) والمخابرات الصهيونية (الموساد)، واعتبرت مسألة تحرير بيت المقدس إلزاماً لكل المسلمين، وهنا وقعت الثورة في المحظور الأمريكي، فكان لا بد من إجهاض الثورة الإسلامية، فتكفل النظام العراقي بالمهمة، فشن حرباً دامت ثمان سنوات، صبت نتائجها لصالح أمريكا والصهيونية.

ومن يتتبع سير الأحداث أثناء اشتعال الثورة الإيرانية ضد نظام الشاه الوكيل للمصالح الأمريكية، والشرطي الأمريكي في الخليج، والراعي الذي يحمي مصالحها في المنطقة، والظهير المساند للكيان الصهيوني ضد الأمة العربية. يقول المفكر

والكاتب الأمريكي نعوم تشومسكي: (حاولت إدارة كارتر تبني انقلاب عسكري لإعادة الشاه، وأرسل قائد الناتو (NATO)، ولكنه فشل في مهمته، لم يستطع كسب دعم عملاء أمريكا في الجيش الإيراني. بعدها مباشرة انضمت السعودية وإسرائيل (الداعمتان الباقيتان) للجهود الرامية لتجهيز انقلاب يعيد التركيبة السابقة بوسائل عادية، ومنها بعث جيوش. تم إحباط المحاولة التي كانت معروفة تماماً.

وصل النذر اليسير من المعلومات للناس هنا، وذلك عندما لم يعد بالإمكان إخفاء الحقائق. وسمي عندها حرب الرهائن (أزمة الرهائن) التي كان لها وقع إنساني مؤثر لدى الشعب الأمريكي.

كان "الريغانيون) يبحثون عن إطلاق الرهائن المختطفين في لبنان. أرسلت الولايات المتحدة قوات إلى إيران (مجموعات عسكرية خاصة) عبر إسرائيل كان لها صلات وثيقة بعناصر من الجيش الإيراني وممولة من قبل السعودية. ولم تكن هذه القوات مرسلة للتفاوض من أجل الرهائن لسبب بسيط، هو أنه لم يكن هناك رهائن أصلاً!! أولاً "الرهائن" أو أخذوا من لبنان فيما بعد، وصادف أنهم إيرانيون! إن ذلك إجراء طبيعي اتخذته إيران)(38).

وحين فشلت المحاولة الانقلابية بعد اكتشاف الحكومة الإيرانية الإسلامية لها. كما فشل أيضاً الغزو العسكري الأمريكي الليلي لإيران، الذي أرسل لفك الرهائن الأمريكيين، الذين أسروا في السفارة الأمريكية في طهران من قبل طلبة الثورة، فغرقت القوات الأمريكية في رمال صحراء طبس، حين تصادمت الطائرات الأمريكية بسبب العواصف الرملية، التي ثارت فجاءة وكأنها تدافع عن ثورتها الإسلامية. وتحطمت بعض الطائرات، وعادت البقية أدراجها خائبة دون أن تحقق أياً من أهدافها. ولم تجد الولايات طريقة لإعادة هيمنتها على إيران إلا بالتحريض على شن حرب خارجية من دول الجوار، وكان العراق الدولة الوحيدة، التي تتوفر

فيها عوامل الصراع مع النظام الإيراني الجديد، فبدأت بتحريض العراق على شن حرب لإسقاط الحكومة الثورية الإيرانية المعادية للولايات المتحدة. فشن النظام العراقي الحرب على إيران، وكانت الحسابات أن تدوم أياماً، وإذا بها تمتد ثمان سنوات.

وخلال الثمان سنوات من الحرب قُدمت للنظام العراقي كل مستلزمات القوة لتحقيق النصر، وتم التجاوز حتى تصرفات عراقية تعتبر كفراً في القاموس الأمريكي، حين هاجمت الطائرات العراقية سفينة أمريكية وقتلت /37/ بحاراً أمريكياً. ولم توجه الولايات المتحدة للقوات العراقية أية ضربة انتقامية، بل اعتبرت خطأً فنياً، بل انتقمت أمريكا من طائرة تجارية إيرانية في عام 1988، كانت تحلق في الأجواء الإيرانية، فقتلت /290/ مدنياً إيرانياً بريئاً بصاروخ من مدمرة أمريكية، كانت هي متواجدة في المياه الإقليمية لإيران.

وكان لهذا الحدث دوره الكبير في إنهاء الحرب لصالح صدام حسين، فقد شعر الإيرانيون أن الولايات الأمريكية وضعت ثقلها العسكري بشكل كامل إلى جانبه، بعد أن كانت تقدم له فقط الدعم اللوجستي والعسكري، وترسل له الصور الملتقطة من طائرات التجسس الأمريكية على المواقع الإيرانية.

وينسى وزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد اليوم، أنه كان في العراق ضيفاً على صدام حسين في عام 1986، يقدم الخدمات لصدام حسين في حربه ضد إيران، والأدهى أنه لم ينطق بأية كلمة عن القنابل الكيماوية، التي صبت على أهالي حلبجه في حينها، والتي يتباكى عليها في هذه الأيام. واستخدام هذا العمل مثلاً يردده بوش وإدارته، ليس على بشاعته، ورفضه من قبل كل إنسان يملك وازعاً أخلاقياً، بل من أجل تبرير حرب على العراق، وينسى في الوقت نفسه إن الإدارة الأمريكية آنذاك كانت أثناء الحرب تتهم إيران بما جرى في حلبجه أو بعض القوى الخارجية وليست العراق يومها.

لماذا برأت الولايات المتحدة النظام العراقي من هذا الحادث في حينه، ويتهمه اليوم إلا لخلق الذرائع، وتشويه صورة النظام، لتبرير شن الحرب عليه. علماً أن النظام العراقي نفى قيامه بهذا الفعل في حينه، واتهم غيره به.

ومن هنا نجد تلون السياسة الأمريكية، وتقلباتها الحادة، فحين كانت الحرب التي يخوضها النظام العراقي مع إيران، تصب في خدمة الأهداف الاستراتيجية للمصالح الأمريكية، كان يحصل على البراءة والتقدير. وحين يصبح نفس النظام عائقاً لمصالحها وأهدافها الاستراتيجية، تشوه صورته في المحافل الدولية وأمام الرأي العام العالمي، وتوضع الذرائع لشن الحرب عليه.

من المعروف تاريخياً أن الولايات المتحدة تقلب ظهر المجن بسرعة تتجاوز سرعة البرق لحلفائها وأصدقائها من الأنظمة الحاكمة، أن شكلت تلك الأنظمة عائقاً لمصالحها، وتتخلى عن أشد حلفائها إخلاصاً أمام مصالحها. وفي مثال شاه إيران وماركوس الفلبين وسهارتو إندونيسيا وغيرهم عبرة لمن لا يعتبر من حلفاء أمريكا اليوم.

بل هي لا تتورع عن التآمر حتى على من كان يوماً في زمرة من عملوا في أحضان المخابرات المركزية مثل أورتيغا في بنما، الذي غزت بلاده القوات الأمريكية، واعتقلته حين أصبح يشكل تهديداً لمصالحها. بعد أن عمل زمناً طويلاً في خدمة مخابراتها المركزية، وشارك حتى في عملياتها القذرة بتجارة المخدرات. وثم تولى رئاسة البلاد. وحين اصطدمت مصالح أمريكا مع بعض المصالح الوطنية لبلاده، وأراد أن يبيض وجهه أمام شعبه، كانت نتيجته كما أسلفنا، ولا يزال إلى يومنا هذا يقبع في سجونها، دون أن يجد رحمة من أسياده السابقين. فلا وفاء للولايات المتحدة لكل من تحالف معها، وارتمى في أحضانها، فهي كالعقرب تلسع صاحبها في أي وقت تشاء.

*** الحجج الأمريكية الواهية لشن الحرب على العراق**

أما الحجة الكاذبة بأن النظام العراقي قد أعاد ترسانته من أسلحة التدمير الشامل وخاصة الكيماوي والبيولوجي، وأنه أعاد برنامجه النووي، مجرد أكذوبة مفضوحة تعرفها الإدارة الأمريكية قبل غيرها، فهي تعرف أن العراق لا يملك شيئاً مما تدعيه من الأسلحة، وتعرف بها الدوائر البحثية والاستراتيجية الأمريكية نفسها. ونقتطف بعضاً من التقرير، الذي تقدم به منتدى الحرية الرابعة ومعهد جوان ب. كروك لدراسات السلام الدولي بجامعة نوتردام الأمريكية فيقول:

(لقد عرقلت عقوبات الأمم المتحدة المستمرة ضد العراق مقدرة النظام على إعادة بناء قدرته في مجال الأسلحة، وعلى الرغم من أن العقوبات لم تكن ناجحة في إقناع حكومة بغداد بالالتزام بقرارات الأمم المتحدة، فإنها كانت وسيلة فعالة كوسيلة للاحتواء العسكري.

لقد منعت العقوبات حكومة بغداد من كسب سبيل للوصول إلى إيراداتها النفطية الضخمة، فالأمم المتحدة –وليس حكومة بغداد- هي التي تسيطر على معظم الدخل المستمد من مبيعات النفط العراقي. ومنذ العقوبات يقدر أن حكومة بغداد قد حرمت من أكثر من 150 مليار دولار من إيرادات النفط. ونتيجة لهذا فإن العراق عجز عن شراء ما يكفي من أسلحة وبضائع ذات صبغة عسكرية، لكي يعيد بناء قواته المسلحة ويحدثها.

إن العجز المتراكم بالنسبة إلى العراق عن استيراد الأسلحة منذ عام 1990 يربو عن 50 مليار دولار. هذا هو المبلغ من النقود الذي كان العراق سينفقه على استيراد الأسلحة، لو أنه استمر في شراء الأسلحة بالمعدل الذي سار عليه أثناء عقد الثمانينيات الماضي. وعلى الرغم من أن العراق يكسب بعض إيراد لا قيود عليه عن طريق التهريب أو الصفقات السرية (يقدر ما بين 1.5 مليار و3 مليارات دولار

سنوياً) إلا أن هذا الدخل ليس كافياً لتمويل برنامج تطوير عسكري واسع النطاق. ونتيجة لهذا تقلصت مقدرة العراق على إنتاج أسلحة للدمار الشامل ووسائل إطلاقها)(39).

ومن يراجع تاريخ التهديدات الأمريكية للعراق بالاجتياح والتهديد تحت ذريعة تهديده لجيرانه، وضرورة نزع سلاحه. فهذه التهديدات انطلقت موجتها الأخيرة بعد ثلاث ساعات من أحداث الحادي عشر من أيلول عام 2001 كما أشرنا سابقاً من قبل وزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد. على الرغم من انتفاء كل الدلائل على تورط العراق ونظامه بتلك الأحداث. وهذا ما يدل على توفر نية احتلال العراق مبيتة قبل الضربة.

وتكشف بعض الوثائق أن عملية احتلال العراق والهيمنة على نقطة من قبل صناع القرار الأمريكي في عهد بوش الابن، ليست مرتبطة بأحداث الحادي عشر من أيلول، بل قبل الحدث بسنوات، حيث قام هؤلاء بتقديم مذكرة إلى الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون عام 1998، تدعوه إلى بناء وجود عسكري قوي في الخليج، والعمل على حماية مصالح الولايات المتحدة الحيوية عند الضرورة، ولو تطلب قلب النظام الحاكم في العراق. وكان من بين الموقعين عليها (دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الحالي، ونائبه بول وولفوتيز، وجون بولتون، وريتشارد بيرل، وجميعهم من المؤيدين لإسرائيل، كما وقع عليها ايليوت ابراهام الصديق لرئيس وزراء الكيان الصهيوني)(40).

وكما أشرنا أن نفط العراق يلعب دوراً رئيسياً في تلك الحرب أعدتها الولايات المتحدة والصهيونية العالمية ضد العراق، فاحتلال منابع النفط العراقية يزيد من امتلاك الولايات المتحدة لنفط العالم، خاصة أن المصادر النفطية تشير إلى قرب نضوب الكثير من آبار النفط الأمريكية. وقد أعلنت وزارة الطاقة الأمريكية في بداية

عـام 2003 (أنـه بحلـول عـام 2025 فـإن مسـتوردات الولايـات المتحـدة مـن الـنفط ستزيد لتصبح حوالي 70٪ من إنتاجها النفطي)(41).

لهذا إذا تمت السيطرة على النفط العراقي، فإن الولايات المتحدة تكون قادرة على سد تلك الاحتياجات، يقول الصحفي البريطاني "روبرت منسيك": (إذا ما تحقق الغزو، وتم تعيين نظام حكم موال لأمريكا، فإن الأمريكيين سيسيطرون بذلك على فائض نفطي يصل إلى 112 مليار برميل من النفط. وإذا ما أضفنا الاحتياطي المؤكد من النفط العراقي، فإن الأمريكيين يكونون قد سيطروا ربما على ربع احتياجات العالم النفطية)(42).

*** الحرب على العراق بداية إمبراطورية أمريكية**

والأخطر من احتلال النفط هو ما يرسم في الدوائر الأمريكية المتصهينة والدوائر الصهيونية، هو إعادة رسم الخارطة السياسية في العالمين العربي والإسلامي، والذي يستهدف تقسيم العرب والمسلمين وإذلالهم وإضعافهم، وإعادة تقسيمهم أجزاء طائفية وقطرية وعشائرية، وغيرها من التقسيمات التي تسهل نهب ثروات المنطقة وأولاها النفط، وسيطرة كاملة للولايات المتحدة على الأرض والثروة، وحماية الكيان الصهيوني بما يحقق المشروع الصهيوني في المنطقة.

وتبرهن الأحداث التي تلت الحادي عشر من أيلول، أن الإدارة الأمريكية التي يغلب على منشأ معظم زعمائها من شركات النفط، أن الولايات المتحدة رأت أن مستقبلها الاقتصادي، واستمرارها في الهيمنة على العالم، والتفرد بزعامته يكمن في السيطرة على مصادر الطاقة، الذي يلعب النفط الدور الرئيسي فيه. فالنمو الاقتصادي لبعض الدول كالصين واليابان ومنظومة السوق الأوربية كلها، تهدد تلك الزعامة الدولية لها، واقتصادها مهما بلغ من النمو والتنوع غير قادر في المستقبل على المواجهة الاقتصادية لتلك الدول والتجمعات، كما أن هناك دولاً قد تظهر فجأة

تملك القوة الاقتصادية والعسكرية مما يربك وضعها. فوجدت أن سيطرتها على النفط، يعطيها استمرارية القوة بالتحكم بعصب الحياة للصناعة الدولية. وإمكانية فرض الهيمنة على اقتصاد العالم، وتسييره وفق أجنده خاصة بالولايات المتحدة.

وفي عودة إلى مبدأ كارتر الذي صدر في 24 نيسان عام 1980، وكانت منطقة الخليج ملتهبة في نذر حرب بين العراق وإيران، والذي تضمن الكفالة المسلحة الأمريكية لحماية مصالحها النفطية، فيقول المبدأ: (إن كل محاولة تقوم بها قوى خارجية. بهدف السيطرة على الخليج، ستعتبر انتهاكاً للمصالح الحيوية لأمن الولايات المتحدة الأمريكية. وبصفتها تلك ستلقى الصد بكل الوسائل الممكنة، بما في ذلك استخدام القوى المسلحة)(43).

وترى الولايات المتحدة بترسانتها العسكرية الجبارة اليوم، يمكنها تحقيق ما تريد، دون أن تجد رادعاً عسكرياً دولياً في مواجهتها. وهذه فرصة تاريخية نادرة قد تفلت منها بمرور الزمن. كما أن الوضع الدولي بعد الأحداث 11 أيلول يعطيها فرصة السيطرة على قرارات الهيئة الدولية ومجلس الأمن. فسعت إلى إطلاق شعار محاربة الإرهاب، ووضعت ما يزيد على ستين بلداً في تلك اللائحة، وأولها العراق وإيران ودول في منطقة الخليج للسيطرة على النفط. وشددت من تهديداتها على العراق بعد ضمان خط النفط المار بأفغانستان.

ومن المفارقات التي تكشف أهداف الولايات المتحدة الخفية التي أشرنا إليها، سكوتها المفاجئ عن ابن لادن والملا عمر وتنظيمي القاعدة وطالبان، ليصبح صدام حسين ونظامه بدلاً عنهما المهدد الرئيسي للولايات المتحدة ولمصالحها. وأنه يمكن أن تلحق صواريخه أضراراً بالولايات المتحدة، على الرغم من التقرير الذي أشرنا إليه سابقاً بأن العراق لم يعد يملك من صواريخه القصيرة المدى سوى اثنين، ولم تجدهما لجنة التفتيش أنسكوم ولا الحكومة العراقية. ولعل بوش يرعب شعبه من

الصاروخين المفقودين، إن وجدهما صدام حسين. هل هناك استخفاف بالعقل البشري أكثر من ذلك؟

وكما أشرنا أن النفط هو الغاية في الحرب على العراق والتخطيط لاحتلاله فالدلائل واضحة وجلية، عندما نراجع خلفية بعض صناع القرار في الإدارة الأمريكية، **فكما أشرنا سابقاً معظمهم من العاملين في شركات النفط:**

- فالرئيس جورج بوش الابن ينحدر من عائلة تملك شركات نفطية كبيرة معروفة في تكساس.
- وديك تشيني نائب الرئيس كان رئيساً لشركة هاليبرتون في دالاس، وهي من أهم شركات الخدمات النفطية في العالم. و(قد بلغ دخل تشيني منها عام 2000 فقط 36 مليون دولار).
- ومستشارة الأمن القومي المعادية للعرب والمسلمين غونداليزا رايس، كانت تعمل عضوة في مجلس إدارة شركة شيفرون النفطية من عام 1991 إلى عام 2000. ومن ابتهاج الشركة على تعيينها في هذا المنصب الرفيع، أطلقت اسمها على إحدى ناقلاتها البترولية.
- وغايل نورتون وزير الداخلية كانت تعمل في مركز أبحاث محافظ تموله شركات نفطية.
- ووزير التجارة (دون إيفانز) كان رئيساً لشركة توم براون انكربوريشن النفطية المعروفة في تكساس حتى عام 2000، وكان يتولى إدارة (تي. أم. بي. آر) شارب للتنقيب عن النفط.
- ووزير شؤون الجيش توماس دايت كان نائباً لرئيس خدمات ايزون للطاقة.
- ونائب وزير الداخلية (ستيفن غريلز) أحد شخصيات مؤسسة بيئية تمولها الصناعات النفطية والكيمائية.

- ونائب وزير الطاقة (فرانسيس بلايك) كان نائباً للرئيس الأول لشركة كروبوريت بزنس النفطية.
- ونائبة وزير التجارة للشؤون الاقتصادية (كاتلين كوبر) مديرة سابقة في شركة ايكسون موبيل كوربوريشن.
- ومساعد وزير الطاقة (دان بروليت) له حصص في مجموعة شركات الباين النفطية(44).

علماً أن ديك تشيني نائب الرئيس قد حصل من خلال صفقات بترولية، قام بها مع العراق لصالح شركته النفطية هاليبرتون من خلال ما أطلق عليه النفط مقابل الغذاء، على ما يقارب 36 مليون دولار عمولة (بزنس)، لجهوده في الحصول على تلك الصفقة البترولية الكبيرة مع العراق(45).

فيتضح أن هذه الإدارة المنبثقة عن شركات النفط عدا وزير الخارجية كولن باول، إدارة تبحث عن السيطرة على النفط من جانب، ولزيادة ثروتها الشخصية من خلال عمولتها من الصفقات، وتوفير مصادر النفط للشركات البترولية العالمية.

فالحرب التي أعلنت على الإرهاب التي أعلنها الرئيس الأمريكي جورج بوش وإدارته، كما نرى بعد مضي أشهر قليلة أصبحت حرباً من أجل الاستيلاء على نفط الشعوب ونهبها. وليس غريباً أن يدلي كولن باول وزير الخارجية الأمريكي يوم الأربعاء 2003/1/22، أن البترول العراقي سيكون أمانة بيد الجيش الأمريكي(46).

فاللص والمغتصب أصبح الأمين على ثروات الشعوب، ولكن الشعب العراقي الذي مات منه ما يقارب المليون إنسان خلال عشر سنوات من الحصار، ومن قصف الطائرات الأمريكية والبريطانية، والتي تجوب أجواء العراق جنوباً وشمالاً، تقصف وتقتل ما تشاء من المدنيين، هل يملك هذا الجيش المحتل أي صفة من صفات الأمانة؟

*** شعوب العالم ترفض الحرب القذرة على العراق**

أظهرت ردود الفعل الدولية وخاصة الشعبية منها على الحشد الأمريكي العسكري لشن حرب على العراق، قدرة تلك الشعوب من خلال حسها على اكتشافها لأهداف تلك الحرب وغايتها غير الشريفة، فهي ليست كما تدعي الإدارة الأمريكية بأن الحرب على العراق من أجل تخليص الشعب العراقي من دكتاتورية صدام حسين، ولا من أجل أمن وحماية دول الجوار العراقي من شروره، ولا من الخوف على أراضي الولايات المتحدة من صواريخ صدام. بل هي استراتيجية بعيدة للولايات المتحدة المهيمنة على ثروات العالم، ويقوم الرئيس بوش وإدارته اليمينية بتنفيذها، من خلال حروب تنسف الاستقرار والسلم الدوليين.

هذا ما أعلنته الشعوب في الكرة الأرضية من اليابان وإندونيسيا شرقاً مروراً بالشعوب الأسيوية والأفريقية والأمريكية اللاتينية غرباً، وكذلك الشعوب الأوربية، التي خرجت بالملايين، وكذلك قطاع واسع من شعب الولايات المتحدة، وحتى أهالي ضحايا 11/أيلول الذين ذهبوا إلى العراق، ووقفوا يعارضون الحرب على شعب محاصر وجائع.

وتشكلت حركة أمريكية مناوئة للحرب مع العراق، ولتوجهات إدارة بوش العدوانية أسمت نفسها (ليس باسمنا). وأخرجت أولى تظاهراتها ضد الحرب يوم الأحد 6/10/2002 في الساحة المركزية في نيويورك، وكان من بينهم أقارب ضحايا

الحادي عشر من أيلول احتجاجاً على الحرب ضد العراق، ورفعت لافتات تطالب بتغيير النظام في واشنطن، ووصفت الرئيس جورج بوش الابن (الإمبراطور جورج المجنون)(47).

واتخذت بعض المعارضات أشكالاً منها عرائض حملت مئات التواقيع من العاملين في الإبداع والبحث والفكر والفن في الولايات المتحدة الأمريكية، ونذكر هنا المذكرة الغاضبة التي أرسلتها النجمة والناشطة السياسية الأمريكية (باربرا سترايسند) إلى الزعيم الديمقراطي (ريتشارد غيبهارت)، طالبة منه الانتقال من المواقع الدفاعية إلى الهجوم لوقف التهديدات بالحرب، التي يشنها الرئيس بوش، وبعدم (تجاهل التأثير الواضح على إدارة بوش لمصالح صناعة النفط والشركات وشركات الكيماويات وصناعة الأخشاب على سبيل المثال لا الحصر). وقالت: (من الواضح أن العديد من هذه الصناعات التي يديرها مانحون جمهوريون كبار ومقربون من الحزب الجمهوري، ستحقق مكاسب كبيرة، إذا خضنا حرباً ضد العراق).

وحثت (سترايسند) الديمقراطيين، على عدم السماح لبوش باستخدام الحرب لصرف الأنظار عن سياساته الداخلية والاقتصادية، وفشله في تفكيك شبكة القاعدة الإرهابية بالكامل. وكتبت (سترايسند) في مذكرتها: (صدام لم يفجر مركز التجارة العالمي). وأضافت: إن على الحزب الديمقراطي أن (ينقل علناً هذه الرسالة إلى الشعب الأمريكي)(48).

ورغم معارضة تلك الملايين من شعوب الأرض الرافضة لتوجهات الحرب، التي تعدها الولايات المتحدة ضد العراق، بل استمرت في تحدي إرادة تلك الشعوب، وحشدت ما يقارب ربع مليون عسكري، مسلحين بكل أنواع الأسلحة الحديثة، لشن حرب تدميرية على العراق. ضاربة عرض الحائط شعاراتها حول الديمقراطية، والانصياع لإرادة الشعوب.

*** أوربا والخوف من الهيمنة الأمريكية على مصادر الطاقة.**

إن المؤشرات الاقتصادية للولايات المتحدة تؤكد قابليتها لأزمة اقتصادية كبيرة خلال السنوات العشرين، فقد بدأت بعض شركاتها العملاقة تتعرض للانهيار، وهذا ما ينبئ عن انهيار اقتصادي ضخم للولايات المتحدة. لم يجد خبراؤها الاستراتيجيون من حل سوى الاستيلاء على منابع الطاقة، والتحكم بها لمواجهة هذا الانهيار، مستخدمة كل ما لديها من قوة عسكرية.

إلا أن هذا الحل الاستراتيجي البعيد المدى لحل الأزمة الاقتصادية الأمريكية الحالية، التي بدأت تتفاقم. بعد أن أشارت بعض المصادر إلى إفلاس وخسائر لشركات أمريكية بلغ تعدادها المليون ونصف بين شركة كبيرة وصغيرة أمريكية(49).

أوجد الحل الاقتصادي بالاستيلاء على مصادر الطاقة في العالم، إلى حالات من الشرخ في العلاقات بين الولايات المتحدة حلفائها الأوربيين وخاصة ألمانيا وفرنسا، اللتان شعرتا بخطورة الاستيلاء الأمريكي على منابع الطاقة، وانفراد الولايات المتحدة بها. مما يزعزع الاقتصاد العالمي ككل، ويهدد الصناعة الأوربية بشكل خاص، حيث يضعها تحت رحمة الولايات المتحدة.

فلم يخف وزير خارجية الولايات المتحدة كولن باول في تقريره أمام الكونغرس في 2003/2/9م. أن يعلن بصراحة أن الولايات المتحدة بعد احتلالها للعراق، ستقوم بإعادة ترتيب المنطقة وفق المصالح الأمريكية وشروط السلام الصهيوني. أي أن تصبح المنطقة العربية في ظل هيمنة أمريكية صهيونية.

ومن هنا جاءت معارضة فرنسا وألمانيا لشن حرب على العراق. مما أحدث انقساماً حاداً في اجتماع وزراء دفاع الأطلسي (الناتو) يوم الأربعاء 2003/2/5، حين عارضت كل من ألمانيا وفرنسا وبلجيكا اقتراحاً أمريكياً بدعم الحلف لتركيا، إذا

خاضت الحرب مع العراق. فكان الرفض الثلاثي صفعة حادة للولايات المتحدة، التي تحاول توفير حشد أوربي وعالمي لحربها مع العراق، وتعثرت العديد من الاجتماعات المتتالية لرأب الصدع داخل الحلف حتى خرجوا بعد ذلك بصيغة توفيقية، لم تحضرها فرنسا.

إن التمرد الفرنسي والألماني يشكل أول البدايات بعد انتهاء الحرب الباردة، لتفرد الولايات المتحدة في إدارة الأزمات الدولية، ووقف حالة الطاعة للسيد الأمريكي، وإلى بذور توجهات نحو تعددية قطبية، تخلق نوعاً من التوازن الدولي. هذا التوجه الجديد لفرنسا وألمانيا، أوجد لهما من يساندوهما في مواقفهما كالروس والصينيين. وهذا ما اتضح في الدعوات للدول الأربع في منع الحرب على العراق، مع الاتفاق على نزع أسلحة العراق، ولكن بطريقة سلمية بعيدة عن الحروب.

*** الذرائع الواهية لشن الحرب على العراق**

من الغباء السياسي الأمريكي البريطاني لشن الحرب على العراق، هو استغباء الآخرين. من خلال ما يطرحونه من أدلة غالبها ملفق على العراق، فسرعان ما تكشفها الأوساط العلمية والإعلامية. وتصنيع ذرائع واهية لإيجاد المبرر للحرب على العراق، حتى ولو كان كذباً. وهذا ما أفقد مصداقية إدارتي بوش وبلير في الولايات المتحدة وبريطانيا، حتى عند شعبيهما. ففي استطلاع جرى في بريطانيا ونشرته كافة وسائل الإعلام يوم الثلاثاء 2003/2/11، يشير إلى أن غالبية البريطانيين العظمى ترفض الحرب، ووصلت نسبة الرافضين للحرب من الشعب البريطاني إلى 80٪.

وكذلك في الولايات المتحدة فإن الغالبية العظمى ترفض تلك الحرب، رغم أن الإعلام الذي تتحكم به القوى الصهيونية واليمينية الداعمة للحرب، يحاول أن يزيف رفض الشارع الأمريكي لتلك الحرب. فذكر أحد الباحثين أن الصحافة الشعبية الأمريكية، تبين أن الغالبية العظمى من الشعب الأمريكي ترفض الحرب، إلا أنها تُزوّر من قبل الصحافة الأمريكية الكبيرة.

وذكر أن سيدة أمريكية، ذكرت أنها كانت تريد أن تعبر عن رأيها عن رفضها للحرب، ولكن لم يسمح لها، حتى اتصلت في إحدى القنوات، وسئلت قبل أن تظهر على الهواء مباشرة، فقالت إنها مؤيدة، ولكنها مجرد أن أصبحت على الهواء، عبرت عن رفضها للحرب، فقطع الإرسال مباشرة(50). وهذا ما يدل على تزوير كثير من الاستطلاعات، التي تجريها صحف أمريكية متصهينة، يظهر أن غالبية الشعب الأمريكي مع الحرب على العراق.

ومن دلائل تزوير وتلفيق ذرائع الحرب على العراق، هو ما كشفته الصحافة البريطانية. فقد قدمت الحكومة البريطانية تقريراً وزع على أعضاء مجلس الأمن، قبل أن يلقي الوزير كولن باول تقريره ضد العراق في يوم الأربعاء 2003/2/5. بينت فيه أن العراق خرق قرارات الأمم المتحدة، وأشاد به باول في جلسة الأربعاء المذكورة(51).

ولكن تبين أنه نقل أربع صفحات منه من رسالة لطالب أمريكي من أصل عراقي يدعى /إبراهيم مرعشي/، أما باقي التقرير نسخ من رسائل جامعية، كما قال /غلين رانجوالا/ الاختصاصي بالشؤون العراقية في جامعة كامبردج: (إن أحد عشر صفحة من صفحات التقرير التسع عشرة أخذت بالكامل من رسائل أكاديمية) وعقب بقوله: (إذا كانت طبيعة "معلومات" الاستخبارات هي في الواقع مجرد بحث عبر الانترنيت لأنها تثير الشك حول درجة الإقناع في مزاعم الحكومة السابقة)(52).

وفضحت القناة الرابعة في التلفزيون البريطاني يوم الخميس 2003/2/6 أصل هذا التقرير البريطاني، فقالت: (إن مقالة نشرها إبراهيم المرعشي في مجلة "ميدل إيست ريفيو أوف أنترناشيونال أفيرز" شكلت أربع صفحات من الملف، أما محتوى أكثر من ست صفحات من الصفحات الباقية، فقد اعتمد على مقالات كتبها شون بوين وكين جوس، وظهرت في نشرة "جينز أنتليجنس ريفيو" في تشرين الثاني من العام 1997)(53).

وهذا يدلل على ضعف المبررات لشن حرب على العراق. ثم أطلقت الولايات المتحدة ذريعة أخرى للحرب بربط العراق بتنظيم القاعدة، والذي نفاه أسامة بن لادن في الشريط الذي عرضته قناة الجزيرة مساء الأربعاء 2003/2/12، بل كفر النظام. إلا أن الولايات المتحدة وبريطانيا اعتبراه رغم النفي، أن هناك علاقات بين النظام وتنظيم القاعدة. كل ذلك بين مدى تفاهة المبررات أمام الإصرار على تنفيذ مخطط رهيب يبدأ في العراق وينتهي غرباً في طنجة وشرقاً في جاكارتا.

وهكذا استخدمت الولايات المتحدة أحداث الحادي عشر من أيلول /سبتمبر 2001 لشن مجموعة من الحروب لتحقيق مصالحها العسكرية والاقتصادية والثقافية والسلوكية.

*** الربح والخسارة من أحداث أيلول**

في قراءة متأنية لميزان الربح والخسارة من أحداث الحادي عشر من أيلول عام 2001، لمعرفة الفاعل الحقيقي لتلك الأحداث، فالمجرم هو من يستفيد من الجريمة. ومن خلال ما تبع أحداث أيلول من تطورات كبيرة على المستوى الداخلي للولايات المتحدة والعالم خاصة المناطق العربية والإسلامية، نجد أن المستفيد الرئيسي من تلك الأحداث هو الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني.

وأن المتضرر من تلك الأحداث هي أغلبية دول العالم وخاصة من يملك النفط وبلدان المرور لأنابيب النفط، وعلى رأسها الأمة العربية ودول إسلامية، وبقية الدول التي وضعت في قائمة دول محور الشر (العراق وإيران وكوريا الشمالية). والمتضرر الكبير كان الشعب الفلسطيني، الذي تركته الولايات المتحدة بزعامة الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن، ليمارس حليفه شارون وحكومته الصهيونية ساديته، وتلذذه بالدم الفلسطيني، ويحقق مشروعه بإفراغ ما تبقى من فلسطين من الفلسطينيين.

ومن نتائج الأحداث تم الإعلان عن الهيمنة الأمريكية على العالم، عبر إطلاق حاكميتها على القرار الدولي، ومصادرة حرية القرار للهيئات الدولية في الأمم المتحدة سواء في مجلس الأمن أو حتى الجمعية العمومية، ووجوب تابعية دول العالم للإدارة الأمريكية، من خلال الشعار الذي أطلقه الرئيس جورج بوش الابن (من لم يكن معنا فهو ضدنا). أي لا خيار أمام أي دولة إما مع أو ضد، فلا وسطية، ولا حياد، ولا معارضة في أي أمر تريده تلك الإدارة الأمريكية من أية دولة في العالم.

ورفع درجات التهديد بالحرب لتأديب الدول الرافضة في السير وفق المزاج الأمريكي. ووصلت القوات الأمريكية إلى بحر قزوين برضا أو عدم الرضا الخفي لدول حوض بحر قزوين، دون معارضة روسية أو أوربية، وتم الاستيلاء على الثروة النفطية الهائلة لهذا البحر. وأزيلت حكومة طالبان عن الحكم في أفغانستان، بعد ذبح وقتل آلاف الضحايا من الشعب الأفغاني، وبعض العرب والباكستانيين والشيشان وغيرهم من المسلمين، الذين كانوا يتواجدون في أفغانستان.

وأعلنت الإجراءات للقيام بحرب على العراق، وأرسلت الجيوش لتحيط به شمالاً وجنوباً، وأعلن باول وزير الخارجية الأمريكي (إن النفط العراقي سيكون أمانة بيد الجيش الأمريكي)، فالقانون لإدارة بوش يقول (النفط أينما وجد في العرف الأمريكي يجب أن يكون ملك أمريكا).

وبدأت حملات التصفية للحسابات القديمة مع المنظمات العربية والإسلامية، التي ناهضت هيمنة الولايات المتحدة منذ عشرات السنين، وكذلك الدول التي كانت لها مواقف معارضة من حكومات بوش. ووصل الأمر بتلك الإدارة الجهنمية، أن هدد دولاً بالسلاح النووي فقط لمجرد تصفية الحسابات.

ففي التقرير السنوي الذي تصدره هيئة رئاسة الأركان المشتركة للقوات المسلحة الأمريكية، والذي يستعرض القوات الاستراتيجية النووية الأمريكية في داخل الولايات المتحدة وفي أنحاء العالم، جاء فيه أن إدارة بوش (أصدرت توجيهاتها إلى البنتاغون بأن يعد الخطوط العامة لاستخدام القنابل النووية ضد سبعة من بلدان على الأقل –وهي روسيا والصين والعراق وإيران وكوريا الشمالية وليبيا وسوريا- خمسة منها لا تملك سلاحاً نووياً، وقد أُضيفت مؤخراً إلى خطط التهديف النووي). كذلك يقضي التقرير (مراجعة الحالة النووية بإجراء استعدادات لاستخدام الأسلحة النووية في الصراع العربي –الإسرائيلي، وفي مواجهة بين تايوان والصين، وفي هجوم تشنه كوريا الشمالية على كوريا الجنوبية، وهجوم عراقي ضد إسرائيل أو بلد آخر مجاور له، وفي أوضاع أخرى غير محددة)(54).

وعلى المستوى الداخلي الأمريكي تم تمرير مشروع بوش الابن حول المظلة الدفاعية، التي كانت تعارضه غالبية الشعب الأمريكي. وكذلك تم إقرار ميزانية الدفاع بسهولة، التي بلغت الأربعمائة مليار دولار من الكونغرس دون معارضة.

واختفت عيوب عملية وصول بوش الابن إلى رئاسة الولايات المتحدة عن طريق المحكمة الفيدرالية، وانتهت مسألة التشكيك بانتخابه، بل الأدهى من ذلك، أن الأحداث قد رفعت من رصيد شعبية بوش الابن المتدنية، حتى أصبحت شعبيته تفوق كل رؤساء أمريكا السابقين، والمكاسب كثيرة لا تعد، أمام خسارة برجي التجارة الدولية وجزء من مبنى البنتاغون، وما فيها من أرواح بشرية لا ذنب لها.

أما الكيان الصهيوني الذي كان محاصراً قبل الأحداث من قبل الرأي العام العالمي، لممارساته الوحشية ضد الأطفال والنساء في فلسطين، والمأزق الذي وضع فيه بسبب الانتفاضة، كان المستفيد الأكبر من أحداث أيلول 2001. فأصبح السفاح شارون رجل سلام في عرف الرئيس بوش الابن، وأطلقت يده ليفعل ما يشاء في الأراضي المحتلة، وتمت عمليات الإبادة للفلسطينيين تحت أنظار العالم كله، دون أن يحرك أحد ساكناً، وأخرست ألسن المعارضة في أوربا والعالم لتلك الممارسات الوحشية.

وتم رفع العصا الغليظة الأمريكية والصهيونية والتابع البريطاني في وجه الدول العربية والإسلامية، ولم يتورعوا عن طرح خرائط جديدة للمنطقة العربية، تبدأ في العراق وتنتهي في المغرب، دون أن يجدوا الرد العملي والفعلي لهذه الجريمة، بل يطلبوا ثقافات جديدة تطبق على جميع دول العالم وأولهم العرب والمسلمين وفق المزاج الأمريكي والصهيوني، أي ثقافة الخنوع والذل والإهانة والركوع الدائم.

وهكذا تبقى الاستكشافات عن حقيقة ما جرى في 11 أيلول مستمرة، كما أن الحدث يتطلب عملاً جماعياً حكاماً ومحكومين من العرب والمسلمين للمواجهة، وإنزال الهزيمة بقوى الشر مهما عظمت، ففي إرادة الشعوب يكمن النصر والعزة ورد العدوان.

منـذ أن بـدأت حركـات التحـرر المناهضـة للاسـتعمار والصـهيونية بالتوسـع وتحقيـق الانتصارات التي ساهمت في تطويـق الظـاهرة الاستعمارية، لجأت الـدول الإمبرياليـة إلى إطـلاق صـفة "الإرهـاب" علـى هـذه الحركـات، ووصـف نضـالها وأنشطتها المختلفة بأنها تدخل ضمن دائرة الأعمال الإرهابية.

وكانت الهجمة الاستعمارية تشتد ضد نضال الشعوب، بمقدار اتساع مظاهر المقاومـة ضـدها، ولـذلك لجـأت في الآونـة الأخـيرة إلى اسـتخدام تعـبير "الإرهـاب" و"الأعمال الإرهابيـة" كوسيلة وغطاء وذريعة للقضاء على نضال شعوب مـن أجـل حريتهـا واسـتقلالها وتقريـر مصيرها ومحاولـة تصـفية الأدوات والأسـاليب المتنوعـة التي تلجأ إليها تلك الشعوب في مقاومة المعتدي والتصدي لأطماعه ومخططاته.

وقد استغلت الـدول الإمبرياليـة في ذلـك الثغرات الموجـودة في القـوانين الدوليـة التي تعـرّف وتحـدّد الدولـة المعتديـة لا الدولـة الإرهابيـة لتحقيـق أهدافها ومراميهـا في ظلّ استخدام مظاهر القوة والهيمنـة مـن قبلهـا ضدّ الشعوب وفي ظلّ غيـاب تحديـد قانوني دولي لظاهرة الإرهاب الدولي بشكل عام، وإرهاب الدولة بشكل خاص. من هنـا أصـبح موضـوع "الإرهـاب الـدولي" مـن أكثـر المواضـيع إثـارة للجـدل ضـمن التحليلات في علم العلاقات الدولية.

ويمكن تأطير الأسئلة التي تطرح بهذا الخصوص: ما المقصود بكلمة "إرهاب"؟.. مـا أسـباب الإرهـاب؟.. مـا هـي أنـواع وأشـكال الإرهـاب؟.. مـا علاقتـه بـالعنف والعـدوان واسـتخدام القـوة؟.. كيـف يمكـن تشـخيص هـذه الظـاهرة والبحـث في إشكالياتها ومضامينها وأبعادها سواء على مستوى المجتمعات الوطنيـة أو على المستوى الدولي؟... أما فيما يتعلق بقضيتنا القومية المركزية:

نريد أن نعرف من هو "الإرهابي"؟... هل هو الشعب الفلسطيني ومنظماته وفصائله التي تخوض معركة حاسمة من أجل تحرير الأرض المغتصبة وعودة الشعب الفلسطيني إلى وطنه؟.. أم حكومة بن غوريون وبيغن وشامير ورابين وبيريس ونتنياهو وشارون وسواهم من مجرمي الحرب.. العصابات الصهيونية العنصرية التي عاثت في أرض فلسطين فساداً وقتلاً وتدميراً وترويعاً، فشردت شعباً بأكمله لتقيم مشروعها الاستعماري الاستيطاني على الأرض الفلسطينية، ولتواصل توسعها، مستخدمة كل أساليب البطش والقهر والترهيب، لاستكمال إنجاز مخططاتها وأطماعها في المنطقة العربية ضمن مشروعها المعلن "من النيل إلى الفرات"؟

للإجابة على هذه الأسئلة نجد من الموضوعي تشريح وتشخيص وتوصيف العناصر النظرية للظاهرة الإرهابية ومقاربتها وتطبيقها على الممارسات الأمريكية والإسرائيلية، انطلاقاً من أن العنف ظاهرة متأصلة في المجتمع الأمريكي، وكذلك في المجتمع الإسرائيلي اليهودي، كما تبوح بذلك جملة لا تحصى من الأحداث والممارسات والأطروحات الموثقة التي تجسدها وقائع ومسلمات وخفايا السياسة الأمريكية والإسرائيلية.

## أولاً - إشكالية تعريف الإرهاب الدولي:

لا تزال قضية وضع تعريف متفق عليه لظاهرة الإرهاب الدولي واحدة من المشاكل المستعصية الحل. وإذا كان الاختلاف على المستوى الفقهي الدولي مرتبطاً بالخلفية الإيديولوجية للمفكرين الذين اهتموا بالظاهرة، فإن الاختلاف على مستوى التنظيمات الدولية وخاصة الأمم المتحدة ليس إلا انعكاساً لمظاهر الصراع ضمن المحاور الجديدة للمواجهة.

**-موقف الفقه الدولي:**

تبلورت أهم المبادرات الفقهية الدولية لتعريف ظاهرة الإرهاب خلال المؤتمرات الهادفة إلى توحيد القانون الجنائي وذلك منذ سنة 1930. فقد ركزت المبادرات الأولى في تحديد مفهوم قانوني للإرهاب على اعتباره بمثابة خطر شمولي يهدد الإنسانية جمعاء. وقد انبثق عن هذه المبادرة اتجاهان، أحدهما يعتبر الإرهاب خطراً جماعياً، فقد حدد المساهمون في مؤتمر فرسوفيا 1930 الجريمة الإرهابية بأنها (الاستعمال العمدي لكل وسيلة قادرة على إحداث خطر جماعي). أما الاتجاه الثاني فيعتبر الإرهاب بمثابة الجريمة المقوضة لأسس كل تنظيم جماعي. وقد برزت فكرة الجرائم الاجتماعية لأول مرة ضمن إحدى توصيات معهد القانون الدولي بجنيف سنة 1892 عندما اعتبرت أن مفهوم هذه الجرائم على ارتكابها من أجل "قلب أسس المجتمع كما هو منظم حالياً". وهكذا نجد الفقيه سوتيل يعرف الإرهاب بأنه "العمل الإجرامي المقترف عن طريق الرعب أو العنف أو الفزع الشديد من أجل تحقيق هدف محدد". ويرى الفقيه الفرنسي (جورج لافاسير) أن الإرهاب". هو الاستخدام العمدي والمنظم لوسائل من شأنها إثارة الرعب بقصد تحقيق بعض الأهداف".

إن هذا الاتجاه المنطلق من الرعب كعنصر أساسي في تحديد مفهوم الإرهاب ظهر واضحاً في دورة كوبنهاغن للمؤتمر الدولي لتوحيد القانون الجنائي، وتبناه عدة فقهاء رأوا في الإرهاب "منهجاً لتطويع الجماهير وشل حركة زعمائها بواسطة الإكراه السيكولوجي والترهيب الإجرامي".

ويمكن من خلال مختلف أعمال المؤتمرات الدولية لتوحيد القانون الجنائي أن نستخلص ثلاثة عناصر تحدد مفهوم الإرهاب. وهي الرعب والهيمنة ونية مرتكب الفعل. ويعتبر الرعب بمثابة الخوف والرهبة والاضطراب النفسي الناتج عن صورة شريرة أو خطر قادم. والغرض الأساسي من تحقيق الرعب بسط هيمنة الإرهابي على ضحيته الذي يصبح في وضعية المذعن. وقد ذهب الفقه إلى تحديد أهداف وسيلة العمل الإرهابي بأنها تتمثل في تخريب أسس النظام الاجتماعي انطلاقاً من كون الإرهاب لا يتحقق فقط من أجل الإرهاب. وأخيراً فإن النية تعتبر بمثابة الركن المعنوي من كل عمل إجرامي. وانطلاقاً من هذه العناصر الثلاثة يضع الفقيه" واسيورسكي "تعريف الإرهاب باعتباره" منهج عمل يقوم الفاعل بواسطته ببث الرعب لفرض الهيمنة".

**-موقف التنظيم الدولي:**

نكتفي في إطار هذا التحليل برصد أهم التعريفات التي نوقشت في إطار التنظيم العالمي وخاصة منظمة الأمم المتحدة، فهي من وجهة نظرنا كفيلة بتحديد أوجه الخلاف التي يعرفها المجتمع الدولي بشأن موضوع الإرهاب الدولي. لقد عرفت أول مبادرة بهذا الشأن في سنة 1937 عندما أقر المؤتمر الذي عقدته عصبة الأمم المتحدة اتفاقية لقمع ومنع الإرهاب. (1)

وقد وصفت الاتفاقية الإرهاب بأنه "الأعمال الإجرامية الموجهة ضد دولة ويكون هدفها أو من شأنها إثارة الفزع والرعب لدى شخصيات معينة أو لدى جماعات من الناس أو لدى الجمهور".

وبالإضافة إلى ذلك فإن الاتفاقية نصت على مجموعة من الأعمال التي تعتبر أفعالاً إرهابية من بينها العمدية ضد رؤساء الدول والمسؤولين وأعمال التخريب ضد الأموال العامة والأحداث العمد المؤدية لضرر سيعرض الإنسانية للخطر. ويظهر

واضحاً أن مثل هذا التعريف يبقى قاصراً عن تحديد عناصر الظاهرة الإرهابية على الصعيد الدولي إذ يقتصر على الإرهاب الفردي الموجه للمسؤولين والأملاك العامة. أما منظمة الأمم المتحدة فقد قررت منذ سنة 1973 إنشاء لجنة خاصة بالإرهاب الدولي تفرعت عنها ثلاث لجان اقتصرت مهمة إحداها على وضع تعريف للإرهاب الدولي.

وقد اتضح منذ البداية أن لجنة تعريف الإرهاب الدولي تتخبط في نفس الصراع القائم حول القضايا الأساسية داخل الأمم المتحدة، وهكذا نلاحظ مثلاً في التقرير الصادر عن لجنة سنة 1979 "لقد رأى بعض ممثلي الدول أنه يجب على اللجنة الخاصة أن تقوم بدراسة معمقة بقصد وضع تعريف للإرهاب الدولي حتى تحيط بدقة بحدود المفاهيم القائمة". ويبقى الخلاف القائم بشأن المفاهيم الأساسية مرتبطاً بتمسك عدة وفود بضرورة التمييز بين الإرهاب الفردي وإرهاب الدولة (الموقف الذي أبدته حركة عدم الانحياز)، أما الاتجاه الآخر (ويتزعمه المشروع الأمريكي والاقتراح الفرنسي والفنزويلي) فينطلق من قصر الإرهاب الدولي على إرهاب الأفراد مستثنياً أو متغاضياً عن إرهاب الدولة.

ولئن بقيت منظمة الأمم المتحدة عاجزة عن وضع تعريف موحد للإرهاب الدولي فقد عمدت على صعيد آخر إلى محاولة تصنيف وإدانة بعض الأنشطة التي اعتبرتها إرهابية. وهكذا وافقت لجنة القانون الدولي (2) سنة 1954 على مشروع تقنين الجرائم الدولية. كذلك أصدرت الجمعية العامة بتاريخ 24 تشرين الأول سنة 1970 الإعلان المتعلق بمبادئ القانون الدولي فيما يخص العلاقات الدولية والتعاون الدولي. كما وافقت بتاريخ 14 كانون الأول 1973 على الاتفاقية الخاصة بمنع وقوع الجرائم التي ترتكب ضد الأشخاص المتمتعين بحماية دولية بمن فيهم الدبلوماسيون. ووافقت الجمعية العامة بتاريخ 17 كانون الأول 1979 على الاتفاقية الدولية لمحاربة احتجاز الرهائن (3).

**ثانيا- أسباب الإرهاب الدولي:**

للإرهاب الدولي أسباب تكمن في أساس نشوئه وهي كثيرة ومتنوعة، ويمكن تصنيفها في فئتين:

**أ-أسباب ذات طبيعة سياسية:**

-الاستعمار والاستعمار الجديد والحفاظ على السيطرة الاستعمارية.

-العنصرية والتمييز العنصري والفصل العنصري والصهيونية.

-العدوان واستخدام القوة لانتهاك الاستقلال السياسي للدول أو سيادتها أو سلامتها الإقليمية.

-احتلال أراض أجنبية أو السيطرة عليها أو على شعوبها.

-التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى.

-الإرهاب واسع النطاق ضد الشعوب بهدف فرض السيطرة عليها وما ينجم عن ذلك من خروج الأهالي من ديارهم.

-سياسة التوسع والهيمنة.

**ب-أسباب ذات طبيعة اقتصادية واجتماعية:**

*استمرار النظام الاقتصادي الدولي الجار وغير المنصف.

*الاستغلال الأجنبي لموارد البلد الطبيعية.

*قيام دولة أجنبية بالتدمير المنظم للهياكل البشرية أو السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية لبلد آخر.

*عرقلة التنمية المستقلة للبلدان النامية.

*الظلم الاجتماعي والاستغلال السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

*انتهاك حقوق الإنسان وحرياته الأساسية والحبس الجماعي والتعذيب، والانتقام واللامساواة والتهجير الإجباري، والطرد الجماعي، والنزع من الوطن، والاستعباد، والقهر.

**ثالثا -أنواع الإرهاب:**

إن لجوء الأنظمة الاستعمارية والإمبريالية والدكتاتورية القمعية في العالم إلى تضخيم ما تطلق عليه "الإرهاب الدولي" وإلصاق كل تهم الإجرام والإرهاب بممارسيه دون البحث في البواعث.. يعد عملاً تضليلياً، الهدف منه إبعاد الأنظار عن الإرهاب الذي تمارسه ضد شعوب العالم الثالث وضد شعوبنا. وعليه فإن مقارنة ما يسمى بظاهرة "الإرهاب الدولي" تستلزم التمييز بين نوعين من أعمال العنف المصنفة كأعمال. إرهاب دولية، الأول: إرهاب الدولة والثاني: إرهاب الأفراد والجماعات.

**أ-إرهاب الدولة:**

يرى بعض خبراء القانون الدولي أن الدول تلجأ إلى وسائل الإرهاب عندما تظهر هوة واسعة بين أهدافها المعلنة وأهدافها الحقيقية التي ترغب في إخفائها لسبب أو لآخر، وعندما تصبح ممارستها السياسية في حالة اختناق تعجز عن تجاوزها بالعمل الدبلوماسي عبر القوانين الدولية المعمول بها.

وقد جسد الإرهاب الأمريكي الصهيوني ضد الأمة العربية أبشع أنواع الإرهاب الدولي، فسجله طويل، ويكفي أن نتذكر أن الوجود الصهيوني والإرهاب الصهيوني ضد العرب سواء في الأراضي المحتلة أو خارجها، والغارة الصهيونية على المفاعل الذري العراقي وعلى مقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس واغتيال الفلسطينيين والعرب في أوروبا، وغزو الولايات المتحدة لغرينادا وعدوانها على الجماهيرية الليبية وقصف سكانها الآمنين وتهديدها بقصف مصنع الأدوية الليبي

وقصفها لمصنع الشفاء للأدوية في السودان ودعمها للكيان الصهيوني والأنظمة الديكتاتورية في أمريكا اللاتينية وفي آسيا وأفريقيا، هذا بالإضافة إلى الإرهاب الاقتصادي والنفسي الذي تمارسه ضد شعوب العالم الثالث واستعمالها لما يسمى بسلاح التجويع.. وما ينطبق على الكيان الصهيوني ينطبق على ما كان يمارسه النظام العنصري في جنوب أفريقيا حيث يعد الإرهاب هو السلوك اليومي للأقلية البيضاء هناك ضد أفريقيا سواء داخل جنوب أفريقيا أو الدول المحيطة (3).

بعد هذا يمكننا أن نحدد مفهوم إرهاب الدولة بما يلي: (إرهاب الدولة هو الاستخدام التعسفي للقوة المتاحة من قبل الدولة، أو المؤسسات التابعة لها، أو الشخصيات المسؤولة فيها، الذي يوجه ضد أمن وسلامة وسيادة دولة أخرى، أو ضد السكان المدنيين فيها، أو هو استخدام الوسائل المحرمة لإبادة أفراد قوات الدولة الأخرى، أو ضد السكان المدنيين فيها، أو هو استخدام الوسائل المحرمة لإبادة أفراد قوات الدولة الأخرى، أو مظاهر الإبادة التي توجه ضد سكان المدنيين الموجودين في الدولة الأخرى لأسباب عنصرية، سياسية، اجتماعية، أو إيجاد ظروف معاشية تتنافى مع حقوق الإنسان بما فيها تهجيرهم بالقوة من أراضيها).

إن إرهاب الدولة هو أعلى أشكال الإرهاب، وأكثرها تنظيماً، وأكثرها تناقضاً مع مبادئ القانون الدولي ومواثيق وأهداف المنظمات الدولية والموجه ضد مظاهر الاستقرار والسيادة والسلام في المجتمع الدولي.

**ب-إرهاب الأفراد والجماعات:**

إن ما يثير اللبس والإبهام ويعقد عملية التكييف القانوني لما يسمى بظاهرة الإرهاب الدولي، ويعرقل صدور قرارات دولية ذات إجماع دولي بشأن الإرهاب، هو تنامي تيارات متعددة وتمارس هذا النوع من العنف، وإذا كان بعض هذه

الجماعات ينطبق عليه صفة الإرهاب فإن جماعات أخرى يبقى إطلاق صفة الإرهاب على أعمال العنف التي تمارسها، يبقى في إطار الأخذ والرد.

**تصنيف تيارات الإرهاب**

وعليه يمكننا وضع تصنيف لهذه التيارات أن يقسمها إلى ثلاث مجموعات:

*** المنظمات ذات الاتجاه القومي المطالبة بالانفصال وإقامة دولة قومية:**

تمارس هذه المنظمات عمليات عنف ضد أفراد ومؤسسات الدولة التي تعتبرها مسؤولة عن حرمانها من تقرير مصيرها وضد أبناء قوميتهم المتعاقدين مع هذه الدولة. ولا يوجد اتجاه إيديولوجي موحد يربط بين مختلف هذه المنظمات حيث تتفاوت اتجاهات الإيديولوجية ما بين اليمين واليسار. **وأبرز هذه المنظمات:**

- حركة (إيتا) في إسبانيا وهي منظمة تطالب بانفصال منطقة الباسك عن أسبانيا وفرنسا وإقامة دولة قومية مستقلة.
- المنظمات الكورسيكية المطالبة بالانفصال عن فرنسا وتشمل جيش التحرير الوطني الكورسيكي، العمل من أجل نهضة كورسيكا، والأولوية الثورية الكورسيكية.
- جيش التحرير الوطني الأيرلندي، والجيش الأيرلندي: وهما تنظيمان يكافحان من أجل استقلال أيرلندا الشمالية عن بريطانيا وتوحيد شطري أيرلندا، ونفذت هذه التنظيمات عمليات عنف جريئة أهمها محاولة اغتيال رئيسة وزراء بريطانيا الأسبق ماغريت تاتشر ومطاردة أفراد الجيش البريطاني، كما شملت أهدافاً داخل لندن.
- القوات المسلحة للتحرير الوطني لبورتوريكو: وهي منظمة تطالب باستقلال بورتوريكو عن الولايات المتحدة الأمريكية.

-المنظمات السيخية المتطرفة بالهند: حيث يطالب السيخ المتطرفون بالانفصال عند الهند وإقامة دولة مستقلة.

-جماعة أبو سياف في الفلبيين: حيث تطالب هذه الجماعة بالانفصال عن الفلبيين وإقامة دولة مستقلة.

***المنظمات اليمنية الفاشية:**

تنتشر هذه المنظمات على وجه الخصوص في الأنظمة الدكتاتورية العسكرية وفي المجتمعات المصنعة حيث ينصب حقدها وعنصريتها ضد الأجانب وضد التيارات السياسية، وغالباً ما تغمض السلطات الرسمية النظر عن الأعمال الإرهابية التي تمارسها هذه المنظمات أو تقف خلفها بالتمويل والتوجيه، وكثيراً ما تصبح هذه التنظيمات أحد أوجه إرهاب الدولة الرسمي كما هو الحال في الكيان الصهيوني، وقد شهدت أوروبا في الآونة الأخيرة تزايداً في نشاط هذه المنظمات حيث وجهت أعمالها الإرهابية ضد الأجانب وخصوصاً العرب منهم، وقد قتل العديد من المواطنين العرب على أيدي هذه المجموعات وخصوصاً في فرنسا. ولا تخفي هذه المنظمات ميولها العنصرية وأعمالها الإرهابية بل ترفع شعاراتها العنصرية في الانتخابات لكسب مزيد من الأصوات. ومن أهم هذه المنظمات "الجبهة الوطنية" في فرنسا التي يتزعمها العنصري "لوبان" التي تمارس عملها علناً، ولها مقاعد عدة في مجلس النواب الفرنسي، وحصل زعيمها في الدورة الرئاسية الأولى من الانتخابات الفرنسية لعام 2002م على المرتبة الثانية بعد الرئيس شيراك مزيحاً بذلك رئيس الوزراء جوسبان عن المنافسة....

وفي الكيان الصهيوني بالإضافة إلى كون وجود هذا الكيان يمثل إرهاباً ضد شعب بكامله، فقد برزت جماعات إرهابية صهيونية مثل جماعة "كاهانا" و"الإرهاب ضد الإرهاب" و"رابطة الدفاع اليهودية" التي تمارس نشاطها ضد العرب في الولايات المتحدة الأمريكية.

ونشير هنا إلى وسائل الإعلام الإمبريالية التي تحاول أن تخفي أو تقلل من أهمية العمليات الإرهابية التي تمارسها هذه المنظمات مقابل تضخيم عمليات قوى اليسار المتطرف. وفي غالبية الأنظمة الدكتاتورية الفاشية تنشئ قواتها المسلحة وأجهزة مخابراتها منظمات إرهابية خاصة بها مكلفة بمطاردة المعارضة اليسارية واغتيال أفرادها، أو إيجاد حالة من الترويع والترهيب بين السكان تعطي المبرر للنظام للتدخل وإعلان حالة الطوارئ والقيام بحملة اعتقالات واسعة بحجة إعادة الهدوء والنظام.

***منظمات اليسار المتطرف:**

تعد هذه المنظمات الإرهابية مثيرة للجدل وللاهتمام من قبل وسائل الإعلام الغربي لقوة تنظيمها ولعنف الضربات التي وجهتها لمؤسسات ورموز الأنظمة الرأسمالية والأمريكية ولوجود تنسيق ما بين هذه المنظمات الموجودة، سواء في فرنسا أو إيطاليا أو ألمانيا، وتشكيلها ما يطلق عليه "أممية الإرهاب" (5).

وتحدد منظمات اليسار المتطرف أهدافها بتحطيم النظام الرأسمالي الإمبريالي بكل مؤسساته. وينطلق هذا التيار من مواقع الرفض المطلق للواقع الرأسمالي الإمبريالي وعدم جدوى التعامل معه ضمن القنوات الشرعية، فالخيار الإرهابي بالنسبة لها خيار استراتيجي نهائي لا محيد عنه، إنه إرهاب في وجه التفاوت الاجتماعي والمجتمع الاستهلاكي، وضد التلوث وهيمنة التكنولوجيا على الإنسان إلى درجة الاستلاب. ولا تبتعد منظمات اليسار المتطرف، سواء في إيطاليا

أو فرنسا أو ألمانيا، عن الجو الذي ساد أوروبا وخصوصاً فرنسا أثناء الثورة الطلابية 1968، حيث طرح الطلاب بشكل عنيف، لأول مرة الحرب العالمية الثانية، الأزمة التي يعيشها الجيل الجديد، المترتبة عن الاختناقات الاقتصادية والاجتماعية والروحية التي بدأت المجتمعات المتقدمة صناعياً تعاني منها في ظل هيمنة الآلة التقنية والمادة على شتى مناحي الحياة وغياب دور فعال لجيل ما بعد الحرب العالمية الثانية. أما أبرز هذه الجماعات اليسارية المتطرفة فهي: الألوية الحمراء في إيطاليا، والجبهة الألمانية للجيش الأحمر، والعمل المباشر في فرنسا.

## رابعاً -مثالان عن الإرهاب الدولي:

### أ-الإرهاب الأمريكي:

واضح للجميع مثل اللص الذي يحاول صرف انتباه متعقبيه عنه فيصرخ بأعلى صوته: اقبضوا على اللص. في مثل هذا الواقع تقريباً تتصرف الآن إدارة الولايات المتحدة الأمريكية وحكومات عدد من الدول الإمبريالية التي تشجع في الواقع تزايد الإرهاب الدولي تحت راية "مقاومة الإرهاب" وتتحول هي نفسها إلى دولة إرهابية. وفي المعنى الواسع يدرج الحقوقيون في قائمة الإرهاب: أعمال الحروب غير المعلنة، وتصدير الثورات المضادة على أنواعها، والاغتيالات السياسية في جميع أشكالها، وأخذ الرهائن وغيرها، وتتخذ هذه الأعمال طابعاً خطراً عندما تلجأ إليها الدول لا الأفراد. ففي مثل هذه الأعمال يرتقي الإرهاب إلى مرتبة سياسية الدولة وقد يتطور فيتخذ حجم العدوان السافر، وإذا حللنا سياسة الولايات المتحدة الأمريكية من هذه الزاوية في المناطق التي تطلق عليها عادة تسمية "المناطق الساخنة" على كوكبنا وهي مناطق الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية وجنوب أفريقيا لرأيناها تتصف جميع الأعمال المدرجة تحت اصطلاح الإرهاب مطبقة فيها:

العدوان على ليبيا وغرينادا، تجنيد المرتزقة وإرسالهم للعمل ضد الحكومات الشرعية في نيكاراغوا وأنغولا وأفغانستان، تقديم السلاح والتغطية السياسية لأعمال إسرائيل وجمهورية أفريقيا الجنوبية العدوانية العنصرية (في فترة تطبيق نظام الفصل العنصري)، قيام المخابرات الأمريكية بإعداد وتنفيذ الاعتداءات على حياة قادة الدول الأخرى مثل رئيس مصر جمال عبد الناصر ورئيس جمهورية تشيلي الليندي ورئيس جمهورية الكونغو الشعبية نغوابي وغيرهم، وقائمة مثل هذه الأعمال لا نهاية لها. أما البيئة المناسبة للإرهاب الدولي على مستوى الحكومات فتتمثل في أوضاع التأزم والصراع القائمة في مناطق متعددة من العالم التي أوجدتها وسعرتها سياسة الدول الإمبريالية.

*** قمة الإرهاب الدولي (اختطاف الطائرة المصرية):**

أثبتت الولايات المتحدة الأمريكية مجدداً أنها تظل الزعيمة الأولى للإرهاب الدولي عندما اختطفت الباخرة الإيطالية (اكيلي لاورو) استنفرت أمريكا قواتها وقام سلاحها الجوي باختطاف الطائرة المصرية، التي تحمل المختطفين الأربعة، في عملية قرصنة لا مثيل لها. ورافقت القرصنة الجوية الأمريكية حشودات بحرية وجوية وإلكترونية أمريكية في شرق البحر المتوسط ونفذت أمريكا حصاراً إليكترونياً على مصر الداخلية، وتنصتاً دقيقاً على هاتف الرئيس المصري حسني مبارك وأعلنت حالة الطوارئ في القواعد الأمريكية بالمنطقة العربية وتحركت الولايات المتحدة في الأجواء والمياه الإقليمية المصرية وعلى الأرض بكامل حريتها.

***الاعتداء على ليبيا:**

ولعل أكثر ما يبرهن عن النوايا الإرهابية -التدخل الأمريكي المخطط والمبرمج في زمن سابق واعتراف مسؤول في "البيت الأمريكي" حول الاعتداء الأمريكي على ليبيا: "إننا كنا نبحث عن ذريعة لضرب ليبيا" الذي يضاف إليه اعتراف مماثل يوم

26 آذار 1986 من مصادر وزارة الدفاع الأمريكية بأن الغارات التي قامت بها قوات الأسطول الأمريكية ضد زورقين ليبيين وموقع للصواريخ في خليج (سرت) "قد خطط لها بدقة منذ أسابيع وأن التخطيط كان تفصيلياً إلى حد تلقين الطيارين حول أفضل طريقة لضرب الزوارق والقاعدة اعتماداً على قاعدة التعبير العسكري المعروف بـ "الضربة الجاهزة". فإذا أخذنا بعين الاعتبار "المناورة" الأمريكية التي حملت الرقم (5) بدأت بالضرب من السواحل الليبية يوم 23 آذار 1986، وأن واشنطن أعلنت لها أهدافاً "تدريبية روتينية" محددة.. لعلمنا من هو الإرهابي حقاً.

*** أحداث أيلول 2001م:**

إن الضربات القوية التي تعرضت لها نيويورك يوم الحادي عشر من أيلول عام 2001 وطريقة تنفيذها والدقة في الإصابة تدل على وجود أياد استخبارتية وإمكانيات كبيرة أعدت لهذه العملية لا يمكن أن تمتلكها مجموعات صغيرة وإنما دول.. وإذا حللنا أسلوب السياسة الأمريكية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والتوازن الدولي نجد أن أمريكا تبحث عن عدو جديد لتبرير هيمنتها على العالم أجمع.

**ب-الإرهاب الصهيوني في الأراضي العربية المحتلة:**

بالرغم من كثرة الكتابات التي تناولت بالشرح والتفسير أعمال الإرهاب الصهيوني ضد أبناء الشعب الفلسطيني على مجمل الأراضي الفلسطينية المحتلة، إلا أن هناك العديد من الجوانب التي لم تحظ بالإحاطة والتركيز. فالاهتمام انصب بالأساس على أعمال الإرهاب التي تمارسها السلطات الصهيونية ضد الفلسطينيين، مثل: الاعتقال، السجن، الضرب، الإبعاد، الاغتيال، مصادرة الأراضي، نسف المنازل، تجريف الأراضي الزراعية.. وكذلك ممارسات الجماعات الإرهابية العاملة ضد أبناء الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة. وذلك بدون بيان علاقة الارتباط العضوي بين إرهاب السلطات الصهيونية وإرهاب الجماعات المتطرفة، ذلك الارتباط الذي

تحصل بموجبه الجماعات على مظلة وحماية حكومية. ونلقي الضوء على حقيقة هذا التكامل الوظيفي بين الإرهاب الرسمي وغير الرسمي في السياسة الإسرائيلية، مع توضيح أثر الانتفاضة على آلة الحرب الإسرائيلية وما أصابها من ارتباك وخلل بسبب تحويلها للعمل ضد حجارة المنتفضين:

**أولاً –الإرهاب الصهيوني الرسمي:**

ونقصد به الإرهاب الذي تمارسه سلطات الاحتلال الصهيوني ضد أبناء الشعب الفلسطيني على مجمل أرض فلسطين. وإن كانت هناك أحداث كبرى ووقائع جلبة من وقت لآخر لكشف هذا الإرهاب مثل دير ياسين، كفر قاسم، صبرا وشاتيلا، مجزرة قانا، وليس آخراً مذبحة مخيم جنين في شهر نيسان الماضي فإن هناك سياسة صهيونية نظامية مستمرة تتشابك حلقاتها لتفرز شبكة متكاملة من أعمال القمع والإرهاب التي لاقت استهجان مختلف قطاعات المجتمع الدولي بمن فيها بعض الفئات اليهودية داخل (إسرائيل) وخارجها.

***وتشمل هذه الأعمال الإرهابية:***

***التوسع في مصادرة الأراضي في الضفة الغربية والقطاع المحتلين وبناء مستوطنات عليها:**

ويلاحظ في هذا الصدد أن سلطات الاحتلال تركز في أعمال المصادرة على تلك المناطق الحيوية الغنية بمواردها التي ترى فيها أهمية استراتيجية تمكنها من اختزان وتنسيق التجمعات البشرية الفلسطينية آخذة في الانتشار السرطاني لتخترق وتطوق هذه التجمعات بطريقة تجعل منها فئات متناثرة تعوق العمل الجماعي. ومع ارتفاع معدلات إرهاب المستوطنين يتم إجبار العدد من أبناء الشعب الفلسطيني على ترك ديارهم والرحيل إلى مناطق أخرى داخل الأراضي

العربيـة المحتلـة أو تركهـا والخـروج منهـا إلى بلـدان أخـرى وهـو غايـة مـا تنشـده السلطات الصهيونية.

وفي هـذا الإطـار بلـغ إجمـالي الأراضـي الفلسـطينية الـتي تمـت مصـادرتها مـن الضفة الغربيـة منـذ عـام 1967 وحتـى عـام 1987 نحـو 2.28.000 دونم أي مـا يـوازي 52٪ مـن إجمـالي مسـاحة الضـفة الغربيـة الـتي تبلـغ 5.5 مليـون دونم، وقـد تم إنشـاء مستوطنة يهوديـة يقطنهـا حـوالي (60) ألـف مسـتوطن يهـودي عـام 1986. أمـا في قطـاع غـزة المحتـل فقـد تمـت مصـادرة 160 كيلـو مـتر مربـع أو مـا يـوازي 42٪ مـن إجمالي مساحة القطاع التي تبلغ 363 كم شيدت عليها سلطات الاحتلال نحـو 31 مستوطنة يقطنهـا ألفـان من المستوطنين الـذين يتركـزون في الجنـوب. هـذا ووضـعت سلطات الاحتلال مخططات طويلة الأجل للمصادرة والاستيطان ترمـي مـن ورائهـا إلى تحويـل اليهـود إلى أغلبيـة في المنـاطق المحتلـة بحلـول عـام 2025 وذلـك بـافتراض نجاحهـا في جلـب اليهـود مـن الخـارج بطـرد معظـم سـكانها العـرب. (وقـد نجحـت سلطات الاحتلال في تحقيق أهدافها في جلب اليهود، وما هجـرة اليهـود السوفييت، والروس إلا دليل على ذلك).

***التوسع في سياسة قمع وإرهاب أبناء الشعب العربي الفلسطيني:**

هنـاك سياسـة صـهيونية محكمـة موجهـة إلى أبنـاء الشـعب الفلسـطيني وتهـدف إلى فصـم علاقتـه بـالأرض أولاً، وهـذه السياسـة تـزداد حـدة وكثافـة ولا سـيما مـع استمرار العوامل الديموغرافيـة في إفـراز نتائجهـا المدعمـة للجانـب الفلسطيني. ومـن هنا فالسياسة الإرهابية الصهيونية تعمل من أجل وقف هذه التحولات من خلال التوسع في طرد العرب خـارج الأرض المحتلـة وذلـك بتصعيد أعمـال القمـع والإرهـاب الذي يزداد ضحاياه يوماً بعد آخر.

ومع اندلاع الانتفاضة الشعبية الفلسطينية الأولى في التاسع من كانون الأول عام 1987 وانتفاضة الأقصى المبارك في 28 أيلول عام 2000 تصاعدت أعمال القمع والإرهاب الصهيوني ضد أبناء الأراضي المحتلة وتحولت الأحداث إلى ما يشبه حرباً ضروساً تقودها آلة الحرب الإسرائيلية ضد الأطفال والشباب الذين تتكون أسلحتهم من الحجارة والزجاجات الفارغة والحارقة المصنعة يدوياً.

وتكشف سلوكيات جنود الاحتلال عدة تصرفات همجية بربرية في مواجهة أطفال وشباب الانتفاضة، فنجد أن القوات التي تتصدى لحجارة المنتفضين عبارة عن وحدات من معظم أسلحة الجيش الإسرائيلي من مشاة ومدرعات ومصفحات وتقوم هذه القوات بارتكاب أعمال وصفها "عمرام ميسسناع" قائد المنطقة الوسطى في استقالته بأنها أعمال قذرة ودنيئة. ومن قبيل هذه الأعمال إطلاق الرصاص الحي والمطاطي على رؤوس المنتفضين، استخدام الغازات السامة، صلب الشبان العرب على واجهات العربات المدرعة الإسرائيلية، واقتحام المظاهرات والضرب حتى الموت والرجم بالحجارة باستخدام راجمات آلية تقذف كميات هائلة نحو المتظاهرين وتعمل آلياً، الدفن أحياء، سلخ الجلد لإزالة الرسومات الوطنية مثل العلم الفلسطيني وصورة القادة الوطنيين. كذلك أقدمت سلطات الاحتلال على استخدام طرق ملتوية للاعتقال واغتيال المتظاهرين ومن قبيل هذه الطرق تشكيل وحدتين من الجيش الإسرائيلي تحت اسم "فرق الموت" للقيام بأعمال إرهابية كاغتيال قادة المتظاهرين، وينتحل أفراد هاتين الوحدتين صفة الصحفيين الأجانب لتصوير المظاهرات وتحديد قادتها لاعتقالهم أو اغتيالهم. كذلك ظهرت فرق أخرى جديدة تتنكر في زي السياح وتحمل الكاميرات لنفس الأغراض.

كما أدخل الجيش الإسرائيلي برنامجاً للتدريب على مقاومة المظاهرات والإضرابات تم وضعه ضمن برامج التدريب الأساسية للجيش وهو البرنامج الذي أطلق عليه رئيس الأركان الجنرال (دان شومرون)، "برنامج التدريب على الأعمال الشاذة". وفي الوقت نفسه قرر وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك (رابين) السماح لجنود الاحتلال بإطلاق الرصاص الحي على الشبان الفلسطينيين الملثمين، وذلك في إطار سياسته المعروفة (تكسير العظام) وقد أسفرت هذه الأعمال الإرهابية منذ اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى في 9 /12/ 1987 وحتى منتصف أيلول 1989 عن سقوط (936) شهيداً و(46) ألف جريح و(6) آلاف معوق و(6) آلاف حالة إجهاض بسبب استخدام الغازات المحرمة دولياً بالإضافة إلى (9392) معتقلاً.

ثانياً –الإرهاب الصهيوني غير الرسمي:

ونقصد به الإرهاب الذي تمارسه جماعات وعصابات مشكلة من غلاة المتطرفين الصهاينة الذين تنصب أعمالهم على الإرهاب وقمع السكان العرب من محاولة لإجبارهم على الرحيل مما يطلق عليه اسم "أرض إسرائيل الكبرى". وبالرغم من أن هذه الجماعات لا تحمل صفة رسمية إلا أنها تعمل في إطار تنسيق كامل مع السلطات الصهيونية نظراً لأن هذه الجماعات تشارك تلك السلطات في نفس الأسباب. **وتنقسم جماعات الإرهاب غير الرسمي إلى ثلاثة أنواع:**

1-جماعات تحظى بوضع رسمي تحت أسماء مدنية، استيطانية ومن ثم يحظى عملها الظاهر بالشرعية وتتلقى الدعم الحكومي والدعم من يهود الخارج ومن أمثلة هذه الجماعات حركة كاخ التي يتزعمها كاهانا، وحركة جوش ايمونيم. وقد توسع كاهانا وأعوانه في أعمال الإرهاب التي شملت تهديدات بالقتل للشخصيات الفلسطينية والاعتداء على المواطنين الفلسطينيين وحرق

المحاصيل، وتدمير الممتلكات... إلى آخر هذه الأعمال التي تنم عن بربرية وهمجية وترى في التخلص من الفلسطينيين حلاً لكل "مشاكل إسرائيل".

2- جماعات سرية أخرى: وهي الجماعات المشكلة من قبل بعض الصهاينة المتطرفين الذين ترعاهم الحكومة والأحزاب الدينية. وتقوم هذه الجماعات بأعمال الإرهاب من حين لآخر لا سيما أعمال النسف والاغتيال للشخصيات والممتلكات الفلسطينية. ومن أمثلة الجماعات: جمعية المحافظة على "الأمن في شوارع الضفة"، "جماعة الإرهاب في مواجهة الإرهاب".

3- تشكيلات المستوطنين الإرهابية: نظراً لزرع المستوطنين وسط التجمعات البشرية الفلسطينية لتمزيقها فقد سعى المستوطنون منذ البداية، بمساعدة أجهزة "الدولة" إلى تشكيل جماعات مسلحة تجوب المناطق المحيطة بها. وتشن غاراتها وحملاتها المسلحة على سكان المخيمات والقرى الفلسطينية المجاورة، واستغل المستوطنون هنا مقولة "جابوتنسكي" أحد منظري كتلة الصهيونية عام 1933 القائلة: "إن الصهيونية هي استيطان ولذا فهي تحيا وتموت مع قضية القوة المسلحة ومن ثم فقد حول المستوطنون منازلهم إلى ما يشبه الثكنات العسكرية وبدؤوا بالتحرش بالمواطنين العرب لإيمانهم بدور العنف في تثبيت أركان السيطرة الصهيونية على الأرض الفلسطينية المحتلة".

ويحصل المستوطنون على مساعدات وإعانات الحكومة المادية والعسكرية وعلى الأسلحة من وزارتي الدفاع والداخلية وبكميات هائلة عدا عن قيام الجيش الإسرائيلي بتدريبهم على أعمال الرماية والقنص.

*** الارتباط الوظيفي بين الإرهاب الرسمي وغير الرسمي:**

هناك علاقة ارتباط قوية بين الأجهزة الصهيونية وجماعات الإرهاب الصهيوني بمختلف فئاتها، سواء العلنية أو السرية، وتقوم الأجهزة الصهيونية في إطار هذه العلاقة بإمداد هذه الجماعات بالسلاح وتوفير مظلة حماية لها مشاركة هذه الجماعات في تنفيذ أحد مكونات السياسة الإرهابية للصهيونية كما أن هذه الجماعات تتمتع بحماية حزبية داخل الكنيست. ومن ناحية العلاقة الارتباطية بين الحكومة وهذه الجماعات نراها تزداد يوماً بعد آخر وبالرغم من حرص الحكومة على عدم كشف العلاقة، إلا أن التقارير الرسمية والتحقيقات التي تجري مع بعض الإرهابيين كشفت هذه العلاقة.

وقد أشار تقرير مراقبة "الدولة الإسرائيلية" بالقدس عام 1986 إلى أن وزارة الداخلية الإسرائيلية ساهمت في تمويل النشاط السياسي لجماعات اليهود المتطرفين، وأن يوسف بورج –وزير الداخلية في ذلك الوقت والمنتمي إلى حزب المفدال الديني –قدم دعماً مالياً لأعضاء شبكة إرهابية في مستوطنة كريات أربع، كما كشف التحقيق مع التشكيل الإرهابي الذي قام بمحاولة اغتيال عمدة رام الله والبيرة ونابلس في عام 1980 حقيقة هذه العلاقة سواء في تدخل الحكومة في سير التحقيق أو في اعترافات المتهمين والشهود. ونلاحظ أن الإرهاب الصهيوني في الأراضي العربية تجسيد لأفكار "القادة الصهاينة" وفي مقدمتهم (وايزمن) أول رئيس لإسرائيل بقوله عند قيام إسرائيل بأن العالم "سوف يصدر حكمه على الدولة اليهودية في ضوء ما تفعله فلسطين وما تقترفه بحقهم من ظلم وعدوان واغتصاب".

ولقد أصدر العالم حكمه من خلال القرار الذي اتخذته الأمم المتحدة عام 1975، باعتبار "الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري". وجاء القرار بسبب الممارسات الصهيونية طوال السنوات الماضية بحق الشعب الفلسطيني

وكانت هذه الممارسات منظمة ومبرمجة في سياسة رسمية تتبعها السلطات الإسرائيلية حسب مخطط مرسوم مبني على أفكار الصهيونية.

وأخيراً إذا كانت قضية الصراع العربي الإسرائيلي لم تلق ما تستحق من صدق في العرض أمام الرأي العام العالمي فإن الانتفاضة الفلسطينية عام 1987. أو انتفاضة الأقصى في 28 /9/ 2000، قد ذهبت إلى حد خرق هذا الموقف داخلياً، واستطاعت أن تصل إلى العالم أجمع مؤكدة الحق العربي الذي تراكمت عليه أغبرة السنين والظلم التاريخي الذي بها.

## خامساً – التفريق بين الإرهاب ونضال الشعوب:

حتى يكون المناضلون من أجل حق تقرير المصير وضد السيطرة الاستعمارية والأجنبية والاحتلال والعنصرية في مركز قانوني يعترف به في إطار التنظيم الدولي، أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار (2103 –12/ 12 /1973 الدورة 28) مبادئ أساسية لتثبيت ذلك المركز هي:

* إن نضال الشعوب الواقعة تحت السيطرة الاستعمارية الأجنبية والمنظمة العنصرية في سبيل تحقيق حقها في تقرير المصير والاستقلال، هو نضال شرعي ويتفق تماماً مع مبادئ القانون الدولي.

* إن أية محاولة لقمع هذا النضال هي مخالفة لميثاق الأمم المتحدة ولإعلان مبادئ القانون الدولي الخاصة بالعلاقات الودية والتعاون بين الدول.

* إن النزاعات المسلحة التي تنطوي على هذا النضال يجب النظر إليها باعتبارها نزاعات دولية بالمعنى الوارد في اتفاقات جنيف 1949 الخاصة بالنزاعات المسلحة والوضع القانوني للمتحاربين.

* إن المناضلين ضد السيطرة الاستعمارية والأجنبية والأنظمة العنصرية، إذا ما وقعوا في أيدي أعدائهم يعتبرون أسرى وتنطبق عليهم أحكام القانون الدولي المناسبة وبخاصة اتفاقية جنيف الخاصة بمعاملة أسرى الحرب 1949.

* إن استخدام الأنظمة الاستعمارية والأجنبية العنصرية للجنود المرتزقة ضد حركات التحرر الوطني عمل إجرامي. ويعامل هؤلاء كمجرمين.

وعلى هذا يمكن تبيان سمات العنف المصاحب للكفاح المسلح إعمالاً لحق الشعوب في تقرير مصيرها والعنف الذي يصفه أعداؤه ومناهضوه تحت مصطلح "الإرهاب الدولي" يمكن تبيان سماته فيما يلي:

- إنه عنف جماهيري تمارسه جماعات وأفراد من شعب يؤمن بالأهداف التي تستخدم العنف لتحقيقها.
- وهو موجه ضد قوى مستعمرة أو محتلة أو غاضبة أو عنصرية أو مستعملة لذلك الشعب.
- ويهدف إلى استرداد الشعب حقه في تقرير المصير.
- وهو مدعوم بالشرعية الدولية، ويخدم السلام العالمي.
- ولا يمكن وصفه بأنه عدوان على أحد فهو دفاع عن النفس، وعنف في مواجهة ظالم أكبر.
- ونظراً إلى أن المستعمر لا يقتصر وجوده على الأراضي المستعمرة بل إن سيادته تمتد إلى أماكن أخرى فإن مبدأ استخدام الكفاح المسلح يمتد إلى حيث يوجد المستعمر.

ويبقى مقياس الفصل بين الإرهاب والنضال يتألف من عنصرين يشكلان كلاً واحداً وهما: السبب الذي يدفع المناضل أو المجرم للقتال، والهدف الذي يسعى كل منهما لبلوغه، ولقد أكدت الأمم المتحدة في ميثاقها من حيث المبدأ في كثير من

المعاهدات والاتفاقيات، الدولية التي عقدتها وفي قراراتها من حيث الأحكام والممارسة أكدت على الشرعية الأخلاقية والسياسية لكفاح التحرير الذي تخوضه الشعوب المضطهدة بجميع الوسائل الموجودة بتصرفها. وهذا هو ما يميز أعمال التحرير الوطني من أعمال الإرهاب، ذلك أن الكفاح الوطني يندرج مع النزاع المسلح في فئة واحدة ويدخل من الناحية القانونية في نطاق أحكام اتفاقيتي جنيف لعام 1949، الخاصتين بالنزاعات المسلحة.

وعلى هذا أيضاً لا يجوز أن ينتج عن الكفاح ضد الإرهاب الدولي أي تقييد لحقوق الشعوب في نضالها ضد الاستعمار والاحتلال والعنصرية والصهيونية وضد جميع أشكال القهر السياسي والاحتلال الاقتصادي.

**سادساً – شرعية كفاح الشعب العربي الفلسطيني**

أكدت الأمم في قراراتها المتعددة على حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، كما حظي نضال الشعب الفلسطيني بالتأييد الدولي سواء على مستوى دول الانحياز أو منظمة الوحدة الأفريقية، أو المؤتمر الإسلامي وفي العديد من المؤتمرات الدولية، ويرجع ذلك الوضوح إلى عدالة القضية التي يدافع عنها الفلسطينيون وعدوانية الكيان الصهيوني وعدم شرعية وجوده، ومواكبة النضال الفلسطيني بكل جهوده من أجل حل عادل ومشرف للقضية.

وقد صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة العديد من القرارات التي تؤكد عدالة القضية الفلسطينية وشرعية نضال الشعب العربي الفلسطيني من أجل استعادة حقوقه الوطنية المغتصبة، حيث ترافق حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره على أرضه مع الحق في استعمال كافة الوسائل المؤيدة لتحقيق هذا الهدف بما فيها الكفاح المسلح. وأهم القرارات الصادرة عن الجمعية العامة حول الموضوع هي:

-في عام 1970 أكدت الجمعية العامة مطالبتها بضرورة انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة وأعلنت أنها: (تعترف وفقاً لميثاق الأمم المتحدة وتعلن: أن الاحترام التام لحقوق شعب فلسطين غير القابلة للتصرف هو عنصر لا غنى عنه في إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط).

-وفي عام 1974 وعلى أثر اعتراف مؤتمر القمة العربي في الرباط بأن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب العربي الفلسطيني، صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار في تشرين الثاني من نفس العام أكدت فيه من جديد على الحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني، وأعربت عن قلقها لما يمثله عدم التوصل إلى حل للقضية الفلسطينية من مخاطر على الأمن والسلام الدوليين ولكون الشعب الفلسطيني قد منع من التمتع بحقوقه غير القابلة للتصرف بما فيها حقه في تقرير مصيره، كما نص القرار على:

1-تؤكد من جديد حقوق الشعب الفلسطيني في فلسطين غير القابلة للتصرف وخاصة:

أ-الحق في تقرير مصيره دون تدخل خارجي.

ب-الحق في الاستقلال والسيادة الوطنية.

2-تؤكد من جديد حق الشعب الفلسطيني غير القابل للتصرف في العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم التي شردوا واقتلعوا منها وتطالب بعودتهم.

3-وتشدد على الاحترام الكلي لحقوق الشعب الفلسطيني هذه غير القابلة للتصرف وإحقاق هذه الحقوق وأن لا غنى عنها لحل قضية فلسطين.

4-وتعترف بأن الشعب الفلسطيني طرف رئيسي في إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط.

5-وتعترف كذلك بحق الشعب الفلسطيني في استعادة حقوقه بكل الوسائل وفقاً لمقاصد الأمم المتحدة ومبادئها.

وهذا يشكل مزيداً من اختفاء صفة الشرعية بل الالتزام الدولي بكفاح الشعب الفلسطيني ويسقط كل الاتهامات الجائرة والمتميزة التي تصف الكفاح المسلح الفلسطيني بالإرهاب.

# الفصل الخامس

## مجلس تعاون شمال الأطلسي و الشراكة من أجل السلام

### أولا : مجلس تعاون شمال الأطلسي:

يعتبر هذا المجلس تتويجاً لعدد الخطوات التي عززت التعاون بين الحلف ودول وسط وشرق أوروبا، حيث نجد أن قمة لندن قد أقامت ارتباطاً دبلوماسياً رسمياً بين الجانبين، وفي نوفمبر 1990م، وقع الحلفاء وشركائهم الجدد بباريس بياناً مشتركاً أنهى نظرة العداء. وفي يوليو 1990م، اجتمع وزراء خارجية الحلف بكوبنهاغن وتباحثوا قضايا تطوير العلاقات مع دول الشرق ، وفي نوفمبر 1991م اجتمع رؤساء دول وحكومات الحلف بروما، ليقروا تطوير العلاقات التعاونية مع دول الشرق، حيث تم توجيه الدعوة لوزراء خارجية دول أوروبا الوسطى والشرقية للاجتماع بنظرائهم من دول الحلف، من أجل تقوية مفهوم الشراكة وتطويرها 'في إطار تنامي دور المؤسسات الديموقراطية في جميع أنحاء أوروبا الوسطى والشرقية، فقد تقرر تطوير الأساس المؤسسي للتشاور والتعاون في القضايا السياسية والأمنية، كما تضمن البيان السياسي المشترك وضع خطة عن كيفية تطوير عملية المشاركة والاتفاق على إجراء اجتماعات دورية واتصالات مع مجلس شمال الأطلسي واللجنة العسكرية للحلف ولجانه الفرعية، اضافة إلى تشكيل مجلس تعاون شمال الأطلسي، وهذه الخطوات جاءت لتمكين دول الحلف من التكيف مع المتغيرات الدولية الجديدة والاستجابة الفعالة مع جهود شركائهم في مجلس تعاون شمال الأطلسي لإنجاز تعهداتهم المتعلقة بجعل عملية التغيير الديموقراطي غير قابلة للإلغاء بموجب عملية مؤتمر الأمن والتعاون بأوروبا.

وكـان اجتمـاع مجلـس تعـاون شمـال الأطلسـي التأسيسـي فـى 20 ديسـمبر 1991م- وهو اليوم الذي انهار فيه الاتحاد السوفياتي – قد ضم خمسة وعشرين دولـة، ضـمت دول الحلـف السـتة عشـر ودول وسـط وشـرق أوروبـا والبلطيـق، وبعـد تشـكيل رابطة الدول المستقلة، تم قبولها بمجلس تعاون شمـال الأطلسي، ثم انضمت جورجيـا وألبانيـا في إبريـل و يونيـو 1992م على التـوالي، وحضـرت فنلنـده بصـفة مراقـب في اجتمـاع أوسـلو 1992م، وفي سـنة 1994م، بلـغ عـدد الـدول الأعضـاء بـالمجلس ثمـاني وثلاثين دولة، هي دول الحلف وجميع دول حلف وارسو السابق وجمهوريات الاتحاد السوفياتي بالاضافة إلى فنلدا وسلوفينيا والسويد بصفة مراقب، ولما التحقت النمسا ببرنـامج الشـراكة مـن أجـل السـلام في 10 فبرايـر 1995م، أصـبحت عضـواً مراقبـاً بالمجلس ، الذي يعقد اجتماعاً دورياً سنوياً و اجتماعات أخرى كلما دعت الضرورة، وتركزت المشاروات على القضايا السياسية والأمنية، ودعم عمليات التحول في دول شرق ووسط أوروبا، حيث تستطيع دول الحلف أن تقدم الخبرة والمعرفة في مجالات التخطيط الدفاعي والمفاهيم الديموقراطية عن العلاقات المدنية – العسكرية والشؤون العلميـة والبيئـة والتنسـيق المـدني العسـكري لإدارة المـرور الجـوي، وتحويـل الإنتـاج الدفاعي إلى أغراض مدنية، بالاضافة إلى توزيع معلومات عن الحلف في الدول المعنية من خلال السفارات ووسائط أخرى.

وحددت أنشطة المجلس في ما يلي:

**1-1- المشاورات السياسية :** حيث يلتقي سفراء الدول الأعضاء بالمجلس مرة على الأقل كل شهر، كما يجتمعون أيضاً، بلجان الحلف الفرعية بشكل دوري، وتبحث قضايا النزاعات الإقليمية والمفاهيم الديموقراطية للعلاقات المدنية – العسكرية والمحاسبة البرلمانية...

**1-2- القضايا الاقتصادية** : يتركز عمل اللجنة الاقتصادية في بحث ميزانيات الدفاع وأعمال المحاسبة والتخطيط المالي وبرنامج وضع الميزانية والإدارة وأعمال الأبحاث والتطوير وإجراءات اقتناء المعدات و إدارة الأفراد والجوانب الأمنية للأوضاع الاقتصادية..

**1-3- قضايا التخطيط الدفاعي** : تشمل المبادئ الرئيسة لإستراتيجية العسكرية، بنى قوة القيادة، التمارين العسكرية، برامج وميزانيات الدفاع الوطني، مناهج ومفاهيم التدريب والثقافة فى الحقل الدفاعي، الاجتماعات المشتركة، الاتصالات والزيارات العسكرية، الاشتراك في الدورات التدريبية التي تقيمها كلية الدفاع التابعة للحلف بروما و أوبيرا ميرغاو، سياسة الدفاع وإدارته، مناقشة مفاهيم كفاية الدفاع والاستقرار والمرونة وإدارة الأزمات، تحقيق الانسجام في قضايا التخطيط الدفاعي والسيطرة على الأسلحة، القوات الاحتياطية، الثقافة الدفاعية، المناورات العسكرية، التفتيش والانقاذ والمساعدة الإنسانية والطب العسكري و إعادة بناء القوات المسلحة بالنسبة لدول وسط وشرق أوروبا.

**1-4- القضايا الإعلامية** : يتم متابعة تنفيذ الأنشطة الإعلامية المحددة في خطة عمل المجلس من خلال اللجنة الإعلامية والثقافية.

**1-5- القضايا العلمية والبيئية** : تشمل قضايا البيئة والتكنولوجيا والعلوم ونزع السلاح...

**1-6- قضايا دعم الدفاع** : تركز على موضوعات برامج الاتصالات و نظم المعلومات ومشتريات الدفاع.

**1-7- تخطيط الطوارئ المدنية** : يتم خلالها وضع برامج خاصة بالمساعدات الإنسانية ومواجهة الكوارث

**1-8- التنسيق في المجال الجوي** : وتتمحور حول التنسيق المدني – العسكري لإدارة النقل الجوي .

وقد نظر الكثير إلى الشراكة من أجل السلام على أنها البداية لعضوية الحلف، خصوصاً بعد تراجع دور مجلس تعاون شمال الأطلسي، واقتصار مهامه على القضايا السياسية والاقتصادية والعلمية والبيئية والمعلوماتية، وتزايد دور برنامج الشراكة من أجل السلام، وبالأخص في المسائل العسكرية، وتأكد ذلك بعد تبلور اتجاه لضم بعض دول الشراكة لعضوية الحلف على مراحل، واستبعاد بعض دول الشراكة نهائياً من عضوية الحلف.

**ثانياً : الشراكة من أجل السلام** :

طرحت فكرة الشراكة من أجل السلام من طرف الولايات المتحدة في اجتماع وزراء خارجية دول الحلف بترافدون بألمانيا في 20 و 21 أكتوبر 1993م، ثم طرحت أيضاً في اجتماع مجلس تعاون شمال الأطلسي ببروكسل في 10 و11 يناير 1994م، وكانت تهدف إلى زيادة الثقة ودعم الجهود التعاونية، والتكيف مع تغيرات البيئة الأمنية لما بعد الحرب الباردة، **كما أكدت على مايلي** :

أ- المحافظة على المجتمعات الديموقراطية ومبادئ القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة ومبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

ب- الامتناع عن استخدام القوة أو التهديد باستخدامها.

ج- احترام الحدود القائمة وحل النزاعات بالطرق السلمية.

د- الالتزام بمعاهدات ضبط التسلح.

ذ- تطبيق قرارات اتفاقية هلسنكي وكل مواثيق منظمة الأمن والتعاون في أوروبا.

ر- وقد حصرت العضوية في دول مجلس تعاون شمال الأطلسي ودول منظمة الأمن والتعاون في أوروبا، وبلغ عدد الدول التي انضمت إلى البرنامج سبعة وعشرون (27) دولة في نهاية 1995 مويبلغ عددها في سنة 2008م ثلاث وعشرين (23) دولة.

**1- أهداف الشراكة من أجل السلام** : وتتمثل في:

**أ-** تحقيق الشفافية في تخطيط الدفاع الوطني والميزانيات العسكرية.

ب- تأكيد السيطرة المدنية على القوات المسلحة.

ج- المساهمة في الأعمال التي تقررها الأمم المتحدة أو مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا.

د- تطوير العلاقات التعاونية بين دول الشراكة من أجل السلام وحلف الأطلسي، وبالأخص في مهام حفظ السلام والعمليات الإنسانية التي يتفق عليها.

ذ- تطوير **قوات** قادرة على العمل مع قوات الحلف، وهذا على المدى البعيد.

ر- التشاور مع الحلف والمشاركة الفاعلة لمواجهة أي تهديد للوحدة الإقليمية أو الاستقلال السياسي أو الأمن الوطني لأي من هذه الدول .

**ولتنفيذ هذه الأهداف تم الاتفاق على الآتي:**

أ- ارسال ممثلين إلى القيادة الأطلسية من أجل تشكيل وحدة شراكة تعاونية.

ب- انشاء لجنة التوجيه السياسي والعسكري، الذي يعقد اجتماعاته برئاسة نائب الأمين العام للحلف، أوعلى أساس فردي لتقييم البرامج الفردية للشراكة والاجتماع مع أعضاء مجلس تعاون شمال الأطلسي والشراكة من أجل السلام، وكذلك تحديد القضايا المشتركة.

ج- إنشاء لجنة مشتركة للانتشار، تختص بمتابعة انتشار الأسلحة وتقديم التقارير إلى مجلس تعاون شمال الأطلسي.

د- إنشاء وحدة تنسيق الشراكة، حيث تخضع لسلطة مجلس تعاون شمال الأطلسي، وهي مسؤولة عن تنسيق الأنشطة العسكرية وتنفيذ التخطيط العسكري في إطار.

المطلب الثاني :

## الوثيقة التأسيسية و مجلس الأطلسي – روسيا :

### أولاَ: الوثيقة التأسيسية :

عندما التقى وزير الخارجية الروسي السابق ألكسندر كوزيريف وزراء خارجية الحلف ببروكسل في 1ديسمبر1994م لمناقشة برنامج الشراكة من أجل السلام وبرنامج الشراكة الفردي، كانت دول الحلف قد قررت مستقبل توسيعه كما أشار وزير الخارجية الأمريكي الأسبق ورنر كريستوفر Warner Christofer، أن العضوية سوف لن تكون تلقائية، وأكد أن الشراكة من أجل السلام وتوسيع الحلف إلى وسط وشرق أوروبا سيكونان لصالح المنافع الروسية، وهو ما أثار حفيظة روسيا التي أعربت عن عدم استعدادها للقبول بوثيقة الشراكة من أجل السلام أوغيرها من وثائق التعاون (132) ، وعلى إثره تقدم وزير الدفاع الأمريكي السابق وليام بيري باقتراح يدعو فيه روسيا إلى إقامة هيئة للتشاور، وعقد ميثاق يحدد مجالات وآليات التعاون في القضايا التقنية والعسكرية والشفافية في سياسة الدفاع وإدارة الأزمات والمشاركة في عمليات حفظ السلام ومراقبة انتشارأسلحة الدمار الشامل . ثم بدأت المفاوضات بين روسيا وحلف الأطلسي، دامت ثلاثة سنوات للتغلب على سوء إدراك نوايا الحلف والمحافظة على قابليتهما للتعاون وتلبية التزاماتهما.

ونتج عن هذه المفاوضات الوثيقة التأسيسية في 27مايو1997م، كانت تهدف أساساَ إلى تجنب سوء الإدراك والتفاهم وتقسيم القارة، وهو ما حرص عليه الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون، حين أكد:" إننا عازمون على خلق مستقبل يكون فيه أمن أوروبا ليس حصيلة معادلة صفرية، حيث لايكون ربح الأطلسي خسارة لروسيا، وقوة روسيا خسارة للأطلسي ".

**وتقوم الوثيقة على العناصر الآتية :**

1- **المبادئ** : تتمثل في:

1-1- تنمية شراكة قوية مستقرة دائمة على أساس من الشفافية.

1-2- التأكيد على الدورالحيوي الذي تؤديه الديموقراطية والتعددية السياسية وحكم القانون واحترام حقوق الإنسان والحريات المدنية واقتصاديات السوق في تحقيق رخاء مشترك وأمن شامل.

1-3- الامتناع عن التهديد باستخدام القوة أواستخدامها فعلاَ.

1-4- احترام سيادة واستقلال وحدة أراضي الدول الأعضاء.

1- 5- الشفافية المتبادلة في وضع سياسة دفاعية وتطبيقها.

1-6- منع الصراعات وتسوية النزاعات بالطرق السلمية (133).

2- **آلية الحوار**: تتمثل في :

**أ- المجلس المشترك الدائم لروسيا والحلف** : يجتمع المجلس المشترك الدائم مرة كل شهر على مستوى السفراء والممثلين الدائمين لمجلس شمال الأطلسي، ومرتين في السنة على مستوى وزراء الخارجية والدفاع، كما يجتمع أيضاَ على مستوى رؤساء الدول والحكومات، كلما كان ذلك مناسباَ، ويرأسه ممثل روسيا والسكرتير العام للحلف، وعلى أساس دوري ممثل من احدى الدول الأعضاء في الحلف . ويتركز عمل المجلس في الأنشطة الآتية:

2-1- التشاور في القضايا العسكرية والسياسية وعرضها في إطار مبادرات مشتركة.

2-2- المشاركة المتساوية في التخطيط والإعداد لعمليات مشتركة بما في ذلك عمليات حفظ السلام، تحت سلطة مجلس الأمن أو مسؤولية منظمة الأمن والتعاون في أوروبا.

2-3- الالتزام بمبادئ الأمم التحدة ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا .

2-4- تشجيع الحوار والتعاون الموسع بين الأجهزة التشريعية (الجمعية الفيدرالية للاتحاد الروسي وجمعية شمال الأطلسي ).

**ب- مجالات التعاون والتشاور:** تتمثل في :

1-1- قضايا الأمن والاستقرار في المنطقة الأورو- أطلسية وكيفية المساهمة في تحقيقها.

1-2- منع الصراعات وحل النزاعات من خلال الدبلوماسية وإدارة الأزمات.

1-3- القيام بعمليات مشتركة، بما في ذلك عمليات حفظ السلام.

1-4- مشاركة روسيا في مجلس الشراكة الأورو- أطلسي والشراكة من أجل السلام .

1- 5- تبادل المعلومات حول السياسات الإستراتيجية والدفاعية والأسلحة النووية وميزانيات وبرامج تنمية البنية التحتية وقضايا الحد من التسلح.

1-6- قضايا الأمن النووي بكل أشكاله .

1- 7- منع الانتشارالنووي والأسلحة البيولوجية والكيميائية ووسائل نقلها والحد من التسلح.

1- 8- زيادة أمان النقل الجوي الإقليمي (134) .

1-9- السعي إلى إقامة تعاون في مجال الدفاعات الصاروخية .

1-10- الشفافية ورفع قدرة التنبأ والثقة المتبادلة في ما يتعلق بحجم ودورالقوات التقليدية لروسيا ودول الحلف.

1-11- تمويل الصناعات العسكرية .

2-12- رفع مستوى التعاون في مجال الأسلحة من خلال اشراك روسيا في مؤتمر الحلف لمديري التسلح الوطني.

1-13- تنسيق التعاون بين المؤسسة العسكرية الروسية ونظيرتها الأطلسية.

1-14- تحسين صورة الحلف لدى الرأي العام الروسي من خلال إقامة مكتب إعلامي أو مركز توثيق للحلف بموسكو.

1- 15- محاربة الإرهاب والمخدرات.

1-16- القيام بمبادرات وتدريبات مشتركة في مجال الطوارئ المدنية ورفع درجات الاستعداد وعمليات الانقاذ في حالات الكوارث

1-17- توسيع مجالات التعاون إلى مجال الاقتصاد والبيئة والعلوم المتعلقة بالدفاع.

2-1- **القضايا السياسية والعسكرية** : تتلخص في النقاط الآتية:

2-2- تأكيد روسيا وحلف الأطلسي رغبتهما المشتركة في تحقيق المزيد من الاستقرار في المنطقة الأورو- أطلسية.

2-3- التزام دول الحلف بعدم نشر الأسلحة النووية وعدم تغيير سياسة الحلف النووية، وعدم اعتزامها إقامة مواقع لتخزين الأسلحة النووية سواء من خلال تشييد منشئات جديدة أو تطوير القائمة منها.

2-4- العمل على تطوير معاهدة الحد من الأسلحة التقليدية بأوروبا بما يتفق مع أهداف ومبادئ المعاهدة والزيادة من فعاليتها للحفاظ على المصالح الأمنية لدول منظمة الأمن والتعاون في أوروبا.

2- 5- إن الهدف الأساس من معاهدة الحد من انتشار الأسلحة التقليدية المطورة هو تحقيق التوازن بين الخفض الكبير في الكم الإجمالي للمعدات المسموح بها في المعاهدة والمتطلبات الدفاعية المشروعة لكل الدول الأطراف (135).

2-6- التـزام روسـيا ودول الحلـف بالتـدرب علـى ضـبط الـنفس خـلال فـترة المفاوضـات حـول المواقـع والقـدرات الحاليـة لقواتهـا التقليديـة، لاسـيما مسـتويات القوات وانتشارها وهذا لتفادي أي تدهور للوضع الأمني الأوروبي .

2- 7- تعمـل روسـيا ودول الحلـف علـى تطـوير معاهـدة الحـد مـن الأسـلحة التقليدية بأوروبا بما يتماشى مع ضمان أمن كل الدول الأطراف في المعاهدة وعلى قدم المساواة. كما تهدف إلى زيادة الشفافية العسكرية، من خلال تبادل المعلومات والتحقق والسماح بمشاركة الأطراف الجدد.

2- 8- تقـترح روسـيا ودول الحلـف على الـدول الأطـراف في معاهـدة الحـد مـن الأسلحة التقليديـة إجـراء هـذا التطـوير، حتـى تصـل كـل الـدول الأطـراف إلى قـرار جماعي بشأن التخفيضات التي يمكن لكل منها اتخاذها انطلاقاً من سقف وطني للحد من حجم المعدات التي تقر بالاجماع، كما أنها ستراجع في سنة2010م، و تراجع دورياً كل خمسة سنوات.

2- 9- تقـر روسـيا ودول الحلـف حـق الـدول الأطـراف في معاهـدة الحـد مـن الأسلحة التقليديـة الإكتفـاء بقـدرات عسـكرية فرديـة أو جماعيـة كافيـة، تتماشـى واحتياجاتها الأمنية المشروعة، بما يتوافق مع التزاماتها الدولية .

2-10- تقـدم الـدول الطـراف موافقتهـا علـى البنـود المعدّلـة علـى أسـاس كـل الأسقف الوطنية للدول الأطراف، وعلى التغيرات الأساسية في الوضع الأمني القائم والمستقبلي بأوروبا، بالاضافة إلى سعي كل الدول الأطراف لتعزيز الاستقرار من خلال منع أي احتمال للتهديد الناجم عن أي امتلاك أو وضع أسلحة تقليدية في المناطق المتفق عليها بأوروبا، بما في ذلك وسط وشرق أوروبا.

2-11- التزام روسيا ودول الحلف بتكثيف قواتها التقليدية مع معطيات البيئة الأمنية الأوروبية، واستعدادهما لتطوير هذه الوضعية القائمة من خلال التشاور في إطار المجلس المشترك الدائم (136).

2-13- تأكيد الحلف مواصلة الدفاع الجماعي والاندماج، الذي لا يعني الانتشار الاضافي الدائم لقوات اضافية كبيرة، لكن في حالة الدفاع ضد التهديد بالعدوان أو القيام بمهام مساندة السلام بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة ومبادئ منظمة الأمن والتعاون في أوروبا والتدريبات التي تتماشى مع النص المعدل لمعاهدة الحد من انتشار الأسلحة التقليدية، وكذا بنود وثيقة فيينا وإجراءات الشفافية، وتفرض روسيا على نفسها قيوداً مناسبة في عملية نشر أسلحتها التقليدية بأوروبا.

2-14- تطوير التعاون بين المؤسسة الروسية والمؤسسة الأطلسية من خلال المجلس المشترك الدائم، ليشمل عمليات تبادل المعلومات بشكل منتظم حول المبادئ العسكرية والإستراتيجية لروسيا والحلف ووضع قواتهما، وكذا إجراء مناورات وتدريبات عسكرية مشتركة، بالاضافة إلى إنشائهما بعثة اتصال عسكرية.

**ثانياً : مجلس الأطلسي – روسيا :**

**تطور العلاقات الروسية – الأطلسية** : شهدت العلاقات الروسية – الأطلسية العديد من المحطات التاريخية الهامة التي أثرت على العلاقة بين الجانبين منها :

1- مساهمة روسيا في عمليات حفظ السلام بالبوسنة والهرسك بعد التوصل لاتفاقية دايتون للسلام سنة 1995م ، تحت قيادة حلف الأطلسي في إطار عمليات قوة ترسيخ الاستقرار (SFOR) .

2- إنشاء المجلس المشترك الدائم الذي يمثل آلية للتشاور بين روسيا والحلف بعد توجيه الدعوة إلى كل من بولنده و جمهورية التشيك والمجر للانضمام للحلف سنة 1997م .

3- حرب كوسوفو سنة 1999م ، ومحاولة روسيا المشاركة في قوة كوسوفو KFOR ، وتحت قيادة حلف الأطلسي .

4- هجمات الحادي عشر من سبتمبر2001م حيث ساهمت روسيا في الحرب على الإرهاب رغم وجود مخاطر للحرب الأمريكية على أفغانستان، وتأثيرها السلبي على المصالح الروسية بالمنطقة ، وتتمثل في :

أ- مشكلة الاجئين الأفغان في جمهوريات آسيا الوسطى، وما قد يثيره ذلك من مشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية مؤثرة على استقرار المنطقة .

ب- احتمال استمرار الوجود العسكري الأمريكي بالمنطقة، وهو ما يؤدي إلى اختلال في توازن المنطقة .

ج- دخول الولايات المتحدة كضلع خامس في المربع النووي الذي يضم بالاضافة إلى روسيا، الصين ،الهند وباكستان.

د- التنافس على اقتصادات وثروات النفط و خطوط نقله في آسيا الوسطى.

ذ- التخوف من خطوات أمريكية لعزل النفوذ الروسي باعتبار أنها لا تزال تشكل تهديداً محتملاً للولايات المتحدة حيث دعى بول وولفوفيتز سنة 1994م ، في تقرير كتبه للبنتاغون إلى ضرورة العمل على محاصرة روسيا بدول تنتمي إلى حلف الأطلسي وصولاً إلى فرط عقد مجموعة الدول المستقلة والفيدرالية الروسية حتى تصبح روسيا مجرد دولة صغيرة عادية.

**وهناك عوامل ساهمت بحسم الموقف الروسي لصالح المشاركة في التحالف الدولي ضد الإرهاب ، وهي :**

1- استعداد جمهوريات أسيا الوسطي لتعاون مع الولايات المتحدة دون الرجوع إلى روسيا، خصوصاً بعد الإغراءات الأمريكية لدول آسيا الوسطى بخاصة مع أوزباكستان وطاجيكستان وتركمانستان التي لها حدود مباشرة مع أفغانستان.

2- استعداد باكستان للتعاون الكامل مع الولايات المتحدة الأمريكية في حربها لاسقاط نظام طالبان .

3- التأثير على سياسة حلف الأطلسي القاضية بالتوسع نحو الشرق.

**لكن روسيا وضعت ثلاثة شروط أساسية للقبول بالمشاركة في الحرب على الإرهاب، وهي كالآتي:**

1- موافقة مجلس الأمن الدولي على أية حرب قادمة، وضرورة استصدار قرار منه، يوفرلها غطاء الشرعية الدولية .

2- تقديم الولايات المتحدة الأمريكية للضوابط التي تكفل معاقبة المسؤوليين عن هجمات الحادي عشر من سبتمبر.

3- عدم استخدام معايير مزدوجة في التعامل مع الإرهاب الدولي في إشارة إلى عدم التمييز بين النشاط الإرهابي لتنظيم القاعدة وفق المنظور الأمريكي وما تعتبره روسيا إرهاباً شيشانياً **كما سعت روسيا إلى تحقيق الأهداف الآتية:**

1- إعادة جدولة ديون روسيا أو اسقاط جزء منها، والبالغة 138 مليار دولار.

2- كسب التأييد الأمريكي للانضمام إلى المنظمة العالمية للتجارة .

3- السعي إلى اكتساب العضوية الكاملة في مجموعة السبعة- التي أصبحت مجموعة الثمانية - هو ما تحقق في قمة كندا في يونيو 2002م .

4- تأجيل قرار قبول عضوية دول البلطيق و أوكرانيا في حلف الأطلسي .

5- التأثير في مشروع الدرع الصاروخي الذي تعتزم الولايات المتحدة إقامته .

**وقد جاء الدعم الروسي للحرب على الإرهاب في النقاط الخمسة اللآتية :**

1- تقديم روسيا للولايات المتحدة الأمريكية معلومات استخبارية حول الهياكل التنظيمية للجماعات الإرهابية ومواقع انتشار طالبان والقاعدة ومراكز التدريب .

2- تقديم ممر جوي لعبور طائرات الإغاثة في مناطق الهجمات .

3- زيادة الدعم والتعاون مع تحالف الشمال الأفغاني .

4- مشاركة روسيا في هجمات الإنقاذ والبحث إذا اقتضت الضرورة، وهذا تنازل عن شرط استصدار قرار من مجلس الأمن قبل بدء الهجمات العسكرية على أفغانستان.

**مجلس الأطلسي - روسيا** : في قمة روما التي جمعت قادة رؤساء دول وحكومات الحلف والرئيس الروسي تم الإعلان عن إنشاء المجلس وذلك في 28 مايو 2002م ، بعد الإمضاء على إعلان علاقات" الحلف - روسيا نوعية جديدة " بدلاً من المجلس المشترك الدائم . وكان أول اجتماع له بموسكو، وهو قائم على مبادئ وأهداف ميثاق 1997م. ويتكون من ستة وعشرين دولة زائد روسيا، ويرأس من قبل الأمين العام للحلف، ويجتمع مرة على الأقل كل شهر على مستوى السفراء والممثلين العسكريين، ويجتمع مرتين في السنة على مستوى وزراء الخارجية والدفاع ورؤساء أركان القوات المسلحة ، أما اجتماعات القمة فتعقد حسب الظروف، ويجتمع خبراء المجلس مرتين في الشهر لتحضير المحادثات على مستوى السفراء

وتوجد بعثة روسية في مقر قيادة الحلف بالاضافة إلى مكتب عسكري في قيادة العمليات التابع للقيادة العليا لقوات الحلفاء بأوروبا ، وهذا منذ سنة 2004م. كما يمثل الحلف بمكتب اتصال عسكري ومكتب معلومات بموسكو منذ 2001م.

**مجالات التعاون**: بالاضافة إلى التعاون الأمني وتبادل المعلومات، نجد أيضاً :

**1**- إجراء المناورات والتدريبات العسكرية المشتركة في مجالات حساسة كالرد الطارئ، كما شاركت سفن روسية تحت قيادة حلف الأطلسي في عملية المسعى النشط البحرية في إطارمكافحة الإرهاب في البحر المتوسط ، وكذلك نظمت روسيا لتدريبات مشتركة مع الحلف للتعامل مع الكوارث في 2002 بكالينينغراد .

**2**- التعـاون في مجـال الإصـلاحات الدفاعيـة والقضـايا العسـكرية وعمليـات البحث والانقاذ البحرية، حيث تم إمضاء اتفاقية إنقاذ وتجهيز الغواصات بين روسيا والحلف سنة 2003م .

3- إقامة مشروع مشترك لتدريب الموظفين من أفغانستان وآسيا الوسطى على مكافحة المخدرات .

4- مكافحة الإرهاب .

**5**- إدارة الأزمات .

6- الحد من الإنتشار النووي .

7- إجراءات الثقة .

8- ضبط التسلح .

9 – التعاون بين العسكريين .

10- الدفاع ضد تهديدات الصواريخ [(141)].

11- الدعم اللوجستي .

12- الطوارئ المدنية .

**المطلب الثالث :**

**مجلس الشراكة الأطلسية – الأوروبية :**

يعد مجلس الشراكة الأوروبية – الأطلسية من برامج الشراكة التي أقامها الحلف بعد نهاية الحرب الباردة، حيث أسس مجلس تعاون شمال الأطلسي منذ سنة 1991م ، ثم برنامج الشراكة من أجل السلام عام 1994م، الذي شمل نشاطه عمليات واسعة من التعاون الدفاعي بين شركاء الحلف كتبادل التشغيل والإصلاحات الدفاعية ثم تأسيس مجلس الشراكة الأطلسية – الأوروبية في مدينة سينيترا بالبرتغال في 30 مايو 1997م، الذي يتجاوز حدود تبادل التشغيل إلى تطوير إطار سياسي شامل يغطي شروط عضوية الحلف والأهداف الواسعة لشراكة الحلف مع أغلب دول أوروبا وعلى أساس القيم الأساسية المشتركة، حيث اشترط لعضوية المجلس المشاركة في برنامج الشراكة من أجل السلام، ويضم خمسين دولة منها ستة وعشرون دولة عضو بالحلف الأطلسي وأربعة وعشرون دولة خارج الحلف وهي: ألبانيا، أرمينيا، النمسا، أذربيجان، بيلاروسيا، البوسنة والهرسك، فنلنده، جورجيا، إيرلنده، كازاخستان، قيرغيزيا، مالطا، مولدوفا، المونتينيغرو، روسيا، صربيا، السويد، سويسرا، مقدونيا، طاجيكستان، تركمنستان ، أوكرانيا وأوزبكستان.(142)

**أولاً : آلية عمل مجلس الشراكة الأطلسية – الأوروبية:** تحتفظ غالبية الدول المشاركة ببعثات دبلوماسية بمقر الحلف ببروكسل، ويجتمع المجلس كل شهر على مستوى السفراء، وكل سنة على مستوى وزراء الخارجية والدفاع ورؤساء الأركان كما يجتمع أيضاً على مستوى القمة كلما دعت الضرورة إلى ذلك .

**ثانياً : أهداف المجلس ومهامه** : وتتمثل في :

1- تسهيل عملية الإصلاحات في المؤسسات العسكرية والدفاعية .

2- تعزيز التعاون بين الدول الأعضاء .

3- التدريب والتأهيل المتبادل لإطارات من الدول الأعضاء سواء في مؤسسات الحلف أو في المؤسسات الدول الشريكة.

4- مكافحة الإرهاب .

5- تأهيل الدول المرشحة لعضوية الحلف، حيث أشرف المجلس على تحضير الدول العشرة التي انضمت حديثاً للحلف .

6- مكافحة أو منع الانتشار النووي.

7- فتح مجال التعاون للدول التي لا تسعي إلى الانضمام للحلف، والمساهمة في تحقيق الأمن الأورو- أطلسي، مع احتفاظها بسياستها الأمنية والخارجية المستقلة.

8- تحضير القوات العسكرية لكل من الحلفاء والشركاء للعمل بصورة مشتركة وعلى نحو دائم، **حيث يشارك المجلس في العمليات الآتية :**

أ- المساهمة بنحو 780 فرد في قوة المساعدة الأمنية الدولية (ISAF) العاملة بأفغانستان .

ب- المشاركة في عملية المسعى النشط الموجهة ضد التهديدات الإرهابية في البحر المتوسط .

ج - توفير 2300 فرد للعمليات التي يقوم بها الحلف في دول البلقان.

9- توفير الإطار السياسي العسكري للشركاء المساهمين في مهام الحلف من خلال إشراكهم في عملية اتخاذ القرار وفي وضع الخطط العملياتية ومراجعة المهمات الدورية حيث بدأ في عقد اجتماعات اللجنة العسكرية للحلف بحضور مندوبين عن الدول الشركاء .

10- تطبيقاً للتفويضات الواردة في الوثيقة الأساسية لمجلس الشراكة الأوروبية – الأطلسية ، والقاضية بإمكانية تطويرعلاقات سياسية مباشرة ومنفردة مع الحلف، تم في قمة إسطمنبول وضع خطط عمل الشراكة الفردية والتي كانت تهدف إلى تحقيق الأهداف الآتية : (144)

- الإصلاحات السياسية والاقتصادية .

- تفعيل آلية التخطيط والمراجعة للشراكة من أجل السلام في مجال الإصلاحات الدفاعية وتوسيعها أيضاً .

- توسيع التعاون إلي مجالات أخرى مثل التخطيط للطوارئ المدنية، التعليم...

- إدارة الأهداف بشكل جماعي من خلال البدأ بعمليات إصلاح تضم مختلف وكالات ودوائر الدول الشريكة .

**ثالثاً : مجالات التعاون** : تتمثل في :

1- إصلاح الدفاع .

2- مكافحة الإرهاب .

3- المساهمة في جهود عدم الانتشار النووي والسلامة النووية .

4- مكافحة الألغام والأسلحة المتوسطة والتعاون في مجال التسلح .

5- الطوارئ المدنية والتعامل مع الكوارث .

6- البحث العلمي .

6- إدارة الأزمات ودعم عمليات السلام .

**المطلب الرابع :**

**مجلس الأطلسي - أوكرانيا :**

يعد ميثاق الشراكة الخاصة بين حلف شمال الأطلسي وأوكرانيا، الموقع في 9 يوليو 1997م، الأساس المرجعي للعلاقة بين الجانبين، **وقد حدد مبادئها في النقاط الآتية:**

1- الإقرار بأن أمن منطقة منظمة الأمن والتعاون في أوروبا غير قابل للتقسيم .

1- الامتناع عن التهديد باللجوء إلى القوة في تسوية الخلافات أو استخدامها فعلاً.

2- حق كل دولة في اختيار ترتيباتها الأمنية الخاصة وتنفيذها.

3- - احترام سيادة الدول الأخرى ووحدة أراضيها واستقلالها السياسي، وعدم انتهاك الحدود وتطوير علاقات حسن الجوار .

4- مراعاة حكم القانون وتعزيز الديموقراطية واقتصاد السوق والتعددية السياسية .

6- الالتزام باحترام حقوق الإنسان، وحقوق الأشخاص المنتمين للأقليات الوطنية .

7- منع الصراعات وتسوية النزاعات بوسائل سلمية بمقتضى مبادئ الأمم المتحدة ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا .

8- تأكيد أوكرانيا إصرارها على تنفيذ إصلاحات دفاعية وتدعيم السيطرة الديموقراطية والمدنية على القوات المسلحة وزيادة اندماجها مع قوات الحلف ودول الشراكة الأخرى وتأكيد الحلف مساندة جهود أوكرانيا في هذه المجالات .

8- ترحب أوكرانيا بمحاولات الحلف المستمرة للتكيف مع البيئة الأمنية الأطلسية المتغيرة ، ودوره في تعزيز الأمن مع المنظمات الدولية الأخرى.

**أولاً** : **مجالات التعاون بين الحلف وأوكرانيا** : تشمل مجالات التعاون بين الجانبين المجالات الآتية :

1- عمليات دعم السلام والأمن ومنع النزاعات وإدارة الأزمات وحل الصراعات والعمليات الإنسانية.

2- إصلاح القطاع الدفاعي .

3- الأوجه السياسية والدفاعية لمنع الانتشار النووي والبيولوجي والكيميائي .

4- قضايا نزع السلاح والحد من التسلح ، بما في ذلك القضايا المتعلقة بمعاهدة خفض القوات التقليدية بأوروبا ومعاهدة السموات المفتوحة وإجراءات بناء الثقة والأمن في وثيقة فيينا لعام 1994م .

5- صادرات السلاح وما يتصل بها من عمليت نقل التكنولوجيا .

6- محاربة تجارة المخدرات والإرهاب .

7- التعاون بين العسكريين .

8- مخطط الطوارئ المدنية والتعاون .

9- العلوم والبيئة والأمان النووي .

10- الإعلام والرأي العام.

**ثانيا : لجنة الحلف - أوكرانيا** : تأسست سنة 1997م ، وتضم جميع دول الحلف و أوكرانيا، ويجتمعون دورياً على مستوى السفراء والممثلين العسكريين، وأحياناً على مستوى وزراء الخارجية والدفاع ورؤساء الأركان. أما الاجتماعات فتكون على أعلى مستوى وتحضر من قبل لجنة سياسية وهي أيضاً مكلفة بمتابعة

تطورات القضايا الأمنية والسياسية والمصالح المشتركة وتحضير وتقييم المخططات السنوية بين الحلف وأوكرانيا .

ولجنة الحلف – أوكرانيا لديها إطار معاينة بين الجانبين فيما يتعلق بأسئلة الأمن والمصالح المشتركة والوضع بالبلقان والعراق ومكافحة الإرهاب والصراعات الكامنة وقضايا أخرى تتعلق بالأمن الإقليمي.

**مهامها** : تتمثل مهام لجنة الحلف – أوكرانيا في النقاط الآتية :

**1**- تنمية العلاقات الأطلسية – الأوكرانية وتوجيه النشاطات نحو التعاون .

2- التطبيق العملي الصحيح لمقررات ميثاق الشراكة الخاصة بين الحلف وأوكرانيا .

3- ضبط المخططات السنوية المراد تحقيقها وتطويرها مع أوكرانيا .

**4**- تحقيق أهداف خطة عمل الحلف – أوكرانيا التي وضعت سنة 2002م.

5- التحقق الفجائي والميداني من نشاطات التعاون المنظمة في إطار مشاركة أوكرانيا في برنامج الشراكة من أجل السلام .

6- التحقيق في مجالات التعاون العسكري في إطار خطة العمل السنوية للجنة الحلف العسكرية مع أوكرانيا([148]) .

7- تحقيق تقدم في المجالات العلمية ومعرفة شكل قطاعات الدفاع والأمن والتسلح والأمن الاقتصادي والتعاون العلمي والبيئي من خلال جماعات العمل المشتركة .

**ثالثاً: خطة عمل الحلف - أوكرانيا**: أكدت قمة حلف الأطلسي في 22 نوفمبر 2002م ببراغ على تعجيل تكامل أوكرانيا الأوروبي والأطلسي، وقد تم تبني خطة عمل حلف الناتو – أوكرانيا لتحقيق الأهداف الأتية :

1- تعميق وتوسيع علاقة الحلف بأوكرانيا .

2- ايجاد إطار إستراتيجي للتعاون بين الجانبين في الحاضر والمستقبل .

3- دعم جهود الإصلاح الأوكرانية للوصول إلى الاندماج والتكامل في البنى الأوروبية والأطلسية .

4- تحديد تحقيق أهداف معينة تشمل قضايا سياسية واقتصادية وأمنية ودفاعية وعسكرية ومعلوماتية وقانونية، ومنها إجابة أوكرانيا على العديد من الأسئلة منها:

4-1- **الأسئلة السياسية والأمنية** : وتنقسم إلى :

4-1-1- **أسئلة عن السياسات الداخلية**: تتمثل في التزام أوكرانيا بتحقيق المبادئ الآتية :

- دعم الديموقراطية ودولة القانون .
- احترام حقوق الأنسان .
- الفصل بين السلطات واستقلالية القضاء .
- إجراء انتخابات وفق معايير منظمة الأمن والتعاون في أوروبا (OSCE) .
- التعددية الحزبية .
- حرية التعبير والصحافة .
- احترام حقوق الأقليات والإثنيات الوطنية .
- عدم التمييز بسبب عوامل سياسية أودينية أوإثنية .
- صياغة القواعد القانونية الكفيلة بتحقيق هذه المبادئ وتطوير تشريعات قائمة على المبادئ العالمية للديموقراطية والقانون الدولي.
- إصلاح النظام القضائي والمشاركة في اتفاقيات المجلس الأوروبي الذي يحدد المعايير المشتركة للدولة الأوروبية .

- تطبيق مبادرات لإعادة تشكيل صلاحيات الشرطة لتطوير الآليات المتضمنة تقوية جميع البنى العمومية والمدنية مع قوانين دولة القانون وتدعيم جهود منظمات حقوق المواطنين وهذا يهدف إلى :

- تدعيم المؤسسات الديموقراطية والانتخابية .
- تقوية الإصلاحات القضائية واستقلالية القضاء .
- دعم التنمية وتقوية المجتمع المدني وحكم القانون والمحافظة على حقوق الإنسان والحريات الأساسية للمواطن في :

* ضمان حرية العبادة .
* ضمان حرية التجمع .
* تحسين وإصلاح الإدارة .
* تقوية المراقبة المدنية والديموقراطية على القوات المسلحة وفي جميع قطاعات الأمن .
* محاربة التهريب وتبييض الأموال والأعمال الاقتصادية غيرالقانونية .
* القيام بإصلاحات دستورية وإدارية لضمان توازن وتعاون فعّال بين السلطات الثلاث.

4-1-2- **أسئلة عن السياسات الخارجية والأمن** : وتقوم على المبادئ المشتركة الآتية :

- مكافحة الإرهاب .
- منع انتشار أسلحة الدمار الشامل .
- الاستقرار الإقليمي .

وهذه المبادئ تهدف إلى :

- تفعيل السياسة الخارجية والأمنية الأوكرانية لخدمة أهداف الاندماج في البنية الأورو – أطلسية .
- إصلاح بنى أمن الدولة حتى تعكس السياسة الأطلسية للأوكرانيا .
- القيام بدور رائد في تحقيق الأمن والاستقرار الإقليمي، وبخاصة تقوية الدور الأوكراني في قضايا تسوية الصراعات وحفظ السلم .
- المشاركة المتزايدة في عمليات حفظ السلم .
- التطبيق الكامل للالتزامات الدولية المتعلقة بضبط التسلح .
- تدعيم العلاقات المدنية – العسكرية .
- القيام بدور فعال في الحملة الدولية على الإرهاب .

غير أن هذه الخطة لا تؤدي مباشرة إلى عضوية أوكرانيا للحلف ، ولكن تمهد لها طريق الانضمام، بعد توجيه الدعوة إليها للانضمام إلى خطة عمل عضوية الحلف .

وبعد الثورة البرتقالية يسعى فيكتور يوشينكو للحصول على خطة عمل عضوية الحلف، وهو أول أهداف سياسته الخارجية، وهو ما دفع الحلف إلى دعوة أوكرانيا لتكثيف الحوار حول طموحاتها لنيل العضوية، حيث عقد مؤتمر فيلنيوس Vilnius في 20- 28 إبريل 2005م بلتوانيا، لمعرفة ما يتعين على الأوكرانيين فعله، وللتأكد من جدية وعمق الإصلاحات وحجم القدرات الأوكرانية. كما اتفق على مجموعة من الإجراءات قصيرة الأمد لدفع عملية الإصلاح بأوكرانيا، التي شملت مجالات تعزيز المؤسسات الديموقراطية وتطوير النتائج الاجتماعية والاقتصادية الناجمة عن عملية الإصلاح، وكذا تحسين المعلومات العامة. وفي 27 ديسمبر 2005م أصدر يوشينكو مرسوماً رئاسياً يقضي بتسليم مهمات محددة لنواب مسؤولي السلطات التنفيذية المركزية في البلاد لتعزيز التناسق الداخلي المطلوب لتطبيق الأعمال والنشاطات التي تم الاتفاق عليها في إطار تعاون حلف الأطلسي مع

أوكرانيا، وخوّل لرئيس الوزراء مهمة تعزيز التعاون بين السلطتين التنفيذية والتشريعية [151].

**رابعاً** : **مجموعة العمل المشترك لإصلاح الدفاع** : أسست سنة 1998م ، وهي مؤسسة للتعاون بين الوزراء والمنظمات التي تعمل من أجل الإصلاح في قطاعات الدفاع والأمن بأوكرانيا، وبخاصة مع المجلس الوطني للأمن والدفاع وحرس الحدود والبرلمان الأوكراني Verkhovna Rada وهيئات أخرى ، وتعمل تحت إشراف لجنة الحلف أوكرانيا . فهي المحور الأساسي لتعاون الحلف مع أوكرانيا .

وتمثل كل دول الحلف و أوكرانيا بممثلين في اجتماعاتها، وترأس من قبل مساعد الأمين العام للحلف لشؤون الدفاع والعمليات .

وتنعقد اجتماعاتها كل ثلاثة أشهرعلى مستوى الخبراء، وتجتمع أيضاً على مستوى عالٍ بمشاركة المسؤولين السامين في دول الحلف وأوكرانيا .

وتنظم مجموعة العمل المشترك لإصلاح الدفاع (JWGDR) كل سنة معاينة غير رسمية للإصلاحات المقررة في قطاع الدفاع والأمن التي أقرها وزراء دفاع الحلف وأوكرانيا، وكبار خبراء الدفاع والأمن في قطاعات الدفاع والأمن [152]

**مجالات التعاون** : تتمثل ميادين التعاون في النقاط الآتية :

1- العلاقة بين المدنيين والعسكريين .

2- الرقابة الديموقراطية والتسيير المدني لقوات الجيش ومنظمات أخرى في قطاع الأمن والمخططات السياسية والإستراتيجية للدفاع ومفهوم الأمن الوطني .

**خامساً: مساعدات حلف الأطلسي العسكرية لأوكرانيا** : تتمثل في :

**1**- منذ 1994م إلى2006م ، قام الحلف ودوله منفردين بتدريب 8500 ضابط أوكراني .

2- إعادة الحلف تدريب 800 موظف إداري حصل 440 منهم على وظائف جديدة سنة 2006م، كما تم إعادة تدريب أكثر من 3000 ضابط أوكراني متقاعد لمساعدتهم على الانتقال إلى الحياة المدنية، وذلك ما بين سنتي 2001م و2006م .

3- تنظيم دورات تدريبية احترافية جديدة لأفراد الجيش السابقين في كيروفوهراد وميليتوبول وتشيرنييف وليفييف .

4- دعم مشروعات نزع السلاح بأوكرانيا من خلال مشروعات صندوق ائتمان الشراكة من أجل السلام، ومن هذه المشروعات مشروع في مدينة دونيتيسك عام 2002م، الذي استطاع أن يتلف 400ألف لغم أرضي مضاد للأفراد وتفجيره تفجيراً أماناً ، ومشروع آخر يهدف إلى التخلص من 133ألف طن من الذخيرة التقليدية و 1.5 مليون قطعة من الأسلحة الخفيفة والرشاشة و1000منظومة دفاع جوي محمولة على الكتف، وذلك على امتداد 12 سنة وبتكلفة إجمالية تقدر بـ 25 مليون يورو، وهو أكبر مشروع لنزع السلاح في العالم(153) .

**سادساً : نحو خطة عمل العضوية** : تحضى أوكرانيا بدعم كبير من دول وسط أوروبا و شرقها لكسب عضوية الحلف، حيث اجتمع وزراء دفاع المجر وبولنده وسلوفاكيا وجمهورية التشيك، في يناير 2006م ، وأعلنوا أنه سيتم تعيين لجنة خاصة لتشجيع الإصلاحات العسكرية الأوكرانية، وفي فبراير 2006م، زار يوشينكو مقر الحلف ببروكسل، وأكد أن أوكرانيا كانت جاهزة للانضمام إلى خطة عمل العضوية، ثم أصدر مرسوماً في مارس 2006م، يقضي بإنشاء لجنة من مختلف الوكالات والدوائر الحكومية لتحضير أوكرانيا لعضوية الحلف، ويمكنها تشكيل لجان عمل يترأسها المنسقون المحليون المعنيون .

**وتم تقسيم العمل على مستويين هما :**

أ- **مجلس الوزراء :** وهو المسؤول عن تطبيق سياسة التعاون الوطنية بين الحلف وأوكرانيا و بخاصة ما يتعلق بمعايير العضوية .

ب- **مجلس الدفاع والأمن القومي** : ويقوم على تحديد الأهداف الإستراتيجية والتصورات المتعلقة بالتعاون بين الحلف وأوكرانيا [154].

**سابعاً : عقبات العضوية** : يواجه مسار أوكرانيا إلى عضوية الحلف العديد من العقبات أهمها:

**1**- تشير استطلاعات الرأي إلى أن 20٪ من سكان أوكرانيا فقط يؤيدون فعلياً انضمام أوكرانيا للحلف، في حين يعارض 54٪ منهم فكرة الانضمام .

2- الأقلية الروسية المعارضة لانضمام أوكرانيا إلى الحلف وهم يمثلون أكثر من 15٪ من سكان أوكرانيا .

3- مشاكل ترسيم الحدود وبالذات مشكلة الانتفاع من الجرف القاري لبحر أزوف على البحر الأسود.

4- الموقف الروسي المعارض ودرجة التشابك بين روسيا وأوكرانيا، الذي يمكن اظهاره من خلال المؤشرات الاقتصادية الآتية :

**أ**- إن روسيا هي أول شريك تجاري لأوكرانيا حيث يمثل حجم التبادل التجاري السلعي (تصدير واستيراد) مع روسيا 29٪ من مبادلات أوكرانيا الخارجية، حسب النصف الأول من سنة 2008م .

ب - تمثل الصادرات الأوكرانية إلى روسية نسبة 44.2٪ من صادراتها، أي 13.3 مليار دولار.

5- التبعية الأوكرانية لروسيا في مجال الطاقة، إذ بتقلص موارد الفحم الأوكرانية فإنه من المقرر استيراد أربعة ملايين طن من الفحم الروسي،

كما أن الإجراءات التي أعلن عنها رئيس شركة غاز بروم الروسية أليكسي ميللر، والقاضية برفع تسعيرة الغاز إلى 400 دولار لكل 1000 متر مكعب سنة 2009م ، ستضاعف من مشاكل الاقتصاد الأوكراني، كما تضرر مصنع الأنابيب التابع لمؤسسة ميتيفيست الصناعية، حيث خسر طلبات المشتري الأول منه وهي شركة غاز بروم(155) .

6- تضرر المركب العسكري الصناعي الأوكراني من عملية الانضمام إلى الحلف، حيث إن السوق الروسية تمثل من 40-50٪ من إجمالي صادرات أوكرانيا الخارجية، أي ما يعادل مبلغ 200-250 مليون دولار عام 2007م، وتشارك حوالي ألف مؤسسة صناعية من الطرفين في عملية التكامل العسكري التقني حيث نجد مثلاً شركة موتور ريسيتش الأوكرانية تصدر محركات الطائرات العمودية الروسية، والمحركات التوربينية النفاثة للصواريخ المجنحة الروسية من طراز إكس 55 وإكس 59م ، أوران و كلوب.

أما مصنع أرتيوم بكييف فيصنع صواريخ جو- جو من طرز "ر27" للمقاتلات الروسية من طراز سوخوي وميغ، أما الطائرات الأوكرانية من طراز أنطونوف التي يتم تجميعها في مدينتي فاركوف وكييف، فيدخل في تركيبها أجزاء روسية بنسبة 70٪ .

7- زيادة العجز التجاري الذي بلغ في النصف الأول من سنة 2008 قيمة 9.845 مليار دولار، وارتفاع تكلفة الإصلاحات.

8- معارضة سبع دول أعضاء في الحلف عضوية أوكرانيا، وذلك في قمة بوخارست 2008م، وهذه الدول هي فرنسا، ألمانيا، بلجيكا، هولنده، إيطاليا، اللوكسمبورغ والمجر.

**هوامش الفصل الثالث :**

(1) د- علي عزت بيغوفيتش، علي عزة بيغوفيتش : سيرة ذاتية وأسئلة لا مفر منها ، ترجمة : د- عبد الله الشناق و د- رامي جردات ( دمشق : دار الفكر ، 2004م )، ص 164 .

(2) د- عادل ثابت، حلف شمال الأطلسي وتوسعه جهة الشرق : التهديدات الجديدة وتحديات البيئة الدولية( أبوظبي : مركز زايد للتنسيق والمتابعة ، 2004م ) ، ص 37 .

(3) د- أسامة فاروق مخيمر، دور منظمة الأمن والتعاون الأوروبي في إدارة الصراعات في أوروبا بعد الحرب الباردة: دراسة حالة البوسنة والهرسك، أطروحة دكتوراه (جامعة القاهرة : 2004م ) ، ص 307 .

(4) Richard Holbrooke , To End A War ( New York : Random House , 1998 ) ,P,69 .

(5) د- عادل ثابت، حلف شمال الأطلسي و توسعه جهة الشرق : التهديدات الجديدة و تحديات البيئة الدولية، المرجع السابق ، ص 38 .

(6) د- أسامة فاروق مخيمر، دور منظمة الأمن والتعاون الأوروبي في إدارة الصراعات في أوروبا بعد الحرب الباردة : دراسة حالة البوسنة و الهرسك ، المرجع السابق ، ص 308 .

(7) د- عماد جاد (محرراً ) ، الاتحاد الأوروبي: من التعاون الاقتصادي إلى السياسة الخارجية والأمنية المشتركة( القاهرة : مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ، 2001م ) ، ص 166.

(8) عزة جلال ، كوسوفا : جذور الصراع ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 137 (القاهرة : 1999م ) ، ص 89 .

(9) أبـوبكر الدسـوقي، ألبـان كوسـوفا بـين التفـاوض والقتـال ، مجلـة السياسـة الدولية ، العدد 137 ( القاهرة : 1999م ) ، ص 90 .

(10) توفيـق محمـد عطيـة، حلـف النـاتو: رؤيـة جديـدة لإدارة الأزمـات الدوليـة ( القاهرة : الهيئة العامة للاستعلامات ، 1999م )، ص 34 .

(11) د- عـادل ثـابـت ، حلـف شمـال الأطلسي وتوسـعه جهـة الشرق: التهديدات الجديدة وتحديات البيئة الدولية، المرجع السابق ، ص ص 44- 45 .

(12) مالك عوني، حلف الأطلسي وأزمـة كوسـوفو: حـدود القـوة و حـدود الشرعية، مجلة السياسة الدولية ، العدد 137(القاهرة : 1999م ) ، ص90 .

**(13)** توفيـق محمـد عطيـة، حلـف النـاتو : رؤيـة جديـدة لإدارة الأزمـات الدوليـة ، المرجع السابق ، ص 35 .

(14) توفيـق محمـد عطيـة ، حلـف النـاتو : رؤيـة جديـدة لإدارة الأزمـات الدوليـة ، المرجع نفسه ، ص 36 .

(15) د- عـادل ثـابـت، حلـف شمـال الأطلسي وتوسـعه جهـة الشرق : التهديدات الجديدة وتحديات البيئة الدولية، المرجع السابق ، ص ص 47 .

(16) د- عـادل ثـابـت، حلـف شمـال الأطلسي وتوسـعه جهـة الشرق: التهديدات الجديدة وتحديات البيئة الدولية، المرجع نفسه ، ص 49 .

(17) لـويس هينـيكس وآخـرون، ترجمـة الطـاهر بوسـاحية، تـدخل حلـف شمـال الأطلسي في كوسوفا، سلسلة دراسـات عـالمية، العـدد 40 ( أبـو ظبي: مركـز الإمارات للدراسات الإستراتيجية ،2001م) ، ص 17 .

(18) كـارل دويـتش، تحليـل السياسـة الدوليـة، ترجمـة محمـد محمـود شـعبان (القاهرة: الهيئة العامة للكتـاب، 1983 م ) ، ص ص ، 81-83 .

(19) د- عماد جاد (محرراً)، الاتحاد الأوروبي: من التعاون الاقتصادي إلى السياسة الخارجية و الأمنية المشتركة، المرجع السابق، ص 100 .

(20) Charles Zorgbide , Histoire Des Relations Internationales : 1962 a Nos Jours , (Paris : Hachette , 1995) .p 400 .

(21) محمد أحمد مطاوع، السياسة الأمنية والدفاعية الأوروبية في ظل عملية توسيع الاتحاد الأوروبي شرقاً، المرجع السابق، ص 41 .

(22) جمانة رعد حامد القيسي، مشروع الاتحاد الأوروبي للدفاع والأمن : التحديات الداخلية والخارجية ، رسالة ماجستير ( بغداد : جامعة النهرين ، 2001م ) ، ص 69 .

(23) د- عماد جاد (محرراً)، الاتحاد الأوروبي: من التعاون الاقتصادي إلى السياسة الخارجية والأمنية المشتركة ، المرجع السابق ، ص 100 .

(24) د- عبد النور بن عنتر، الدفاع الأوروبي والأمن العربي، مجلة شؤون الأوسط ، العدد 65 ( بيروت : 1997م ) ، ص 35 .

(25) ل- كمال شديد، السياسة الدفاعية الأوروبية المستقلة وأثرها على الشرق الأوسط ، مجلة السياسة الدولية، العدد 157( القاهرة : 2004م ) ، ص 238 .

(26) جمانة رعد حامد القيسي، مشروع الاتحاد الأوروبي للدفاع والأمن: التحديات الداخلية والخارجية، المرجع السابق ، ص 45 .

(27) حارث محمد حسن، العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي : 1990م - 1998 م، رسالة ماجيستير (بغداد : جامعة بغداد ، 1999م ) ، ص 90 .

(28) زبيغنيو بيريجينسكي، رقعة الشطرنج الكبرى (دمشق : مركز الدراسات العسكرية ، 1999م ) ، ص82 .

(29) د- عبد النور بن عنتر، الدفاع الأوروبي والأمن العربي، المرجع السابق، ص ص30- 35 .

(30) محمد أحمد مطاوع ، السياسة الأمنية والدفاعية الأوروبية في ظل عملية توسيع الاتحاد الأوروبي شرقاً ، المرجع السابق ، ص 98 .

(31) د- عبد النور بن عنتر ، الدفاع الأوروبي والأمن العربي ، المرجع السابق ، ص ص30- 31 .

(32) د- عماد جاد، الاتحاد الأوروبي (محرراً): من التعاون الاقتصادي إلى السياسة الخارجية والأمنية المشتركة، المرجع السابق ، ص211 .

(33) د- عماد جاد (محرراً)، الاتحاد الأوروبي: من التعاون الاقتصادي إلى السياسة الخارجية والأمنية المشتركة ، المرجع نفسه ، ص 213 .

(34) د- عماد جاد، الاتحاد الأوروبي: تطور التجربة، مجلة السياسة الدولية ، العدد 161 ( القاهرة : 2005م ) ، ص 222.

(35) د- حسن نافعة، الاتحاد الأوروبي والدروس المستفادة عربياً( بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2004م ) ، ص ص 452- 454 .

(36) - عماد جاد، الاتحاد الأوروبي : تطور التجربة ، المرجع السابق ، ص 222.

(37) Frank Petitville , La Politique Internationale De L' Union European (Paris : Press La Fondation National Des Siences Politiques, 2006 ) , PP 87-88

(38) محمد أحمد مطاوع ، السياسة الأمنية والدفاعية الأوروبية في ظل عملية توسيع الإتحاد الأوروبي شرقاً ، المرجع السابق ، ص 108 .

(39) د- عماد جاد، الاتحاد الأوروبي: تطور التجربة، المرجع السابق ، ص ص222 - 223.

(40) إبراهيم غالي،الاتحاد الأوروبي: إستراتيجية للدفاع المشترك ، مجلة السياسة الدولية، العدد 156( القاهرة : 2004م ) ، ص ص 138 – 139 .

(41) محمد أحمد مطاوع، السياسة الأمنية والدفاعية الأوروبية في ظل عملية توسيع الاتحاد الأوروبي شرقاً ، المرجع السابق ، ص 133 .

(42) Quille Gerrard, ESDP : The State Of Play ,europarl . eu . int /Meetdocs / 2004/ organes /Sete04c _ev .pdf .20 -09 – 2004 , pp : 17 – 18

(43) محمد أحمد مطاوع، السياسة الأمنية والدفاعية الأوروبية في ظل عملية توسيع الاتحاد الأوروبي شرقاً، المرجع السابق ، ص ص 123 – 124 .

(44) بال داناواي، زودز سلولافيتشوفسكي ، المنظمات والعلاقات الأورو-أطلسية ، في نزع السلاح والأمن الدولي : الكتاب السنوي( بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004م ) ، ص 132 .

(45) محمد أحمد مطاوع ، السياسة الأمنية والدفاعية الأوروبية في ظل عملية توسيع الاتحاد الأوروبي شرقاً ، المرجع السابق ، ص ص 123- 124 .

(46) www .kuna . net / new agancies public site / article detaile .aspsc ? id = 1944578 language = ar .

(47) بال داناواي ، زودز سلولافيتشوفسكي ، المنظمات والعلاقات الأورو-أطلسية ، في نزع السلاح والأمن الدولي : الكتاب السنوي ، المرجع السابق ، ص 128 .

(48) www . nato . int / document / review / 2007 /issue .

(49) محمد أحمد مطاوع، السياسة الأمنية والدفاعية الأوروبية في ظل عملية توسيع الاتحاد الأوروبي شرقاً ، المرجع السابق ، ص ص129 – 130 .

(50) بال دانواي، زودز سلولافيتشوفسكي، المنظمات والعلاقات الأورو- أطلسية ، في نزع السلاح والأمن الدولي : الكتاب السنوي ، المرجع السابق ، ص ص 132 – 133 .

(51) بال دانواي، زودز سلولافيتشوفسكي، المنظمات والعلاقات الأورو- أطلسية ، في نزع السلاح والأمن الدولي : الكتاب السنوي ، المرجع نفسه ، ص ص 133 – 134 .

(52) د- سعاد محمد محمود حسن، العلاقات الأوروبية الأمريكية في إطار منظمة حلف شمال الأطلسي : دراسة عن تأثير الدول الأوروبية في السياسة الخارجية الأمريكية، أطروحة دكتوراه ( القاهرة : جامعة القاهرة ، 2005 م ) ، ص 257 .

(53) د- عماد جاد (محرراً)، الاتحاد الأوروبي: من التعاون الاقتصادي إلى السياسة الخارجية و الأمنية المشتركة ، المرجع السابق ، ص 68 .

(54) د- عماد جاد (محرراً)، الاتحاد الأوروبي: من التعاون الاقتصادي إلى السياسة الخارجية والأمنية المشتركة ، المرجع نفسه ، ص 27 .

(55) د- سعاد محمد محمود حسن، العلاقات الأوروبية الأمريكية في إطار منظمة حلف شمال الأطلسي: دراسة عن تأثير الدول الأوروبية في السياسة الخارجية الأمريكية، المرجع السابق ، ص 257.

(56) نافع أيوب لبس، منظمة معاهدة حلف شمال الأطلسي (الناتو): العضوية والتعاون( دمشق : مركز الدراسات العسكرية ، 1996م )، ص 150 .

(57) د- عماد جاد ، الاتحاد الأوروبي (محرراً) : من التعاون الاقتصادي إلى السياسة الخارجية والأمنية المشتركة، المرجع السابق ، ص 72 .

(58) www . nato . int / doc / comm / 49- 95 / c 911107 a – htm # 1.

(59) نافع أيوب لبس، منظمة معاهدة حلف شمال الأطلسي (الناتو) : العضوية و التعاون ، المرجع السابق ، ص 153

(60) www . nato . int / doc / comm / 49- 95 / c 911107 a – htm # 1.

(61) نافع أيوب لبس، منظمة معاهدة حلف شمال الأطلسي (الناتو) : العضوية والتعاون، المرجع السابق ، ص 154

(62) نافع أيوب لبس، منظمة معاهدة حلف شمال الأطلسي (الناتو) : العضوية والتعاون، المرجع نفسه، ص ص 155 – 156.

(63) www . nato . int / doc / comm / 49- 95 / c 911107 a – htm # 1.

(64) نافع أيوب لبس، منظمة معاهدة حلف شمال الأطلسي (الناتو) : العضوية و التعاون، المرجع السابق ، ص166.

(65) نافع أيوب لبس، منظمة معاهدة حلف شمال الأطلسي (الناتو) : العضوية والتعاون، المرجع نفسه ، ص ص167 – 168.

(66) www . nato . int / doc / comm / 49- 95 / c 911107 a – htm # 1.

(67) د- عماد جاد ، الجدل حول المفهوم الإستراتيجي لحلف الأطلنطي، مجلة السياسة الدولية، العدد129(القاهرة : 1998 م ) ، ص 209 .

(68) د- عماد جاد، أثر تغيرالنظام الدولي على حلف شمال الأطلسي ، مجلة السياسة الدولية، العدد 134( القاهرة : 1998 م ) ، ص 19 .

(69) د- محمد نبيل فؤاد، حلف شمال الأطلسي (الناتو) : النظام العالمي الأحادي و مشروع الشرق الأوسط الكبير(القاهرة : دار الجمهورية للصحافة ، 2007 م ) ، ص81 .

(70) د- كاظم هاشم نعمة، حلف الأطلسي (طرابلس : منشورات أكاديمية الدراسات العليا، 2003م ) ، ص 243 .

(71) د- كاظم هاشم نعمة، حلف الأطلسي ، المرجع نفسه ، ص 244 .

(72) د- عماد جاد ، الجدل حول المفهوم الإستراتيجي لحلف الأطلنطي ، المرجع السابق ، ص 210 .

(73) نزار إسماعيل الحيالي، دور حلف شمال الأطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة، رسالة دكتوراه منشورة (أبوظبي : مركز الإمارات للدراسات الإستراتيجية ، 2003م ) ، ص 91 .

(74) A . Cragg , The Combiened Joint Tasks Force Concept : A Kay Component Of Alliances Adaptation , Nato Review , Vol . 44 .No 4 , July ,1996 , pp .8 – 10 .

(75) Javier Solana , A Definining Moment For Nato : The Washington Summit decision and The Kosovo Crisis , Nato Review , Vol , 47 , No , 2 , summer 1999 , p 7 .

(76) د- كاظم هاشم نعمة ، حلف الأطلسي ، المرجع السابق ، ص 249 .

(77) General George A . Joulian, Nato 's Millitary Contrubution To Partnershipe For Peace : The Progress and The Challenge , Nato Review , Vol .43 , No 2 , 1995 , p 5 .

[78] John Kriendler , PFP Critic Management Activities : Enhancing Capabilities and Coorperation, Nato Review , Vol ,3 , Autom 1998 , pp .28 – 30 .

[79] L .T . General Mario Da Silva , Chief Of Staff Of Nato 's Combiened Joint Planing Staff , Implementing The Combiened Joint Concept , Nato Review , Vol .46, No.4 , Winter 1998 , pp. 16 – 19 .

[80] – محمد نبيل فؤاد، حلف شمال الأطلسي (الناتو): النظام العالمي الأحادي و مشروع الشرق الأوسط الكبير، المرجع السابق ، ص ص 126 – 127 .

[81] James Morrison : Nato Expansion and alternative Future Security Alignments (Washington DC ; Institute For National Stratigic Stadies ,1995 ) ,PP 48.

[82] توفيق محمد عطية، حلف الناتو : رؤية جديدة لإدارة الأزمات الدولية ، المرجع السابق ، ص 17 .

[83] www . nato . int / issues / enlargement / practice – f . html .

[84] www . nato . int / issues / enlargement / index –fr –html .

[85] www . nato . int / issues / enlargement / practice – f . html .

[86] www . nato . int / issues / enlargement / index –fr –html .

[87] www . nato . int / issues / enlargement / practice – f . html .

[88] د- عماد جاد، حلف الأطلنطي: مهام جديدة في بيئة أمنية مغايرة ، رسالة دكتوراه منشورة( القاهرة : مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ، 1998م ) ، ص ص 191– 192 .

(89) د- صلاح سالم زرنوقة ، الناتو بين مرحلتين ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 129 ( القاهرة : 1997 م ) ، ص 76

(90) James Morrison : Nato Expansion and alternative Future Security Alignments , op.cit, pp 41 – 42 .

(91) عبد الله صالح ، بعد قمة مايو: أهداف خطة توسيع الحلف ، مجلة السياسة الدولية، العدد 129(القاهرة : 1997 م ) ، ص ص 85- 86 .

(92) د- نوار محمد ربيع، اتجاهات الأمن الأوروبي بعد الحرب الباردة : دراسة في الأمن الأطلسي والمتوسطي، أطروحة دكتوراه ( بغداد : جامعة بغداد ، 2002م ) ، 149 .

(93) د- نوار محمد ربيع، اتجاهات الأمن الأوروبي بعد الحرب الباردة : دراسة في الأمن الأطلسي والمتوسطي ، المرجع نفسه ، ص ص 149 – 150 .

(94) د- عماد جاد، الجدل حول المفهوم الإستراتيجي لحلف الأطلنطي ، المرجع السابق ، ص**76** .

(95) غسان العزي، توسيع حلف الأطلسي وتعزيز الهيمنة الأمريكية ، مجلة شؤون الأوسط ، العدد 83 ( بيروت : ، 1999 م ) ، ص 99 .

(96) ميشيل يمين، تقدم حلف شمال الأطلسي: استمراراً للحرب الباردة، مجلة شؤون الأوسط ، العدد68 ( بيروت : مركز الدراسات الإستراتيجية والتوثيق، 1998م )، ص 157 .

(97) ريتشارد نيكسون، الفرصة السانحة : التحديات التي تواجه أمريكا في عالم ليس به إلا قوة عظمى واحدة ، ترجمة: أحمد صدقي مراد (دون مكان الطبع : دار الهلال ، 1992م ) ، ص 91 .

(98) N . Malcoin : The Case Against Europe , Forgein Affairs , vol .

74 . No 2 ,  March – april  1995 , pp 52- 55 .

(99) د- كاظم هاشم نعمة ، حلف الأطلسي ، المرجع السابق ، ص 144 .

(100) عمرو عبد الكريم سعداوي، فرنسا وتوسيع الناتو ، مجلة السياسة الدولية، العدد 129 ( القاهرة : 1997 م )، ص 108 .

(101) ميشيل يمين ، تقدم حلف شمال الأطلسي : استمراراً للحرب الباردة ، المرجع السابق ، ص157 .

(102) د- عماد جاد ، حلف الأطلنطي : مهام جديدة في بيئة أمنية مغايرة ، المرجع السابق ، ص 203 .

(103) د- عماد جاد ، حلف الأطلنطي : مهام جديدة في بيئة أمنية مغايرة، المرجع نفسه ، ص 196 .

(104) محمد دياب : مشروع إصلاح الجيش الروسي والعقيدة العسكرية الروسية ، مجلة شؤون الأوسط ، العدد 63 ( بيروت : 1997 م ) ، ص 46 .

(105) د- عماد جاد ، أثر تغير النظام الدولي على حلف شمال الأطلسي ، المرجع السابق ، ص 82 .

(106) ميشيل يمين ، تقدم حلف شمال الأطلسي : استمراراً للحرب الباردة ، المرجع السابق ، ص 153 .

(107) ألكسي بوشكوف، روسيا والأطلسي : اللاحرب واللاسلم في العلاقات بين الخصمين السابقين ، مجلة شؤون الأوسط ، العدد63( بيروت : 1997م ) ، ص ص 34 – 35 .

(108) توفيق محمد عطية ، حلف الناتو : رؤية جديدة لإدارة الأزمات الدولية ، المرجع السابق ، ص**21** .

(*) المقصود بنظام الدرع الصاروخي الأمريكي المضاد للصواريخ هو إقامة شبكات حماية مكونة من أنظمة صواريخ أرضية مستندة إلى نقاط ارتكاز جغرافية عدة قادرة على اسقاط أي صاروخ باليستي عابر للقارات يستهدف الأراضي الأمريكية، وهذا ما تحظره معاهدة الحد من الأسلحة الباليستية ABM.

(109) د- أليسندرو فيجيس ، مستقبل الناتو و توسعه شرقاً و في البحر المتوسط ، مجلة السياسة الدولية، العدد 152( القاهرة : 2003 م ) ، ص 221 .

(110) نص وثيقة المفهوم الإستراتيجي الجديد:

www . nato . int / docu / pr/ 1999 / p99 - 065e- html

(111) د- سعاد محمد محمود حسن ، العلاقات الأوروبية الأمريكية في إطار منظمة حلف شمال الأطلسي : دراسة عن تأثير الدول الأوروبية في السياسة الخارجية الأمريكية ، المرجع السابق ، ص **265** .

(112) نص وثيقة المفهوم الإستراتيجي الجديد:

www . nato . int / docu / pr/ 1999 / p99 - 065e- html

(113) نص وثيقة المفهوم الإستراتيجي الجديد:

ww . nato . int / docu / pr/ 1999 / p99 - 065e- html

(114) نص وثيقة المفهوم الإستراتيجي الجديد:

www . nato . int / docu / pr/ 1999 / p99 - 065e- html

(115) نص وثيقة المفهوم الإستراتيجي الجديد:

www . nato . int / docu / pr/ 1999 / p99 - 065e- html

(116) نص وثيقة المفهوم الإستراتيجي الجديد:

.www . nato . int / docu / pr/ 1999 / p99 - 065e- html

(117) نص وثيقة المفهوم الإستراتيجي الجديد:

www . nato . int / docu / pr/ 1999 / p99 - 065e- html .

(118) نص وثيقة المفهوم الإستراتيجي الجديد:

www . nato . int / docu / pr/ 1999 / p99 - 065e- html .

(119) نص وثيقة المفهوم الإستراتيجي الجديد:

www . nato . int / docu / pr/ 1999 / p99 - 065e- html .

(120) Rebert Bell , Sisyphs and NRF : The Challenges Of Setting Up The Nato Response Force : www . nato . int / docu / review / 2006 / issue 3 / english / art 4 .html .

(121) www . nato . int / issue 3 / nrf / evolution – fr . html .

(122) Rebert Bell , Sisyphs and NRF : The Challenges Of Setting Up The Nato Response Force : www . nato . int / docu / review / 2006 / issue 3 / english / art 4 .html .

(123) www . nato . int / issue 3 / nrf / evolution – fr . html .

(124) www . nato . int / issue 3 / nrf / practice – fr . html .

(125) Rebert Bell , Sisyphs and NRF : The Challenges Of Setting Up The Nato Response Force : www . nato . int / docu / review / 2006 / issue 3 / english / art 4 .html .

(126) Rebert Bell , Sisyphs and NRF : The Challenges Of Setting Up The Nato Response Force : www . nato . int / docu / review / 2006 / issue 3 / english / art 4 .html .

(127) Rebert Bell , Sisyphs and NRF : The Challenges Of Setting Up The Nato Response Force : www . nato . int / docu / review / 2006 / issue 3 / english / art 4 .html .

(128) محمد نبيل فؤاد ، حلف شمال الأطلسي (الناتو): النظام العالمي الأحادي ومشروع الشرق الأوسط الكبير، المرجع السابق ، ص 133 .

(*) www nato .int /pfp / sig / cntr / html .

(129) محمد نبيل فؤاد ، حلف شمال الأطلسي (الناتو): النظام العالمي الأحادي ومشروع الشرق الأوسط الكبير، المرجع نفسه ، ص 135 .

(130) د- عماد جاد ، حلف الأطلنطي : مهام جديدة في بيئة أمنية مغايرة ، المرجع السابق ، ص 156 .

(131) www . nato . int /doc / basictxt / b 940110 a . html .

(132) www . nato . int /doc / basictxt / fndact - a . htm .

(133) www . nato . int /doc / basictxt / fndact - a . htm .

(134) د- كاظم هاشم نعمة ، حلف الأطلسي ، المرجع السابق ، ص 168 .

(135) نص الوثيقة التأسيسية بين الحلف وروسيا :

www . nato . int /doc / basictxt / fndact - a . htm.

(136) نص الوثيقة التأسيسية بين الحلف و روسيا :

www . nato . int /doc / basictxt / fndact - a . htm

(137) Dimitri Trenin , Nato and Russia : Soberig Thoghts and Practical Suggestions :

www . nato . int / docu / review / 2007 / issues 2 / franch / art 1 . html .

(138) غسان العزي ، العلاقات الأطلسية – الروسية ، مجلة شؤون الأوسط ، العدد 108 ( بيروت : ، 2002 م )، ص173.

(139) د- حسن أبوطالب (محرراً)، التقرير الإستراتيجي العربي 2001(القاهرة : مركز الدراسات السياسية و الإستراتيجية ، 2002م ) ، ص ص 57- 58 .

(140) د- حسن أبوطالب (محرراً) ، التقرير الإستراتيجي العربي 2001 ، المرجع السابق ، ص 57 .

(*) www . nato – russia – council . info /htm / fr / structures / .shtml

(141) www . nato . int / issues / nrc / index . html .

(142) www . nato . int / issues / nrc / tasks - f . html .

(143) www . nato – russia – council . info / html / fr / index . shtml .

(144) وثيقة الشراكة المميزة بين حلف شمال الأطلسي وأوكرانيا :

update www . nato . int /doc /

(145) وثيقة الشراكة المميزة بين حلف شمال الأطلسي وأوكرانيا :

update/ www . nato . int /doc

(146) www . nato . int / issues / nuc / index – fr – html .

(147) www . nato . int / issues / nuc / index – fr – html .

(148) Grigoriy M . Perepelytsia : Nato Ukraine : At The Crossroads : www . nato . int / docu / review / 2007 / issues 2 / franch / art 2 . html .

(149) .www . nato . int /doc / update

(150) www . nato . int /doc / pr /2005 / p 050421f . html .

(151) www . nato . int / issue / Nato - Ukraine / jwgdr .html .

[152] www . nato . int / issue / Nato - Ukraine / evolution – fr .html .

[153] www . nato . int / issue / Nato - Ukraine / evolution – fr .html .

[154] Grigoriy M . Perepelytsia : Nato Ukraine : At The Crossroads : www . nato . int / docu / review / 2007 / issues 2 / franch / art 2 . html .

[155] www . Rt arabic .com / news - all - analytics / 19283 .

# الفصل السادس
## الأمن العربي ومبادرات التعاون

يتناول هذا الفصل المشاريع الغربية للتعاون الإقليمي، وهنا يتم التركيز على الشراكة الأورو- متوسطية والمشروع الشرق أوسطي ومشروع الشرق الأوسط الكبير والدور المفترض للحلف في إطار هذا المشروع، وعملية برشلونة : اتحاد من أجل المتوسط.

كما تتم دراسة عملية الحوار الأطلسي – المتوسطي، ومبادرة إسطمبول للتعاون، بالإضافة إلى إجراء مقارنة بين مختلف مبادرات الحلف للتعاون مع محيطه الإستراتيجي مع نظيرتها التي يجريها مع الدول العربية.

## المبحث الأول :

## المشاريع الغربية للتعاون الإقليمي

### المطلب الأول : مشروع الشرق أوسطية :

مع بداية تسعينيات القرن الماضي، تأثرت الدول العربية بالعديد من التحولات في البيئة الدولية والإقليمية، منها:

1- سقوط الاتحاد السوفياتي ونهاية القطبية الثنائية.

2- اعادة الولايات المتحدة ترتيب أوضاع بعض النظم الإقليمية التي من بينها النظام الإقليمي العربي.

3- زيادة الاهتمام بالجيوإيكونوميكا على حساب الجيوستراتيجيا.

4- حرب الخليج الثانية وعملية السلام العربية – الإسرائيلية منذ مؤتمر مدريد للسلام.

5- أهمية البعد الاقتصادي في عملية السلام العربية – الإسرائيلية.[1]

**أولاً : التصور الأمريكي والإسرائيلي للتعاون الشرق أوسطي**: ربط شمعون بيريزعملية إرساء نظام إقليمي جديد بتطور مسار التسوية السلمية للصراع العربي الإسرائيلي[2]، وبعد تثبيت الأوضاع تقام صناعات إقليمية عبر هيئات دولية لتصل إلى سياسة الجماعة الإقليمية مع تطور تدريجي للمؤسسات الرسمية المشتركة، كما يقترح تكوين قوة خاصة بالمنطقة قادرة على رد العدوان و بصورة مباشرة[3].

أما الأمريكيون والأوروبيون فيركزون على أهمية إقامة منطقة للتجارة الحرة بين إسرائيل والدول العربية، باعتبارها الهدف الرئيسي من وراء الترتيبات الاقتصادية الشرق أوسطية الجديدة [4].

وقد سادت عدة سيناريوهات لمستقبل المنطقة في إطار الشرق أوسطية، منها:

1- ظهور نظام شرق أوسطي تقوم فيه الولايات المتحدة بدور رئيسي.

2- ظهور نظام شرق أوسطي تكون فيه إسرائيل محور التفاعلات بين أعضائه.

3- قيام نظام شرق أوسطي على نمط السوق الأوروبية المشتركة، يرتكز على تبادل المصالح في إطار حرية التجارة، وعدم هيمنة طرف على باقي الأطراف [5].

4- تشكيل نظام شرق أوسطي تكون فيه للدول العربية إستراتيجية موحدة للتكامل الاقتصادي.

**ثانياً : أبعاد الشرق أوسطية** : وتتمثل أبعادها في الآتي:

**أ- البعد السياسي :** يرجع سبب الاختلاف على تحديد مصطلح الشرق الأوسط إلى غياب المعيار الموضوعي في تحديد نطاق الإقليم الشرق أوسطي، لأنه مرتبط باستراتيجيات القوى العظمى تجاه المنطقة، حيث جاء منسجمًا مع طرح وعد بلفور عام 1921م، ولم يستقر على منطقة فلسطين وشرق الأردن والعراق، وقد امتد ليشمل إسرائيل، باكستان، إيران ، تركيا، أفغانستان، وأغفل دول الخليج ومصر والسودان ودول المغرب العربي، فهو مصطلح سياسي في نشأته واستخداماته[6]. وهذا ما ذهب إليه برنارد لويس Bernard Lewis إذ أكد أن الاتحاد السوفياتي هو الحد الشمالي للشرق الأوسط، و بانهياره توسع نطاق الشرق الأوسط إلى دول آسيا الوسطى[7]، وهذه التسمية لا تصدر عن طبيعة المنطقة بل من حيث علاقتها بالآخر، وهنا يتم إقحام دول غير عربية تارةً، واقصاء أخرى تارةً ثانية [8]، وهذا الإقليم مزيج من الإثنيات والأقليات، وهذا ما يسهل عملية تفتيت وتجزئة المنطقة والسيطرة عليها، فهذا المصطلح يضرب بعمق في مفهوم الهوية العربية – الإسلامية ومقومات استمرارها.

كما يرى برنارد لويس أن إسلامية العرب تمنعهم من إقامة دولة علمانية تجمع بين هذه الإثنيات والأقليات مع العرب في دولة واحدة، ويقترح وجود سلطة تدير الشرق الأوسط من خارجه (احتلال) أو سلطة رادعة من داخله (إسرائيل)، ويقترح شمعون بيريز تكوين قوة خاصة بالمنطقة قادرة على رد العدوان، وبصورة مباشرة.[9]

كما سعت إسرائيل إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1- تحقيق سلام وفق الشروط الإسرائيلية، وإقامة علاقات مع الدول العربية التي تقدم تنازلات جوهرية.

2- الاعتراف بشرعية إسرائيل وحقها في البقاء.

3- اشتراط الانسحاب الإسرائيلي التدرجي من الأراضي العربية الذي سيكون على سنوات كنوع من ضمان التزام العرب بشروط السلام وإقامة التطبيع الكامل مع إسرائيل.

4- انهاء النظام الإقليمي العربي وكل الجهود الرامية نحو المزيد من التعاون والتكامل العربي.

5- تقسيم المنطقة على أسس إثنية وطائفية.

6- التحكم في مصادر المياه ومشاريع إنتاجه، فالماء والسلام ينسابان معًا [10].

**ب- البعد الاقتصادي:** سعت إسرائيل من خلال مشروع الشرق أوسطية إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1- التحكم والسيطرة في الثروات العربية وتوجيهها وفق آليات تقسيم العمل الإقليمي المحدد إسرائيليًا.

2- انهاء المقاطعة العربية، وإدماج إسرائيل كعضو سياسي فاعل في النظام الشرق أوسطي[11].

3- فتح الأسواق العربية للمنتوجات الغربية، واتباع سياسة الإغراق وتدمير الصناعات العربية الناشئة.

4- استثمار الأموال العربية في مجالات اقتصادية غير مؤثرة في الاقتصاد العالمي، وكذا توظيفها لتمويل الاستثمارات الإسرائيلية.

5- عدم السماح بتخصيص موارد مالية وبشرية للأعمال والصناعات العسكرية وربطها بالمؤسسات العسكرية الأمريكية والأوروبية [12].

6- ربط الاقتصادات العربية بالاقتصاد الإسرائيلي والحاقها به، حيث يتم الترابط من خلال شبكة واسعة من المشاريع الاقتصادية (طاقة، مياه، سياحة، عمالة...).

7- جعل إسرائيل مركز الثقل في جميع العمليات الاقتصادية، ونقطة تقاطع لكل مشروعات البنية التحتية.

ج- **البعد الأمني**: يعتبر الجانب الأمني من أهم هواجس ومحددات السياسة الإسرائيلية، وقد سعى شمعون بيريز إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1- فرض الرقابة وضبط التسلح من خلال قرارات مجلس الأمن.

2- اضعاف القوة العربية من خلال التحول عن الصناعات العسكرية وخفض ميزانية الدفاع ، وفرض قيود صارمة على التسلح.

3- نزع أسلحة الدمار الشامل بالمنطقة مع استثناء إسرائيل من كل هذه الإجراءات.

4- جمع المعلومات عن النشاطات العسكرية العربية. [13]

5- اجهاض أي محاولة لإنشاء قوة عسكرية عربية للفصل في النزاعات خصوصًا بعد إعلان دمشق في مارس 1991م.

6- المحافظة على التفوق العسكري الإسرائيلي.

**أما الولايات المتحدة الأمريكية، فسعت إلى تحقيق الأهداف الأمنية الآتية:**

1- تكثيف الوجود الأمريكي في منطقة الخليج العربي.

2- تعزيز التعاون المدني والأمني والاقتصادي والسياسي والثقافي بين دول الشرق الأوسط والولايات المتحدة.

3- اضعاف الصناعات العسكرية الوطنية وضرب كل محاولات إقامة صناعة عسكرية عربية مشتركة.

4- ربط برامج التسلح العربية بمنظومة الإنتاج الحربي الأمريكي[14].

**المطلب الثاني : الشراكة الأور- متوسطية :**

إن أزمة الطاقة سنة 1973م، قد وجهت أكثر الاهتمام الأوروبي بالبحر المتوسط والشرق الأوسط، والتي أسست للحوار العربي الأوروبي الذي أكد عليه البيان الختامي للقمة العربية بالجزائر في عام 1973م، حيث جاء فيه" أن أوروبا تتصل بالعالم العربي عبر البحر المتوسط بصلات حضارية متينة ومصالح حيوية متداخلة لا يمكن أن تنمو إلا في إطار تسوده الثقة والمصالح المتبادلة" [15]، كما أكد البيان الختامي للقمة العربية بالرباط في 29 أكتوبر1974م على ضرورة اتخاذ التدابير اللازمة للدخول في مرحلة فعالة من الحوار للتّوصل إلى تعاون ملموس في مختلف الميادين وخاصة الاقتصادية منها. وفي منتصف السبعينيات أبرمت المجموعة الأوروبية عدة اتفاقيات مع الدول المتوسطية – باستثناء ليبيا – وتركزت في مجملها على المساعدات الاقتصادية أو ما عرف بالتعاون المالي، وكذا فتح الأسواق الأوروبية للصادرات الصناعية وبعض التفضيلات للمنتجات الزراعية، وهذا باستثناء تركيا وإسرائيل[16] ثم جاء طرح العديد من المبادرات منها : المبادرة الإيطالية - الإسبانية بمؤتمر بالما دي مايوركا Palma De Mojorca في أكتوبر 1990م، وقد استندت هذه المبادرة إلى مبادئ منها:

أ- ارتباط أوروبا التاريخي والحضارة والاقتصادي بمنطقة حوض المتوسط.

ب- صعوبة الفصل بين الأمن الأوروبي والأمن المتوسطي، واستناده على علاقات الاعتماد المتبادل بين دول الضفة الجنوبية والشمالية للمتوسط.

ج- إنشاء مؤتمر للأمن والتعاون في المتوسط، كرد فعل لغزو العراق للكويت في 2 أغسطس 1990م.

ثم جاء طرح المبادرة الفرنسية للتعاون بين دول غرب المتوسط التي أعلن عنها سنة 1983م، بمراكش ضمت كل من إيطاليا، فرنسا، إسبانيا، البرتغال، الجزائر، تونس والمغرب. وقد فشلت هذه المبادرة بعد اقتراح الجزائر- بالاضافة إلى الجانب الاقتصادي- أن تشمل الجانب الأمني، وهو ما رفضه المغرب بحجة أن ذلك يعني عرض قضية الصحراء الغربية على الدراسة والبحث [18]، ثم عقد اجتماع طنجة في مايو 1989م، الذي أكد على الطريقة المتكاملة في معالجة قضايا التعاون المعقدة، ثم جاء إجتماع روما في أكتوبر 1990م، الذي جمع وزراء خارجية دول المغرب العربي وإيطاليا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال وشاركت مالطا بصفة مراقب، وهذا ما عرف بمجموعة (4 + 5)، ثم بعد انضمام مالطا أصبحت تعرف بمجموعة (5 + 5)، وكان البيان الختامي للمؤتمر شاملاً لجميع مجالات التعاون وأكد أيضًا على هدفين أساسيين هما الحوار والتعاون. ثم كان اجتماع الجزائر في 26 و 27 أكتوبر 1991م، وأشار بيانه الختامي - الذي لم يخرج كثيرًا عن ما ورد في إعلان روما - إلى مؤتمر السلام في الشرق الأوسط، وأكد أيضًا على احترام اتفاق الطائف، وقد توقف هذا المؤتمر بعد تطورات أزمة لوكربي.

وبعد تدعيم البناء الأوروبي منذ دخول معاهدة ماستريخت حيز النفاذ في 1993م، وإنشاء السوق الموحدة، دعى المجلس الوزاري الأوروبي في اجتماعه بمدينة كورفورو باليونان في يوليو 1994م، إلى إعداد ورقة عمل حول المبادئ الأساسية

لسياسة أوربية- متوسطية، التي أقرتها قمة الاتحاد الأوروبي بمدينة أسن الألمانية في 10 ديسمبر 1994م، وتضمنت تصورًا أوربيًا لتطويرعلاقات الاتحاد الأوروبي بدول المنطقة، من خلال إقامة حوار سياسي يهدف إلى تحقيق السلام والاستقرار بالمنطقة، وكذا إقامة منطقة اقتصادية أوربية – متوسطية من خلال إنشاء منظمة للتجارة الحرة [19].

كما دعت القمة إلى عقد إجتماع وزاري مع الدول المتوسطية لمناقشة المجالات السياسية والاجتماعية، كما تضمنت الورقة أهداف شاملة وآليات ومجالات للتعاون المقترح .

وقد حددت ورقة العمل أهداف التعاون في الجوانب الآتية:

1- **الأهداف السياسية والأمنية** : وتمثلت في:

أ- تحديد المبادئ والمصالح المشتركة.

ب- التأكيد على أهمية إقامة دولة القانون.

ج- التزام الدول بإرساء علاقات حسن الجوار.

د- مساندة جهود التكامل الإقليمي لأهميتها في استقرار المنطقة[20].

2- **الأهداف الاقتصادية:** وشملت تحقيق الأهداف الآتية:

أ- الاسراع في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

ب- تحسين الظروف المعيشية للسكان.

ج- زيادة فرص العمل.

د- تقليل فجوة الرخاء.

ذ- دعم التعاون الإقليمي[21].

**مؤتمر برشلونة:** عقد بمدينة برشلونة الإسبانية في 27 و 28 نوفمبر 1995م، بمشاركة 27 دولة، وقد سعى المشاركون في هذا المؤتمر تحقيق الأهداف الآتية:

**1- الأهداف السياسية والأمنية:** يعتبر السلام والاستقرار والأمن في منطقة البحر المتوسط هدفًا أساسيًا لأي عملية تعاون في المنطقة، ويمكن تحقيق هذا الهدف من خلال:

أ- تشجيع ضمان الأمن الإقليمي بين دول المنطقة.

ب- الالتزام بمعاهدات عدم الانتشار الأسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل.

ج- تشجيع إجراءات بناء الثقة والاكتفاء بالحد الأدنى من القدرات العسكرية.

د- مكافحة ظاهرة الإرهاب والتعاون الإقليمي في هذا المجال.

ذ- حل النزاعات بالطرق السلمية.

ر- احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية. [22]

2- **الأهداف الاقتصادية** : شدد المشاركون في مؤتمر برشلونة على تحقيق النمو الاقتصادي والتنمية الاجتماعية، وذلك من خلال:

أ- تسريع النمو الاقتصادي والاجتماعي المستدام.

ب- تحسين ظروف معيشة السكان وتخفيف فوارق النمو في المنطقة الأورو-متوسطية.

ج- تشجيع التعاون والتكامل الإقليمي.

**ولتحقيق هذه الأهداف تم الاتفاق على إقامة مشاركة اقتصادية ومالية ترتكز على الآليات الآتية [23] :**

أ- التأسيس التدريجي لمنطقة التبادل الحر في آفاق 2010م.

ب- تنفيذ التعاون والتداول الاقتصادي.

ج- زيادة معونات الاتحاد الأوروبي إلى دول الشراكة حيث تم تخصيص ستة مليار دولار لتمويل المشاريع الإنمائية في الفترة ما بين 1995م و 1999م.

د- التأكيد على أهمية حل مشكلة المديونية .

ثم عقد مؤتمر بالعاصمة المالطية فاليتا في 15 و 16 إبريل 1997م، الذي أكد على قرارات مؤتمر برشلونة و بالذات على البعد الأمني. وقد ساد المؤتمر اختلاف جوهري بين الدول العربية التي شددت على ضرورة توسيع مجالات التعاون وعدم القبول باستمرار الاختلال الإستراتيجي القائم الذي هو لصالح إسرائيل. ومن جهة أخرى دعى الاتحاد الأوروبي إلى ضرورة تكثيف إجراءات بناء الثقة، التي اعترضت عليها سوريا ولبنان واعتبرتها تؤدي إلى التطبيع مع إسرائيل، ولم يصدر الطرف الأوروبي البيان الختامي بسبب هذه الخلافات ، بالاضافة إلى الخلط بين مفهومي الإرهاب والمقاومة[24]، وهذا الوضع انعكس في مؤتمر باليرمو الثاني بإيطاليا الذي عقد في 3 و 4 يونيه 1998م، وتميز بانخفاض مستوى التمثيل الدبلوماسي، كما لم يصدر عن المؤتمر أي بيان ختامي، إلا أنه وضع أسس مناقشة مشروع ميثاق الاستقرار في المتوسط. وقد تم وضع الخطوط العامة لميثاق الاستقرار في المتوسط في مؤتمر شتوتغارت بألمانيا في 15 و 16 إبريل 1999م، الذي وقعت عليه سبع وعشرون دولة مشاركة، وقد نص الميثاق على:

2-1- الحل السلمي للنزاعات و تعميق الحوار السياسي بين أطرافها.

2-2- احترام حقوق الإنسان والديموقراطية.

2-3- مكافحة جذور الإرهاب[25].

ثم سعت فرنسا إلى تقديم مسودة ميثاق الأمن والاستقرار في مؤتمر مرسيليا في يوليو 2000م، إلا أنها تراجعت بسبب فشل مفاوضات كامب ديفيد الثانية، وكذا مقاطعة سوريا ولبنان لهذا المؤتمر ثم تدهور الوضع أكثر بسبب تدنيس شارون

للحرم القدسي في سبتمبر2000م، ثم عقد مؤتمر ببروسكل في 5 و 6 نوفمبر 2001م، وهو ما مثل فرصة للولايات المتحدة للحصول على إدانة المؤتمر لهذه الهجمات وتبنيه للقرار ( 1373 / 2001 ) كأساس لمكافحة الإرهاب[26]، ثم تصنيف الولايات المتحدة للعراق كدولة ضمن دول محور الشر، وفي هذه الأجواء عقد مؤتمر فالينسيا في 22 و 23 إبريل 2002م ، بمقاطعة سوريا ولبنان و ليبيا، وعند اعتلاء ممثل إسرائيل منصة المؤتمر، انسحبت الوفود العربية منه، بسبب الإرهاب الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني. وفي قمة نابولي بإيطاليا في 2 و 3 ديسمبر 2003م، تم بحث إنشاء مؤسسة أورو- متوسطية للحوار بين الثقافات وتأسيس الجمعية البرلمانية الأورو- متوسطية بالاضافة إلى دراسة تحويل خطة الاستثمار الأورو– متوسطية إلى مؤسسة مالية مستقلة، وسعت القمة على تفعيل الدور الأوروبي في عملية السلام بالشرق الأوسط وفي عملية إعادة إعمار العراق . وقد تأثر الحوار الأورو- متوسطي أيضًا بالحرب على العراق والمواقف المؤيدة للولايات المتحدة من قبل العديد من دول الاتحاد الأوروبي. وبعد مرور عشر سنوات على مسار برشلونة، عقد مؤتمر برشلونة في 27 و 28 نوفمبر، بمشاركة 35 دولة وخمسة دول بصفة مراقب، وقد تمحور البيان الختامي للمؤتمر حول تفعيل الديموقراطية وتشجيع التبادل التجاري، كما أكد على أن الإصلاحات السياسية لابد أن تكون من الداخل[27].

**معوقات عملية برشلونة:** تعرض مسار برشلونة للتعاون بين الضفة الجنوبية والشمالية للمتوسط للعديد من الصعوبات، نذكر منها:

1- التداخل بين هيئات الاتحاد الأوروبي وآليات تنفيذ التعاون (التداخل بين السلة الأولى لإعلان برشلونة والمبدأ الأول لاتفاقية ماستريخت المتعلق بالجانب الاقتصادي، والسلة الثانية للإعلان المتعلقة بالأمن مع السياسة الأوروبية للأمن المشترك ).

2- محدودية التعاون المالي المتمثل في برامج ميدا MIDA I و ميدا MIDA II بسبب عراقيل تقنية، مقارنة بما كان قائم من اتفاقيات مالية بين دول المتوسط .

3- التركيزعلى توسيع الاتحاد الأوروبي إلى شرق ووسط أوروبا على حساب الاهتمام بالتعاون الأورو- متوسطي، بسبب التأثير المالي لألمانيا و بريطانيا في توجيه السياسة الخارجية الأوروبية، واهتمام فنلندا والسويد بمساعدة دول البلطيق...

4- تعثر مشاريع التعاون بسبب تباطئ الإصلاحات في دول جنوب المتوسط وثقل البيروقراطية والعجز عن صياغة مشاريع ذات فعالية ومصداقية تتناسب مع الحجم المالي المخصص، كما يرى الأوروبيون، في حين يؤكد الشركاء الجنوبيون أن ممارسة الاشتراطية والوصاية المالية الأوروبية وضعف المخصصات المالية هو الذي يقف وراء تعثر مشاريع التعاون (28).

5- ضعف ومحدودية برامج الإصلاح السياسي والاقتصادي في الدول العربية.

6- التباين بين دول جنوب المتوسط، حيث أن 60٪ من سكانه – البالغ عددهم سنة 2003م، أكثر من 244 مليون نسمة – هم من سكان تركيا ومصر والتباين في العديد من المؤشرات الاقتصادية، حيث يبلغ الناتج القومي الإجمالي السوري حوالي 71736 مليون دولار، في حين يبلغ بإسرائيل أكثر من 158350 مليون دولار، وبلغت نسبة النمو بسوريا سنة 2005 م، حوالي 3.5٪ أما في إسرائيل فبلغت 5.2٪ .أما نصيب الفرد من الناتج القومي الإجمالي فبلغ في الأولى 3847 دولار، أما في الثانية فبلغ أكثر من 23416 دولار سنة 2007م (29).

7- ضعف التجارة البينية بين الدول العربية التي لاتتجاوز 10٪ من جملة المبادلات الخارجية، وهو ما يوسع من حجم الفجوة بين شمال المتوسط وجنوبه.

8- إقامة تبادل تجاري بين دول المتوسط على أساس التنافس وليس التكامل، وهو ما يؤدي إلى تأجيل قيام منطقة للتبادل التجاري الحر بين دول المتوسط.

9- اتباع الاتحاد الأوروبي لسياسة حمائية في مجال المنتجات الزراعية التي تمثل قطاع واسع من صادرات المغرب وتونس ومصر، حيث تشكل 22 و 14 و 13٪ على التوالي[30].

10- عدم تسوية العديد من القضايا السياسية في المنطقة مثل القضية الفلسطينية والعلاقات اليونانية – التركية والمشكلة القبرصية...

**المطلب الثالث : مبادرات الإصلاح الأوروبية والاتحاد من أجل المتوسط :**

**أولاً : مبادرات الإصلاح الأوروبية** :

استند الأوروبيون في اطلاق دعوات الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي إلى تقرير الأمم المتحدة للتنمية الإنسانية في العالم العربي لسنة 2002م، الذي يبرز ثلاثة نقائص مطلقة للدول العربية، وهي الحرية والمعرفة وتمكين المرأة، حيث أكدت اللجنة الأوروبية التزام الاتحاد الأوروبي بميثاق الحقوق الأساسية المعلن عنها في نيس 2000م، في ما يتعلق بعلاقاتها مع الدول المتوسطية، حيث يتضمن:

1- دعم مبادئ الحرية واحترام الحريات الأساسية.

2- تشجيع الديموقراطية.

3- احترام حقوق الإنسان ودولة القانون.

وحددت اللجنة الأوروبية سبب تراجع حقوق الإنسان في المنطقة إلى :

1- محدودية تطبيق الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان.

2- ضعف دور المنظمات غير الحكومية.

3- فشل المنظومات التربوية وعدم إستجابتها لمتطلبات سوق العمل.

4- انتعاش الحركات المتطرفة بسبب الاستبداد وفشل السياسات الاقتصادية والاجتماعية، وهذه الحركات رافضة للمبادئ العالمية لحقوق الإنسان باسم الإسلام[31] .

5- فشل تجارب التحول الديمقراطي وتهميش دور المرأة الذي أثرعلى مشاركتها وتمثيلها السياسيين.

6- اتساع الهوة بين التنمية السياسية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وهنا دعت اللجنة الأوروبية دول جنوب المتوسط إلى اتخاذ بعض الإجراءات الضرورية لدعم حقوق الإنسان، منها:

1- تشجيع دور المجتمع المدني في ترقية الديمقراطية وحقوق الإنسان.

2- مكافحة العنصرية والتمييز وكراهية الأجانب.

3- الغاء عقوبة الاعدام.

4- احترام حقوق الأقليات.

5- الدفاع عن حقوق المرأة والطفل.

6- الغاء التعذيب أثناء التحقيق و إصلاح السجون [32].

كما قدم الاتحاد الأوروبي مبادرتين رئيسيتين هما:

**أ- سياسة الجوار الجديد** : في مارس 2003م، طرحت المفوضية الأوروبية وثيقة بعنوان أوروبا الموسعة والجوار لتحدد السياسات الأوروبية المستقبلية تجاه المحيط الإقليمي الإستراتيجي للاتحاد الأوروبي من جهة الشرق والجنوب بعد عملية

التوسع، الذي يعد المجال الحيوي لأوروبا، وهذا ما عرف بسياسة الجوار الجديد لتشكل الإطار الجيوبوليتيكي الأوروبي لما بعد عملية التوسع[33].

وانطلاقًا من فكرة أن الجوار الجغرافي يتيح فرصًا أكبر للتعاون، ترى الوثيقة ضرورة تركيز السياسات الأوروبية تجاه الدول المتوسطية في المديين المتوسط والبعيد على المبادئ الآتية:

1- العمل مع الشركاء لتقليص الفقر وإقامة منطقة رخاء مشتركة قائمة على تكامل اقتصادي مكثف، وتعزيز مجالات التعاون السياسية والثقافية وأمن الحدود ومنع وإدارة الأزمات.

2- مبدأ الاشتراطية، حيث هناك نسبة وتناسب في منح المزايا والعلاقات التفضيلية لدول جنوب المتوسط، مع ما تحققه من إصلاحات سياسية واجتماعية واقتصادية استنادًا للمعايير الأوروبية[34].

وقد تعرضت الوثيقة إلى ثلاث مجالات للتعاون هي:

**1- الجانب السياسي والأمني:** أكدت الوثيقة على أهمية الجانب السياسي والأمني باعتباره محور تطور المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، الذي هو تجسيدًا للسياسة الدفاعية الأوروبية الجديدة، حيث أكدت على:

1-1- دراسة تهديدات الأمن المتبادل التي تشمل انتشار الأسلحة النووية، أوالهجرة غير الشرعية، التهريب، الإرهاب والجريمة المنظمة...

1-2- دعم عمليات التحول الديموقراطي واحترام حقوق الإنسان... خصوصًا أن دول الجوار الجديد ليس لها خبرة في الحكم الديموقراطي وسجل ضعيف في مجال حماية حقوق الإنسان، وليس فرضها من الخارج و بالقوة.

1-3- التأكيد على الأثر السلبي للصراعات في عملية التنمية السياسية والاقتصادية.

1-4- أهميـة دور الاتحـاد الأوروبـي في منـع الأزمـات وإدارتهـا، مثـل قضـية الصحراء الغربية والقضية الفلسطينية.

2- **الجانب الثقافي والاجتماعي:** نصت الوثيقة على:

2-1- تنمية المجتمع المدني في دول الجوار وتعزيز الحريات العامة مثل حرية الرأي والتعبير، وتصحيح الأفكار المسبقة عن دول الجوار في المجتمعات الأوروبية .

2-2- زيادة الاهتمام بمجالات الصحة والتعليم والتدريب.

3- **الجانب الاقتصادي** : نصت الوثيقة على الإجراءات الآتية:

3-1- انشاء وسائل تمويل جديدة مثل البنك الأورو- متوسطي من أجل تنمية القطاع الخاص.

3-2- زيادة الاستثمارات في منطقة المتوسط.

3-3- تشجيع حريـة التجـارة لتحقيـق تكامـل الأسـواق، وهـو مـا يسـمح ببنـاء سوق متوسطي أكبر، والاستفادة من اتساع السوق الأوروبية.

3-4- توسيع مجالات اتفاقيات الشراكة مع دول جنوب المتوسط إلى قطاع الخدمات والسلع.

3-5- احداث إصلاحات تشريعية في النظم الاقتصادية لدول جنوب المتوسط حتى تقترب من تلك المطبُقة في السوق الداخلية الأوروبية[35] .

**ب- مبادرة الاتحاد الأوروبي لتعزيز الشراكة مع العالم العربي :** جاءت المبادرة الأوروبيـة لتعزيـز الشـراكة مـع العـالم العربـي في إطـار سلسـلة المبـادرات الغربيـة للإصـلاح السياسـي والاقتصـادي بالعـالم العربـي، حيـث تقـرر في قمـة تسـالونيك الأوروبية باليونان التي عقدت في يونيو 2003م ، مايلي:

- التأكيـد علـى أهميـة التعـاون الأورو- متوسـطي في إطـار عمليـة برشـلونة، والمحافظة على المكاسب التي تم تحقيقها.

- دعـوة الاتحـاد الأوروبـي إلى بلـورة اسـتراتيجية للاسـتقرار الإقليمـي دون استثناء أي دولة بما فيها دول مجلس التعاون الخليجي واليمن وسوريا التي تتهمها الولايات المتحدة بدعم الإرهاب، وإيران بسبب برنامجها النووي[36].

**أهداف المبادرة :** سعت المبادرة إلى تحقيق :

**1- الأهداف السياسية والأمنية :** و تمثلت في:

1-1- تعميق الحوار السياسي مع الدول العربية كل على حدى، ومع الجامعة العربية.

1-2- دعم إجراء عمليات تطبيق وسيادة القانون واحترام حقوق الإنسان والحكم الرشيد.

1-3- وضع آليات للتعاون حول منع الصراعات وإدارة الأزمات ومكافحة الإرهاب وانتشار أسلحة الدمار الشامل.

1-4- السعي لإدماج جميع الحركات والقوى السياسية التي تحترم القواعد الديموقراطية في عملية الحوار السياسي.

1- 5- وضع خطط عمل وطنية مطورة حول حقوق الإنسان والديموقراطية .

**2- الأهداف الاقتصادية :** تمثلت الأهداف الاقتصادية للمبادرة في:

**2-1**- تحرير التجارة في ما بين دول الشراكة الأورو- متوسطية، والتوصل إلى اتفاقية للتجارة مع دول مجلس التعاون الخليجي، ودعمها لإقامة سوق مشتركة والوصول إلى عملة مشتركة موحدة في ما بينها.

2-2- منظمات التكامل الإقليمية مثل اتحاد المغرب العربي ومجلس التعاون الخليجي.

2-3- أطر التعاون مع الاتحاد الأوروبي .

2-4- وضع سبل تعاون أخرى مع دول الشرق الأوسط والاستفادة من التجربة الأورو- متوسطية[37].

**3- الأهداف الاجتماعية والثقافية :** وتتلخص في:

3-1- دعم الحوار بين الثقافات والأديان والحضارات من خلال إنشاء المؤسسة الأورو- متوسطية للحوار بين الثقافات والحضارات.

3-2- تبادل الخبرات في ما يتعلق بحقوق الأقليات وكراهية الأجانب.

3-3- دعم الإعلام المستقل وحرية التعبير وبث البرامج الاخبارية الأوروبية على القنوات الناطقة بالعربية، وضمان تغطية إعلامية أوربية متوازنة للقضايا العربية.

كما تميزالحوار العربي- الأوروبي بالتركيزعلى القضايا الاقتصادية والأمنية بالمقارنة مع القضايا السياسية، إلا أن حرب العراق وانعكاساتها على العلاقات الأوروبية – الأوروبية والأمريكية – الأوروبية جعلت الأخيرة تعطي أهمية بالغة للجوانب السياسية، حيث أصدرت المفوضية الأوروبية تقريراً حول شراكة إستراتيجية للاتحاد الأوروبي مع حوض المتوسط، ركزت فيه على النقاط الآتية:

1- رغم تباين حقائق الاجتماع والسياسة والاقتصاد، إلا أنه عند إقامة شراكة إستراتيجية مع دول شمال أفريقيا والشرق الأوسط يجب مراعاة المصالح المتبادلة.

2- تطوير العلاقات القائمة على آليات التعاون بشكل ثنائي (إتفاقيات الشراكة الأورو- متوسطية) أوالمتعددة الأطراف (مجلس التعاون الخليجي).

3- النظرة الأمنية الشاملة لمفهوم المصلحة التي تشمل مجالات اللاقتصاد والسياسة والثقافة والأمن.

4- أهمية التحول الديموقراطي واحترام حقوق الإنسان.

5- دور الجاليات العربية والإسلامية في تطوير العلاقات العربية – الأوروبية.

6- تحسين الأوضاع في العراق و حل القضية في الفلسطينية كشرط أساسي لترقية العلاقات العربية – الأوروبية.

7- إعادة صياغة العلاقة بين الاقتصاد والسياسة[38] .

**ثانيًا : الاتحاد من أجل المتوسط :**

اقترنت فكرة الاتحاد من أجل المتوسط بالرئيس الفرنسي الحالي نيكولا ساركوزي الذي طرح المشروع للأول مرة قبل أشهر من الإنتخابات الفرنسية، وكان في البداية يقتصر فقط على دول حوض المتوسط، وهو ما أثار حفيظة ومعارضة دول أوروبا وبخاصة منها غير المطلة على المتوسط، ومنها ألمانيا التي رأت فيه مشروعًا لتعزيز دور فرنسا في المتوسط، وهو مشروع منافس للاتحاد الأوروبي وبديل عن عملية برشلونة.

ويختلف مشروع الاتحاد من أجل المتوسط عن عملية برشلونة بإطاره المؤسسي المتين كما يقوم أيضًا على مبدأين هما:

- الندية والمساواة.

- الهندسة المخيرة، بمعنى أن تنفيذه مشروط بتطوع أي دولة ترغب في تنفيذه[39].

**وسعت فرنسا من هذا المشروع إلى تحقيق الأهداف الآتية:**

1- **الأهداف الداخلية** : نذكر منها:

أ- تقليص الهجرة غير الشرعية.

ب- إعادة تأهيل الأجانب المقيمين بفرنسا ودمجهم في المجتمع الفرنسي.

2- **الأهداف الخارجية** : وتتمثل في:

أ- القيام بدور مهيمن في المتوسط.

ب- تعزيزالحضور الفرنسي في المغرب العربي الذي تراجع كثيرًا أمام النفوذ الأمريكي خصوصًا بعد مشروع إيزنتشات I وإيزنتشتات II، فضلاً عن الدور الصيني المتنامي.

ج- موازنة النفوذ الألماني المتزايد في وسط و شرق أوروبا.

د- الرغبة في بناء نظام دولي متعدد الأقطاب تكون أوروبا قطبًا أساسًيا في تفاعلاته.

ذ- قطع الطريق على انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي واكتفائها بعضوية الاتحاد من أجل المتوسط.

ر- ادماج إسرائيل في النظام الإقليمي العربي(40) .

وأطلق مشروع الاتحاد المتوسطي خلال مؤتمر روما الثلاثي الذي جمع كل من إيطاليا، فرنسا وإسبانيا في 20 ديسمبر 2007م، الذي صدرعنه نداء روما، الذي دعى الدول المتوسطية إلى طرح رؤية شاملة حول الاتحاد المتوسطي، وفي 13 يوليو 2008م، عقدت قمة باريس بمشاركة 43 دولة، أين أعلن عن البيان المشترك لعملية برشلونة: الاتحاد من أجل المتوسط، الذي حدد:

1- **التحديات**: أكد البيان الختامي على التحديات المشتركة التي تواجهها المنطقة الأورو- متوسطية في:

**1**-1- التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

1-2- تدهور الوضع البيئي والأمن الغذائي.

1-3- مكافحة الإرهاب والتطرف.

1-3- أمن الطاقة والهجرة غير المشروعة.

1-4- تعزيز العلاقات المتعددة الأطراف.

1-5- تقاسم مسؤولية إنجاح عملية برشلونة (41).

**2 - الأهداف:** وتتمثل في:

**2-1- الأهداف السياسية :** ويمكن إيجازها في النقاط الآتية:

أ- تعزيز الديموقراطية والمشاركة السياسية.

ب- الالتزام الكامل بحقوق الإنسان وبالحريات الأساسية.

ج- تعزيز دور المرأة في المجتمع.

د- احترام حقوق الأقليات.

ذ- مكافحة العنصرية وكراهية الأجانب.

ر- الحوار الثقافي والتفاهم المتبادل.

ز- تحسين علاقات الاتحاد الأوروبي بشركائه المتوسطين.

ص- زيادة تقاسم المسؤولية في إطار العلاقات المتعددة الأطراف.

**2-2- الأهداف الأمنية** : تمثلت في:

أ- الأمن الإقليمي من خلال الانضمام إلى مجموعة من الأنظمة الدولية والإقليمية لعدم الانتشار واتفاقيات الحد من التسلح ونزع الأسلحة والتقيد بها.

ب- منطقة في الشرق الأوسط خالية من أسلحة الدمار الشامل والأسلحة الجرثومية والكيميائية والبيولوجية ومنظومات ووسائل إيصالها.

ج- امتناع الأطراف عن تطوير القدرات العسكرية بما يتجاوز متطلباتها الدفاعية المشروعة.

د- التطبيق الكامل لمدونة السلوك المتعلقة بمكافحة الإرهاب وتعزيز أمن المواطنين[42].

2-3- **الأهداف الاقتصادية** : و تتلخص في النقاط الآتية:

أ- انشاء منطقة تبادل حر بعيدة المدى بالمنطقة في حدود 2010م.

ب- تعزيز التكامل الاقتصادي الإقليمي.

ج- تعزيز الهجرة الشرعية ومحاربة الهجرة غير الشرعية.

د- تشجيع الصلة بين الهجرة والتنمية.

ذ- تعزيز مشاريع تدفق المبادلات (السلع، الخدمات ، الأفراد ، رؤوس الأموال...) بين شعوب المنطقة.

ر- زيادة الشفافية وفرص التجارة والاستثمار.

3- **الأجهزة والمؤسسات:** أعلن البيان الختامي لقمة باريس قيام الأجهزة الآتية:

3-1- إقامة الجمعية البرلمانية الأورو- متوسطية.

3-2- إنشاء رئاسة مشتركة بين الاتحاد الأوروبي والدول المتوسطية الشريكة، حيث تتوافق مع التمثيل الخارجي للاتحاد الأوروبي، من جهة، وبالتوافق بين دول المتوسط الشريكة من جهة أخرى.

3-3- إقامة أمانة مشتركة ذات شخصية قانونية منفصلة، تختص بتنفيذ المهام التقنية الآتية:

أ- تحديد المشاريع ومتابعة تنفيذها.

ب- البحث عن شركاء لتمويل هذه المشاريع.

ج- تأمين التشاور الميداني واعداد وثائق العمل لهيئات صنع القرار.

3-4- اللجنة المشتركة الدائمة ببروكسل تختص بتحضير اجتماعات كبار الموظفين القائمين على تحضير الاجتماعات الوزارية الدورية[43].

3- 5- اعتبار مؤسسة أناليند الأورو- متوسطية للحوار بين الثقافات المؤسسة الأورو- متوسطية تعمل بالتعاون مع تحالف الأمم المتحدة للحضارات .

4- **آلية العمل** : اتفق في قمة باريس على تنظيم قمة كل سنتين، وتكون بصورة متناوبة، مرة في الاتحاد الأوروبي، وأخرى في إحدى الدول المتوسطية، وتختار الدولة المضيفة بالتوافق.

ويتم فيها اعتماد برنامج عمل لمدة عامين، واطلاق مشاريع إقليمية، كما يجتمع وزراء الخارجية كل سنة لتنفيذ قرارات القمة، والاعداد للقمة الآتية والموافقة على المشاريع الجديدة.

**المطلب الرابع : مشروع الشرق الأوسط الكبير :**

مع انتهاء الحرب الباردة، ساد اتجاهان رئيسان داخل الحزب الجمهوري وهما: الاتجاه المثالي والاتجاه الواقعي، هذا الأخير انقسم إلى:

**أ- تيار المعتدلين :** ضم كل من جورج بوش الأب وجيمس بيكر ومستشار الأمن القومي برنت سكوكروفت.

**ب- تيار المحافظين:** ويضم كل ديك تشيني ومساعده بول وولفوفتز...

ولئن كان المحافظون والمعتدلون متفقون على سيادة وريادة الولايات المتحدة للعالم، إلا أنهما اختلفا حول أسلوب وشكل هذه السيادوة، حيث يرى التيار المعتدل وجود سيادة نسبية تسمح بوجود شركاء آخرين خصوصًا منهم الحلفاء الأوروبيين.

أما التيار المحافظ فيرى ضرورة السيادة المطلقة والمنفردة للولايات المتحدة، بحيث يغيب معها مفهوم المشاركة.

وبتكليف من وزيرالدفاع ديك تشيني، قام بول وولفوفتز باعداد مشروع لمواجهة تحديات السياسة الخارجية الأمريكية في القرن الحادي والعشرين تحت عنوان دليل التخطيط الإستراتيجي، ويتضمن:

- سعي الولايات المتحدة منع أي قوة منافسة مرتقبة، تعادلها في القوة والتقدم.
- القيام بضربة عسكرية ضد العراق لإعادة ترتيب الأوضاع وميزان القوى القائم في الشرق الأوسط ولصالح إسرائيل[44].

لكن الرئيس جورج بوش الأب رفض المشروع، الذي أعيد طرحه وأصبح المحور الأساسي للإستراتيجية الجديدة للأمن القومي الأمريكي، التي وضعت في 20 سبتمبر2002م، والتي عرفت في ما بعد بمبدأ بوش.

ويرى وولفوفتز أن خريطة الشرق الأوسط خريطة أوربية تعكس التنافس الفرنسي الإنجليزي على المنطقة، ويرى ضرورة رسم خريطة أمريكية خاصة بها، من خلال تفكيك الدول العربية أو فرض صيغ الفيدرالية أو الكونفيدرالية عليها أو إنشاء كونفيدرالية موسعة في الشرق الأوسط تكون إسرائيل فيها جزءًا عضويًا ومحوريًا. وهو ما يتوافق مع طرح هنري كيسنجر الذي يقدم أورشليم كعاصمة للشرق الأوسط(42).

كما يجد أيضًا تأصيله النظري في أفكار المستشرق الأمريكي برنارد لويس Bernard Lewis الذي يعد مرجعاً لفكر المحافظين الجدد، ومن مروجي فكرة احتلال العراق وتقسيمه، حيث دعى إلى التحول عن مبدأ الاحتواء- الذي جمع بين الأوروبيين والأمريكيين لأكثر من أربعين سنة – إلى مبدأ المواجهة المباشرة، وتوجيه الضربة الاستباقية ضد عدو يحتمل أن يشكل تهديدًا للولايات المتحدة، حتى ولو لم يظهر نية العداء، أو قام بعمل يمثل خطرًا على المصالح الأمريكية، حيث ساد تصور وجود عدو له عقلية انتحارية، وفي متناوله أسلحة دمار شامل، وفي حالة عدم توجيه الضربة الأولى ضده، فإنه يمثل قصوراً في التفكير السياسي، ويقدم فكر المحافظين الجدد بديلاً يتمثل في القيام بضربات استباقية في كل مكان، وفي أي وقت بمجرد استشعار تجمع عناصر التهديد، وهو ما طبق في الحرب على العراق بالاضافة إلى إرهاب الدول العربية والإسلامية، وتغيير ملامح الشرق الأوسط وفرض الديموقراطية بالقوة، وهو الأساس العملي للسياسة الأمريكية تجاه المنطقة منذ 11 سبتمبر 2001م (45)، حيث تم اختيار منطقة الشرق الأوسط لتنفيذ الاستراتيجية الأمريكية الجديدة للأمن القومي المعلنة منذ 20 سبتمبر2002م .

وهنا استخدمت الولايات المتحدة نمطين للتدخل في المنطقة هما:

1- **الـنمط الأول** : اسـتند إلى اسـتخدام القـوة العسـكرية لإسـقاط الـنظم السياسية، وهو ما طبق في أفغانستان والعراق بحجة مكافحة الإرهاب والتورط في هجمات الحادي عشر من سبتمبر2001م، والعلاقة بتنظيم القاعدة وأسامة بن لادن، أو حيازة أسلحة الدمار الشامل أو نشر الحرية والديموقراطية... غير أن هذا النمط أوضح العديد من جوانب القصور في استراتيجية الولايات المتحدة في فهمها لطبيعة المنطقة والتعامل معها، كما أظهرت الحرب على العراق الانقسام العميق بين الولايات المتحدة والمجتمع الدولي والرأي العام العالمي، حتى مع حلفائها الأوروبيين بخاصة فرنسا وألمانيا و بلجيكا... من حيث عدم شرعيتها، وهو ما يفسر وبشكل كبير تحيُّد الحلف في هذه الحرب، بالاضافة إلى المقاومة غير المتوقعة في أفغانستان والعراق وتراجع شعبية بوش...وكلها عوامل دفعت بالولايات المتحدة إلى اتباع نمط مغاير لأسلوب التدخل العسكري المباشر.

**2- النمط الثاني**: يركز على فرض الإصلاح السياسي وتغيير الأوضاع الداخلية لدول المنطقة التي أفرزت الإرهاب، وهذا لا يكون من خلال الإجراءات والترتيبات الأمنية فقط، بل من خلال عملية إصلاح شامل داخل دول المنطقة.

ومن خلال النمطين نلاحظ تغييراً في السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط، حيث كانت تربط بين استقرار المنطقة ومصالحها الحيوية بالإقليم. وهذا الاستقرار **كان يقوم على مبدأيين هما:**

- دعم النظم السياسية الصديقة للولايات المتحدة خلال الحرب الباردة.
- إيجاد حل شامل للنزاع العربي الإسرائيلي من خلال الانسحاب من الأراضي المحتلة، وإقامة دولة فلسطينية.

**أما التغير فقد ظهر من خلال :**

2-1- تخلي إدارة بوش عن مبدأ أولوية استقرار الأنظمة العربية وتفضيلها للأولوية الديموقراطية، حيث صرح جورج بوش في نوفمبر2003م بأن :" ستين عامًا من تبرير الدول العربية لانعدام الحرية في الشرق الأوسط لم يحقق شيئًا يجعلنا آمنين، لأنه أظهر أنه لا يمكن على المدى البعيد مقايضة الاستقرار على حساب الحرية، وطالما بقي الشرق الأوسط مكانًا لا تزدهر فيه الحرية فسيظل مكانًا للركود، والاستياء والعنف الجاهز للتصدير" . وفي خطاب آخر ألقاه في معهد أميركان أنتربرايز قال أنه : " لا بد أن تقوم الولايات المتحدة بدور قيادي في عملية تحول اقتصادي وسياسي واجتماعي بالمنطقة" (47).

2-2- فك الارتباط بين حل النزاع العربي- الإسرائيلي ومصالح الولايات المتحدة وأمنها.

وهو ما ترتب عليه تغير في مواصفات العدو والصديق، حيث تم تحديد العدو في الإرهاب الذي هو عربي الجنس ومسلم الديانة وهو مدعوم من نظم الحكم العربية(48).

وهنا تبرز معادلة جديدة للأمن المنطقة، وهي أن التهديدات لم تعد مصادرها من خارج المنطقة، وإنما هي من داخلها، وهذا يتطلب إعادة بناء الداخل سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وأمنياً...

وقد سبق طرح مشروع الشرق الأوسط الجديد تقرير أهداف الألفية للتنمية في المنطقة العربية صدر عن الأمم المتحدة في 10 ديسمبر2003م، حيث يثير مخاطر عدم تبني الدول العربية لإصلاحات جذرية في جميع المجالات (تعليم، صحة، تشغيل... )، وتوقع استمرار الأوضاع الحالية حتى سنة 2015م، على الأقل . ثم صدر

تقرير آخرعن الأمم المتحدة حول التنمية الإنسانية في العالم العربي، وهولا يختلف عن مضمون التقريرا لأول.

وهنا أعلنت الولايات المتحدة عن مبادرة الشرق الأوسط الكبير في فبراير2004م، ويمكن ارجاع الأسباب التي دفعت الولايات التحدة إلى التركيز على نمط الإصلاح السياسي وتغيير الأوضاع الداخلية إلى الأسباب الآتية:

3-1- زيادة عمليات المقاومة العراقية ضد قوات الاحتلال من حيث النوع والكيف، بالاضافة إلى فشل سياسة إعادة إعمار العراق، والتكلفة الباهظة لتمويل العمليات في العراق وأفغانستان، وهذا ما دفع بإدارة بوش إلى التراجع عن فكرة التغيير باستخدام القوة العسكرية.

3-2- اقتراب الانتخابات الأمريكية وتراجع شعبية الرئيس بوش، كما أنها كانت ذات أهمية بالغة من حيث تجاوز الانتهاكات الدستورية الخطيرة التي حدثت في إنتخابات سنة 2000م، وكذا استكمال تنفيذ برنامج لجنة الخطر الداهم التي وضعها المحافظون الجدد[49].

3-3- استباق القمة العربية التي عقدت بتونس، وفرض مشروع الشرق الأوسط الكبير، وكذا تسويقه وإقراره في قمة الثمانية بسي أي لاند الأمريكية وذلك في 8 يونيه2004م، ثم في مؤتمرأمريكا- أوروبا بأيسلنده في 23 يونيه2004م، وبعده قمة حلف الأطلسي بإسطمبول في 28 يونيه 2004م.

3-4- كسب تعاطف الرأي العام العربي من خلال إثارة قضايا ذات أهمية بالغة للمواطن العربي مثل الحريات العامة، الديموقراطية، المشاركة السياسية... والتركيز على دبلوماسية الرأي العام كما دعى إلى ذلك جوزيف ناي[50].

3- 5- التأثر بدعوات الإصلاح السياسي الصادرة عن أوروبا خصوصًا بعد إعادة إحياء الشراكة عبرالأطلسي والعمل بمبدأ التنسيق والتوفيق بين أولويات السياسة الأمريكية وأولويات السياسة الأوروبية .

**مضمون مبادرة الشرق الأوسط الكبير:** حددت وثيقة مشروع الشرق الأوسط الكبير العديد من التحديات التي تواجهها الدول العربية، نذكر منها:

أ- ضعف الدخل المحلي لمعظم الدول العربية.

ب- ارتفاع نسبة الأمية التي تمثل 40٪ من إجمالي السكان.

ج- زيادة نسبة البطالة حيث سيبلغ عدد العاطلين عن العمل في الدول العربية 25 مليون فرد في حدود 2010م.

د- محدودية نسبة النمو الاقتصادي المقدرة بأقل من 3٪.

ذ- ضعف المشاركة والتمثيل السياسي للمرأة، حيث تبلغ 5.3٪ من إجمالي مقاعد الهيئة التشريعية...

وتطرح وثيقة الإصلاح بديلاً أو حلاً لهذه المشاكل من خلال:

**1- تشجيع الديموقراطية :** و يكون ذلك من خلال النقاط الآتية:

1-1- الانتخابات الحرة.

1-2- الزيارات المتبادلة والتدريب على الصعيد البرلماني.

1-3- انشاء معاهد للتدريب على القيادة و الخاصة بالمرأة.

1-4- المساعدة القانونية للناس العاديين.

1-5- مبادرة وسائل الإعلام المستقلة .

1-6- الجهود المتعلقة بالشفافية ومكافحة الفساد.

1-7- تشجيع منظمات المجتمع المدني (51).

2- **بناء مجتمع معرفي** : وذلك من خلال التدابير الآتية:

2-2- مبادرة التعليم الأساسي.

2-3- مبادرة التعليم عبر الإنترنت.

2-4- مبادرة تدريس إدارة الأعمال.

3- **توسيع الفرص الاقتصادية:** وذلك عبر الإجراءات الآتية:

3-1- مبادرة تمويل النمو.

3-2- مبادرة التجارة.

3-3- الانضمام إلى المنظمة العالمية للتجارة.

3-4- إقامة مناطق تجارية.

3- 5- إنشاء مناطق رعاية الأعمال.

3-6- إقامة منبر الفرص الاقتصادية للشرق الأوسط الكبير(52).

**دور الحلف في مشروع الشرق الأوسط الكبير:** يمكن لحلف الأطلسي في إطار مشروع الشرق الأوسط الكبير القيام بالمهام الآتية:

1- تدعيم التعاون العسكري في مجال الأمن الناعم .

2- قيام الحلف بعمليات عسكرية في عرض البحر المتوسط لمواجهة التهديدات الإرهابية وخصوصًا في الممرات والمضايق، وذلك في إطار عملية المسعى النشط.

3- دفع دول المنطقة للقيام بإصلاحات في مجال الدفاع والأمن، واخضاعهما لسلطة مدنية منتخبة ديموقراطيًا.

4- تكوين قوة مساعدة أجنبية حيث تكون الدول العربية مشاركة فيها وتحت قيادة الحلف.

5- تكثيف الوجود العسكري بالعراق والمساهمة في تدريب قواته وإعادة بناء مؤسساته الأمنية

6- المشاركة في عمليات الإصلاح والتغيير الداخلي (53).

كما يقترح ريتشارد لوجار في مبادرته المكملة لمشروع الشرق الأوسط الكبير دوراً مهماً لحلف الأطلسي، **حيث يقترح:**

1- وجود الحلف بأفغانستان أين يتولى قيادة قوة المساعدة الأمنية الدولية.

2- تحمل دور رسمي في العراق والمساهمة في إنجاح إعادة تأهيل العراق وإعماره.

3- تطوير العلاقات العسكرية مع دول الشرق الأوسط في إطار برنامج التعاون من أجل السلام مشابه لبرنامج الشراكة من أجل السلام الذي أطلقه الحلف مع دول وسط وشرق أوروبا[54].

4- قيام الحلف بعمليات حفظ السلام و نشاطات أخرى في إطار الأمن الناعم...

## المبحث الثاني:

## مبادرات الحلف للحوار والتعاون

### المطلب الأول : مبادرة الحوار الأطلسي – المتوسطي :

**أولاً : نشأة وتطور الحوار الأطلسي – المتوسطي :** بعد سقوط الاتحاد السوفياتي وحتى سنة 1994م، لم تحض دول الضفة الجنوبية للمتوسط بأي اهتمام من جانب الحلف ، وكانت دول وسط وشرق أوروبا محور تركيز سياساته.

وقد ساد انقسام أطلسي حول النظرة إلى البحرالمتوسط، حيث نجد :

**أ- الرؤية الأمريكية :** تنظر إلى البحر المتوسط على أنه الحد الفاصل بين الدول الأوروبية شمالاً ودول جنوب الضفة المتوسطية، وتقدم سياسة الاحتواء والمجابهة كتفضيلات إستراتيجية للتعامل مع هذا الإقليم، وهذه هي النظرة البيزنطية التاريخية.

**ب- الرؤية الأوروبية :** تأكد على أن البحر المتوسط جبهة مفتوحة أو جسر يوصل بين الغرب وشعوب المتوسط الأخرى، وتقدم مفهوم موسع للأمن، يشمل بالإضافة إلى الجانب العسكري، مجالات سياسية واقتصادية وثقافية، وهذه هي النظرة الرومانية التاريخية(55).

وهنا قدمت دول الحلف المتوسطية العديد من المبادرات الأمنية والسياسية والاقتصادية لدول الضفة الجنوبية(*).

وبعد انتهاء الجدل الأطلسي حول توسيع الحلف، و بضغط من دوله المتوسطية، قدم الحلف مبادرة الحوار المتوسطي في أواخر1994م، وكان الهدف منها إنشاء منتدى لبناء الثقة وتعزيز الشفافية التي يستطيع الحلفاء من خلالها معرفة المزيد حول المشاكل الأمنية في بلدان الحوار وتبديد سوء الفهم حول أهداف وسياسات الحلف(56).

وقد اتسمت مواقف دول الحلف تجاه مبادرة الحوار بالانقسام حول محتوى الحوار والهدف منه، حيث نجد :

- خلافات بين الدول الأوروبية الأعضاء بالحلف، حيث طالبت دوله المتوسطية بتكثيف الحوار وتخصيص موارد كافية للوصول إلى وضع أكثر أمناً.

- انقسام بين دول الحلف المتوسطية والولايات المتحدة التي آثرت التركيز على عملية تسوية الصراع العربي الإسرائيلي.

وأمام هذا الوضع بادرت الدول الأوروبية التوسطية إلى إنشاء وحدات عسكرية للتدخل في المناطق التي تمثل مصدر تهديد لأمنها، وتمثلت هذه القوات في:

1- قوة الإنتشار السريع الأوروبية European Rapid Operation Force.

2- القوة البحرية الأوروبية European Maritime Force.

وقد تم تحديد مهامها في إعلان بيترسبورغ(*) ونطاق مهام هذه القوات قد يمتد ليشمل عمليات محددة على أراضي دول عربية(57).

وبعدها أقام الحلف سلسلة من الحوارات الثنائية مع كل من موريتانيا والمغرب وتونس ومصر والأردن و إسرائيل. ثم جاء البيان الختامي لقمة الحلف بمدريد في 7 و 8 يوليو 1997م، الذي أكد على تعزيز الحوار مع دول الجنوب، وأكد أيضًا على البعد الإستراتيجي للحوار و تمثل في :

1- توسيع نطاق عمليات الحلف ليشمل جنوب المتوسط و جنوب شرقه وأقاليماً واسعة بأفريقيا(58).

2- التدخل في الأزمات في خلال قوة الرد السريع في إطار عمليات حفظ السلام بالمنطقة.

3- توسيع برنامج عمل سنوي ليتضمن عددًا متزايدًا من العناصر والأنشطة المنبثقة عن برنامج الشراكة من أجل السلام، ومنها التعاون العسكري وتخطيط الطوارئ المدنية والتعاون العلمي والبيئي [59].

أما في قمة براغ 2002م، تم توسيع الأبعاد السياسية والعملية للحوار من خلال إجراء مشاورات شبه دورية وأكثر فعالية ونشاطات أكبر دقة، بالاضافة إلى نهج ملائم للتعاون.

وفي قمة إسطمبول 2004م، وبعد التشاور مع بلدان الحوار ودول مجلس التعاون الخليجي، تم اتخاذ قرار بوضع إطار عمل تعاوني أكثر طموحًا وتوسعًا، والارتقاء بالحوار إلى مستوى الشراكة الفعلية. وعقب قمة إسطمبول تم تعزيز الحوار السياسي عبر تنظيم اجتماعات استثنائية على مستوى الوزراء، بالاضافة إلى المباحثات الجارية على مستوى مجموعات العمل وعلى مستوى السفراء، ولقد عقد أول لقاء على المستوى الوزاري في ديسمبر2004م، حيث التقى وزراء خارجية بلدان الحلف مع نظرائهم من دول الحوار ببروكسل.

وعلى الصعيد العسكري كان أول لقاء بين رؤساء أركان الحلف ونظرائهم أو ممثليهم من دول الحوارالسبعة في مقر الحلف ببروكسيل في نوفمبر 2004م، وتم التأكيد على الرغبة المشتركة في تحويل علاقات الحوار إلى شراكة حقيقية، وتعضيدًا لهذه الديناميكية الجديدة داخل الحوار أجرى ياب دي هوب سخيفر سلسلة من الزيارة الهامة إلى دول الحوار في نهاية سنة 2004م وبداية 2005م.

وتضم عملية الحوار دول الحلف والدول السبع المتوسطية غير الأعضاء بالحلف، التي دخلت في عملية الحوار.

**ثانيًا: المعنى الاستراتيجي للتحديات الجديدة** : أعدت مؤسسة راند Rand دراسة- بتكليف من وزارة الدفاع الإيطالية- حول إمكانية إقامة حوار أطلسي – متوسطي، وقدمت نطاقاً موسعاً للبحر المتوسط، يمتد من البحر الأحمر إلى جبل طارق، ورأت مصادر تهديد الأمن الأوروبي تتمثل في قوسين للأزمات هما:

**1- القوس الشرقي** : يمتد من شمال أوروبا منحدرًا جنوبًا ما بين ألمانيا وروسيا والبلقان.

**2-القوس الجنوبي** : يشمل شمال أفريقيا البحر المتوسط فالشرق الأوسط وصولاً إلى جنوب آسيا(60).

لكن الملاحظ أن القوس الشرقي قد تم ادماجه أو "إسكان" معظم دوله في معمارية الأمن الأطلسي، أو في البناء الأوروبي، غير أن الحلف أصبح يدرك أن عليه التعامل مع تحديات جديدة في القوس الجنوبي.

**وحسب الدوائر الأطلسية فقد تم ضبط التحديات التي تفرضها الضفة الجنوبية في:**

1- صعوبة الفصل بين أولويات التحديات الأمنية الإستراتيجية في المتوسط (أولوية البعد العسكري أو أولوية الأبعاد الأخرى : اقتصادية، سياسية، ثقافية).

2- اعتبار الإسلام تحدياً جديداً في المتوسط، ويمكن ايضاح ذلك في النقاط الآتية:

أ- رغم تراجع دور الإيديولوجيا في السياسة الدولية، إلا أن الغرب لم يسقطها من رأيته الإستراتيجية، ومن ناحية أخرى تعتبر القومية والإسلام سمة مميزة لدول الضفة الجنوبية للمتوسط.

ب- إن فكرة الصراع توجد مبررًا لبقاء وتماسك الحلف، وهو ما حدث أثناء الحرب الباردة، لكن مع سقوط الاتحاد السوفياتي (العدو الأحمر)، كان هناك تحدٍّ آخر استمرار الحلف وبقائه، ولتحقيق هذا الهدف، لم يكن أفضل من الإسلام (العدو الأخضر) باعتباره عدوًا جديدًا للغرب. فقد صرح الأمين العام السابق لحلف الأطلسي ويلي كلاس بأن: " الإسلام عدو للغرب " [61].

بالاضافة إلى أن هذا التفكير يجد تأصيله النظري في أطروحة صراع الحضارات، كما أن مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق زبيغنيو بريجنسكي قد أعلن " الجهاد " ضد الهلال الإسلامي الذي يمكن أن يشكل كتلة اقتصادية بامتداد غير محدد المعالم من شمال أفريقيا والشرق الأوسط (باستثناء إسرائيل) وجنوب غرب آسيا وإيران وباكستان ودول آسيا الوسطى وتركيا (إذا ما رفضتها أوروبا)، ويصل إلى حدود الصين حيث القواسم المشتركة مثل الإحساس الموحد بالاقتصاص من الغرب[62].

ج- وقوع العالم الإسلامي على طول منطقة الحواف، (Rim Land) ، وهي مؤثرة جدًا على الأمن الجيوليتيكي للأطلسي.

د- العودة القوية للإسلام السياسي لدى غالبية الهلال الإسلامي، وهو ما يعتبره الحلف تهديدًا لأمنه ومصالحه بالمنطقة.

ذ- النظر إلى الإسلام كعامل تغيير في الدول العربية، حيث يكون بصورة جدل حول فلسفة الحكم تارةً، وبصورة صراعات مسلحة للوصول إلى السلطة في أحيان أخرى، فهذه الصراعات الداخلية قد تدفع إلى تدفق موجات بشرية من الضفة الجنوبية إلى الضفة الشمالية، وانتقال هذه الصراعات إلى داخل أوروبا و بخاصة دولها الجنوبية ، من خلال المهاجرين والمواطنين من أصول عربية[63].

3- الانفجار الديموغرافي في دول الضفة الجنوبية، حيث يتوقع في غضون الربع الأول من القرن الحادي والعشرين أن يتجاوز سكان تركيا ومصر والجزائر والمغرب عدد سكان غرب أوروبا، وهذا النمو السكاني لا يوازيه تنمية اقتصادية واجتماعية، كما أنها لم تحقق تحولات ليبرالية جوهرية في الديمقراطية والحكم والحياة الاقتصادية.

4- اعتماد أوروبا المتزايد على موارد الطاقة المستوردة من الضفة الجنوبية، وتخوفها من انقطاع إمدادات النفط والغاز بسبب حدوث اضطرابات بها، أو في حال اندلاع حرب عربية – إسرائيلية، كما أن 65٪ من إمدادات الغاز والنفط تمر عبر المتوسط(64).

5- هناك تهديدات من القوس الجنوبي للأمن الأطلسي من خلال امتلاك دوله لتقنية عسكرية متطورة وأسلحة دمار شامل وصواريخ متوسطة وبعيدة المدى، قادرة على الوصول إلى جنوب أوروبا على الأقل. وينعكس هذا الوضع على الأمن الأطلسي من ناحيتين هما:

**أ- علاقة الأمن والاستقرار بين الأطلسي وجنوب المتوسط** : يرى حلف الأطلسي وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية أن إمتلاك دول عربية أو إيران لأسلحة دمار شامل أو صواريخ متوسطة وبعيدة المدى تشكل تهديدًا عسكريًا للمصالح الأطلسية، ففي حالة حدوث توتر حاد، قد تلجأ تلك الدول إلى هذه الأسلحة كملاذ أخير، وعندها قد لا يجد حلف الأطلسي الرد المناسب والسريع عليه، خصوصًا في حال عدم تماسك الحلف، وهو ما يجعل الولايات المتحدة أمام عمليات عسكرية منفردة أو مدعومة بعدد قليل من الدول، في وقت تتزايد فيه معارضة العمليات العسكرية التي تفتقد إلى الشرعية الدولية .

**ب- توازن القوى :** هناك قناعة أطلسية بأن امتلاك أية دولةٍ عربيةٍ لأسلحة دمار شامل أو صواريخ متوسطة أو بعدية المدى ستؤثر مباشرة على توازن القوى بين العرب وإسرائيل، وهو ما ينعكس مباشرة على عملية التسوية التي انطلقت منذ مؤتمر مدريد للسلام، كما يتوافق مع الالتزام الأمريكي بحرمان أي قوة إقليمية من إمكانية تحقيق سبق عسكري على إسرائيل لأنه سيفضي إلى هيمنة إقليمية تتعارض مع المصالح الأمريكية، وهو ما حدث للعراق(65).

6- تنطوي العلاقات العربية – العربية أو العلاقة العربية - المتوسطية والشرق أوسطية على عوامل صراع لا يستبعد أن تنفجر، مثل العلاقة بين تركيا وسوريا، تركيا والعراق، سوريا وإسرائيل... بسبب خلافات متعددة منها الخلافات حول الحدود والمشاكل الديموغرافية والأقليات والطوائف والصراع على الموارد وبخاصة النفط والغاز والمياه.

7- حاجة الحلف إلى توفير متطلبات قوة التدخل السريع، في مناطق الأزمات التي ستكون الدول العربية أحد ميادينها، لذا يرأى الحلف ضرورة إشراك الدول العربية في تحمل نفقات هذه القوة، والحصول على التسهيلات المطلوبة، وكذا مراقبة الدول العربية للحؤول دون امتلاكها لأسلحة الدمار الشامل أو الصواريخ قصيرة أو متوسطة المدى قادرة على تهديد الأمن الأورو– أطلسي.

وقد عقد مؤتمر الأمن المتوسطي بحضور حكومات وأكاديميين من دول الحلف ومنظمات دولية ودول متوسطية غير أعضاء بالحلف وهي إسرائيل، مصر، تونس والمغرب، موريتانيا وممثلين عن اتحاد غرب أوروبا والاتحاد الأوروبي، وذلك في15- 17 أكتوبر1995م، **وقد حدد المؤتمر التحديات في:**

1- المجالات السياسية والاقتصادية.

2- التحـــول الاقتصـــادي هـــو ضـــرورة أساســـية لإثبـــات الإرادة السياســـية والاقتصادية.

3- التمييـز بـين الإسـلام السياسـي والمتشـددين الإسـلاميين الـذين يشـكلون تهديدًا لاستقرار المتوسط.

4- استكمال جهود الحلف التي يبذلها في شرق أوروبا بنظيرتها في الجنوب.

5- ضرورة عمل الحلف مع دول المتوسط غير الأعضاء فيه، وتحديد مفهوم للعدو الجديد[66].

**ثالثا: مبادئ الحوار**: يرتكز الحوار الأطلسي – المتوسطي على المبادئ الآتية:

**1- الملكية المشتركة** : بمعنى أن الحوار هو عملية جماعية وغير قائمة على فرض قوالب وأفكار مسبقة، بل هي عملية تأخذ في الاعتبار الخصائص الإقليمية والثقافية والسياسية لجميع الشركاء، من أجل بناء علاقة تعاون تخدم المصالح المشتركة.

**2- عـدم التمييـز والمفاضـلة** :حيـث يتسـاوى جميـع الشـركاء في نفـس أسـس النقاش وتنفيذ الأنشطة المشتركة، غير أن المشاركة تختلف من دولة لأخرى، وهذا حسب مصالح كل منها.

**3- التكامل**: حيث تكون عملية الحوار تتماشى مع المبادرات الدولية الأخرى مثل مبادرة الاتحاد الأوروبي ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا و مجموعة الدول الثمانية الكبرى، وكذا تنسيق السياسات والتعاون الأمني بين دول الحلف وشركائه.

**4- التقدم**: عملية الحوار الأطلسي - المتوسطي هي عملية تراكمية تساهم في توسيع نطاق التعاون، وكذا زيادة البلدان المشاركة فيه[67].

**رابعًا: أهداف الحوار الأطلسي– المتوسطي :** تسعى عملية الحوار إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1- المساهمة في الأمن والاستقرار الدوليين.

2- تحقيق متسويات أفضل من الفهم المتبادل.

3- تبديد أي تصورات خاطئة لدى دول الضفة الجنوبية للمتوسط.

4- تعزيز علاقات الحلف مع جميع الشركاء في الحوار المتوسطي من خلال تعزيز الحوار السياسي القائم [69].

5- تحقيق قابلية تبادل التشغيل.

6- التعاون في مجال أمن الحدود.

7- تطوير الإصلاح الدفاعي.

8- المساهمة في مكافحة الإرهاب .

**خامسًا: أهمية الحوار الأطلسي – المتوسطي :** تتجلى أهمية الحوار الأطلسي- المتوسطي في النقاط الآتية:

1- هذه العملية تأخذ بعين الاعتبار طبيعة المنفعة المتبادلة من خلال:

أ- الحاجة للمضي قدمًا في العملية بالتشاور الوثيق مع بلدان الحوار المتوسطي.

ب- الاستجابة لمصالح بلدان الحوار المتوسطي واحتياجاته.

ج- إمكانية التمايز الذاتي مع المحافظة على وحدة الحوار المتوسطي وخاصيته غير التمييزية.

د- ضرورة التركيزعلى التعاون العملي في المجالات التي يمكن أن يقدم فيها الحلف قيمة مضافة.

ذ- الحاجة إلى ضمان تكامل هذا المسعى مع مبادرة إسطمبول للتعاون، بالاضافة إلى الجهود الدولية الأخرى، خصوصًا جهود الاتحاد الأوروبي ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا و مجموعة البلدان الثمانية.

ر- إمكانية توسيع الحوار المتوسطي إلى البلدان المعنية الأخرى في منطقة البحر المتوسط على أساس كل حالة على حدى[68].

2- إن مبادرة الحلف رفع الحوار- المتوسطي إلى شراكة حقيقية هدفها العام المساهمة في الأمن والاستقرار الإقليمين، وهي تستند على المبادئ سابقة الذكر.

**سادسًا: مجالات التعاون:** ارتكزت جهود الحلف على توسيع وتعميق التعاون عبر النشاطات التي تتم تطويرها ضمن برنامج العمل السنوي الذي يضم ورش العمل والندوات وتطبيقات عملية أخرى، في واحد وعشرين مجالاً، منه:

1- تخطيط الطوارئ المدنية.

2- إدارة الأزمات.

3- إستراتيجية وسياسة الدفاع.

4- أمن الحدود.

5- مراقبة الأسلحة.

6- الأسلحة الصغيرة والخفيفة.

7- النشاط في مجال التخلص من الألغام المضادة للأفراد[69].

8- الإصلاح الدفاعي والاقتصاد الدفاعي.

9- التعاون العلمي والبيئي.

10- النشاطات الإعلامية .

11- مكافحة الإرهاب.

12- منع انتشار أسلحة الدمار الشامل[70].

ويشمل البعد العسكري للبرنامج العمل السنوي توجيه دعوات لبلدان الحوار لمراقبة المناورات العسكرية أو المشاركة فيها، وحضور الندوات وورشات العمل التي تنظمها القيادة الاستراتيجية للحلف، بالإضافة إلى دورات في مدرسة أوبرا ميرجأو التابعة للحلف بألمانيا، وكلية الحلف للدفاع بروما، ويشمل ذلك أيضًا زيارات القوات البحرية التابعة للحلف إلى موانئ دول الحوار و إجراء تدريبات ميدانية للمدربين من قبل فريق تدريبي متجول، وزيارات للخبراء قصد تقدير الإمكانات المتوفرة لمزيد من التعاون العسكري.

**سابعًا: آلية الحوار**: حتى انعقاد مؤتمر قمة مدريد في يوليو 1997م، كانت اللجنة السياسية للحلف الأطلسي هي الجهة العليا المسؤولة عن السياسة العامة للحوار الأطلسي – المتوسطي، في حين تولت الإدارة الدولية للحلف عملية المناقشات والاتصالات وتبادل المعلومات بين الحلف وأعضاء الحوار المتوسطيين. وفي قمة الحلف بمدريد تم تأسيس مجموعة التعاون المتوسطي للقيام على عملية الحوار الأطلسي– المتوسطي، وهي تحت اشراف مجلس شمال الأطلسي، وتعقد اجتماعاتها على مستوى المستشارين السياسيين بشكل منتظم لمناقشة الأمور المتعلقة بالحوار.

وتعقد الاجتماعات بصيغة (26+1) بصفة منتظمة، وتهدف إلى تبادل وجهات النظر حول مختلف القضايا المتعلقة بالحالة الأمنية في منطقة البحر المتوسط، وبحث طرق تطورأبعاد التعاون السياسية والعملية للحوار.

كما تعقد الاجتماعات بصيغة (7 + NAC) التي تجمع مجلس شمال الأطلسي بالدول المتوسطية السبع غير الأعضاء في الحلف، وتعقد بشكل دوري، وتكون في العادة بعد اجتماعات الحلف الوزارية و قمم رؤساء الدول والحكومات...

والهدف منها هو نقل المعلومات وإطلاع المسؤولين من دول الحوار المتوسطي على سياسات ومواقف الحلف تجاه بعض القضايا[71].

**ثامنًا: أبعادالحوار**: ينطوي الحوار الأطلسي- المتوسطي على العديد من الأبعاد منها:

**1- البعد السياسي** : ينطوي الحوار الأطلسي المتوسطي على أهمية بالغة حيث تحقق عملية الحوار الأهداف السياسية الآتية:

أ- تغيير الخريطة الإداركية لدى الشعوب والدول المتوسطية غير الأطلسية حول دور ومهام الحلف، باعتباره تجمعًا عسكريًا تقوده الولايات المتحدة الأمريكية لتنفيذ أهدافها التوسعية، من خلال مشاركتها في إطار (26 +1) كدولة أطلسية تشارك اهتمامات الحلف، بعيدًا عن مصالحها الضيقة ، حيث تولت اللجنة السياسية للحلف ومن بعدها مجموعة التعاون الأطلسي مسؤولية الاشراف على عملية الحوار لمواجهة التهديدات العسكرية بإجراءات سياسية وإدارة الأزمات بشكل جيد، من أجل تعزيز الأمن والاستقرار في المتوسط.

ب- إن الحوار في إطار مجموعة التعاون المتوسطي يمنح فرصة تغليب الجانب السياسي على الجانب العسكري، الذي يثير مخاوف دول الجنوب، كما أن دول الحلف الأوروبية تركز على الأبعاد غيرالعسكرية للأمن، وهذا ما يضفي على العملية طابعاً شمولياً، يضم جميع أبعاد الأمن التعاوني [72].

ج- يتيح الحوار السياسي عقد لقاءات بين الحلف والجانب الرسمي (الحكومي) وغيرالرسمي(أكاديميين وصحفيين وممثلين عن منظمات المجتمع المدني...) من دول جنوب المتوسط، يتم خلالها تبادل المعلومات والتشاور واطلاع الطرف الآخر على سياسات الحلف وإقامة قنوات اتصال على مستويات مختلفة والاستعانة بها للسيطرة على الأزمات.

د- السعي إلى إنشاء ثقافة ومدركات جديدة في ميدان الأمن والتعاون في الفضاء المتوسطي باعتباره أسيرًا للصراع العربي- الإسرائيلي إقليميًا، وساحة للصراعات الدولية بين المعسكرين زمن الحرب الباردة، كما أنه اقتصر مفهوم الأمن على البعد العسكري ، وكذا أولويته في السياسة الداخلية والخارجية، وازالة التخوف من انعكاسات الانحياز الأطلسي إلى جانب إسرائيل في الصراع العربي- الإسرائيلي.

ذ- صعوبة حشد الدول العربية وتجنيدها عسكريًا في ميدان الأمن المتوسطي والشرق أوسطي دون غطاء سياسي، رغم النجاح في حرب الخليج الثانية، وهو ما يسمح باحتواء عواقب تحمل أعباء العمليات العسكرية المحتملة.

ر- إدراك حلف الأطلسي أن حاجته للأمن والدفاع تقتضي عدم الفصل بين الأمن المتوسطي والأمن الأوروبي، رغم إختلافهما في أبعاد الأمن السياسية والاجتماعية والاقتصادية...

ز- تخوف الحلف وبالذات الولايات المتحدة أن يناقش الحوار الأوروبي – المتوسطي قضايا ذات طبيعة غيرعسكرية، وهنا سيظهر الحلف على أنه الآلة العسكرية لتحقيق الأمن بعد سقوط الاتحاد السوفياتي(73).

ص- التحولات التي حدثت على مستوى مهام الحلف بعد صياغة المفهوم الاستراتيجي وانشاء قوات المهام المجمعة المشتركة والمفهوم الإستراتيجي الجديد، وخاصة ما يتعلق بالاستجابة المرنة وإدارة الأزمات بعمليات عسكرية لغرض حفظ السلام وتثبيته، وهذا ما أثار معارضة دول الجنوب، ونجاح مهام الحلف الجديدة مرتبطة بالأوضاع السياسية داخل مناطق العمليات .

ض- من أهم أهداف نشاطات الحلف السياسية هو تأهيل بيئة الأمن المتوسطي وجعلها أكثر استعدادًا للتعامل مع عمليات عسكرية داخل المنطقة مباشرة أو في محيطها الإقليمي أو الأطلسي.

**2-البعد العسكري:** يتم عقد اجتماعين سنويًا يأخذان طابع (26+7) للتشاور بشأن البرنامج العسكري، حيث يجتمع ممثلون عسكريون من كل دول الحلف والدول السبع المشاركة في الحوار المتوسطي، كما تم عقد اجتماع للمرة الأولى على مستوى مسؤولي دفاع دول الحوار، وذلك في نوفمبر2004م. ومنذ ذلك الحين، يتم عقد اجتماعات على هذا المستوى وبشكل منتظم، وهذا تنفيذًا لمقررات قمة الحلف بإسطمبول التي دعت دول الحوار الأطلسي- المتوسطي للتركيز أكثر على البعد العملي.

ويتم وضع معايير التعاون العملي بين الحلف والدول المشاركة في الحوار الأطلسي – المتوسطي في إطار برنامج عمل سنوي، يتضمن عقد منتديات للبحث وحلقات دراسية ونشاطات عملية أخرى في مجالات الدبلوماسية العامة والتعاون العلمي والبيئي والتخطيط لحالات الطوارئ المدنية وإدارة الأزمات وأمن الحدود والأسلحة الصغيرة والخفيفة والإصلاحات في مجال الدفاع واقتصاديات الدفاع ودراسة التهديدات الإرهابية وانتشار أسلحة الدمار الشامل(75).

**كما يتضمن برنامج العمل السنوي، الأبعاد العسكرية الآتية:**

1- قيام عناصر بحرية تابعة للحلف بزيارات إلى موانئ دول الحوار.

2- ارسال الحلف فرق التدريب لتنظيم برامج تدريب موقعي لتطوير مهارات المدربين في دول الحوارالجنوبية.

3- قيام خبراء من الحلف بزيارات لدول الحوار الجنوبية لتقييم إمكاناتها في تحقيق المزيد من التعاون في المجال العسكري.

4- الحاق عناصر وضباط من دول الحوار الجنوبية ببرامج دراسية ونشاطات أكاديمية أخرى في كل من كلية الحلف التي تشرف عليها القيادة العليا لقوات الحلف بأوروبا (Shape) التي توجد بمدينة أوبراميجاو Oberammergau الألمانية، وكلية الناتو الدفاعية بروما[76].

5- قيام دول الحوار الجنوبية بزيارات لمنشأت الحلف العسكرية.

6- توجيه الحلف دعوات لدول الحوار لحضور التمرينات والمناورات العسكرية التي تتم في إطار برنامج الشراكة من أجل السلام، أو حتى المشاركة فيها.

كما أن الحوار الأطلسي - المتوسطي، يضمن للحلف تحقيق الأهداف الآتية:

1- إن إدارة العمليات في الحرب على العراق سنة1991م، كشفت عن مخاطر جسيمة أثرت على تنفيذها، وكانت قضية التنسيق بين دول حلف الأطلسي والدول المشاركة غير الأطلسية من حوض المتوسط والشرق الأوسط من أعقد القضايا بسبب اختلاف العقائد العسكرية وفن القتال ومنظومة الأسلحة... ولهذا أصبح من الضروري إقامة الحلف لحوار أمني ذي أبعاد عسكرية مع دول المتوسط غير الأطلسية، من أجل التدريب على التعاون العسكري خصوصًا في حال وجود عمليات يقوم بها الحلف أو مجموعة من أعضائه أو الولايات المتحدة داخل الفضاء المتوسطي[77].

2- من وجهة النظر الأطلسية والأمريكية تحديدًا، فإن الحوار الأطلسي – المتوسطي سيكبح اندفاع أوروبا في تبني سياسة ذات بعد عسكري وأمني في الفضاء المتوسطي، خصوصًا أن الولايات المتحدة لا يرجح لديها خيار تعدد المؤسسات ومراكز القرار في قضايا الأمن الأطلسي – الأوروبي .

3- إن مبادرة إيطاليا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال سنة 1995م، لإنشاء قوات أوربية،قادرة على التدخل في مناطق الأزمات لتحقيق الأمن والاستقرار بالمتوسط،

تتوافق مع المفهوم الإستراتيجي الجديد للحلف، الذي أصبح المرجعية الإستراتيجية للمبادرة الأوروبية .

كما أن هذه المبادرة تتكامل مع جهود بناء معمارية للدفاع والأمن الأوروبي، وهي أكثر ارتباطًا مع الحلف، حيث إن إقراره تكوين قوات المهمات المجمعة المشتركة أدى إلى أن تكون الخطوات الأوروبية المستقلة غير منفصلة عن أهداف الحلف العامة، كما تطالب الولايات المتحدة الأمريكية بأن تكون كل مبادرة أمنية أوربية في إطار الحلف، الذي هو المرجعية والضمان الأول لأمن المنطقة الأورو– أطلسية[78].

وهنا يكون الحواران الأورو– متوسطي والأطلسي- المتوسطي متكاملين وغير متباينان في الحوار والتعامل مع الأمن المتوسطي، الذي هو مكمل للأمن الأورو- أطلسي. وتجدر الإشارة إلى أن كلاُ من الأردن ومصر والمملكة المغربية كانت قد تعاونت عسكريًا في عمليات يقودها الحلف بالبوسنة والهرسك في إطار القوة الدولية( IFOR)و قوة تحقيق الاستقرار(SFOR ) وفي إطار قوة كوسوفو (KFOR ) ، كما قدمت إسرائيل مستشفى ميدانياً بكامل طاقمه وتجهيزاته لمساعدة لاجئي كوسوفو، أما من خارج دول الحوار المتوسطي، فقد قامت الإمارات العربية المتحدة بارسال فرقة عسكرية كبيرة إلى كوسوفو، كما ساهمت أيضًا في إصلاح مطار كوكس الألباني وإعادة تشغيله، الذي كان قد دمرته القوات اليوغوسلافية[79].

**تاسعًا: تقييم الحوار الأطلسي – المتوسطي :** واجهت عملية الحوار الأطلسي العديد من الصعوبات والتحديات، نذكر منها:

1- إن بقاء العديد من الدول العربية خارج عملية الحوار سيجعل منها هدفًا للدفاع الجماعي الذي يسعى الحلف لتعظيمه من خلال الحوار.

2- غيـــاب آليـــات فعالـــة للحـــوار والتعـــاون الـــتي لم تظهـــر إلا بعـــد قمـــة إسطمبول2004م.

3- ارتباط الحلف بالقوى الاستعمارية التي احتلت معظم الدول العربية، وهذا ما أثّر على إدراك الرأي العام وصناع القرار على حد السواء.

4- محدوديـة الاهتمـام الأطلسـي بعمليـة الحـوار مـن حيـث الوقـت والمـوارد (العناصر البشرية والمالية) مقارنة مع مبادرة الشراكة من أجل السلام مثلاً.

5- يتيح نهج الحوار المنفرد مع حلف الأطلسي فرصة نادرة له للتفاوض والمساومة من موقف قوة وضغط، فصورة الأمن المتوسطي تأخذ أبعادها الشاملة عند الحلف، بينما تكون مدركات المتحاورين المتوسطين غير الأطلسيين في الأمن محدودة وجزئية، وبالتالي فإن مواقفهم التساومية ضعيفة أمام حلف الأطلسي صاحب النظرة الواسعة والمصالح الكلية.

7- التوجس من السياسة الخارجية الأمريكية وبخاصة بعد احتلال العراق.

8- التخوف العربي من نوايا الحلف الحقيقية وأهدافه، ومن سيواجه الحلف في القرن الحادي والعشرين .

9- إن الدول العربية هي في حد ذاتها موضوع توجس أمني لدول الحلف أكثر من كونها طرفاً مشاركاً في الحوار الأمني .

10- الفهم المختلف للمسائل الأمنية المطروحة في الحوار، وبالتالي الاختلاف في طريقة معالجتها، مثل قضية الإرهاب والمقاومة.

11- قلة المعلومات حول التطورات الإستراتيجية ونوايا الحلف وأهدافه في منطقة حوض المتوسط .

12- انعدام التشاور عند ضبط الخطط وتطوير البرامج في إطار الحوار الأطلسي – المتوسطي.

13- تجاهل حاجيات بلدان الحوار أو الاستجابة لها بصورة جزئية لدى صياغة المقترحات.

**المطلب الثاني : مبادرة إسطمبول للتعاون :**

بعد هجمات 11 سبتمبر 2001م، وتعاظم التهديدات التي مصدرها القوس الجنوبي للأزمات و تواضع نتائج الحوار الأطلسي- المتوسطي، والعدد المتزايد من مبادرات الإصلاح الشامل في الدول العربية... سعى حلف شمال الأطلسي إلى تقوية الحوار الأطلسي المتوسطي القائم منذ 1994م، وتوسعيه ليشمل دول أخرى بالمنطقة من خلال مبادرة إسطمبول للتعاون، وذلك في قمة الحلف بإسطمبول في 28 و29 يونيه 2004م .

**أولا : مبادئ المبادرة :** حسب وثيقة مبادرة إسطمبول للتعاون، فإن المبادرة تقوم على المبادئ الآتية:

1- مراعاة أفكار دول المنطقة ومنظماتها الإقليمية .

**2-** هي مبادرة تعاونية ممثلة للمصالح المشتركة والمتبادلة بين الحلف ودول المنطقة، مع مراعاة التباين في ما بينها .

**3-** استقلالها وتكاملها مع بعض المبادرات مثل مبادرة الحوار الأطلسي- المتوسطي، ومبادرة مجموعة الثمانية والاتحاد الأوروبي، كما تأخذ المبادرة - بحسب ما هو ملائم- من أدوات وآليات المبادرات الأخرى التي وضعها الحلف مثل مبادرة الشراكة من أجل السلام .

**4-** التركيز على المجال العملي والعسكري خصوصًا في قضايا الدفاع والأمن.[80]

**5-** إن هذه المبادرة لا تفتح المجال لعضوية حلف الأطلسي أو مجلس الشراكة الأوروبية - الأطلسية أو مبادرة الشراكة من أجل السلام، كما أنها لا تكفل الأمن لأحد .

وفي مؤتمر" تحولات النيتو والأمن في الخليج"، الذي نظمته وزارة الخارجية القطرية في19 و 20 إبريل 2004م، حدد الأمين العام للحلف ياب دي هوب سخيفر المبادئ الأساسية التي تقوم عليها المبادرة في النقاط الآتية :

1- **مبدأ التعاون العملي :** ويشمل مجال مكافحة الإرهاب وأمن الحدود وإدارة الأزمات والتخطيط لحالات الطوارئ المدنية...

2- **مبدأ الملكية المشتركة :** هو إدراك دول مبادرة إسطمبول للتعاون لنفسها على أنها مساهمة في المجهود التعاوني .

3- **مبدأ** التكامل : ويكون من خلال تشجيع التعاون والانسجام في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والأمنية... وكذا إقرار التكامل مع المبادرات السابقة .[81]

**ثانياً : هدف المبادرة :** حددت وثيقة مبادرة إسطمبول للتعاون أهدافها في النقاط الآتية:

**1-** المساهمة في الأمن العالمي والإقليمي على المدى البعيد بغرض التعاون الثنائي .

2- مساهمة الحلف في تعزيز الجهود التي تبذل لخدمة الإصلاحات في مجالات الديموقراطية والمجتمع المدني وإقامة روابط جديدة مع دول المنطقة .

3- تعزيز الأمن والاستقرار في المنطقة عبر الإجراءات الآتية :

أ- تشجيع التعاون العملي مع حلف الأطلسي من خلال المشاركة في العمليات التي يقودها الحلف.

ب- تعزيز قدرات دول المنطقة في مواجهة التحديات والتهديدات المشتركة في مجالات مكافحة الإرهاب وانتشار أسلحة الدمار الشامل وتهريب الأسلحة من خلال الخبرة والدعم الذي يقدمه الحلف[82].

4 - تطوير الحوار السياسي بين دول المنطقة والحلف في القضايا المشتركة.

5- مشاركة قوات من دول جنوب المتوسط في عمليات يقودها الحلف .

6- مشاركة دول جنوب المتوسط في عمليات حفظ سلام يقودها الحلف.[83]

7- التركيز على المجالات التي يقدم فيها الحلف قيمة مضافة لاسيما في المجال الأمني .

**ثالثاً : مجالات التعاون** : يمكن تلخيص مجالات التعاون في النقاط الآتية:

1- تقديم الاستشارة خاصة في مجال التخطيط للدفاع والعلاقات المدنية- العسكرية وإصلاحات الدفاع، حيث أطلق الحلف مبادرة الإصلاح الدفاعي لبناء أنموذج توازن القدرات العسكرية بين دول المنطقة، إلا أنه سيعمل بشكل ثنائي مع كل دولة على حدى[84] وهنا ربطت إسرائيل بين الإصلاح في قدراتها العسكرية التقليدية وإقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع جميع الدول العربية المشاركة في الحوار.

2- تشجيع التعاون العسكري - العسكري للوصول إلى تبادل التشغيل، من خلال المشاركة في مناورات وتمرينات معينة وما يرتبط بها من نشاطات تعليمية وتدريبية معززة لقدرات الدول المشاركة .

3- دعوة دول المنطقة للحضور أو المشاركة في مناورات عسكرية معينة تنفذ في إطار مبادرة الشراكة من أجل السلام.

4- مكافحة الإرهاب، فقد طرح إنشاء مجلس إقليمي أوسطي لمكافحة الإرهاب، والذي يضم دول مجلس التعاون الخليجي وباكستان

وأفغانستان، وتمثل فيه الدول بوزير الداخلية والخارجية، والهدف منه من جهة هو التنسيق بين هذه الدول عبر الإعداد للخطط الأمنية الداخلية، وبينها وبين الحلف من جهة أخرى، والقيام بعمليات عسكرية مشتركة ضد الدول والجماعات الإرهابية أو ضد الدول والجماعات التي تؤوي أو تقوم بمساعدة الإرهابيين[85].

5- تبادل المعلومات والتعاون البحري، حيث تم دعوة الدول المهتمة للمشاركة في عملية المسعى النشط، وتعزيز إمكانياتها في مجال الدفاع والردع واحباط النشاطات الإرهابية عبر البحر.

6- المساهمة في مواجهة تهديدات أسلحة الدمار الشامل ووسائط إيصالها. **(86)**

7- تشجيع التعاون في مجال أمن الحدود ومكافحة الجريمة المنظمة والمتخطية للحدود وعمليات تهريب الأسلحة الخفيفة والتهريب غير المشروع عبر الاستفادة من خبرات الحلف ومن البرامج المناسبة التي تنفذ في إطار مبادرة الشراكة من أجل السلام وفي مراكز التدريب التابعة للحلف .

8- تشجيع التعاون في مجال التخطيط لحالات الطوارئ المدنية، عبر النقاط **الآتية:**

أ- دورات الحلف التدريبية في مجالات التخطيط لحالات الطوارئ المدنية والتنسيق المدني- العسكري، والتعامل مع الأزمات الناجمة عن التهديدات البرية والبحرية والجوية .

ب- دعوة الدول المهتمة للحضور أو المشاركة في مناورات أو تدريبات عسكرية ذات علاقة بالطوارئ المدنية تنفذ في إطار مبادرة الشراكة من أجل السلام .

**رابعاً : آلية عمل مبادرة إسطمبول للتعاون** : تم إنشاء مجموعة مبادرة إسطمبول للتعاون، وتتكون من وفود الدول الأعضاء في الحلف، وتقوم المجموعة بتحديد إجراءات تطوير قائمة من الأنشطة العملية مع البلدان المهتمة وضمان تنفيذها بنجاح، كما ترفع تقارير إلى اللجنة السياسية العليا بالحلف، وتمهد للقرارات التي سيعتمدها مجلس شمال الأطلسي بشأن مبادرة إسطمبول للتعاون، وستكون صيغة المشاركة على أساس (26+1).

وقد اتخذ الحلف صيغة(26+1) في الحوار الأطلسي – المتوسطي ، أيضاً في مبادرة إسطمبول، للتعاون لعدة أسباب منها :

1- وضع خطط فردية و متابعة تنفيذها .

2- تناسب خطط الإصلاح مع أوضاع كل دولة مشاركة .

3- تباين دول جنوب المتوسط في القدرات العسكرية، وتمايزها في أشكال التحديات والتهديدات التي تواجهها[87] .

4 - صعوبة وضع خطة عمل تشمل دول الحلف ودولاً عربية وإسرائيل بسبب الصراع بين إسرائيل والدول العربية.

5 - تفادي بعض المشاكل السياسية مثل اشتراط الحلف عدم الربط بين مبادرة التعاون أو الحوار المتوسطي والصراع العربي الإسرائيلي، وهذا ما تعترض عليه الدول العربية، ومن هنا كان تصميم الحلف للعلاقة على أساس فردي أي (1+26) وذلك لضمان المشاركة العربية .

6- صعوبة تحقيق بعض أهداف التعاون و منها منع الانتشار النووي أو حيازة أسلحة الدمار الشامل بسبب حيازة إسرائيل الحصرية لهذا السلاح في المنطقة، وبالتالي صعوبة وضع قاعدة عامة تحكم العلاقة بين دول الحلف والدول العربية .

7- تقاسم إسرائيل دول الحلف التراث المسيحي اليهودي المؤسس لحلف الأطلسي، وكذا علاقاتها الإستراتيجية المميزة مع القوى الأساسية في الحلف، وهو ما سمح لها بتوقيع اتفاق تعاون فردي مع الحلف في 16أكتوبر 2006م، وهو أول برنامج تعاوني فردي يوقعه الحلف مع دولة خارج النطاق الأورو- أطلسي [88].

8- التخوف من توافق عربي حول صيغة جماعية مشتركة قد تتعارض جزئيًا أو كليًا مع أجندة الحلف التفاوضية، وهو ما يدعم الموقف التفاوضي للدول العربية مع الحلف، ويصْعُب من انفراد الحلف بأية دولة عربية، لأن العمل بصيغة(26+1) هي عملية محسومة النتائج مسبقًا لصالح الحلف، لفارق الامكانات والتكنولوجية والاحترافية والهندسة الأمنية في ما بين دول الحلف .

فهذه المبادرة موجهة لتوسيع نطاق عمل الحلف مع أكبر عدد ممكن من دول المنطقة، حيث استهدفت أساسًا دول مجلس التعاون الخليجي فقبل إطلاق المبادرة، زار نائب الأمين العام للحلف السفير مينوتو ريتزو دول مجلس التعاون الخليجي، لإجراء مباحثات استطلاعية على مستوى رفيع لمعرفة مدى الاهتمام بهذه المبادرة. وبعد أشهر من إعلانها قام مينوتو ريتزو بزيارة ثانية أسفرت عن التحاق كل من البحرين والكويت والإمارات العربية المتحدة بالمبادرة في يونيه 2005م .

**خامساً: أسباب انضمام دول الخليج إلى المبادرة :** ترجع أسباب التحاق دول الخليج إلى مبادرة إسطبول للتعاون إلى الأسباب الآتية:

1- انهيار نظرية أمن الخليج من خلال توازن القوى الدولية والإقليمية، التي كان مؤداها أنه لا يمكن لأي قوة دولية أو إقليمية أن تهدد أمن دول مجلس التعاون الخليجي بسبب حجم المصالح العالمية بالمنطقة، إلا أنها بدأت في التصدع منذ قيام

الثـورة الإسـلامية بـإيران سـنة 1979م ، وسـقطت بعـد الاجتيـاح العراقـي للكويـت. وهنا بدأت دول مجلس التعاون الخليجي بالبحث عن مظلة عسكرية دولية للحماية من التهديدات الإقليمية[89] .

2- فشـل دول الخلـيج في بنـاء قـوة عسـكرية وطنيـة أو جماعيـة (قـوة درع الجزيرة)، قادرة على حماية أمن المنطقة واستقرارها .

ويرجع هذا الفشل إلى:

أ- التباين الشديد في إدراك مصادر التهديدات وفي كيفية مواجهتها .

ب- تواضـع القـدرات البشـرية لـدى معظـم دول الخلـيج (باسـتثناء السـعودية التي بلغ عدد سكانها سنة 2006م أكثر من 23.6مليون نسمة) التي تسمح ببنـاء قـوة عسكرية رادعة للتهديدات الخارجية .

ج- غيـاب الإرادة السياسـية الحقيقيـة لبنـاء مؤسسـة عسـكرية تتناسـب مـع الأعباء الدفاعية، وهذا تخوفًا من بروز طموحات سياسية لدى قادتها تتجاوز حدود صلاحياتهم العسكرية، وهـذا مـا يـدفعهم إلى القيـام بانقلابـات عسـكرية تنهـي نظـم الحكم القائمة[90] .

د- تبـاين الـرؤى بـين الـدول المشـاركة في قـوة درع الجزيـرة حـول قيـادة القـوة والعنصر البشري المكون لها -الذي يغلب عليه العنصر السعودي- ومقر مركز القيادة والميزانية المقررة للقوة وكيفية تحمل الأعباء...

3- انهيـار القـوة العسـكرية العراقيـة خاصـةً بعـد حـل الجـيش العراقـي، وهـو مـا سمح بتفوق إستراتيجي كاسح لإيران على دول المنطقة.

4 - إن التعـاون مـع حلـف الأطلسـي يشـمل مجـالات الأمـن النـاعم، كمـا أنـه لا يضمن الأمن لأحد، وهذا عكس، العلاقـات العسـكرية مـع الولايـات المتحـدة ، وهـو مـا يسمح بالتنسيق والتكامل .

**سادساً : أسس التعاون الأمني بين حلف الأطلسي ودول مجلس التعاون الخليجي :** يقوم التعاون الأمني بين حلف الأطلسي ودول مجلس التعاون على أساس النقاط الآتية :

1- استمرار الدور الأساسي للولايات المتحدة في ميزان القوى والترتيبات الأمنية القائمة، حيث توفر مظلة أمنية وعسكرية تقليدية ونووية ضد بعض دول المنطقة .

2- تطوير التحالف الجماعي بين دول الخليج، حيث تم التوصل سنة 1999م، إلى اتفاقية الدفاع المشترك لدول الخليج العربية، ثم إنشاء مجلس الدفاع المشترك .

3- تكامل الترتيبات الأمنية المقترحة من طرف الحلف مع الترتيبات القائمة مع الولايات المتحدة الأمريكية. (92)

**سابعاً : مجالات التعاون بين حلف الأطلسي ودول مجلس التعاون الخليجي :**

يمكن لحلف الأطلسي المساهمة في تحقيق أمن الخليج من خلال تقديم خبراته في المجالات الآتية :

1- قيادة عمليات موحدة .

2- تدفق المعلومات وتبادلها .

3- أمن الطاقة والامدادات (93) .

4- مكافحة الإرهاب خصوصًا بعد إقرار المفهوم العسكري الأطلسي لمكافحة الإرهاب منذ سنة 2002م (*) .

5- إجراء التدريبات والمناورات المشتركة للوصول إلى قابلية التشغيل المتبادل.

6- ادخال المفهوم الأوروبي للتكامل ثم الوحدة على تجربة الاندماج الإقليمي الخليجية.

**ثامناً : الدور المحتمل لحلف الأطلسي في أمن الخليج :** يسعى الحلف إلى الحفاظ على أمن المنطقة واستقرارها من خلال إرساء آليات شراكة وتعاون مع دول مجلس التعاون تستند إلى:

1- إقامة موانئ بحرية قادرة على استيعاب قطع بحرية وبوارج حربية تابعة للحلف، حيث وقّعت الكويت اتفاقية العبور مع الحلف وتشمل العبور الأمن للمعدات والأفراد(94) .

2- إنشاء قواعد عسكرية ومخازن إستراتيجية لاستخدامها في الإمداد والدعم اللوجستي في مهامه المحتملة .

3- إنشاء قوة تدخل سريع قادرة على التدخل ضد تهديدات المصالح الحيوية مثل أبار البترول وخطوط نقله...

4- زيادة حجم المساهمة الخليجية في تحمل الأعباء والنفقات المالية الضرورية للأمن الخليجي .

5- توسيع التعاون الاستخباراتي ورصد الحركات السياسية والعسكرية المناوئة للمصالح الغربية .

6- المساهمة في عملية التحول الديموقراطي في النظم الخليجية من خلال المشاركة في مشروع الشرق الأوسط الكبير .

7- حفظ السلم والأمن في منطقة القرن الإفريقي وتأمين العبور الأمن للسفن البحرية، التي تتهددها هجمات القراصنة في الصومال، وذلك من خلال تطبيق القرار رقم 1838 الصادر عن مجلس الأمن في 7 أكتوبر2008م، الداعي إلى مشاركة قوات الحلف في مكافحة القرصنة قبالة سواحل الصومال(95) .

8- قيام الحلف بعملية حفظ السلام، بين الفلسطينيين والإسرائيليين حيث أشار الأمين العام للحلف ياب دي هوب سخيفر في لقاء مع قناة الجزيرة في برنامج

لقاء اليوم، أن الحلف مستعد للقيام بهذا الدور، بشرط توفر ثلاثة شروط أساسية، هي :

أ - توصل الأطراف المعنية إلى اتفاق بشأن النزاع القائم بينهما .

ب- إذا طلبت تلك الأطراف من الحلف أن يساعدها على تطبيق ذلك الاتفاق .

ج- إذا كان هناك قرار صادر عن مجلس الأمن خاص بهذا الشأن (96) .

9- مساهمة الحلف في تدريب الجيش العراقي الجديد وتقديم العون التقني له، بالإضافة إلى توفير بعض التجهيزات الضرورية لمساعدته على أداء واجباته وتحضيره لتسلم الملف الأمني، حيث ساهمت النرويج بتدريب عدد من الضباط العراقيين في مراكز الحلف المشتركة الموجودة بها وتشمل هذه التدريبات مجالات إجراءات الحلف للإعلام والمخابرات، عمليات دعم السلام، التعاون المدني العسكري، إجراءات التخطيط العملياتي لحلف الأطلسي، وحماية المدنيين، العمليات العسكرية الطبية ودور المنظمات الدولية وغير الحكومية والوصول إلى تبادلية التشغيل(97) .

**المطلب الثالث : مقارنة بين مختلف مبادرات الحلف للتعاون :**

يمكن إرجاع إقامة العلاقات الأطلسية المتوسطية بصيغة الحوار - التعاون بدلاً من الشراكة - التوسع مثلما هو قائم مع دول شرق و وسط أوروبا، إلى بيئة الأمن في الفضاء المتوسطي تصلح لمعمارية الحوار- الشراكة، رغم التأكيد المتكرر الصادر من الأوساط الإستراتيجية الأطلسية والأوروبية، بأن الفصل بين الفضاء الأطلسي- الأوروبي والفضاء المتوسطي لا يصلح عمليًا، فثمة صلة ربط إستراتيجية متينة بين الفضائين، لكن البيئة الأمنية لكل منهما تختلف من حيث :

1- الناحية التاريخية لم يمثل البحر المتوسط مجالاً أمنيا وميدانًا حربيًا شديد

الخطورة على ميزان القوى في العلاقات بين القوى الأوروبية منذ الحروب النابوليونية حتى نهاية الحرب الباردة بالمقارنة مع وسط أوروبا .

2- الأهمية المطلقة لجيوبوليتيكا وسط وشرق أوروبا بالنسبة للأمن الأوروبي ، مقابل الأهمية النسبية لجيوبوليتيكا المتوسط ، الذي تراجعت أهميته الجيوإستراتيجية في دالة الأمن العسكري للحلف بعد أن كانت مياهه الخط الخلفي في إستراتيجية احتواء الاتحاد السوفياتي، وتنوع مصادر التهديد غير العسكرية.. [98].

3- الاختلاف في حجم تهديدات بيئة وسط و شرق أوروبا والبيئة المتوسطية التي لا تشكل تهديدًا لبقاء الدول الأوروبية لاعتبارات الآتية :

أ- عدم حيازتها للأسلحة النووية مثل الاتحاد السوفياتي .

ب- افتقارها لعقيدة أمنية مشتركة أو لإستراتيجية عسكرية قائمة على إيديولوجيا عالمية .

ج- أنها لاتشكل حلفاً ولا تتمحور حول قوة جيوبوليتيكية مركزية كتلك التي كان عليها الاتحاد السوفياتي .

4- التخوف من إعادة تشكيل تكتل شرقي محوره روسيا القوة النووية والجيوبوليتيكية، وتشديد الحلف على أن التوسع هو الغاية النهائية أو الحد الأعلى للشراكة، مع استثناء روسيا من ذلك للحفاظ على جوهر الحلف القائم على الدفاع الجماعي، وهنا تكون الشراكة هي الغاية حيث إن بقاء روسيا والصين خارج عضوية الحلف سيكون حالة من حالات الحرب الباردة، التي منحت للحلف معناه الإستراتيجي، فالشراكة ستنقل تلك العلاقات من حالة الصراع الذي ساد في أغلب فترات الحرب الباردة إلى حالة التعاون [99] .

5- إن اعتماد الحلف صيغة الحوار - الشراكة ستكون مرضية لجميع الأطراف

الأطلسية، حيث يتم احتواء دول جنوب أوروبا الأطلسية دون انفرادها بالفضاء المتوسطي .

6- استعداد دول شرق ووسط أوروبا لعضوية الحلف هو سبب اتباعه سياسة التوسع شرقًا، في حين نجد أن الدول العربية غير مستعدة لذلك ، فكانت صيغة الحوار والشراكة بديلاً عن الشراكة – التوسع.

7- ارتباط الحلف تاريخيًا بالقوى الاستعمارية، وهو ما يثير حفيظة الدول العربية، فالتركيز الأولى على الجانب العملي أو العسكري سيكون مثار حفيظة هذه الدول وبالتالي فإن الحوار السياسي هو الصيغة الأكثر قبولاً.

8- افتقار الحوار الأطلسي – المتوسطي إلى وثيقة أساسية مماثلة لما هو موجود في مبادرة الشراكة من أجل السلام .

**هوامش الفصل الرابع :**

(1) خليفة مراد، التكامل الاقتصادي العربي في ضوء الطروحات النظرية والمرجعية القانونية، رسالة ماجستير( الجزائر : جامعة باتنة ، 2006م ) ، ص210 .

(2) شمعون بيرين، الشرق الأوسط الجديد، ترجمة عبد الحافظ حيلمي (عمان، دار الأهلية، 1994م ) ، ص 67 .

(3) شمعون بيرين، الشرق الأوسط الجديد ، المرجع نفسه، ص72 .

(4) محمود عبد الفضيل، مشاريع الترتيبات الاقتصادية الشرق أوسطية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد179 (بيروت : 1994م ) ، ص93 .

(5) نيرمين السعدني، مؤتمرات التعاون الشرق أوسطي: الإيجابيات والسلبيات ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 127( القاهرة : 1997م ) ، ص250 .

(6) د- ناظم عبد الواحد الجاسور، تأثير الخلافات الأمريكية الأوروبية على قضايا الأمة العربية: حقبة ما بعد الحرب الباردة ( بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2007م )، ص 158 .

(7) Bernard Lewis , Rethininking The Middle East , Forgeign Affairs , Vol . 71 . No .4. 1992. PP, 99 – 119 .

(8) جميل مطر وعلي الدين هلال ، النظام الإقليمي العربي : دراسة في العلاقات السياسية العربية (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1986م، ) ، ص 29 .

(9) شمعون بيرين، الشرق الأوسط الجديد، المرجع السابق ، ص 67 .

(10) د- ناظم عبد الواحد الجاسور، تأثير الخلافات الأمريكية الأوروبية على قضايا الأمة العربية : حقبة ما بعد الحرب الباردة ، المرجع السابق ، ص165 .

(11) جلال أحمد أمين، مشروع الشرق أوسطية ومشروع النهضة العربية، مجلة

المستقبل العربي ، العدد178 ( بيروت : 1993م ) ، ص42 .

(12) د- ناظم عبد الواحد الجاسور، تأثير الخلافات الأمريكية الأوروبية على قضايا الأمة العربية: حقبة ما بعد الحرب الباردة ، المرجع السابق ، ص161 .

(13) شمعون بيرين، الشرق الأوسط الجديد ، المرجع السابق ، ص ص193-196 .

(14) د- ناظم عبد الواحد الجاسور، تأثير الخلافات الأمريكية الأوروبية على قضايا الأمة العربية : حقبة ما بعد الحرب الباردة ، المرجع السابق ، ص166 .

(15) د- ناظم عبد الواحد الجاسور، تأثير الخلافات الأمريكية الأوروبية على قضايا الأمة العربية : حقبة ما بعد الحرب الباردة ، المرجع نفسه ، ص 168 .

(16) أسامة فاروق مخيمر، التعاون المتوسطي ، رسالة ماجستير منشورة (القاهرة : مركز المحروسة للبحوث و التدريب و النشر ، 1998م ) ، ص94 .

(17) أسامة فاروق مخيمر، التعاون المتوسطي ، المرجع نفسه، ص164 .

(18) أسامة فاروق مخيمر، التعاون المتوسطي ، المرجع نفسه ، ص166 .

(19) خليفة مراد، التكامل الاقتصادي العربي في ضوء الطروحات النظرية و المرجعية القانونية، المرجع السابق ، ص231

(20) خليفة مراد، التكامل الاقتصادي العربي في ضوء الطروحات النظرية و المرجعية القانونية ، المرجع نفسه ، ص 232 .

(21) أسامة فاروق مخيمر، التعاون المتوسطي ، المرجع السابق ، ص140 .

(22) أسامة فاروق مخيمر، التعاون المتوسطي ، المرجع نفسه ، ص 143.

(23) د- ناظم عبد الواحد الجاسور، تأثير الخلافات الأمريكية الأوروبية على قضايا الأمة العربية : حقبة ما بعد الحرب الباردة ، المرجع السابق ، 177 .

(24) د- ناظم عبد الواحد الجاسور، تأثير الخلافات الأمريكية الأوروبية على

قضايا الأمة العربية : حقبة ما بعد الحرب الباردة ، المرجع نفسه ، ص 181 .

(25) د- نوار محمد ربيع، اتجاهات الأمن الأوروبي بعد الحرب الباردة : دراسة في الأمن الأطلسي و المتوسطي، أطروحة دكتوراه ( بغداد : جامعة بغداد ، 2002م ) ، ص239 .

(26) د- ناظم عبد الواحد الجاسور، تأثير الخلافات الأمريكية الأوروبية على قضايا الأمة العربية : حقبة ما بعد الحرب الباردة ، المرجع السابق ،183 .

(27) د- ناظم عبد الواحد الجاسور، تأثير الخلافات الأمريكية الأوروبية على قضايا الأمة العربية: حقبة ما بعد الحرب الباردة، المرجع نفسه ، ص 183 .

(28) د- مصطفى صايج، الاتحاد من أجل المتوسط ومصير برشلونة، مجلة السياسة الدولية، العدد 174 (القاهرة ، 20008 م ) ، ص139.

(29) Bertrand Badie Et Beatrice Didiot, L'Etat Du Monde ( Paris : La Decouverte , 2007 ) , PP . 386-387 .

(30) د- مصطفى صايج، الاتحاد من أجل المتوسط ومصير برشلونة، المرجع السابق، ص 141 .

(31) د- مصطفى صايج، الاتحاد من أجل المتوسط ومصير برشلونة، المرجع نفسه ، ص 142 .

(32) د- مصطفى صايج، الاتحاد من أجل المتوسط ومصير برشلونة، المرجع نفسه، ص 143

(33) إيناس إبراهيم، دعم الديموقراطية في الشرق الأوسط : المبادرات الأوروبية ، العدد 2 ( القاهرة : مركز لأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، 2005م )، ص 9 .

(34) د- حسن أبوطالب وآخرون، التقرير الإستراتيجي العربي 2003 –

2004، (القاهرة : مركز الأهرام للدرايات السياسية والإستراتيجية، 2004م ) .

(35) د- حسن أبوطالب وآخرون، الاتحاد الأوروبي والمتوسط: مبادرات جديدة، المرجع نفسه، ص161 .

(36) د- حسن أبوطالب وآخرون، الاتحاد الأوروبي و المتوسط : مبادرات جديدة، المرجع نفسه، ص 158 .

(37) د- حسن أبوطالب وآخرون، الاتحاد الأوروبي و المتوسط : مبادرات جديدة، المرجع نفسه ، ص 159 .

(38) د- عمرو حمزاوي، توسيع الاتحاد الأوروبي: التحديات والفرص، مجلة السياسة الدولية، العدد 157 (القاهرة : 2004 ) ، ص 88 .

(39) النص الرسمي لمبادرة الاتحاد من أجل المتوسط :

www.diplomacie.gouv.fr.php3?id_article

(40) سامية بيبرس، الاتحاد من أجل المتوسط ومستقبل الشراكة الأورو-متوسطية، مجلة السياسة الدولية، العدد 174 (القاهرة : 2008 ) ، ص 133.

(41) النص الرسمي لمبادرة الاتحاد من أجل المتوسط :

www.diplomacie.gouv.fr.php3?id_article

(42) النص الرسمي لمبادرة الاتحاد من أجل المتوسط :

www.diplomacie.gouv.fr.php3?id_article

(43) سامية بيبرس، الاتحاد من أجل المتوسط ومستقبل الشراكة الأورو-متوسطية، المرجع السابق ، ص ص135 - 136

(*) للمزيد أنظر: النص الرسمي لمبادرة الاتحاد من أجل المتوسط :

=2053

www.diplomacie.gouv.fr.php3?id_article

(44) عاطف الغمري، الشرق الأوسط الكبير(القاهرة : كتاب الحرية ، 2004م ) ، ص 8.

(45) د- ناظم عبد الواحد الجاسور، تأثير الخلافات الأمريكية الأوروبية على قضايا الأمة العربية: حقبة ما بعد الحرب الباردة ، المرجع السابق ، 403 .

(46) د- ناظم عبد الواحد الجاسور، تأثير الخلافات الأمريكية الأوروبية على قضايا الأمة العربية: حقبة ما بعد الحرب الباردة ، المرجع نفسه ، ص 408.

(47) عاطف الغمري، الشرق الأوسط الكبير، المرجع السابق ، ص 128 .

(48) عاطف الغمري، الشرق الأوسط الكبير، المرجع نفسه ، ص 100 .

(49) خليل العناني، الشرق الأوسط الكبير، مجلة السياسة الدولية، العدد 156(القاهرة، 2004م )، ص 100.

(50) د- أحمد سليم البرصان، مبادرة الشرق الأوسط الكبير: الأبعاد السياسية والإستراتيجية، مجلة السياسة الدولية، العدد 158 (القاهرة ،20004م ) ، ص45.

(51) النص الرسمي لمبادرة الشرق الأوسط الكبير : www.usinfo.state.gov

(52) النص الرسمي لمبادرة الشرق الأوسط الكبير :

www.usinfo.state.gov

(53) علي عبد الصادق، الناتو الشرق الأوسط الكبير، مجلة السياسة الدولية، العدد 163 (القاهرة ، 2006م )، ص ص 160 - 161 .

(54) عاطف الغمري، الشرق الأوسط الكبير، المرجع السابق ، ص223 .

(55) د- كاظم هاشم نعمة، حلف الأطلسي (طرابلس : منشورات أكاديمية الدراسات العليا، 2003م ) ، ص ص254- 257.

(*) للمزيد أنظر الصفحة 200 ومابعدها .

(56) www.nato.int /douc /mediterranean / secopmed-fr-pdf

(57) د- عماد جاد، حلف الأطلسي : مهام جديدة في بيئة أمنية مغايرة ، رسالة دكتوراه منشورة ( القاهرة : مركز الدراسات السياسية و الإستراتيجية ، 1998م ) ، ص 166 .

(58) د- ناظم عبد الواحد الجاسور ، تأثير الخلافات الأمريكية الأوروبية على قضايا الأمة العربية : حقبة ما بعد الحرب الباردة ، المرجع السابق ، 202 .

(59) www.nato.int /douc /pr /1997 /p 97 /-081f . htm

(60) RD.Asmus.FS.Larrabee , I.O.Lesser ,Mediterranean Security : new Challenges New Tasks , nato review ,vol .44.No,3, 1996 .pp .25 -31 .

(61) د- ناظم عبد الواحد الجاسور، تأثير الخلافات الأمريكية الأوروبية على قضايا الأمة العربية : حقبة ما بعد الحرب الباردة ، المرجع السابق ، 195 .

(62) د- ناظم عبد الواحد الجاسور، تأثير الخلافات الأمريكية الأوروبية على قضايا الأمة العربية : حقبة ما بعد الحرب الباردة ، المرجع نفسه ، ص 196.

(63) د- ناظم عبد الواحد الجاسور، تأثير الخلافات الأمريكية الأوروبية على قضايا الأمة العربية: حقبة ما بعد الحرب الباردة ، المرجع نفسه ، ص 261 .

(64) د- كاظم هاشم نعمة، حلف الأطلسي، المرجع السابق ، ص263 .

(65) د- كاظم هاشم نعمة، حلف الأطلسي، المرجع نفسه ، ص ص 264 – 265

(66) F.Setephen Larrabee , Carla Thorson , Mediterranean Security : . New Issues And Challenges in : www.rand.org /pubs / conf / proceedings/cf 122.

(67) www.nato.int / douc / mediterranean /secopmed-fr.pdf

[68] www.nato.int /med-dial –fr . pdf

[69] www.nato.int /med-dial / home .htm

[70] www.nato.int /med-dial / home -fr .htm

[71] www.nato.int /med-dial –fr . pdf

(72) د- كاظم هاشم نعمة، حلف الأطلسي، المرجع السابق ، ص 291 .

(73) د- كاظم هاشم نعمة، حلف الأطلسي، المرجع نفسه ، ص284 .

(74) www.nato.int /med-dial –fr . pdf

[75] www.nato.int / douc / mediterranean /secopmed-fr.pdf

[76] www.nato.int /med-dial –fr . pdf

(77) د- كاظم هاشم نعمة، حلف الأطلسي، المرجع السابق ، ص 299 .

(78) د- كاظم هاشم نعمة، حلف الأطلسي، المرجع نفسه ، ص 297 .

[77] www.nato.int /med-dial –fr . pdf

(80) للمزيد: أنظر ملحق الوثيقة الرسمية لمبادرة إسطمبول .

(81) ياب دي هوب سخيفر، دور الناتو في أمن الخليج في :

www.nato-qatar.com /security /arabic speach 2 /html.

(82) www . nato . int /issues / ici .

(83) عطية عبد العزين، قمة إسطمبول : التوسع الجنوبي للناتو، مجلة السياسة الدولية ، العدد 158 (القاهرة : 2004م ) ، ص 155 .

(84) عطية عبد العزين، قمة إسطمبول : التوسع الجنوبي للناتو، المرجع نفسه ، ص 156 .

(85) www.nato.int / douc /comm /2004 / 06- istamboul / douc-meddial - fr.pdf.

(86) د- كاظم هاشم نعمة، حلف الأطلسي، المرجع السابق ، ص281 .

(87) أشرف محمد كشك، إسرائيل و الناتو : من التعاون إلى الشراكة ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 158 (القاهرة: 2007م ) ، ص 250 .

(88) د- أحمد إبراهيم خليل، الدفاع المشترك الخليجي : محدودية التعاون ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 172(القاهرة :2008م) ، ص 154 .

(89) د- أحمد إبراهيم خليل، الدفاع المشترك الخليجي : محدودية التعاون ، المرجع نفسه ، ص 153 .

(90) www . nato . int /issues / ici .

(91) www . nato . int /issues / ici /index / -f-html

(92) www.nato-qatar .com /security /arabic speach 3 /html.

(*) أقر الحلف سنة 2002م المفهوم الإستراتيجي لمحاربة الإرهاب ، حيث حدد العمليات التي يحتمل أن يقوم بها ، التي صنفها إلى أربع فئات و هي :

أ – الإجراءات الدفاعية لمكافحة الإرهاب .

ب- إدارة نتائج العمليات الإرهابية .

ج- العمليات الهجومية لمكافحة الإرهاب .

د- التعاون العسكري ضد الهجمات غير العسكرية .

(93) www. Globalresearch .ca .

(94) www . kuna / net /new agencies puplic site / article details .aspx ? id = 1944578.

(95) برنامج لقاء اليوم ، قناة الجزيرة ، 15 آب 2008م .

(96) د- حسن أبوطالب وآخرون، التقرير العربي الإستراتيجي 2004- 2005 (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، 2005م ) ، ص 135 .

(97) د- كاظم هاشم نعمة، حلف الأطلسي، المرجع السابق ، ص 275 .

(98) د- كاظم هاشم نعمة، حلف الأطلسي، المرجع السابق ، ص 240 .

(99) د- كاظم هاشم نعمة ، حلف الأطلسي، المرجع السابق ، ص243 .

# الفصل السابع

# مستقبل العلاقة بين الحلف الأطلسي ودول المنطقة

يتم في هذا الفصل دراسة مستقبل العلاقة بين منظمة حلف شمال الأطلسي ودول الضفة الجنوبية للمتوسط، من خلال ثلاثة سيناريوهات هي :

**1- السيناريو المحتمل:** يطرح هذا السيناريو إمكانية تراجع العلاقة بين الحلف وبين دولة أو دول المنطقة .

**2- السيناريو المعياري :** ويفترض أنموذجين للعلاقة بين منظمة حلف شمال الأطلسي ودول الضفة الجنوبية للمتوسط، ، وهما :

**أ-** أنموذج تحول الحلف إلى منظمة للأمن الجماعي .

**ب-** أنموذج الأمن التعاوني .

**3- السيناريو الممكن :** حيث يتم فيه الارتقاء من مستوى الحوار إلى مستوى التعاون والشراكة، وهذه العلاقة تكون محاكاة لمبادرة الشراكة من أجل السلام .

يمكن تصور مسار العلاقة بين منظمة حلف شمال الأطلسي ودول المنطقة من خلال تقنية السيناريو (Scenario ) الذي هو وصف لوضع مستقبلي ممكن أو محتمل أو مرغوب فيه، مع توضيح لملامح المسار أو المسارات التي يمكن أن تؤدي إلى هذا الوضع المستقبلي، وذلك إنطلاقًا من الوضع الراهن، أو من الوضع الابتدائي المفترض . [1]

**ويمكن إبراز هذه التقنية من خلال الأنماط الثلاثة الآتية :**

**أولاً : السيناريو المحتمل :** يطرح هذا السيناريو إمكانية تراجع الحوار والتعاون بين منظمة حلف شمال الأطلسي والدول العربية، الذي يتأثر بالعديد من العوامل **والأسباب منها :**

1- الخلافات الأورو-أمريكية حول تفضيلات الحلف السلمية أو العسكرية في التعامل مع أزمات المنطقة، ومشكلة تحمل الأعباء والنفقات المالية والبشرية للقيام بعمليات خارج نطاق المادة الخامسة من معاهدة واشنطن .

2- زيادة النفوذ الروسي في منطقة المتوسط، واختلاف الحلفاء الأطلسيين في التعامل مع روسيا و دول القوقاز ومنظمة الأمن الجماعي .[*]

3- الدور المحتمل للحلف في عملية فرض الديموقراطية .

4- قيام الحلف بعمليات في دول عربية دون الحصول على موافقة مسبقة من مجلس الأمن .

5- الوصول إلى توافق أمني عربي يؤدي إلى مراجعة مسار التعاون مع الحلف .

6- دخول الحلف كطرف أساسي في الحرب مع إسرائيل ضد دول أو دولة عربية أو حركات سياسية أو عسكرية مثل حزب الله ، حماس ...

7- تركيز الحلف على المجال العملي الذي يثير حفيظة الدول العربية والرأي العام العربي، لأسباب مختلفة منها تجنب الدخول في أحلاف عسكرية،

وارتباط الحلف وأعضائه بالاستعمار، حيث نجد أن الحلف قد شارك ضد حرب التحرير الوطني بالجزائر مع قوات الاحتلال الفرنسي استنادًا إلى المادة السادسة من معاهدة واشنطن، التي تم التخلي عنها فقط يوم 3يوليو 1962م، أي قبل يومين عن الاستقلال .(*)

8- الاختلاف حول العمليات التي ينوي الحلف القيام بها من حيث نطاقها وكيفية توزيع الأعباء والأدوار فيها و حدودها وأهدافها السياسية .

9- ظهور تحول داخلي بالدول العربية ( انتخاب أو انقلاب) يرى ضرورة مراجعة العلاقات القائمة مع الحلف أو التخلي عنها .

غير أن هذه الأسباب تتراجع أمام بعض الحجج منها :

1- منذ مطلع التسعينيات، فقد أثبت الحلف أنه الرابطة عبر الأطلسية التي لا يسهل الاستغناء عنها، رغم التحديات والتحولات التي يواجهها.

2- انحسار الدور الروسي الحالي ومحدوديته، بالمقارنة مع ما كان يمثله الاتحاد السوفياتي سابقًا، رغم تعاظمه .

3- تراجع طرح فرض الديموقراطية على الدول العربية بالقوة بفضل مقاومة شعوب المنطقة، وبالذات المقاومة العراقية للاحتلال الأمريكي، وتأثير الحليف الأوروبي على وجهة النظر الأمريكية، وتردي الوضع الاقتصادي الأمريكي (أزمة الرهون العقارية، الأزمة المالية، البطالة، التضخم...) وانخفاض شعبية بوش والجمهوريين الذين خسروا الأغلبية في مجلس الشيوخ والكونغرس ورئاسة الدولة.

4- تطور العلاقة القائمة بين الحلف والدول العربية من مستوى الحوار إلى مستوى الشراكة والتعاون، وهو ما يمثل نقلة نوعية في مجالات الشراكة وتوثيق لآليات التعاون ونضمام دول عربية جديدة للحوار مع الحلف، مثل السلطة الفلسطينية التي لم تستبعدها قمة إسطمبول من إمكانية إقامة مشاركة مستقبلية

معها، وذلك بعد مصادقة مجلس شمال الأطلسي، كما كانت اتصالات عديدة بين الحلف والسلطة الفلسطينية لتقصي المعلومات وذلك منذ مارس2005م .

**ثانيًا : السيناريو المعياري**(*) : يتحدد هذا السيناريو من خلال أنموذجين منفصلين لتتبع تطور العلاقة بين منظمة حلف شمال الأطلسي والدول العربية وهما:

**1- أنموذج منظمة الأمن الجماعي :** يقوم على تصور إمكانية اكتساب دول الحوار المتوسطي- الأطلسي أو الدول المشاركة في مبادرة إسطمبول للتعاون عضوية الحلف، وهذا ما يؤدي إلى تغيير منظمة حلف الأطلسي القائمة على مبدأ الدفاع الجماعي إلى منظمة للأمن الجماعي .

فالهدف من الحلف والحوار يكاد يكون واحدًا باعتبار أن الأمن هو مطلب لدول حلف الأطلسي أكثر مما هو لدول المتوسط غير الأطلسية التي لا ترى في حوارها مع الحلف وسيلة للقيام بدور عالمي، بقدر ما هو حاجة إلى أمن وطني أو أمن إقليمي كحد أقصى، أما حلف الأطلسي فهو بأمر الواقع منظمة للأمن والدفاع ذات رؤية و طموحات عالمية، التي تأكدت أكثر منذ انهيار الاتحاد السوفياتي .

ومن هنا يتوجب على الحلف البدأ في عملية تعريف الملامح الجغرافية للتحالف، وبالتالي فإن من شأنه إقرار مبدأ إستراتيجي وأجندة عملية جديدة لتحقيق كفاءة عالية في حشد القدرات والموارد وتعديلها، بحيث تتوافق مع أهداف واحتياجات معينة على أساس عالمي بدلاً من الأساس الضيق المرتبط بالنطاق الأطلسي، وعندما تحدث عملية إعادة الترتيب العسكري فإن فكرة العضوية والشراكة سوف تتخذ شكلاً ومعنى جديدين .(2)

**وهنا نميز بين الدول العربية وإسرائيل في احتمالات الحصول على عضوية الحلف كالآتي :**

**أ - الدول العربية :** من هذا المنطلق البراغماتي هناك ضرورة إستراتيجية للمزيد من التعاون والاندماج مع دول المنطقة التي أصبحت ضمن النطاق العملياتي للحلف، ومن غير المستبعد ضم عدد من دول المنطقة الفاعلة وذات قيمة مضافة لحلف الأطلسي مثل مصر والجزائر والمغرب... باعتبار أنها تمتلك فائض في القوة البشرية والعسكرية، وكونها أيضًا دولاً عربية وإسلامية وهو ما يسهل مهام الحلف بالمنطقة مثل مهام حفظ السلام في العراق وأفغانستان(3)، كما أنها تساهم في الأعباء والنفقات المالية المترتبة عن تلك المهام، كما تتميز بقربها من مناطق الأزمات، وهو ما يسهل من مشاكل الدعم اللوجستي، واستخدامها للانطلاق في العمليات العسكرية ضد مصادر التهديد .

**ب- إسرائيل**: بعد الإعلان عن مبادرة إسطمبول وإنضمام كل من الكويت وقطروالبحرين والإمارات، تم إثارة جدل واسع حول إمكانية انضمام إسرائيل للحلف، حيث هناك علاقة مميزة بينهما، وتتمثل في :

- مشاركة إسرائيل في مناورات الحلف البحرية مثل تلك التي أجراها في البحر الأسود، وتدريب مشاة الحلف بأوكرانيا، كما شاركت فرقاطة إسرائيلية في تدريبات للقيام بمهام انقاذ بحرية في إطار مناورة تعاونية ماكو قبالة سواحل رومانيا .
- وضع وحدة البحث والانقاذ الإسرائيلية تحت تصرف الحلف في حالة الطوارئ المدنية .
- عقد اتفاق بين إسرائيل والحلف يتعلق بأشكال إسهام إسرائيل في العمليات البحرية التي يقوم بها الحلف في محاربة الإرهاب بعرض البحر(4).

- في16أكتوبر2006م، أبرمت إسرائيل اتفاق تعاون فردي مع الحلف ، هو أول برنامج يقترحه الحلف على دولة خارج مجال الأورو- أطلسي .

كما تشترك إسرائيل مع الحلف في تحديات مشتركة ، منها:

- الإسلام الراديكالي.
- الإرهاب العالمي.
- انتشار أسلحة الدمار الشامل(5).

كما يحضى مشروع ضم إسرائيل لعضوية الحلف بدعم أمينه العام وكبار مساعديه والعديد من الشخصيات الأوروبية، ومنها رئيس الوزراء الإسباني السابق خوسيه ماريا أزنار، الذي دعى إلى تشكيل مظلة أطلسية للردع والدفاع عن أمن إسرائيل.

فانضمام إسرائيل للحلف يحقق العديد من المكاسب للجانب الأوروبي والأمريكي والإسرائيلي، يمكن اختصارها في :

**1-1- الجانب الأوروبي** : من وجهة النظر الإسرائيلية فإن انضمام إسرائيل للحلف يحقق للأوربيين عددا من المكاسب منها:

أ- انتقال الاتحاد الأوروبي من الأدوار الهامشية إلى الأدوار الأساسية في أي تسوية سلمية.

ب - تدعيم العلاقات الاقتصادية المتقدمة القائمة مع إسرائيل بإقامة شراكة إستراتيجية وسياسية، من خلال مؤسسة حلف شمال الأطلسي(6) .

ج - اكتساب حليف إسترتيجي ذو ثقافة غربية في بيئة شرق أوسطية معادية.

**1-2- الجانب الأمريكي:** يحقق انضمام إسرائيل للحلف العديد من المكاسب للولايات المتحدة الأمريكية، ويمكن اختصارها في:

أ - ضمان أمن إسرائيل وتوثيق روابطها مع الغرب .

ب - تضييق الخلافات مع حلفائها حول كيفية التعامل مع إسرائيل وخاصة الأوروبيون منهم .

ج- التقليل من تأثير الطرف العربي على مواقف الأوروبيين تجاه قضية الصراع العربي الإسرائيلي، الذي بدوره ينعكس سلبًا على العلاقات الأورو - أطلسية(7) .

د – انتهاج سياسة غربية موحدة تجاه إسرائيل .

1- 3- **الجانب الإسرائيلي**: هناك اتجاه قوي داخل إسرائيل داعم لفكرة انضمام إسرائيل إلى حلف الأطلسي، وذلك لتحقيق الأهداف الآتية :

أ - **الأهداف السياسية :** وتتمثل في :

– ترقية العلاقات مع الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة باعتبارهما يمتلكان إستراتيجية تجاه المنطقة لإعادة تشكيلها، وهنا يجب التعامل الإيجابي معها، لأنها تدمجها في الإقليم (مشاريع الشرق أوسطية والأورو- متوسطية ...).

- كسب مواقف الاتحاد الأوروبي بخصوص تسوية الصراع العربي- الإسرائيلي .

– إنهاء العزلة السياسية والدبلوماسية الدولية التي تعاني منها إسرائيل .

– تنويع الحلفاء الدوليين في مواجهة الكراهية الإقليمية لدولة إسرائيل .(8)

**ب – الأهداف العسكرية :** في حالة انضمام إسرائيل لحلف الأطلسي، فإنها تحقق المكاسب العسكرية الآتية :

- تعزيز مكانتها العسكرية المتفوقة إقليميًا ودوليًا .

– المحافظة على استمرارية العلاقات الإستراتيجية مع الحلف وبالذات مع الولايات المتحدة الأمريكية .

– توفير مظلة أطلسية تمثل عنصر ردع إضافي في أي مواجهة محتملة .

**غير أن هذا السيناريو، هو محل انتقاد، وذلك للنقائص الآتية :**

**2-1- على مستوى الدول العربية** : رغم العلاقات المتقدمة للكثير من الدول العربية مع الحلف، إلا أن انضمامها للحلف أمر مستبعد على الأقل في اللحظة الراهنة، وذلك راجع إلى:

أ- عدم حل القضية الفلسطينية.

ب- عدم ترسيم إسرائيل للحدود مع الدول العربية .

ج- رفض الدول العربية "المرشحة" فكرة الأحلاف تقليديًا، وهو المبدأ الذي استمرت عليه منذ الخمسينيات(9) .

2- 2-**على المستوى الإسرائيلي** : هناك قطاع واسع من الخبراء والسياسيين الإسرائيليين يعارضون فكرة الانضمام، ومن منطلقات مختلفة منها :

أ- الاعتماد على القدرات الذاتية في الدفاع عن أمن إسرائيل .

ب - ترجيح العلاقات الثنائية على حساب العلاقات الجماعية في السياسة الخارجية الإسرائيلية .

ج- تقييد حرية إسرائيل في استخدام القوة، حيث يضع الحلف شروطاً صارمة لذلك، بحيث يجب استشارة جميع الحلفاء الذين قد يعارضون ذلك .

د- عدم التوصل إلى حل سلمي للصراع العربي - الإسرائيلي، إذ يشترط في عضوية الحلف أن لا تكون الدولة المرشحة في حالة حرب أو صراع .

ذ- عدم ترسيم حدود إسرائيل حيث يشترط في العضوية أن توضع الحدود بشكل سلمي .

ر - مشكلة الأقليات المضطهدة داخل إسرائيل .

ز- في حالة العضوية تصبح إسرائيل ملزمة بالدفاع الجماعي عن دول الحلف، حيث قد تضطر إلى إرسال قوات بعيدة عن اهتمامها المباشر(10) .

س- التشكك في جدية التزام دول الحلف بتقديم مساعدة لإسرائيل في حالة تعرض مصالحها الحيوية والأمنية للتهديد، إذ هناك العديد من الحجج الرسمية والقانونية التي تُمَّكن دول الحلف من المراوغة والتماطل في تقديم المساعدة، ويتوقف ذلك على عوامل متعددة، وحتى التوصول إلى قرار ملزم بإرسال المساعدة يتطلب وقتاُ قد تصبح فيه هذه المساعدة لا معنى لها .

ش - التخوف من تراجع الدور الأمريكي الداعم للإسرائيل في عملية السلام .

ص- التخوف من زيادة الضغوط الدولية على إسرائيل للتخلي عن برنامجها النووي، إذ بعد اكتساب العضوية لن يبقى هناك مبرر لامتلاك إسرائيل للأسلحة النووية في ظل جهود نزع أسلحة الدمار الشامل من المنطقة بما فيها إسرائيل (11).

ض - إن فتح باب العضوية وتوسيع نطاق الدفاع الجماعي إلى قوس الأزمات الجنوبي سيحول الحلف إلى مبدأ الأمن الجماعي، بدلاً للدفاع الجماعي الذي نصت عليه اتفاقية واشنطن، وعندها سيصبح الحلف نظامًا عالميًا للأمن ينافس نظام الأمن الجماعي الذي قامت عليه الأمم المتحدة وليس مكملاً له .

**2- أنموذج الأمن التعاوني** : يقوم هذا الأنموذج على عدم إقصاء أواستبعاد أحد من الترتيبات الأمنية بالمنطقة، وباعتبار الأمن كلاٌ لا يتجزء فإنه يشمل حتى إيران والقوى المشايعة لها مهما اختلفت المصالح والإيديولوجيات والسياسات(12) . فالأمن التعاوني لا يستهدف أي طرف باعتباره مصدر تهديد، بل يهدف إلى إيجاد أبعاد مشتركة للأمن، وهو بديل عن نظام التوازن الإستراتيجي لتحقيق الأمن، الذي يقصر مسبقًا أبعاد الأمن في جانبه العسكري، وتكون أطرفه متضادة منذ البداية. ومثلما يكون الأمن التعاوني غاية، فإنه أيضًا يمكن أن يكون وسيلة لأن يصبح فضاء المتوسط مؤهلاً لإرساء الأمن والاستقرار والوصول إلى قواسم مشتركة في مجالات :

أ- مكافحة الإرهاب.

ب- سباق التسلح النووي .

ج- أمن الطاقة .

د- محاربة التهريب وتجارة المخدرات .

ذ - الالتزام بحل النزاعات بالطرق السلمية .

غير أن هذا الأنموذج تعترضه العديد من العقبات الموضوعية منها :

أ- عدم التحاق جميع دول المنطقة بالحوار المتوسطي-الأطلسي أو بمبادرة إسطمبول للتعاون .

ب - سياسة الاحتواء المزدوج التي كانت مطبقة ضد العراق و إيران .

ج - الاحتلال الأمريكي للعراق وسعي بوش إلى فرض مشروع الشرق الأوسط الكبير بالقوة .

د - قضية الصراع العربي - الإسرائيلي والحل العادل للقضية الفلسطينية .

ذ- اختلال التوازن الإستراتيجي في المنطقة لصالح إسرائيل .

ر- فشل مساعي نزع أسلحة الدمار الشامل بالمنطقة بسبب امتلاك إسرائيل الحصري لها، وهو ما يمثل تهديد لأمن المنطقة .

ز- سياسة المحاور والمحاور المضادة التي ظهرت جليًا منذ حرب يوليو 2006م .

**ثالثاً : السيناريو الممكن :** يقوم هذا السيناريو على أن العلاقة القائمة بين منظمة حلف شمال الأطلسي ودول المنطقة تتجه نحو نمط مشابه لبرنامج الشراكة من أجل السلام بين الحلف ودول شرق ووسط أوروبا الذي أطلق منذ عام 1994م، خصوصًا بعد تطوير الحوار الأطلسي- المتوسطي إلى مستوى الشراكة- التعاون، وإعلان مبادرة إسطمبول للتعاون مع دول الشرق الأوسط الموسع، وبالذات مع دول مجلس التعاون الخليجي. (12)

**وهنا نلاحظ تشابه في مجالات التعاون- حيث يتم التركيز على التعاون العملي بين الجانبين- وتتمثل في النقاط الآتية:**

1- التعاون العسكري- العسكري للوصول إلى تآلف العمليات من خلال التدريبات والمناورات المشتركة .

2- تقديم الحلف لاستشارة في قطاعات التخطيط الدفاعي والعلاقات المدنية- العسكرية وإصلاحات الدفاع، حيث أطلق الحلف مبادرة في مجال الإصلاح الدفاعي .

3- مكافحة الإرهاب .

4- تبادل المعلومات .

5- مواجهة تهديدات انتشار أسلحة الدمار الشامل ووسائط إيصالها .

6- التعاون في مجال أمن الحدود .

7- محاربة الجريمة المنظمة المتخطية للحدود والتهريب وتجارة المخدرات والأسلحة غير المشروعة .

**ويمكن** أن تتطور مجالات التعاون لتشمل :

1- إنشاء قوة مشتركة قادرة على القيام بمهام حفظ السلام وإدارة الأزمات ومنع الصراعات والعمليات الإنسانية .

2- إنشاء قواعد عسكرية للحلف في دول المنطقة .

3- المساهمة المتبادلة في مواجهة أي تهديدات الأمن الوطني لأي من دول الحلف ودول المشاركة، وهذا يتطلب الآتي :

أ- تحقيق المزيد من الشفافية في تخطيط الدفاع والميزانية العسكرية .

ب- تأكيد السيطرة المدنية على القوات المسلحة .

غير أن هذا السيناريو هو محل انتقاد بسبب تأثيره السلبي على أمن الدول العربية، وتتلخص هذه المخاوف في النقاط الآتية :

1- إن بقــاء دول عربيــة (ســوريا، ليبيــا، الســودان) أو شــرق أوســطية (إيران)خارج إطار الحوار- الشراكة أو مبادرة إسطمبول قد تكون هدف للدفاع الجماعي الذي يسعى إليه الحلف، باعتبارها تهديداً للأمن والاستقرار .

2- رغم توسيع الحلف في وسط وشرق أوروبا وسياسة الشراكة مع روسيا وأوكرانيا، فإن بيئة الأمن المتوسطية والشرق أوسطية هي الأكثر احتمالاً لمهام حلف الأطلسي بسبب غياب دور مماثل لقوة روسيا بالمنطقة، حيث يكون الخيار العسكري هو البديل الأول بسبب وجود قوات أمريكية (الأسطول السادس) وأطلسية وأوربية بالمتوسط جاهزة للتدخل، بالإضافة إلى التسهيلات التي تقدمها دول الشراكة الأطلسية - المتوسطية أو دول مبادرة إسطمبول، وهنا تكون الضغوط العسكرية مرجحة على البدائل السياسية والاقتصادية. (13)

3- إن تطورعملية الشراكة قد ترجح لدى المشاركة فيها خيار الشراكة مع الحلف على حساب خيارات العلاقات العربية - العربية في قضايا الأمن .

4- إن عملية الشراكة في حد ذاتها محفز على التدخل من خلال:

أ- توفير أوضاع سياسية إيجابية للتدخل من خلال إقامة حوار مع أطراف غير متوسطية تضمن حدوث انقسام داخل التجمعات والمنظمات الإقليمية تجاه عملية التدخل .

ب- تخفيض التكلفة المالية لعمليات التدخل من خلال مساهمة الدول المشاركة في تحمل الأعباء المالية، بالاضافة إلى تقديم الدعم اللوجستي والإمداد واستخدام أصولها العسكرية ...

د- الوصول إلى أوضاع وعلاقات عسكرية مع دول الحوار تجعلها مهيئة لعمليات التدخل من خلال إعادة التأهيل والإصلاح الدفاعي وبرامج التدريب المشتركة للوصول إلى قابلية التشغيل المتبادلة .

ذ- تأمين إمكانية الاحتواء المبكر للأزمات من خلال تقليص فترة الدخول في العمليات   أوالتزود بإمدادات من المخزون المحلي عندما تبدأ عملية التدخل .

ر- توفير العنصر البشري الكفيل باستمرار العمليات وخفض الكلفة البشرية في ظل محدودية العمليات الجراحية العسكرية والضرابات الجوية التي تقوم على التفوق اللوجستي(14)، أين يتوجب نشر قوات برية التي ستواجه مقاومة من طرف القوات المحلية، وهنا يتم إقحام قوات دول الحوار لتحمل الأعباء المباشرة ميدانيًا، حيث أثبتت حرب كوسوفو أن الحلف لم يتجرأ على بدأ تنفيذ عمليات برية إلا بعد تحييد القوة الصربية العسكرية، وبالأخص منها القوات البرية بعدما امتنعت القوى الإقليمية عن تقديم قوات بشرية كبيرة للقيام بالعمليات العسكرية ضد القوات الصربية، ومستقبلاً سيكون دور الحلف أساسيًا في التمويل بالمعدات والاحتياجات اللوجستية والدعم المالي والمعلومات في عملياته بالمنطقة .

5- التخوف من تحول شمال أفريقيا إلى منصة محورية لإعادة إطلاق الطروحات الماكيندرية الجديدة ليصبح الفضاء الإفريقي والعربي مكشوفًا أمام الآلة العسكرية الأولى في العالم.

غيرأن هذا السيناريو هو الأكثر ترجيحًا باعتبار أن الحلف يسعى إلى الارتقاء بالحوار الأطلسي إلى صيغة الشراكة، تكون مشابهة لنسخة الشراكة من أجل السلام، كما أن مبادرة إسطمبول للتعاون هي على نفس مستوى الشراكة الأطلسية -المتوسطية، بالاضافة إلى أن  هذه الصيغة مقبولة لدى العديد من الدول العربية، حيث انضمت كل من الكويت والبحرين وقطر والإمارات إلى مبادرة إسطمبول، كما تم عقد الكثير من الاتفاقيات بين دول عربية والحلف، حيث وقعت الكويت والحلف اتفاقية أمنية، تتعلق بتبادل المعلومات وذلك في 13ديسمبر 2006م، كما وقعت البحرين مع الحلف إتفاقية أمن المعلومات، لتنظيم تبادل المعلومات المتعلقة بالأمن والدفاع ومكافحة الإرهاب، وذلك في 25 إبريل 2008م ...(118) .

**هوامش الفصل السابع :**

[1] إبـراهيم العيسـوي، بحـث في مفهـوم السـيناريوهات و طـرق بنائهـا، في مشـروع مصـر 2020، الورقـة 1 (القـاهرة : منتـدى العـالم الثالـث ، مكتـب الشـرق الأوسط ، 1998م ) ، ص 7 .

(*) هي منظمة أمنية إقليمية تضم كل من : أرمينيا، بيلاروسيا، كازاخستان، قيرغيزستان، أوزبكستان، طاجيكستان، ورسيا .

(*) للمزيد راجع الملحق المتعلق بنص البند السادس من معاهدة واشنطن .

(**) يقـوم هـذا السـيناريو علـى مـا يسـمى في الدراسـات النفسـية بـالتفكر الرغبوي Thinking Wishful ، حيث يقوم الباحث بوضع متغيرات يفترض مسبقاً بأنها ستؤدي إلى تداعيات ونتائج يريدها هو دون غيرها، فهو مرتبط بتوجهات صـاحبه، إلا أنـه يسـاعد علـى التخطـيط الإسـتراتيجي ومعرفـة كيفيـة الوصـول إلى النتائج المرجوة . نقلاً عن :

د- وليد عبد الحي، مناهج الدراسات المستقبلية وتطبيقاتها في العالم العربي ، (أبوظبي : مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ،2007م ) ، ص 21 .

[2] أشرف محمد كشك، إسرائيل و الناتو : من التعاون إلى الشراكة ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 168 (القاهرة: 2007م ) ، ص 252 .

[3] عطية عبد العزيز، قمة إسطمبول : التوسع الجنوبي للناتو، مجلة السياسة الدولية، العدد 158 (القاهرة : 2004م ) ، ص 157 .

[4] أشرف محمد كشك، إسرائيل و الناتو : من التعاون إلى الشراكة، المرجع السابق ، ص 251 .

[5] أشرف محمد كشك، إسرائيل والناتو : من التعاون إلى الشراكة ، المرجع نفسه ، ص 249 [6] شريف بدران ، هل تنتمي إسرائيل إلى الاتحاد الأوروبي و الناتو ؟ ، قراءات إستراتيجية ( القاهرة : مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ، 2005م )، عرض لمقال :

Ronald .D. Asmus and Bruce .P.Jackson , Does Israel Belong in EU and NATO ? Policy Review ,No .129 , February – March 2005 .

(7) شريف بدران، هل تنتمي إسرائيل إلى الاتحاد الأوروبي والناتو ؟، المرجع السابق ، ص 34 .

(8) شريف بدران ، هل تنتمي إسرائيل إلى الاتحاد الأوروبي والناتو ؟، المرجع نفسه، ص 33.

(9) د- محمد السيد سعيد، الشرق الأوسط وعودة سياسات المحاور والأحلاف، مجلة السياسة الدولية، العدد 168 (القاهرة : 2007م ) ، ص 68 .

(10) أشرف محمد كشك، إسرائيل والناتو: من التعاون إلى الشراكة، المرجع السابق، ص251. (11) أشرف محمد كشك، إسرائيل والناتو: من التعاون إلى الشراكة، المرجع نفسه، ص 251.

(12) د- محمد السيد سعيد، الشرق الأوسط وعودة سياسات المحاور والأحلاف، المرجع السابق ، ص 77 .

(13) د- كاظم هاشم نعمة، حلف الأطلسي (طرابلس : منشورات أكاديمية الدراسات العليا، 2003م )، ص 330.

(14) د- كاظم هاشم نعمة، حلف الأطلسي، المرجع نفسه، ص 333 .

(*) الماكندرية الجديدة هي أطروحة إستراتيجية ترى أن دور الولايات المتحدة كقوة عظمى يتمثل في منع قيام قوة مناهضة لها في البر الأوروبي (روسيا وألمانيا ...) ومزاحمتها في مناطق نفوذها حول العالم، ولايكون ذلك عبر الوجود العسكري المباشر، و إنما بطريقة غير مباشرة عسكرياً وسياسياً واقتصادياً، مثل التفاهمات والحماية المباشرة كما هو الوضع مع دول الخليج ، ومنظمة التجارة العالمية وصندوق النقد الدولي ...

(15) www . ar . rian . ru /policy / forgeign / 2008 425 / html

## الخاتمة :

بعد سقوط الاتحاد السوفياتي وتغير النظام الدولي، سعى الحلف إلى إحداث مجموعة من التغيرات على بنيتة وعقيدته العسكرية من خلال صياغة المفهوم الإستراتيجي وإنشاء قوة المهام المجمعة المشتركة وتوسيع عضوية الحلف وصياغة المفهوم الإستراتيجي الجديد وإنشاء قوة التدخل السريع، بما يتلائم مع تحديات البيئة الأمنية الجديدة ودور الحلف المستقبلي في النظام الدولي، حيث تم إقامة سلسلة من برامج الشراكة مع دول وسط أوروبا و شرقها وروسيا، وهو ما تجسد في تشكيل مجلس تعاون شمال الأطلسي والشراكة من أجل السلام، والإعلان عن الوثيقة التأسيسية مع روسيا التي تعززت أكثر بإنشاء مجلس الأطلسي- روسيا ثم إقامة مجلس الأطلسي – أوكرانيا ...

وبعد تأسيس الاتحاد الأوروبي، سعت دوله المتوسطية إلى الاضطلاع بالمسؤولية الأمنية في الفضاء المتوسطي من خلال مشروع الشراكة الأورو- متوسطية واستحداث قوات الأوروكور والأوروفور، فضلاً عن اتحاد غرب أوروبا الذي أدمج في مؤسسات الاتحاد الأوروبي، وبعد حروب البلقان ثم التوصل إلى سياسة أمن ودفاع أوربية مستقلة، ولكن دون أن تنفصل عن حلف الأطلسي بسبب محدودية القدرات الأوروبية مقارنة مع قدرات الولايات المتحدة، التي اتضحت أكثر، خصوصًا بعد حرب كوسوفو، بالإضافة إلى اعتراض الحلف والولايات المتحدة والاتجاه الأطلسي داخل الاتحاد الأوروبي على أي دور أوروبي منفصل، حيث تم التوصل إلى صيغة توفيقية تمثلت في اتفاق برلين زائد و ما بعدها، كما سعت الولايات المتحدة إلى تأكيد السيطرة الأطلسية على الأمن الأوروبي - المتوسطي عبر وجودها العسكري البحري بالبحر المتوسط المتمثل في الأسطول السادس، وإصرارها على تولي القيادة الجنوبية للحلف رغم المعارضة الفرنسية المستمرة، وكذا دمج شمال أفريقيا مع

الشرق الأوسط لتكون ضمن المجال الحيوي الإستراتيجي الأمريكي، من خلال مشروع الشرق أوسطية وإقامة حوار أطلسي- متوسطي في القوس الجنوبي للأزمات يضم حالياً كل من الأردن، إسرائيل، مصر، تونس، الجزائر، المغرب وموريتانيا، وتدعم هذا المسار خصوصًا بعد قمة الحلف بإسطمبول سنة 2004م، حيث تم الانتقال من الحوار- التعاون إلى صيغة الشراكة - التعاون، كما أعلن أيضًا عن مبادرة إسطمبول للتعاون تجاه دول الشرق الأوسط، وبخاصة دول مجلس التعاون الخليجي، حيث انضمت إليها كل من الكويت والبحرين وقطر والإمارات، كما شهدت هذه الفترة العديد من مبادرات الغربية للإصلاح في الدول العربية، التي تكثفت منذ هجمات11سبتمبر2001م، التي من بينها مبادرة الشرق الأوسط الكبير، التي حاولت فرض هذه الإصلاح من الخارج بالقوة، بالاضافة إلى سعي الولايات المتحدة إلى إيجاد دور لحلف الأطلسي في تنفيذ هذه الإصلاحات، وهو ما أثار حفيظة دول المنطقة .

وبهذا فإن الأمن الأطلسي المتحور بأوروبا الغربية قد أوجد إمتدادات له في الشرق والجنوب، فانتقل من مستوى الأمن الجزئي- الإقليمي إلى مستوى الأمن الكلي- العالمي .

**النتائج والتوصيات** :

**أولا: النتــائج** : تأكـد الدراسـةعلى أن النظـام الأمـني الـدولي هـو أقـرب إلى النظريات العقلانية، وهذا للأسباب الآتية :

1- **الأسباب الإقليمية** : ونذكر منها :

أ- انشـاء الاتحـاد الأوروبـي و حلـف الأطلسـي قـوة تـدخل سـريع في منـاطق الأزمات التي من بينها الدول العربية .

ب- تطبيـق الولايـات المتحـدة مبـدأ الحـرب الإسـتباقية علـى العـراق بسـبب الشك في نوايا النظام العراقي السابق بامتلاكه أسلحة الدمار الشامل ونشر الحرية والديموقراطية والليبرالية وحقوق الإنسان بالقوة، وإعادة بناء هذه الدول الفاشلة...

ج- إعمال مبادئ المذهب المؤسسي الليبرالي في ضم دول غير ليبيرالية مثل دول شرق وسط أوروبا إلى حلف الأطلسي والاتحاد الأوروبي، بعد أن أثبتت أهليتها الليبرالية، وكذا تطبيق الاشتراطية على دول جنوب المتوسط مثل سياسة الجوار الجديد، التي أعلن عنها الاتحاد الأوروبي تجاه الدول العربية .

د - ضـعف التعـاون العسـكري العربـي- العربـي بسـبب الاعتمـاد المفـرط علىالـذات، وفشـل تجـارب التعـاون العسـكري العربيـة المشـتركة، مثـل قـوة درع الجزيرة، والغموض في ما يتعلق بانشاء قوة شمال إفريقيا لحفظ السلام والاستقرار وانعدام تجارب التصنيع العسكري المشترك...

ذ - بقاء الحرب كمعلم أساسي من معالم السياسة في الشرق الأوسط (حرب الخليج الأولى والثانية واحتلال العراق وحرب يوليو 2006م....)

2- **الأسباب العالمية** : وتتمثل هذه الأسباب في النقاط الآتية :

أ- فوضوية بناء النظام الدولي (غياب سلطة فوق قومية).

ب- استمرار الدولة كفاعل أساسي في النسق الدولي.

ج- بقاء حلف شمال الأطلسي الذي يعتبر من تراث الحرب الباردة، الذي حقق استمراره من خلال تطويره للعديد من المقاربات الأمنية والنظرية التقليدية، وهو ما جعل منه – بالاضافة إلى بعده الأمني العسكري – مؤسسة سياسية عالمية .

د- إن اقصاء روسيا سيكون حالة من حالات الحرب الباردة، وهذا ما يسمح باستمرارية مبدأ الدفاع الجماعي، الذي يقوم عليه الحلف، لكن إقامة شراكة معها ستنقل تلك العلاقات من حال الصراع، الذي كان سائدًا إلى حالة التعاون.

ذ- استمرار التنافس الأمني بين الدول، وهو ما يزيد من احتمالات قيام الحرب .

ر- رغم وجود تعاون بين الدول، إلا أن هذا لا يلغي التنافس الأمني القائم .

ز- العودة القوية للبعد العسكري في العلاقات الدولية على حساب الأبعاد الأخرى، خصوصًا بعد هجمات11 سبتمبر2001م.

**ثانياً : التوصيات** : خلصت الدراسة إلى التوصيات الآتية :

1- الاهتمام بتطوير الدراسات النظرية المتعلقة بالنظرية البنائية بهدف الوصول إلى نظرية عامة في العلاقات الدولية، وتطوير البعد الأمني منها .

2- انشاء منتدى إقليمي للأمن الإنساني في إطار الجامعة العربية للارتقاء بحقوق الإنسان والحؤول دون إعمال التدخل الانساني في المنطقة العربية.

3- المشاركة العربية الفاعلة في أنشطة لجنة الأمن الانساني وصندوق الأمن الانساني التابع للأمم المتحدة .

4- انشاء قوة بحرية عربية يشمل مجالها العملياتي البحر المتوسط والبحر الأحمر وبحر العرب، وتشرف على أمن مضيق هرمز و باب المندب وجبل طارق .

5- تفعيل مبادرة تشكيل قوة شمال أفريقيا لحفظ السلام التي تم الاعلان عنها بعد اجتماع وزراء دفاع مصر، ليبيا ، تونس والجزائر منذ يوليو 2006م، وتوسيع

عضويتها ومجال اختصاصها لتشمل منع النزاعات و إدارة الأزمات وحفظ السلام .

6- الحل العادل للصراع العربي الإسرائيلي والقضية الفلسطينية والاحتلال الأمريكي للعراق، كشروط ضرورية لتقدم الحوار الأطلسي – المتوسطي .

7- الاستفادة من مختلف البرامج التي يقدمها الحلف وخاصة منها المتعلقة بتطوير أنظمة المعلومات .

8- تكوين مجموعة عمل قارة مكونة من حلف الأطلسي والاتحاد الأوروبي والجامعة العربية تتولى مهمة التنسيق والتكامل بين مسار بارشلونة والحوار الأطلسي- المتوسطي .

9- يتعين على دول الحلف مستقبلاً أن تعبر عن أهدافها الإستراتيجية والعسكرية في منطقة حوض المتوسط، وأن تثبتها كتابياً بالاتفاق مع بلدان الحوار في شكل وثيقة أساسية، ذلك أن الحوار الأطلسي- المتوسطي يفتقر إلى وثيقة أساسية مؤطرة مثل تلك التي توجد بالنسبة لمبادرة الشراكة من أجل السلام .

**الملخص :**

بعد نهاية الحرب الباردة ظهرت العديد من نظريات العلاقات الدولية التي حاولت توصيف واقع النظام الدولي، كما ظهرت أيضاً العديد من الدراسات الأمنية التي سعت إلى ايجاد عالم أكثر أمناً واستقراراً. وواجه حلف الأطلسي تحدٍ يتعلق بقائه واستمراره، وبناءًا عليه أحدث مجموعة من التغييرات للتكيف مع بيئته الأمنية الجديدة شملت هيكله التنظيمي ومفهومه الإستراتيجي وزيادة عدد أعضائه وتوسيع مجال عملياته خارج نطاقه الأورو- أطلسي وإقامة علاقة تكاملية مع الاتحاد الأوروبي، ثم إنشاءه لقوة التدخل السريع وسماحه لمشاركة دول من خارج الحلف فيها وخاصةً في مجالات الأمن الناعم...واطلق جملة من المبادرات في محيطه الإستراتيجي وفي مناطق قوسي الأزمات، تمثلت في برنامج الشراكة من أجل السلام ومجلس الشراكة الأطلسية – الأوروبية ومجلس روسيا – الأطلسي ومجلس الأطلسي- أوكرانيا...وإقامة الحوار الأطلسي المتوسطي، ثم الاعلان عن مبادرة إسطمبول للتعاون مع إسرائيل والدول العربية لمواجهة تهديدات متعلقة بالإرهاب وانتشار أسلحة الدمار الشامل وأمن الطاقة ...ويأمل أن تكونان على شاكلة الشراكة من أجل السلام .

## الملاحق

## الملحق رقم (1) : معاهدة حلف شمال الأطلسي

## واشنطن [4 أبريل 1949] :

تؤكد أطراف المعاهدة إيمانها بأهداف ومبادئ ميثاق الأمم التحدة ، ورغبتها في العيش في سلام مع كافة الشعوب و الحكومات .

وتؤكد الأطراف إصرارها على حماية الحريات والتراث والحضارة المشتركة لشعوبها، والقائمة على مبادئ الديموقراطية والحرية الفردية وحكم القانون .

كما تسعى لترسيخ الاستقرار والرفاهية لمنطقة شمال الأطلسي .

وتصر على توحيد جهودها من أجل الدفاع الجماعي و الحفاظ على السلام والأمن .

لذا فإنها توفق على معاهدة حلف شمال الأطلسي .

**البند الأول :**

تتعهد الأطراف – كما جاء في ميثاق الأمم المتحدة – بتسوية أية نزاعات دولية تكون طرفاً فيها، بالوسائل السلمية بحيث لا يتعرض السلام والأمن والعدالة الدولية للخطر، وكذلك تجنب اللجوء للتهديد باستخدام القوة في علاقاتها الدولية بأية صورة لاتتفق مع أهداف الأمم المتحدة.

**البند الثاني :**

سوف تسهم الأطراف في المزيد من تنمية العلاقات الدولية السلمية، وذلك بتدعيم مؤسساتها الحرة، وتحقيق فهم أفضل للمبادئ التي تقوم عليها هذه المؤسسات، وبتشجيع الظروف التي تتيح الاستقرار والرفاهية وسوف تسعى لإنهاء الخلافات في سياستها الاقتصادية الدولية وتشجيع التعاون الاقتصادي في ما بينها .

**البند الثالث :**

من أجل تحقيق أهداف هذه المعاهدة بفاعلية، سوف تبقى الأطراف بشكل منفصل أو مشترك أو عن طريق الاعتماد الذاتي أو التعاون المشترك المستمر والفعال على قدراتها الفردية والجماعية لمقاومة الهجوم المسلح .

**البند الرابع :**

سوف تتشاور الأطراف في ما بينها عندما يكون هناك في رأي أي منها – تهديد للسيادة – أو الاستقلال السياسي أو الأمن لأي منها .

**البند الخامس :**

تفق الأطراف على أن أي هجوم مسلح ضد أي منها في أوروبا أو أمريكا الشمالية سوف يعتبر هجوماً عليها جميعاً، وبالتالي فإنها تتفق على أنه في حالة حدوث مثل هذا الهجوم، فإن كلٍ منها – تطبيقاً للحق الفردي والجماعي في الدفاع عن الذات، وفقاً للبند 51 من ميثاق الأمم المتحدة – سوف تساعد الطرف أو الأطراف التي تتعرض للهجوم، وذلك باتخاذ إجراء منفرد أو بالتنسيق مع الأطراف الأخرى، بالصورة التي تراها ضرورية، بما في ذلك استخدام القوة المسلحة، من أجل استعادة أمن منطقة شمال الأطلسي والحفاظ عليها .

مثل هذا الهجوم المسلح، وكل الإجراءات التي تتخذ في هذا الإطار، سوف يتم تبليغها على الفور لمجلس الأمن، ومثل هذه الإجراءات سوف تنتهي باتخاذ مجلس الأمن الإجراءات الضرورية لاستعادة السلم والأمن الدوليين والحفاظ عليهما .

**البند السادس :**

لتحقيق البند الخامس فإن الهجوم المسلح على طرف أو أكثر يتضمن هجوماً مسلحاً على أراضي أي من الأطراف في أوروبا أو أمريكا الشمالية، أو الإدارات الجزائرية التابعة لفرنسا أو أراضي تركيا، أو الجزر تحت حكم أي من الأطراف في

منطقة شمال الأطلسي أو في مدار السرطان وعلى القوات أو السفن أو الطائرات الخاصة بأي من الأطراف داخل أراضيها أو في أجوائها أوفي أية منطقة أخرى بأوروبا حيث تنتشر قوات الاحتلال التابعة لأي من الأطراف في التاريخ الذي بدأ فيه سريان المعاهدة، أو في البحر الأبيض المتوسط، أو منطقة شمال الأطلسي شرق مدار السرطان .

**البند السابع :**

أن المعاهدة لا تؤثر، ولا يمكن أن تفسر بأنها ستؤثر بأي شكل من الأشكال على الحقوق والالتزامات ، في ميثاق الأطراف الأعضاء في الأمم المتحدة ، أو على المسؤولية الأولية لمجلس الأمن في الحفاظ على السلم و الأمن الدوليين .

**البند الثامن :**

يعلن كل طرف أن أياً من الإرتباطات الدولية الحالية و أياً من الأطراف الأخرى أو أي دولة ثالثة لا تتعارض مع بنود هذه المعاهدة، كما يتعهد بأن لا يتورط في أي ارتباطات دولية تتعارض مع هذه المعاهدة .

**البند التاسع :**

تشكل الأطراف مجلس يكون كل منها ممثلاً فيه، وذلك لدراسة الأمور المتعلقة بتطبيق هذه المعاهدة، وسوف يكون المجلس منظماً بشكل يمكنه من الاجتماع الفوري في أي وقت، وسوف يقيم المجلس أجهزة فرعية كما تقتضي الضرورة و بصفة خاصة، سوف ينشأ على الفور لجنة دفاعية تتولى مهمة التوصية بالإجراءات الخاصة بتطبيق البندين ( 3 ) و ( 5 ) .

**البند العاشر :**

تستطيع الأطراف، بإجماع الآراء، أن تدعو أية دولة أوروبية أخرى تكون في وضع يتيح لها تدعيم مبادئ المعاهدة و المساهمة في تحقيق الأمن لمنطقة شمال الأطلسي.

الانضمام إلى هذه المعاهدة وأية دولة يتم دعوتها عاى هذا النحو قد تصبح طرفاً في المعاهدة وذلك بإيداع مستندات انضمامها لدى حكومة الولايات المتحدة، وسوف تبلغ الولايات المتحدة كل الأطراف بتلك المستندات .

**البند الحادي عشر :**

سوف يتم التصديق على هذه المعاهدة ، ويتم تنفيذ شروطها من جانب الأطراف بما يتفق مع أنظمتها الدستورية، وسوف يتم إبداع مستندات التصديق في أسرع وقت ممكن لدى حكومة الولايات المتحدة، والتي ستبلغ بدورها كل الأطراف الموقعة بما أودع إليها .

وسوف تدخل المعاهدة حيز التنفيذ في ما بين الدول التي صدقت عليها بمجرد إيداع تصديق أغلبية الموقعين، بما في ذلك تصديق بلجيكا وكندا وفرنسا واللوكسمبورغ وهولندا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة، وسوف يبدأ سريانها بالنسبة للدول الأخرى ابتداءاً من التاريخ الذي سيتم فيه إيداع تصديقها .

**البند الثاني عشر :**

بعد عشرة سنوات من سريان المعاهدة، أو أي وقت بعد ذلك سوف تتشاور الأطراف إذا طلب أحدها ذلك ، بهدف مراجعة المعاهدة ، مع الوضع في عين الاعتبار العوامل التي تؤثر حينئذٍ على السلام والأمن في منطقة شمال الأطلسي بما في ذلك تطور الترتيبات الدولية والإقليمية بناءاً على ميثاق الأمم المتحدة، وذلك من أجل الحفاظ على السلم والأمن الدوليين .

**البند الثالث عشر :**

بعد سريان المعاهدة بعشرين عاماً ، يصبح من حق أي طرف أن يتخلى عن عضويته و ذلك بعد عام من تسليم هذا القرار لحكومة الولابات المتحدة التي ستنبلغ بدورها الأطراف الأخرى بكل بلاغ من هذا النوع .

**البند الرابع عشر:**

هذه المعاهدة – التي سيعتبر كل من نصيها الإنجليزي و الفرنسي صحيحاً – سوف يتم ايداعها في أرشيف الولايات المتحدة، وسوف يبعث بنسخٍ معتمدة من هذه المعاهدة إلى الحكومات الأخرى الموقعة عليها.

## الملحق رقم (2) : مبادرة إسطمبول للتعاون :

في الوقت الذي يخضع فيه حلف الناتو لعملية تحول تزيد من تصميمه على مواجهة التحديات الجديدة، وفي الوقت الذي يعمل فيه الحلف على استكمال الجهود الدولية الأخرى يصبح الحلف جاهزاً لاطلاق مبادرة جديدة في منطقة الشرق الأوسط الموسع تهدف إلى مزيد من المساهمة في ترسيخ الأمن و الاستقرار على الصعيدين العالمي والإقليمي .

وفي هذا السياق ، يجب أن يظل احراز تقدم نحو حلٍ عادل و دائم وشامل للصراع الإسرائيلي – الفلسطيني، يجب أن يظل أولوية تسعى إليها دول المنطقة تحديداً، والأسرة الدولية عموماً وهو ما من شأنه انجاح أهداف هذه المبادرة في ترسيخ الاستقرار والأمن .

وعموماً التطبيق الكامل والسريع لخارطة الطريق الرباعية عنصراً رئيسياً في الجهود الدولية التي تشجع التوصل إلى حل للصراع الإسرائيلي – الفلسطيني تتم على أساسه إقامة دولتين هما إسرائيل وفلسطين، تعيشان جنباً إلى جنب بسلام وأمن ولهذا، تعد خارطة الطريق عنصراً حيوياً في الجهود الدولية التي تشجع السلام الشامل على جميع المسارات، بما فيها المساران السوري - الإسرائيلي واللبناني - الإسرائيلي .

ستأخذ مبادرة حلف الناتو، وبالاستناد إلى سلسلة العلاقات الثنائية ذات المنفعة المشتركة، والتي تهدف إلى ترسيخ الأمن والاستقرار في المنطقة، ستأخذ في الحسبان المبادئ التالية:

أ – أهمية أخذ الأفكار والمقترحات الصادرة عن دول المنطقة أوالمنظمات الإقليمية، في الحسبان. ب- ضرورة تأكيد أن مبادرة الناتو هذه هي مبادرة تعاونية

تستند إلى المنفعة المشتركة والمصالح المتبادلة لكل من الناتو ودول المنطقة، آخذة في الحسبان تنوعها واحتياجاتها الخاصة .

ج- ضرورة الاقرار بأن هذه المبادرة هي مبادرة منفصلة، إلا أنها تأخذ في الحسبان المبادرات الأخرى مثل تلك التي طرحتها مجموعة الثمانية G8 والمنظمات الدولية كالاتحاد الأوروبي ومنظمة الأمن والتعاون OSCE ، فتكون مكملة لها بحسب ما تدعو إليه الحاجة. كما ستكون هذه المبادرة مكملة للحوار الأطلسي- المتوسطي ، ويمكن لهذه المبادرة الجديدة أن تطبق، وبحسب ماهو ملائم ، الدروس المستفادة من التجارب السابقة، والآليات والأدوات التي وضعتها مبادرات الحلف الأخرى ، مثل مبادرة الشراكة من أجل السلام .

د- ضرورة التركيز على التعاون العملي في المجالات التي يمكن للناتو أن يفيد فيها وبخاصة في مجال الأمن، ومشاركة دول المنطقة في هذه المبادرة، بالإضافة إلى مدى تعاونها مع حلف الناتو، تعتمد إلى حد كبير على تجاوب كلٍ منها على نحو منفصل إزاء المبادرة ومستوى اهتمامها بها .

ذ- ضرورة تفادي أي سوء فهم حول مجال هذه المبادرة، التي لا يقصد لا منها الانضمام إلى عضوية الناتو أو مجلس الشراكة الأوروبية – الأطلسية EAPC أو مبادرة الشراكة من أجل السلام، ولا أن تكفل الأمن لأحد ولا أن تستغل لفتح باب نقاش سياسي حول قضايا يمكن معالجتها على نحو أفضل في منتديات أخرى .

4- تساهم مشاركة حلف الناتو في الحوار والتعاون مع دول المنطقة في تعزيز الجهود الدولية الأخرى التي تبذل لخدمة الإصلاحات في مجالات الديموقراطية والمجتمع المدني في تلك الدول، ويمكن للحلف أن يقدم مساهمة بارزة في مجال الأمن تحديداً، بالنظر إلى ما يمتلكه من قوة وتجربة اكتسابها من خلال مبادرات الشراكة من أجل السلام والحوار المتوسطي .

**هدف المبادرة** : تهدف المبادرة إلى تعزيز الأمن والاستقرار في المنطقة من خلال إقامة رابط جديد عبر الأطلسي مع المنطقة، ويمكن تحقيق هذا الهدف عن طريق تشجيع تعاون حلف الناتو مع الدول المهتمة في مجال الأمن، وتحديداً من خلال النشاطات العملية، حيث يمكن للحلف أن يفيد كثيراً في تطوير قدرة قوات تلك الدول على مشاركة قواته، ويشمل ذلك المشاركة في العمليات التي يقودها الحلف، إلى جانب مكافحة الإرهاب ووقف انتشار أسلحة الدمار الشامل ونقل المواد اللازمة لتصنيعها ووتهريب الأسلحة، بالاضافة إلى تعزيز قدرات وإمكانيات تلك الدول لتتمكن من مواجهة التحديات والتهديدات المشتركة مع الناتو.

قد ترى دول المنطقة منفعة من التعاون مع حلف الناتو من خلال ما يقدمه الحلف من دعم عملي في مكافحة التهديدات الإرهابية، والمشاركة في التدريب، و الخبرة في الإصلاحات الدفاعية وفرص التعاون العسكري، وكذلك من خلال الحوار السياسي بشأن القضايا ذات الاهتمام المشترك .

**مضمون المبادرة و أولوياتها:** يمكن تحقيق هدف المبادرة بصورة أساسية من خلال التعاون العملي والمساعدة العملية في المجالات التي تحظى بالأولوية، وفي القائمة التوضيحية لبعض النشاطات، و تشمل هذه المجالات مايلي :

**أ** – تقديم استشارات خاصة في مجالات الإصلاحات الدفاعية وميزانية الدفاع والتخطيط للدفاع والعلاقات المدنية – العسكرية .

**ب** – تشجيع التعاون العسكري – العسكري للمساهمة في تبادلية التشغيل من خلال المشاركة في مناوات وتمرينات عسكرية معينة وما يرتبط بها من نشاطات تعليمية وتدريبية يمكن لها أن تعزز من قدرات قوات الدول المشاركة، وهوما يمكنها من المشاركة مع قوات الحلفاء في العمليات التي يقودها الحلف بما لا يتعارض مع ميثاق الأمم المتحدة .

* دعوة الدول المهتمة للحضور وللمشاركة في مناورات عسكرية معينة تنفذ في إطار مبادرة الشراكة من أجل السلام التي أطلقها حلف الناتو، بما يتلائم مع الوضع، بشرط أن تكون الترتيبات الضرورية قد طبقت .

* تشجيع الدول المهتمة على مزيد من المشاركة في عمليات دعم السلام التي يقودها حلف الناتو، وذلك حالة بحالة.

ج – مكافحة الإرهاب من خلال تبادل المعلومات والتعاون البحري :

* دعوة الدول المهتمة للمشاركة في عملية المسعى النشط QAE بغرض تعزيز قدراتها وإمكانياتها لتتمكن من الردع والدفاع واحباط النشاطات الإرهابية والحماية منها، وذلك من خلال العمليات البحرية التي تنفذ في منطقة نشاطات عملية المسعى النشط، على يكون ذلك بموجب الإجراءات التي وضعها مجلس تعاون شمال الأطلسي في ما يخص الدعم المقدم من الدول غير الأعضاء في الحلف .

* اكتشاف أنماط أخرى من التعاون في مجال مكافحة الإرهاب تشمل تبادل المعلومات الاستخباراتية وتقييمها، بما يتلائم مع ذلك التعاون .

د- المساهمة في ما يقوم به الحلف من أعمال لمواجهة التهديدات التي تمثلها أسلحة الدمار الشامل ووسائل إيصالها .

ذ – تشجيع التعاون، حيث ما يكون تكون هناك فائدة يضيفها الناتو في مجال أمن الحدود ، وبخاصة في ما يتعلق بالإرهاب والأسلحة الخفيفة ومكافحة عمليات التهريب غير الشرعية:

* الاستفادة من الخبرة المدعومة من حلف الناتو في مجال أمن الحدود و تسهيل التدريب على عمليات المتابعة في هذا المجال .

* الاستفادة من البرامج المناسبة التي تنفذ في إطار مبادرة الشراكة من أجل السلام و من مراكز التدريب أيضاً .

ر- تشجيع التعاون في مجال التخطيط لحالات الطوارئ المدنية :

* الاستفادة من دورات الناتو التدريبية في مجالات التخطيط لحالات الطوارئ المدنية والتنسيق المدني – العسكري، والتعامل مع الأزمات الناجمة عن التهديدات البحرية والجوية والبرية .

* الدعوة للحضور وللمشاركة في مناورات وتمرينات عسكرية ذات علاقة تنفذ في إطار مبادرة الشراكة من أجل السلام وبحسب ماتدعو إليه الحاجة، وتوفير معلومات حول المساعدة في مواجهة أي كارثة محتملة .

**المجال الجغرافي للمبادرة** : ترحب المبادرة و بالاستناد إلى مبدأ الشمولية، بانضمام كل دول المنطقة المهتمة، والتي تشترك مع المبادرة في أهدافها ومضمونها، ويشمل ذلك مكافحة الإرهاب وحظر انتشار أسلحة الدمار الشامل كما ورد أعلاه، وسوف ينظر مجلس شمال الأطلسي في انضمام أي دولة إلى هذه المبادرة حالة بحالة وبحسب ظرفها الخاصة .

وتعد هذه المبادرة مكملة لعلاقة الحلف الخاصة مع الدول الشريكة في الحوار الأطلسي – المتوسطي .

**تطبيق المبادرة الجديدة** : ستضيف هذه المبادرة إلى حلف الناتو مجموعة جديدة من العلاقات مع دول ربما تمتلك فهماً محدوداً لطبيعة الحلف، لا سيما بعد عملية التحول التي خضع لها بعد انتهاء الحرب الباردة، وما دام الشرط الأساسي لنجاح هذه البادرة يكمن في تطوير دول المنطقة لمنافعها ومصالحها، فإنه سيكون من الضروري أن يتم تحديث فهم الحكومات وصانعي الرأي في تلك الدول حول طبيعة حلف الناتو وحول هذه المبادرة أيضاً، واعتبارها جهداً دبلوماسياً عاماً ومشتركاً، وذلك في ضوء ردود أفعال الدول المعنية بالأمر. بالاضافة إلى ذلك، يجب أخذ وجهات نظر دول المنطقة المعنية في الحسبان من خلال عملية تشاور منتظمة

معها، وذلك عند تطوير هذه المبادرة و تطبيقها .

سيتم اطلاق هذه المبادرة في قمة إسطمبول وبعد ذلك، وبالتشاور مع الدول المهتمة بالأمر، سيعرض حلف الناتو قائمة بالنشاطات العملية ضمن مجالات الأولوية المذكورة أعلاه لعرض أي تطوير محتمل مع دول المنطقة المهتمة. و سيقوم الحلف بالارتباط مع هذه الدول على قاعدة (1+26)، لغرض تطوير وتنفيذ خطط العمل المتفق عليها. ومادام الأمر كذلك، يمكن للمبادرة الجديدة أن تطبق الدروس الملقنة من التجارب السابقة، وكذلك الآليات والوسائل التي تم تطويرها من خلال مبادرات الحلف الأخرى .

□

## قائمة المراجع :

### أولاً : بالغة العربية :

### أ – رسائل الماجستير و الدكتوراه :

***رسائل الدكتوراه :**


(1) د- أسامة فاروق مخيمر، دور منظمة الأمن والتعاون الأوروبي في إدارة الصراعات في أوروبا بعد الحرب الباردة : دراسة حالة البوسنة والهرسك، أطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، 2004م ) .

(2) د- سعاد محمد محمود حسن، العلاقات الأوروبية الأمريكية في إطار منظمة حلف شمال الأطلسي: دراسة عن تأثير الدول الأوروبية في السياسة الخارجية الأمريكية، أطروحة دكتوراه ( القاهرة : جامعة القاهرة ، 2005 م ) .

(3) د- عبد الناصر الدين جندلي، انعكاسات تحولات النظام الدولي لما بعد الحرب الباردة على الاتجاهات النظرية الكبرى في العلاقات الدولية، أطروحة دكتوراه ( الجزائر : جامعة الجزائر ، 2005م ).

(4) د- عماد جاد، حلف الأطلسي: مهام جديدة في بيئة أمنية مغايرة، رسالة دكتوراه منشورة ( القاهرة : مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ، 1998م ) .

(5) د- نزار إسماعيل الحيالي، دور حلف شمال الأطلسي بعد إنتهاء الحرب الباردة، رسالة دكتوراه منشورة ( أبوظبي : مركز الإمارات للدراسات الإستراتيجية ، 2003م ) .

(6) د- نوار محمد ربيع، اتجاهات الأمن الأوروبي بعد الحرب الباردة : دراسة في الأمن الأطلسي والمتوسطي، أطروحة دكتوراه ( بغداد : جامعة بغداد ، 2002م ) .

* **رسائل الماجستير:**

(1) أسامة فاروق مخيمر، التعاون المتوسطي، رسالة ماجستير منشورة (القاهرة : مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر، 1998م ) .

(2) جمانة رعد حامد القيسي، مشروع الاتحاد الأوروبي للدفاع والأمن: التحديات الداخلية و الخارجية، رسالة ماجستير( بغداد : جامعة النهرين، 2001م ) .

(3) حارث محمد حسن، العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي: 1990م - 1998م، رسالة ماجيستير( بغداد: جامعة بغداد،1999م ) .

(4) خديجة عرفة محمد أمين ، مفهوم الأمن الإنساني وتطبيقاته في جنوب شرق آسيا ، رسالة ماجستير ( القاهرة: جامعة القاهرة،2006 م ) .

(5) خليفة مراد، التكامل الاقتصادي العربي في ضوء الطروحات النظرية والمرجعية القانونية، رسالة ماجستير( الجزائر : جامعة باتنة ، 2006م ) .

(6) عمار حجار، السياسة الأمنية الأوروبية تجاه جنوبها المتوسط ، رسالة ماجستير( باتنة : جامعة باتنة ، 2002م ).

(7) محمد أحمد مطاوع، السياسة الأمنية والدفاعية الأوروبية في ظل عملية توسيع الاتحاد الأوروبي شرقاً، رسالة ماجستير( القاهرة : جامعة القاهرة ، 2005م ) .

**ب – الوثائق الرسمية :**

(1) وثيقة المفهوم الإستراتيجي .

(2) نص وثيقة المفهوم الإستراتيجي الجديد .

(3) نص وثيقة الشراكة من أجل السلام .

(4) نص الوثيقة التأسيسية بين الحلف و روسيا .

(5) وثيقة الشراكة المميزة بين حلف شمال الأطلسي وأوكرانيا .

(6) نص معاهدة واشنطن .

(7) نص مبادرة الشرق الأوسط الأوسط الكبير.

(8) نص قمة الإتحاد من أجل المتوسط : عملية برشلونة .

(9) وثيقة مبادرة إسطمبول .

**ت- الكتب :**

(1) د- إبراهيم أبو خزام، الحروب وتوازن القوى(عمان : دار الأهلية للنشر والتوزيع ، 1998م ) .

(2) د- إبراهيم العناني، النظام الأمني الدولي (القاهرة : دون مكان الطباعة ، 1997م )، ص 87 .

(3) إبراهيم العيسوي، بحث في مفهوم السيناريوهات وطرق بنائها ، في مشروع مصر 2020 ، الورقة 1 (القاهرة : منتدى العالم الثالث ، مكتب الشرق الأوسط ، 1998م )

(4) أحمد وهبان، العلاقات الأوروبية الأمريكية بين التحالف والمصلحة ( القاهرة : مكتبة نهضة الشرق، 1995م ).

(5) د- إسماعيل صبري مقلد ، العلاقات السياسية الدولية : دراسة في الأصول و النظريات ، (القاهرة ، المكتبة الأكاديمية، 1991م ) .

(6) د- ألسكندر دوغين، أسس الجيوبوليتيكا : مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي ، ترجمة د- عماد حاتم (بيروت : دار الكتاب الجديد المتحدة ، 2004م ) .

(7) د- أمين هويدي، أحاديث في الأمن العربي ( بيروت : دار الوحدة ، 1980م ) .

(8) د- أمين هويدي، في السياسة والأمن (بيروت : معهد الإنماء العربي ، 1982م ) .

(9) أينيس ل. كلود، النظام الدولي والسلام العالمي ، ترجمة ، د- عبد الله العريان (القاهرة : دار النهضة العربية ، 1964م ) .

(10) د- إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية : دراسة في الأصول والنظريات (القاهرة : المكتبة الأكاديمية، 1991م) .

(11) د- بطرس بطرس غالي، حلف الأطلنطي (القاهرة : المطبعة الأنجلومصرية، 1961م )

(12) د- بطرس بطرس غالي، د- محمود خيري عيسى، المدخل في علم السياسة ( القاهرة : مكتبة الأنجلومصرية ، ط7 ،1984م ) .

(13) بيار جيربي، المنظمات الدولية، ترجمة محمد أحمد سليمان (القاهرة : مؤسسة سجل العرب ، 1963م ) .

(14) توفيق محمد عطية، توسيع حلف شمال الأطلسي : الدوافع ، المواقف ، المشكلات (القاهرة : الهيئة العامة للاستعلامات ، 1998م ) .

(15) توفيق محمد عطية، حلف الناتو : رؤية جديدة لإدارة الأزمات الدولية (القاهرة : الهيئة العامة للاستعلامات ، 1999م ) .

(16) جميل مطر وعلي الدين هلال، النظام الإقليمي العربي : دراسة في العلاقات السياسية العربية، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1986م ) .

(17) جوزيف ناي، القوة الناعمة : وسيلة النجاح في السياسة الدولية ، ترجمة د- محمد توفيق البجيرمي ( الرياض : العبيكان للنشر ، 2007م ) .

(18) جون بيليس ، عولمة السياسة العالمية (دبي : مركز الخليج للأبحاث ، 2004م)

(19) جيمس دورتي و روبرت بالتسغراف ، النظريات التضاربة في العلاقات الدولية ، ترجمة د- وليد عبد الحي ( الكويت : كاظمة للنشر و الدراسات و الترجمة ، 1985م) .

(20) د- حسن نافعة، الاتحاد الأوروبي والدروس المستفادة عربياً ( بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2004م ) .

(21) رسل فيفلد، إتزل بيرسي، الجيوبوليتيكا، ترجمة يوسف مجلي و لويس إسكندر(القاهرة : الكرنك ، دون تاريخ النشر) .

(22) ريتشارد نيكسون، الفرصة السانحة : التحديات التي تواجه أمريكا في عالم ليس به إلا قوة عظمى واحدة ، ترجمة : أحمد صدقي مراد (دون مكان الطبع : دار الهلال ، 1992م ).

(23) زبيغنيو بيريجينسكي، رقعة الشطرنج الكبرى (دمشق : مركز الدراسات العسكرية ، 1999م ) .

(24) د- سمعان بطرس فرج، مصر والدائرة المتوسطية (القاهرة : دار الشروق ، 2002م ).

(25) شمعون بيريز، الشرق الأوسط الجديد ، ترجمة عبد الحافظ حيلمي(عمان: دار الأهلية ، 1994م ) .

(26) د- عادل ثابت، حلف شمال الأطلسي وتوسعه جهة الشرق : التهديدات الجديدة و تحديات البيئة الدولية ( أبوظبي : مركز زايد للتنسيق و المتابعة ، 2004م ) .

(27) عاطف الغمري، الشرق الأوسط الكبير( القاهرة : كتاب الحرية ، 2004م ) .

(28) عباس غالي الحديثي، نظريات السيطرة الإستراتيجية وصراع الحضارات( عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع ، 2004م ) .

(29) د- عبد المنعم المشاط ، نظرية الأمن القومي العربي المعاصر ( القاهرة : دار الموقف العربي ، 1989م ) .

(30) د- عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، ج7 ، 1981م ).

(31) عبد الوهاب المسيري ، فتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة (دمشق : دار الفكر ، 2003م ) .

(32) د- عصام الدين بسيم، منظمة الأمم المتحدة (القاهرة : دار الطويجي ، دون سنة النشر)، ص 478.

(33) د- علي عزت بيغوفيتش، علي عزت بيغوفيتش: سيرة ذاتية وأسئلة لا مفر منها ، ترجمة : د- عبد الله الشناق و د- رامي جردات ( دمشق : دار الفكر ، 2004م ) .

(34) د- عماد جاد (محرراً ) : الاتحاد الأوروبي : من التعاون الاقتصادي إلى السياسة الخارجية والأمنية المشتركة ( القاهرة : مركزالدراسات السياسية والإستراتيجية ، 2001م ) ، ص 106 .

(35) أ- د- فايز محمد العيسوي، الجغرافيا السياسية المعاصرة ( الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 2002م ) .

(36) فرانسيس فوكوياما، الثقة، ترجمة معين الإمام ومجاب الإمام (دمشق : رام للطباعة والنشر ، 1998 م ) .

(37) فرانسيس فوكوياما، بناء الدولة: النظام العالمي ومشكلة الحكم والإدارة في القرن الحادي والعشرين ، ترجمة مجاب الإمام ( الرياض : العبيكان ، 2007م ).

(38) فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والرجل وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين (القاهرة : مركز الأهرام للترجمة والنشر ،1993م ) .

(39) كارل دويتش، تحليل السياسة الدولية، ترجمة محمد محمود شعبان ( القاهرة : الهيئة العامة للكتاب 1983 م ) .

(40) د- كاظم هاشم نعمة، حلف الأطلسي (طرابلس : منشورات أكاديمية الدراسات العليا، 2003م ) .

(41) محمد أبو بكر الرازي ، مختار الصحاح ( القاهرة : المطبعة الأميرية ، 1925م ) .

(42) د- محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية ( القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، 1998م ) .

(43) د- محمد المجذوب، التنظيم الدولي (بيروت : منشورات الحلبي الحقوقية، 2002م ).

(44) د- محمد طه بدوي، مدخل إلى علم العلاقات الدولية ( بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1972م ) .

(45) د- محمد نبيل فؤاد، حلف شمال الأطلسي (الناتو) : النظام العالمي الأحادي ومشروع الشرق الأوسط الكبير ( القاهرة : دار الجمهورية للصحافة ، 2007 م ) .

(46) د- محمد محمود إبراهيم الديب، الجغرافيا السياسية : منظور معاصر(القاهرة : المكتبة الأنجلومصرية ، 1989م ).

(47) د- مصطفى ناصف ، الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية ( الكويت : عالم المعرفة ، 1978م ).

(48) د- ممدوح منصور، سياسات التحالف الدولي : دراسة في أصول نظرية التحالف الدولي و دور الأحلاف في توازن القوى واستقرار الأنساق الدولية ( القاهرة : مكتبة مدبولي ، 1997م ) .

(49) د- ناظم عبد الواحد الجاسور، تأثير الخلافات الأمريكية الأوروبية على قضايا الأمة العربية : حقبة ما بعد الحرب الباردة ( بيروت : مركز دراسات

الوحدة العربية ، 2007م ) .
(50) نافع أيوب لبس، منظمة معاهدة حلف شمال الأطلسي (الناتو) : العضوية و التعاون ( دمشق : مركز الدراسات العسكرية ، 1996م ) .
(51) نيكولو ميكيافيلي، مطارحات ميكيافيلي ، ترجمة خيري حماد ( بيروت : منشورات دار الآفاق الجديدة، 1962م ).
(52) هانز مورجانتو، السياسة بين الأمم، ترجمة خيري حماد( القاهرة : الدار القومية للكتاب، 1965م ) .
(53) د- ودودة بدران، الرؤى المختلفة للنظام العالمي الجديد ، في محمد السيد سليم (محرراً )، النظام العالمي الجديد ( القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية ، جامعة القاهرة، 1994م ) .
(54) د- وليد عبد الحي، تحول المسلمات في نظريات العلاقات الدولية، ( الجزائر : مؤسسة الشروق للإعلام و النشر ،1994م ) .
(55) د- وليد عبد الحي ، مناهج الدراسات المستقبلية وتطبيقاتها في العالم العربي ( أبوظبي : مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، 2007م ) .
(56) د- يوسف ناصيف حتيٍ، نظرية العلاقات الدولية( بيروت : دار الكتاب العربي ، 1985م ) .

**ث - الدوريات :**

**(*) مجلة المستقبل العربي :**

(1) جلال أحمد أمين ، مشروع الشرق أوسطية و مشروع النهضة العربية ، مجلة المستقبل العربي، العدد 178 (بيروت : 1993م ) .
(2) محمود عبد الفضيل ، مشاريع الترتيبات الاقتصادية الشرق أوسطية، مجلة المستقبل العربي، العدد 179 (بيروت : 1994م ) .

**(*) مجلة دراسات يمنية :**

(1) د- حسين محمد الظاهر، الأمن القومي العربي : مدخل نظري، مجلة دراسات يمنية، العدد 48( صنعاء : 1992م )

**(*) مجلة شؤون عربية :**

(1) رفعت سيد أحمد ، الأمن القومي العربي بعد حرب لبنان : دراسة في تطور المفهوم، مجلة شؤون عربية، العدد 35 ( تونس : جامعة الدول العربية 1984م ) .

(2) د- علي الدين هلال، الأمن القومي العربي: دراسة في الأصول ، مجلة شؤون عربية، العدد35 ( تونس : جامعة الدول العربية ، 1984م ) .

**(*) مجلة شؤون الأوسط :**

(1) ألكسي بوشكوف ، روسيا والأطلسي : اللاحرب و اللاسلم في العلاقات بين الخصمين السابقين، مجلة شؤون الأوسط ، العدد63 ( بيروت : 1997م ) .

(2) د- عبد النور بن عنتر، الدفاع الأوروبي والأمن العربي ، مجلة شؤون الأوسط ، العدد 65 ( بيروت : 1997 م ) .

(3) غسان العزي ، توسيع حلف الأطلسي و تعزيز الهيمنة الأمريكية ، مجلة شؤون الأوسط ، العدد 83 ( بيروت : ، 1999 م ) .

(4) غسان العزي ، العلاقات الأطلسية – الروسية ، مجلة شؤون الأوسط ، العدد 108

( بيروت : ، 2002 م ) .

(5) محمد دياب : مشروع إصلاح الجيش الروسي و العقيدة العسكرية الروسية ، مجلة شؤون الأوسط ، العدد 63 ( بيروت : 1997 م ) .

(6) ميشيل يمين ، تقدم حلف شمال الأطلسي : استمراراً للحرب الباردة ،

مجلة شؤون الأوسط ، العدد68 ( بيروت : 1998م).

**(*) - مجلة السياسة الدولية :**

(1) إبراهيم غالي، الاتحاد الأوربي : إستراتيجية للدفاع المشترك ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 156( القاهرة : 2004م ) .

(2) أبو بكر الدسوقي، ألبان كوسوفا بين التفاوض والقتال ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 137 ( القاهرة : 1999م ) .

(3) د- أحمد إبراهيم خليل، الدفاع المشترك الخليجي : محدودية التعاون ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 172(القاهرة :2008م ) .

(4) د- أحمد سليم البرصان، مبادرة الشرق الأوسط الكبير: الأبعاد السياسية و الإستراتيجية ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 158 ( القاهرة ،20004م ).

(5) أشرف محمد كشك ، إسرائيل و الناتو : من التعاون إلى الشراكة ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 158 (القاهرة : 2007م ) .

(6) د- أليسندرو فيجيس، مستقبل الناتو و توسعه شرقاً و في البحر المتوسط ، مجلة السياسة الدولية، العدد 152( القاهرة : 2003 م ) .

(7) د- بهجت قرني، من النظام الدولي إلى النظام العالمي ، مجلة السياسة الدولية ،العدد 161( القاهرة : 2005م ) .

(8) د- حسن أبوطالب ، هل يتجه النظام الدولي نحو التعددية القطبية ؟ ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 161 ( القاهرة : 2005م ) .

(9) خليل العناني، الشرق الأوسط الكبير، مجلة السياسة الدولية، العدد 156(القاهرة: 2004م)

(10) د- زكرياء حسين ، السياسة الدفاعية للاتحاد الأوروبي في القرن الحادي والعشرين ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 151( القاهرة : 2003م ) .

(11) سـامية بيـبرس، الاتحـاد مـن أجـل المتوسـط ومسـتقبل الشـراكة الأورو- متوسطية ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 174 (القاهرة : 2008 ) .

(12) د- صـلاح سـالم زرنوقـة، النـاتو بـين مـرحلتين، مجلـة السياسـة الدوليـة، العدد129(القاهرة : 1997 م).

(13) د- عبـد الله الأشـعل، تطـور مركـز الفـرد في القـانون الـدولي خـلال العقـود الأربعة الأخيرة، مجلة السياسة الدولية ، العدد 161 ( القاهرة : 2005م ) .

(14) عبـد الله صـالح، بعـد قمـة مـايو : أهـداف خطـة توسـيع الحلـف، مجلـة السياسة الدولية، العدد 129( القاهرة : 1997 م ) .

(15) د- عبـد النـور بـن عنـتر ، تطـور مفهـوم الأمـن في العلاقـات الدوليـة ، مجلـة السياسة الدولية ، العدد 160( القاهرة : 2005م ) .

(16) عزة جلال، كوسوفا : جذور الصراع ، مجلة السياسـة الدوليـة ، العـدد 137 (القاهرة : 1999م) .

(17) عطيـة عبـد العزيـز، قمـة إسـطمبول : التوسـع الجنـوبي للنـاتو، مجلـة السياسة الدولية، العدد 158 (القاهرة : 2004م) .

(18) علي عبد الصادق ، النـاتو والشرق الأوسط الكبير ، مجلة السياسـة الدوليـة ، العدد 163 ( القاهرة ، 2006م ).

(19) د- عماد جاد ، الاتحـاد الأوروبي : تطـور التجربـة ، مجلـة السياسـة الدوليـة ، العدد 161( القاهرة : 2005م ) .

(20) د- عماد جاد، أثر تغير النظام الـدولي على حلـف شمـال الأطلسي، مجلـة السياسة الدولية، العدد 134(القاهرة : 1998 م ) .

(21) د- عمـاد جـاد ، الجـدل حـول المفهـوم الإسـتراتيجي لحلـف الأطلنطـي ، مجلة السياسة الدولية ، العدد129 (القاهرة : 1998 م ) .

(22) د- عمرو حمزاوي ، توسيع الاتحاد الأوروبي : التحديات والفرص ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 157 (القاهرة : 2004 ) .

(23) عمرو عبد الكريم سعداوي، فرنسا و توسيع الناتو، مجلة السياسة الدولية، العدد 129( القاهرة : 1997 م ) .

(24) ل- كمال شديد، السياسة الدفاعية الأوروبية المستقلة وأثرها على الشرق الأوسط ، مجلة السياسة الدولية، العدد 157 ( القاهرة : 2004م ) .

(25) مالك عوني ، حلف الأطلسي و أزمة كوسوفو : حدود القوة و حدود الشرعية ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 137( القاهرة : 1999م ) .

(26) د- محمد السيد سعيد ، الشرق الأوسط وعودة سياسات المحاور والأحلاف، مجلة السياسة الدولية، العدد 168 (القاهرة : 2007م ) .

(27) د- مصطفى صايج، الاتحاد من أجل المتوسط ومصير برشلونة، مجلة السياسة الدولية، العدد 174 (القاهرة ، 20008 م ) .

(28) نيرمين السعدني، مؤتمرات التعاون الشرق أوسطي: الايجابيات والسلبيات ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 127( القاهرة :1997 ) .

**(*) مجلة مفاهيم الأسس العلمية للمعرفة :**

(1) خديجة عرفة محمد أمين ، مفهوم الأمن الإنساني ، مجلة مفاهيم الأسس العلمية للمعرفة ، العدد 13 ( القاهرة : 2006م )، ص 31 .

(2) د- مصطفى علوي، الأمن الإقليمي بين الأمن الوطني والأمن الدولي ، مجلة مفاهيم الأسس العلمية للمعرفة، العدد 4 (القاهرة : 2005م ) .

(3) د- نشأت عثمان الهلالي : الأمن الجماعي ، مجلة مفاهيم الأسس المعرفة العلمية ، العدد 9 (القاهرة : 2005م ) .

**مجلة شؤون سياسية :**

(*) صموئيل هنتينغتون ، صراع الحضارات ، ترجمة نجوى أبو غزالة ، مجلة شؤون سياسية، العدد 1 ( بغداد : 1994 ) .

**(*) سلسلة دراسات عالمية :**

(1) لويس هنكيس وآخرون، ترجمة الطاهر بوساحية ، تدخل حلف شمال الأطلسي في كوسوفا، سلسلة دراسات عالمية، العدد 40 ( أبو ظبي : 2001م ).

**(*) مجلة قراءات إستراتيجية :**

(1) شريف بدران، هل تنتمي إسرائيل إلى الاتحاد الأوروبي و الناتو ؟، قراءات إستراتيجية

( القاهرة : مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ، 2005م ) ، عرض لمقال

:

Ronald .D. Asmus and Bruce .P.Jackson , Does Israel Belong in EU and NATO ? Policy Review ,No .129 , February – March 2005 .

**ج – التقارير السنوية :**

(1) د- حسن أبوطالب (محرراً) ، التقرير الإستراتيجي العربي 2001 ( القاهرة : مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ، 2002م ) .

(2) د- حسن أبوطالب وآخرون، التقرير الإستراتيجي العربي 2003 – 2004 (القاهرة :

مركز الأهرام للدرايات السياسية والإستراتيجية، 2004م ) .

(3) د- حسن أبوطالب وآخرون، التقرير الإستراتيجي العربي 2004 – 2005 (القاهرة :

مركز الأهرام للدرايات السياسية و الإستراتيجية ، 2005م ) .

(4) تقريــر السـيبري السـنوي : نــزع السـلاح والأمـن الـدولي ( بـيروت : مركـز دراسات الوحدة
العربية ، 2004م ).
(4) تقريــر السـيبري السـنوي: نــزع السـلاح والأمـن الـدولي ( بـيروت : مركـز دراسات الوحدة العربية، 2005م ).
(6) تقريــر السـيبري السـنوي: نــزع السـلاح والأمـن الـدولي ( بـيروت : مركـز دراسات الوحدة العربية، 2006م )

**ر- المواقع الإلكترونية :**

(1) www.diplomacie.gouv.fr.

(2) www.usinfo.state.gov

(3) www.nato.int

(4) www.rand.org

(5) www.nato-qatar .com

(6) www. Globalresearch .ca

(7) www . kuna . net

(8) www . ar . rian . ru

(9)Quille Gerrard , ESDP : The State Of Play ,europarl . eu . int /Meetdocs / 2004/ organes /Sete04c _ev .pdf .20 -09 – 2004 .

(10) www .kuna . net / new agancies public site / article detaile .aspsc ? id = 1944578 language = ar.

(11) www.geocities . com .

(12) Andrew Moravvesik , Fedration And Peace : A

Structural_Leberal Perspective , www- user .uni.de /inus /zib / Fachsimo .htm .

(13) www . nato – russia - council . com. info

(14) www.etudiant d-z.com /vp /showwthhread.php?s.

**مقابلة تليفزيونية:** برنامج لقاء اليوم ، قناة الجزيرة ، 15 آب 2008م .

**ثانياً : اللغة الفرنسية :**

**أ – الكتب :**

(1)Bertrand Badie Et Beatrice Didiot, L'Etat Du Monde ( Paris : La Decouverte , 2007 ).

(2)Charles Zorgbide , Histoire Des Relations Internationales : (Paris : Hachette , 1995) . 1962 a Nos Jours ,

(3)Emmanuelle Kant ,Vers La Paix Perpetuelle ( Paris : Garnier - Flammarion ,1991 .

(4)Frank Petitville , La Politique Internationale De L' Union European (Paris : Press La Fondation National Des Siences Politiques , 2006 ) .

(5)K.G.Giesen , L'ethique Des Relations Internationales : Les Theories Anglo - Americaines ( Bruxlles : Brayant , 1992) .

(6)Thierry Monthrial Et Philippe Moreau Defares , RAMES 2007 2006) . L' Europe Et Le Monde ( Paris : Edition La Dunod , ,

**ثالثاً : بالغة الإنجليزية :**

**أ – الكتب :**

(1)Amos .A . Jordan and William . J. Taylor . Jr , American National Security (The Hopkins University Press ,1984 ) .

(2)Barry Buzan , People State And Fear : An Aganda For International Security Stadies In The Post Cold War (Bonlder : Lynne Rienner Publishers ,1991) .

(3)Edward Azar And .C.I. Moon , National Security In The Third World (Mary Land : Center For International Development And Conflict Management, University Of Mary Land , 1988 ) .

(4)James Morrison : Nato Expansion and alternative Future Security Alignments (Washington DC ; Institute For National Stratigic Stadies, 1995 ) ,PP 48.

(5)Hans . J . Morgantau , Politiks Among Nations :The Setrugle For Power And Peace ( Alfred .A. Konop .inc , Sixth Ed ,1985) .

(6)M.Berowitz And P.G. Bock ,American National Security ( Free Press ,1965). :NewYork

(7)Richard Holbrooke , To End A War ( New York : Random House , 1998 ) .

(8)Robert .o.Keohane And Joseph .S. Nay , Power And Interdependance , ( Boston : Little and Company ,1977 ) .

(9) Robert Mac Namora,The Essence Of Security , (NewYork : Haspen And Row ,1968) .

(10)Paul Viotti , Mark V . Kauppi , International Relation Theory

: Realism ,Pluralism , Globalism ,And Beyoud ( Boston : Allynand Bacon, 1997 ) .

**ب – الدوريات :**

**(*)Nato Review :**

(1)A.Cragg ,The Combiened Joint Tasks Force Concept : A Kay Component Of Alliances Adaptation , Nato Review , Vol . 44 .No 4 , July ,1996.

(2)Dimitri Trenin , Nato and Russia : Soberig Thoghts and Practical Suggestions :
www . nato . int / docu / review / 2007 / issues 2 / franch / art 1 . html .

(3)General George A . Joulian, Nato 's Millitary Contrubution To Partnershipe For Peace : The Progress and The Challenge , Nato Review, Vol .43 , No 2.

(4)L .T . General Mario Da Silva , Chief Of Staff Of Nato 's Combiened Joint Planing Staff , Implementing The Combiened Joint Concept , Nato Review , Vol .46, No.4 , Winter 1998.

(5)Grigoriy M . Perepelytsia : Nato Ukraine : At The Crossroads :
www . nato . int / docu / review / 2007 / issues 2 / franch / art 2 . html .

(6)Javier Solana , A Definining Moment For Nato : The Washington Summit decision and The Kosovo Crisis , Nato Review , Vol , 47 , No , 2, summer.

(7)John Kriendler , PFP Critic Management Activities : Enhancing Capabilities and Coorperation, Nato Review , Vol ,3 , Autom 1998 .

(8)RD.Amus.FS.Larrabee , I.O.Lesser ,Mediterranean Security : new Challenges New Tasks , nato review ,vol .44.No,3, 1996 .

(9)Rebert Bell , Sisyphs and NRF : The Challenges Of Setting Up The Nato Response Force : www . nato . int / docu / review / 2006 / issue 3 / english / art 4 .html .

**(*) Forgeign Affairs :**

(1)Bernard Lewis , Rethininking The Middle East , Forgeign Affairs , Vol . 71 . No .4. 1992

(2)N . Malcoin : The Case Against Europe , Forgein Affairs , vol . 74 . No 2 , March – april 1995.

**(*) Security Dailogue :**

(1)Kanti Bajpai , An Expression Of Threats Versus Capabilities ACROSS Time and Space , Security Dailogue , vol .35, No.3 , 2004 ,p 360 .

(*)J. Holsen And J . Waelboeck , The Less Developed Contries And The International Mechanicanism(Proceedings Of The American Association , vol 1 ,1972) .

# الفصل الثامن

## الوجه الجديد للعـــــالـم

ماهي الصفات الجيوسياسية الرئيسة على كوكبنا الأرضي في مطلع هذا القرن الواحد والعشرين، بعد الاعتداءات التي حدثت بتاريخ الـ من أيلول عام (2001)، وبعد الحرب، أو الغزو الذي شن على أفغانستان، باسم الحرب ضد القاعدة ونظام الطالبان في أفغانستان؟ والحرب على العراق؟

فالولايات المتحدة تهيمن على العالم بشكل لم تقم به أية إمبراطورية من قبل مطلقاً. فهي تمارس سيطرة ساحقة في المجالات التقليدية الخمسة التي ترمز إلى القوة: السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، والتكنولوجية، والثقافية. "فالولايات المتحدة، هي إذن، الدولة العالمية الأولى( PROTOMONDIAL ) . كما يعتقد أحد المحللين السياسيين الأمريكيين. فلها القدرة أن تدَّعي لنفسها أن تقوم بدور الإمبراطورية الشمولية، إمبراطورية ذاتية، بحيث يخضع الأعضاء الآخرون في العالم لسلطتها وسيطرتها، بصورة إرادية".

فللمرة الأولى في تاريخ الإنسانية، إذن، يسيطر على هذا العالم قوة وحيدة فائقة، تباهي وتفاخر بإمبرياليتها الهيمنية، بعد احتلالها أفغانستان، ثم العراق، بعد ن خطت خطوات أخرى أعمق أثراً في تفردها في معالجة الشؤون الدولية عندما قررت تدمير بغداد واحتلالها عسكرياً، وهي تجول وتصول، تخرب وتدمر وتهدد وتتوعد، ولا من رادع يردعها، وما من أحد يستطيع أن يقف في وجهها.

فقد هيمنت على أفغانستان باستخدام طرق ثلاثة: سحقها تحت القنابل الموجهة وغير الموجهة، ومن الأوزان الثقيلة وغير الثقيلة،... الخ. ودامت عملياتها

أياماً عديدة بحجة القضاء على القاعدة، وهي لا تفرق بين حفلات الأعراس والمحتفلين أم بين مقاتلين، أم بين أطفال ومدافعين. وتقتل الأسرى والمعتقلين، وتنقلهم أنى تشاء وكيف تشاء، ولا تعترف بحقوق الإنسان، من أي نوع كان.

كذلك، أقامت واشنطن تحالفاً دبلوماسياً وحتى عسكرياً كبيراً لدعم أعمالها بالانتقام من شعب أفغانستان، حتى مع روسيا والصين. أما في موضوع العراق، فإنها لم تعبأ بما يسمى بالمنظمات الدولية، مثل مجلس الأمن، لدرجة أن وجهت التهديد والوعيد لمن يقف في وجهها ولو بالكلام اللطيف، بل إنها خطت خطوات واسعة نحو التفرد في شؤون العالم منفردة، كما أنها لم تعبأ بالمتظاهرين ضد الحروب، ولو كانوا بالملايين، يهتفون لا للحروب والدمار، يجوبون شوارع المدن الكبرى في كل مكان من العالم. وهكذا، خطت، بل سارت بعيداً وإلى أقصى درجة بتجاوز مرجعية المنظمات الدولية. وتبارى زعماء النظام الحاكم في الولايات المتحدة الأمريكية بالتصريحات يهددون ويتوعدون، كل من يقف في وجه طموحاتهم واستراتيجياتهم المعلنة وغير المعلنة وباستخدام عبارات ينأى أحياناً أولاد الشوارع عن استخدامها. تصريحات تتوإلى ليل نهار، دون انقطاع. ويقومون بتجييش الجيوش، منفردين أم بقوات متممة من قوات بريطانية أو ماشابه كقوات تابعة وليست حليفة، هذه القوات، كانت منذ عهد ليس ببعيد، تتصف بالعجرفة والغرور. في الوقت نفسه، تنأى عن بعض حلفائها، مع توجيه النقد اللاذع لقادتهم ووصفهم بأوصاف يخجل المرء من ذكرها، ومعتبرينهم مزعجين وعلى رأس هؤلاء القادة الألمان والفرنسيين.

مع ذلك، لا بد من القول، إن مثل هذا العرض للقوة الغاشمة، في هذا العصر الجديد، من الأمور المخادعة، سواء في المجال العسكري أو الدبلوماسي. فعلى الرغم من تفوق الولايات المتحدة الساحق فإنها سوف لن تستطيع مواجهة الاستمرار في

احتلال أفغانستان أو العراق... أو... في الواقع، عسكرياً، ((كما حاولت إنجلترا أن تفعله في القرن التاسع عشر بالنسبة لأفغانستان، وفي العقود الأولى من القرن العشرين، في العراق)) في حين أن ذلك الأمر لم يكن يشكل أية عقبة تكنولوجية، إذ تملك الولايات المتحدة، جميع أنواع الأسلحة من تلك الموصوفة بأسلحة الدمار الشامل، وقد استخدمتها فعلاً، أكثر من مرة، أم تلك الأسلحة الأحدث، والأكثر قدرة على التدمير والقتل. لكن لماذا نعتقد بذلك؟ والجواب، إن التفوق العسكري سوف لن يفسر أو يترجم بالغزو الإقليمي، كما حدث في القرن التاسع عشر وخلال النصف الأول من القرن العشرين. بحيث أصبحت تلك الأعمال معتبرة كتدخل في شؤون الغير، سياسياً، ومكلفاً مالياً. وغير ممكن أمام إرادة المقاومة، كارثياً على المستوى الإعلامي، حيث تأكد أن وسائل الإعلام أصبحت تُعَدُّ كفاعل استراتيجي من الدرجة الأولى.

**ديناميكية العولمة**

هناك ظاهرة مركزية أخرى: لقد استهوت جميع الدول ديناميكية العولمة. ويتعلق الأمر، إذا صح القول، بثورة رأسمالية ثانية. إذ تمس العولمة الاقتصادية. أقل ثنايا الكرة الأرضية متجاهلة تماماً استغلال الشعوب أيضاً، مثلما هو الأمر تنوع الأنظمة السياسية.

فقد عرفت الأرض عصراً جديداً من الغزو أيضاً، كما حدث في عصر الاستعمار. ففي حين كان الفاعلون الرئيسون في التوسع السابق من الغزاة، وكانت الدول، فهذه المرة فإنها المشروعات والتكتلات المكونة من المجموعات الصناعية والمالية الخاصة، هي التي تعتزم السيطرة على العالم. فلم يكن أبداً سادة الأرض، قليلي العدد، ولا أقوياء أيضاً، بمقدار ما هم عليه اليوم. وتقع هذه المجموعات، بصورة

رئيسة في ثالوث مشكل من: الولايات المتحدة الأمريكية، ثم الاتحاد الأوروبي، وأخيراً اليابان، ويقع نصف هذه المجموعات في الولايات المتحدة.

وقد تسارع هذا التمركز لرأس المال والسلطة بشكل رهيب، خلال مجرى العشرين سنة الأخيرة، تحت تأثير الثورات التكنولوجية والمعلوماتية. وستكون هناك قفزة جديدة إلى الأمام منفذة انطلاقاً من بداية الألف الثالثة الجديدة، مع التقنيات الجينية الجديدة المتعلقة بالأحياء، فاتحة الأبواب أمام توقعات جديدة، من التوسع في الرأسمالية. وتستعد الخصخصة الكبرى لتمس كل ما في الحياة والطبيعة، مشجعة على ظهور سلطة مطلقة أكثر، حسبما هو محتمل، وأكثر من جميع ما أمْكننا معرفته في التاريخ.

ولا تستهدف العولمة غزو البلدان أكثر من غزوها للأسواق، إلى درجة ما. وإن ما يقلق هذه السلطة الحديثة، ليس غزو المناطق في الواقع، كما كان عليه الحال في الفتوحات الكبرى، حيث كانت حقبات الاستعمار، بل الاستيلاء على مناطق الثروة.

ويترافق هذا الغزو مع تدمير عجيب لكل شيء، كما حدث في العراق من قبل الجيوش الأمريكية والإنجليزية. وكما حدث في الأرجنتين بطرق أخرى، حيث حدث انهيار يستحق المرور عليه، وذلك في كانون الأول من عام (2001). لقد كان هذا البلد مثالاً إلى درجة أن امتدحه صندوق النقد الدولي كرمز شامل، وبأنه يحاول أو يجرب تصدير تجربته وتعميمها على العالم، مع إصرار دوغماتي تشمل الكرة الأرضية بالكامل. لكن سقوط الأرجنتين، هو بالنسبة لليبرالية الجديدة (NÉOLIBERALISME) كسقوط جدار برلين بالنسبة للاشتراكية الدولية: إنه الموضوع المرتبط بفقدان الثقة، والتأكيد من وجود المأزق. لأنه أصبح يوجد في كل مكان من العالم، صناعات بالكامل قد أضحت ضحايا كارثية، بصورة فظة، وفي

جميع المناطق. ومع جميع الآلام الاجتماعية التي نتجت عنها: من البطالة الشديدة، والاستخدام الجزئي لليد العاملة، وعدم الثبات، والطرد من العمل. فهناك "18" مليون شخص دون عمل في نطاق الاتحاد الأوربي، كما أن هناك "1" مليار عاطل عن العمل، واستخدام جزئي في العالم... وهناك استغلال مفرط للرجال والنساء أيضاً وما هو نسائي أكثر استغلال الأطفال: "300" مليون من بينهم، محل استغلال، ويعملون بشروط أكبر من قدراتهم وبشروط قاسية.

فالعولمة هي أيضاً عمليات سلب ونهب على مستوى الكون. وتدمر المجموعات الكبرى البيئية بوسائل لا تقاس. إنها تستغل الثروات الطبيعية بشراهة لا مثيل لها، تلك الثروات التي هي الخير المشترك للإنسانية. وتقوم بذلك. دون تردّد، ودون وازع من ضمير أو رادع. ويترافق ذلك، بإجرام مالي، في الوقت نفسه، مرتبط بأوساط رجال الأعمال والبنوك الكبرى، التي تتعامل بمبالغ تتجاوز الـ "1000" مليار دولار في العام، بعبارة أخرى أكثر من الناتج القومي الخام (PNB) لثلث الإنسانية.

**نهب كوني**

إن عملية الترويج للسلع (MARCHANDISATION) الشاملة، تترجم بالتفاقم الشديد لعدم المساواة. ففي حين يمثل الإنتاج على مستوى الكرة الأرضية للسلع الاستهلاكية الغذائية الأساسية يمثل أكثر من (110٪) من الحاجات العالمية، هناك "30" مليون شخص يستمرون بالموت جوعاً كل عام، وإلى جانب ذلك، هناك، أكثر من "800" مليون شخص ممن يعانون من سوء التغذية.

وكان هناك الـ (20٪) الأغنى من سكان هذا العالم، كانوا يملكون دخلاً أكثر بـ "30" مرة ارتفاعاً من أولئك الـ (20٪) الأفقر، حسب إحصاء عام (1960). وكان ذلك الأمر يعتبر شائناً. لكن بدلاً من تحسن الأوضاع، تفاقمت بشكل أشد. حيث لم يعد اليوم دخل الأغنياء بالنسبة إلى أولئك الفقراء أكثر بـ "30" مرة، بل وصل إلى

"82" مرة، أكثر. فمن الـ "6" مليار نسمة، من سكان الكرة الأرضية هناك "500" مليون شخص بالكاد ممن يعيشون بيسر، في حين، يظل "5.5" مليار من هؤلاء بحاجة إلى الغذاء، ويعانون من الفاقة والحرمان، حقاً إن العالم يسير على قمة رأسه.

لقد جرى كنس البنيات المتعلقة بالدول، مثلما هو الأمر بالنسبة للبنيات الاجتماعية التقليدية، كنست جميعها، بطريقة كارثية. إذ تنهار الدولة في كل مكان لحد ما، في بلدان الجنوب، والشرق، وتنسحب السلطات أو تطرد من المناطق المحيطية التي تصبح مناطق غير آمنة حقيقية. حيث تتنامى الماهيات الفوضوية، وتتهرب من كل شرعية، وتغوص في حالة من البربرية والفوضىِ، كما في الصومال، وفي الكونغو، وفي سيراليون - وفي كولومبيا - وفي الفلبين وفي سيرالانكا... الخ. وتتغلب القوة على القانون والحق والعدل عندئذ، تصبح جماعات العنف فقط هي القادرة على فرض قانونها، وفرض الأتاوات على السكان.

وتظهر أخطار جديدة: إرهاب فائق، وتعصب ديني أو عرقي، وتكاثر الأسلحة النووية، والجريمة المنظمة، وإرهاب الدول، وشبكات المافيا، والمضاربات المالية، والإفلاسات لدى المشروعات الضخمة، والفساد المستشري في كل أنحاء العالم، وانتشار الأوبئة الجديدة "مرض فقدان المناعة المكتسبة، الإيدز أو السيدا"، وفيروس إيبولا، ومرض كروتز فلدت - جاكوب (CRUTZFELDT- JACOB).... الخ.

وبينما تنتصر الديموقراطية والحرية ظاهرياً في عالم تخلص من بعض الأنظمة الشمولية هي الأسوأ نسبياً، فإن إخضاع بعض الأعمال للرقابة في بعض البلدان، وكذلك منع حرية التعبير في بلدان أخرى، تحت مظاهر متنوعة تؤدي إلى العودة لأعمال القمع بشكل شاذ. وبالتالي حدوث أعمال عنف من كل الأنواع. وفي هذا العصر الجديد، في زمن الإنترنت والثقافة الشمولية، والاتصالات الكونية وتكنولوجيا

المعلوماتية، تلعب كلها، وبشكل لم يسبق لها مثيل مطلقاً من قبل، دوراً إيديولوجياً مركزياً لتحجيم الفكر.

**تفجر العالم**

لقد نتج عن جميع هذه التغييرات البنيوية والذهنية في مجال التنفيذ منذ العقد الأخير من القرن العشرين، وبداية القرن الواحد والعشرين، نتج عنها تفجر العالم بشكل حقيقي. فلم تعد للمفاهيم الجيوسياسية - مثل الدولة، والسلطة، والسيادة، والاستقلال، والديموقراطية، الحدود... الخ - المعاني نفسها. حتى أنه لوحظ في سير العمل الحقيقي للحياة الدولية، أن الفاعلين فيها قد تغيروا.

فعلى المستوى العالمي، أصبح الممثلون الثلاثة الرئيسون "الذين كانوا، تحت النظام القديم، شرف النسب ورجال الدين، والشعب" أصبحوا بعد الآن:

1ً) - المجموعات أو الروابط من الدول، مثل مجموعة التبادل الحر لأمريكا الشمالية - NORD- – ALENA –ACCORD DE LIBRE - ECHANGE AMERICAIN - والمؤلفة من الولايات المتحدة الأمريكية، كندا، المكسيك"، ثم الاتحاد الأوروبي، الذي سيحتوي على "25" دولة، ثم الـ ( MERCADO COMUN DEL SUR ) (MERCOSUR)، الذي يضم بعض دول أمريكا اللاتينية وهي: الأرجنتين، البرازيل، الأوروغواي، والباراغواي، والذي تشكل بتاريخ "21" آذار عام "1991" باسم السوق المشتركة للجنوب. وهناك مجموعات أخرى.... الخ.

2ً) - المشروعات أو المؤسسات الشمولية، والمجموعات الكبرى لوسائل الإعلام والمجموعات المالية.

3) ـ المنظمات غير الحكومية (ONG) ذات المستوى العالمي: "السلام الأخضر، وأمنستي انترناشيونال، و (أتاك، ATTAC)، وهيومان رايت ووتش، وورلد لايف.... الخ.

وتتحرك هذه المجموعات الجديدة والفاعلة على نطاق كوني، وضمن نطاق أقل تقييداً من منظمة الأمم المتحدة ـ كعلامة على هذا الزمن الذي يتميز أيضاً بوجود منظمة التجارة الدولية (OMC)، كحكم دولي جديد شامل.

وللتصويت الديمقراطي تأثير قليل جداً على سير العمل الداخلي في هذه المجموعات الفاعلة الثلاث الكبرى الجديدة. فقد حدث هذا التغير في العالم الذي أفرغ الديموقراطية من معناها، وأقيم دون حذر، ودون أن يكون المسؤولون السياسيون على وعي ذلك.

**التحرك ضد العولمة الليبرالية**

لقد تسببت جميع هذه التبدلات السريعة والفظة، في عدم الاستقرار لدى القادة السياسيين، في الواقع. إذ يشعرون بأنفسهم في معظمهم، بأنه قد تم تجاوزهم من قبل العولمة التي أعدت قواعد جديدة للعبة، وجعلتهم عاجزين عملياً، لأن السادة الحقيقيين للعالم، لم يعودوا هؤلاء الذين بأيديهم مظاهر السلطة السياسية.

لهذا، يضاعف المواطنون من الأفعال والتحركات ضد السلطات الجديدة، كما شاهدنا ذلك في شهر كانون أول عام "1999"، بمناسبة قمة منظمة التجارة الدولية، في سيتل (SEATTLE) ثم في براغ، ودافوس "سويسرا"، ونيس "فرنسا" وكيبك "كندا"، ثم في جين. والمواطنون مقتنعون تماماً أن هدف العولمة الليبرالية، في العمق، في مطلع الألفية الثالثة، هو تدمير النزعة الجماعية، وتملك القطاع الخاص للدوائر العامة والاجتماعية، من قبل السوق. لهذه قررت هذه الجماهير معارضتها.

ملاحظة أخرى، سوف لن يضمن التفوق الجيوسياسي، وممارسة دور القوة الفائقة في عصر الليبرالية الجديدة (NEOLIBERALISME)، سوف لن يضمن مطلقاً مستوى تنمية إنسانية مرضية لجميع المواطنين. فعلى سبيل المثال، ففي بلد ما غني أيضاً، مثل الولايات المتحدة الأمريكية، هناك "32" مليون شخص، من بين السكان، يصل العمر المتوسط، إلى أدنى من الـ "60" عاماً، كما يوجد "40" مليون مواطن، ليس لهم تغطية صحية، ويعيش "45" مليون دون مستوى عتبة الفقر، وهناك "52" مليون أمياً... وبالطريقة نفسها، في نطاق الاتحاد الأوربي الغني، هناك اليوم "50" مليون فقير، و"18" مليون عاطل عن العمل.

أما على المستوى العالمي، يبقى الفقر هو القاعدة، والرغد هو الاستثناء. وأصبحت ظاهرة عدم المساواة إحدى الميزات البنيوية في زماننا. وبأنها تتفاقم على الدوام، ويبتعد فيها الفقراء عن الأغنياء. إن الـ "225" شركة الأضخم والأكثر غنىً في العالم ـ تمثل ما مجموعه أكثر من "1000" مليار دولار، أي ما يعادل الدخل السنوي لـ "47٪" من الأشخاص الأشد فقراً من سكان العالم، أي الـ " (2.5) مليار شخص". وهناك أفراد عاديون، هم أكثر غنى من الدول اليوم: حيث يتجاوز الإرث الخاص بـ "خمسة عشر شخصاً، الأكثر ثراءً على الكرة الأرضية، يتجاوز الإنتاج الداخلي الخام (PIB)"(4) الإجمالي لمجموع البلدان الإفريقية شبه الصحراوية...

**مسيطرون، ومُسيطر عليهم**

من يهيمن أو يسيطر على العالم اليوم؟ يمكن القول إن الثالوث المضاعف هو الذي يقبض على زمام أمور الكرة الأرضية، ويتحرك كنوع من السلطة التنفيذية العالمية. فعلى المستوى الجيوسياسي، يتشكل الأول من الثلاثي الحاكم: من الولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة المتحدة، وفرنسا. وعلى المستوى الاقتصادي،

يتشكل الثـاني مـن الثلاثـي الحـاكم: الولايـات المتحـدة، ألمانيـا، اليابـان، وتشـغل الولايـات المتحـدة، أو تحتـل الموقـع، فـائق الهيمنـة (HYPERDOMINANTE) في الحالتين.

فلم يتوقف عدد الدول عن التزايد، منذ مطلع القرن العشرين، ماراً من حوالي الأربعين، ليصل إلى ما يقارب المائتين. لكن، يستمر العالم بأن يبقى مهيمن عليه من قبـل مجموعـة صـغيرة مـن الـدول علـى المسـتوى الجيوسياسـي: الولايـات المتحـدة الأمريكية، المملكة المتحدة، فرنسا، روسيا الاتحادية، اليابان. حيث تقود هذا العالم منذ نهايـة القـرن التاسـع عشـر.. وهنـاك بالكـاد ثـلاث دول هـي "كوريـا الجنوبيـة، سنغافورة، تـايوان" التي بلغت مستوى تقدم سمح لها بلـوغ وضـع أو مرتبـة البلدان المتطورة وذلك من بين عشرات البلدان التي ولدت عن تصدع الإمبراطوريات الكبرى الاسـتعمارية: البريطانيـة، الفرنسـية، الإسـبانية، الهولنديـة، البرتغاليـة، البلجيكيـة. ويبقى العديد من الدول، تغوص في أوحال تخلف مزمن وفقر يكاد أن يكون أبدياً حسب الظاهر.

وسيكون أمام هذه الدول صعوبات جمة للخروج من هذه الورطات بالاعتماد على استغلال الموارد الأولية "بما في ذلك مشتقات النفط"، عن طريق بيعها، حيث يعتمد على ذلك اقتصادها. في الوقت نفسه، فهم يشهدون أسعار هذه المواد وهي تهـبط حتميـاً. فهنـاك العديـد مـن منتجـات الأسـاس: "المعـادن، الفـيبر، السـلع الاستهلاكية، كونها تستخدم اليوم بشكل أقل، من قبل البلدان الكبرى المتطورة، أو أنها تُحلُّ محلها منتجات صنعية. كذلك اليابان في عام (1973) كل وحدة إنتاج صناعي، خفضت من استهلاكها من المواد الأولية بحوالي (40٪).

وسـتعتمد الثـروة الجديـدة، أكثـر فـأكثر، علـى المـواد السـمراء: أي المعرفـة والبحـوث، والقدرة على التجديد، وليس على إنتـاج المـواد الأوليـة، كـل ذلـك خـلال

القرن الواحد والعشرين. ويمكن حتى التأكيد بهذا الصدد، أن العوامل الثلاثة للقوة ـ مساحة الأرض الوطنية، الأهمية الديموغرافية، الثروة من المواد الأولية ـ لم تعد تشكل أكثر من أوراق رابحة مرغوب بها، إلى درجة أن أصبحت، وبغرابة عبئاً ثقيلاً أحياناً في عصر ما بعد المرحلة الصناعية Postindust ERIELLE. إلى درجة أن تدون الدول، ذات المساحات الواسعة، وذات السكان العديدين، والغنية جداً في المواد الأولية ـ روسيا، الهند، الصين، البرازيل، نيجيريا، أندونيسيا، الباكستان، المكسيك ـ تدون من بين البلدان الأفقر على سطح الكرة الأرضية ـ باستثناء الولايات المتحدة، فإنها تشكل الاستثناء من تلك القاعدة.

بالمقابل، فهناك دول صغيرة جداً، في زمن العولمة، دون أرض تقريباً، ودون عدد كبير من السكان، ودون أية مواد أولية ـ موناكو، وليشتنشتاين LIECHTENSTEIN، وكايمانس (CAIMANS)، وسنغافورة ـ حيث تمتلك دخولاً بالنسبة للفرد الأعلى في العالم.

**الفوضى المعممة**

لم يتوقف "وَكْرُ" الفوضى عن التوسع، ليشمل دولاً أكثر ويمتصها كل مرة ويضيفها إلى الدول التي تعاني من ركود اقتصادي وبلداناً يسودها العنف المستوطن. فهناك أكثر من ستين نزاعاً مسلحاً، منذ عام (1989)، نهاية الحرب الباردة، مما تسبب في مئات آلاف القتلى، وأكثر من (17) مليوناً من اللاجئين! لقد أصبحت الحياة اليومية جهنمية، بكل بساطة، ولا تطاق، في العديد من الأماكن من الأرض. حتى العديد من الأشخاص، والشباب منهم بشكل خاص، يبحثون للهرب من الفوضى والعنف، أكثر فأكثر، ويريدون الهجرة بأي ثمن نحو المناطق المتطورة والموطدة السلام وبحثاً عن لقمة العيش.

كما لوحظ أيضاً، هناك آخرون ينكرون كفاح من هم أكبر منهم سناً من أجل الاستقلال، في بعض المناطق، ويعلنون عن رغبتهم بعودة القوى الاستعمارية "كما جرى في جزر القمر". دون أن يعلموا، أن تخلف بلادهم يعود جزئياً إلى ذلك الاستعمار ويتساءل بعض المثقفين، فيما إذا كان العالم الثالث قد توقف كونه كياناً سياسياً.

ويشهد كل ذلك على وجود أزمة تعاني منها الدولة/ الأمة، نتجت عن السياسة الحالية، حيث تحول الثورة الرأسمالية الثانية، وعولمة الاقتصاد، والتغيرات التكنولوجية، تحول البيئة الجيوسياسية، في الوقت الحاضر أيضاً، حيث يتضاعف عدد الشركات العملاقة، إلى درجة تغلب وزن هذه الشركات على وزن الدول، بسبب اندماجها مع بعضها أو اتحادها، وتجمعها. إذ تتجاوز أرقام حجم أعمال شركة جنرال موتورز، الدخل الداخلي الخام (PIB) للدانمارك، كما يتجاوز رقم حجم أعمال شركة اكسكسون موبيل الدخل الداخلي الخام للنمسا. وتبيع، كل شركة واحدة من المائة شركة كبيرة رئيسة، أكثر مما تصدر كل واحدة من المائة والعشرين بلداً من البلدان الأفقر في العالم. إذ تسيطر هذه الشركات العملاقة والشاملة على (70٪) من التجارة العالمية.

ويمتلك زعماء هذه الشركات، كذلك الحال بالنسبة للمجموعات المالية، والإعلامية، تمتلك السلطات الحقيقية. وذلك عن طريق قوتها كمجموعات ضغط لوبي LOBBY) عالمية، وإنها تحط بثقلها على القرارات السياسية الصادرة عن الحكومات الشرعية والمنتخبة. وبهذا، فإنها تصادر الديموقراطية لصالحها.

**الضرورات ضد السلطات**

يبدو أن أكثر الضرورات، في مقاومة أو معارضة السلطات التقليدية "الأحزاب، النقابات، الصحافة الحرة"، بأنها، قليلة الفاعلية أو التأثير، وبشكل لم

يسبق لها مثيل. ويتساءل المواطنون ما هي المبادهات الجريئة التي تعيد الأوضاع إلى حالها، من أجل القرن الواحد والعشرين، في مجال العقد الاجتماعي ضد العقد الخاص. وهم يتذكرون أن عشرة أيام تكفي "أن تهز العالم" كما حدث في تشرين أول عام (1917) أيام الثورة البلشفية. وبأن المدحلة الضاغطة للرأسمالية قد توقفت للمرة الأولى، وبشكل دائم.

لقد كانت انطلاقة الرأسمالية قد أُنْعِشَت بأعمال المنظرين الكبار، أمثال: (آدم سميث، ودافيد ريكاردو)، ونتيجة الإنجازات التكنولوجية الحاسمة: "الآلة البخارية، السكك الحديدية..."، وبواسطة انقلابات جيوسياسية هامة "تعزيز الإمبراطورية البريطانية، توحيد ألمانيا، بروز الولايات المتحدة". كل هذا الترافق، نتج عنه الثورة الرأسمالية الأولى. وشجعت على توسع اقتصادي هام. لكن في الوقت نفسه ـ فقد سحق هذا التوسع: العمال، حتى أولئك الذين حققوا الثروة، عن طريق عملهم في المعامل الجديدة، كما يشهد على ذلك ما كتبه تشارلز دكنز ( CHARLES DIEKENS) وإميل زولا (ÉMILE ZOLA) أو جاك لندن (JACK LONDON)، من روايات عنيفة.

فكيف يمكن الاستفادة أو استغلال هذه الثروة الضخمة، جماعياً، التي نتجت عن طريق التصنيع. كل ذلك، مع تجنب أن يبقى هؤلاء المتواضعين، مسحوقين اجتماعياً؟ وسيرد كارل ماركس على هذا السؤال، في مؤلفه الرئيس، رأس المال، عام (1887). وقد توجب الانتظار خمسين عاماً، من أجل مجيء استراتيجي سياسي نابغة، هو لينين، على رأس البولشفيك، من أجل الاستيلاء على السلطة في روسيا على أمل مسيحي بتحرير "البروليتاريا في جميع البلدان".

### ثورة الرأسمالية الثانية

ويعرف الاتحاد السوفياتي تفجراً يمزقه، بعد سبعين عاماً، ويعرف العالم تغيراً جديداً كبيراً، والذي سيطلق عليه اسم "الثورة الرأسمالية الثانية"، وهي كالأولى، تبحث عن تضافر حزمة من التغييرات، التي ظهرت في ثلاثة حقول:

1ً) في المقام الأول: في المجال التكنولوجي، فقد جعل هذا التغير أو التبدل جميع قطاعات النشاطات، معلوماتيةبما فيها المرور إلى النشاطات الرقمية، جعلها معلوماتية: "الصوت، أو النص، والصورة، تنقل بعد الآن بسرعة الضوء، بطريقة الرمز الوحيد"، وقد شوشت العمل، والاقتصاد، والاتصالات، والثقافة، وأعمال الإبداع، والتسلية..... الخ.

2ً) في المقام الثاني: في المجال الاقتصادي. شجعت التقانات الجديدة على التوسع في المجالات المالية. فقد أنعشت النشاطات المالكة لأربعة أنواع أو أصناف رئيسة: كونية، مستمرة، فورية، وغير مادية. وقد شجع كل من ريغان ومارغريت تاتشر في ثمانينات القرن العشرين، البورصات الكبرى (BIG BANG) ومجموع القواعد أو التنظيم، الخاصة بها. حيث شجعا العولمة الاقتصادية، التي شكلت دينامية رئيسة في مطلع هذا القرن الواحد والعشرين، وفي التأثير على العالم، بحيث لم يعد في قدرة أي بلد أن يتهرب من هذه العولمة.

3ً) وفي المقام الثالث: في المجال الاجتماعي، فقد تسببت هذه التغييرات بإحداث الضرر في المزايا التقليدية للدول/ الأمم ومتسببة في تخريب بعض مفاهيم التصور السياسي والسلطة. وقد بدا ذلك على أنها مركبة أو مبنية على شكل شبكة أفقية، أكثر فأكثر، وعمودي وتسلسلي وتسلطي منذ عهد قريب .وبحيث تسمح وسائل الإعلام الكبرى الجماهيرية بالتلاعب بالأذهان وعلى نحو رضائي.

وتبحث المجتمعات التي فقدت التوجه الصحيح، وكذلك وقعت في اليأس والقنوط، تبحث عن معاني ونماذج جديدة، لأن هذه التبدلات أو التغييرات الكبرى الثلاث، نتجت في آن واحد، عن ذلك. وهذا ما يزيد من تأثير الصدمة.

**الاتصالات والتسوق**

في الوقت نفسه، اعتمدت الديمقراطيات الحديثة على عمودين، هما التقدم، والتلاحم الاجتماعي . الذين حل محلهما اثنان آخران . هما، الاتصالات والسوق . اللذان بدلا من طبيعة العلاقات.

فقد أصبحت الاتصالات الخرافة الأولى في الوقت الحاضر، مما تسببت بالأزمات بين الأشخاص، بصورة خاصة، وكذلك الحال، في نطاق العائلة، كما في المدرسة، وفي المؤسسات كما في الدول، كونها القادرة على تسوية كل شيء. مع ذلك، بدأ يدب الشك، بأن تسببت كثرتها، بشكل جديد من النفور أو الكراهية، وبأنها، بدلاً من أن تحرر الاتصالات، فقد حبست الزيادة في الاتصالات الخاصة بالعقل.(5)

وأصبح للسوق بعد الآن، ميل لإدارة جميع النشاطات الإنسانية وتنظيمها، وكانت بعض المجالات . الثقافية، الرياضية، الدينية . باقية خارج مدى سيطرتها. والآن، فقد جرى امتصاصها بواسطة فلك السوق. فقد فوضت الحكومات أمورها، إليها، أكثر فأكثر "التخلي عن قطاعات، الخصخصة". وفي هذه الحالة، يبقى السوق الخصم الرئيس أمام التلاحم الاجتماعي "والتماسك العالمي، لأن منطقةُ يريد فقط مجتمعاً، ينقسم إلى مجموعتين: مجموعة من الموسرين، وأخرى من غير الموسرين. ولا يهتم السوق بهؤلاء الأخيرين مطلقاً. فهم خارج اللعبة أيضاً، كما يقال. ويستمر السوق كونه المنتج لعدم المساواة، من حيث الجوهر، ويزيد من عجرفة مذهلة.

ويشهد على ذلك هذه الطرفة: قيل إنه يوجد إعلان يغطي أروقة عشرات المطارات الأوربية، ينقل نموذجاً يصور عن الثورة الثقافية الصينية، يظهر فيها صفوفاً من المتظاهرين، ينتظمون في مواكب عديدة، وهم يلوحون بأعلام متعددة الألوان، ووجوههم عابسة، ويحركون الأعلام في الهواء، ويلوحون بها، وهم يصرخون: "أيها الرأسماليون، في جميع البلدان، اتحدوا".

ويتعلق الأمر هنا بدعاية نشرتها مجلة فوربس (FORBES)، مجلة المليارديرية. وهذا الأمر، تبديل لاتجاه الشعار الشيوعي الأكثر شهرة، والقائل: "بروليتاريا، في جميع البلدان اتحدوا". وأصبح من الواجب إعادة النظر بهذه الطريقة الخداعة، من أجل ذلك، من أجل إشهارا لمائة والخمسين عاماً، التي مرت على صدور البيان الشيوعي، كاحتفال بذكراه. ذلك البيان الذي شارك في كتابته كل من كارل ماركس وفريدريك انجلز، عند بلوغ الأول، سن الـ (30) عاماً، والثاني (28) عاماً. وكذلك ثورة عام (1848): "التي فرضت التصويت العام الذكوري، وإلغاء العبودية"، تم التمرد بشهر أيار عام (1868).

وبطريقة تؤكد، أيضاً، ودون الخوف أن تصبح محل تكذيب "فإن الإعلانات لم تصبح ممزقة، ولا محل إهمال"؛ في أمرين: فلم تعد الشيوعية محل خوف، أما الرأسمالية، فإنها انتقلت إلى الهجوم فكيف يمكن توضيح عجرفة رأس المال هذه؟

**الوهم المدمر**

لقد بدأ بعد سقوط جدار برلين واختفاء الاتحاد السوفياتي، وفي ظرف غباوة أو بلادة سياسية، حيث يتوضح الخزني لوهم مدمر. فقد أصابت الرؤى الفجائية من جميع النتائج إلى الشرق من عقود زمنية من التدويل، أصابت الأذهان بصدمة وشوشتها. فقد تجلى النظام دون حرية ودون اقتصاد السوق في لامعقوليته المأساوية، وعن نتيجته الطبيعية من الظلم أو الجور. فلقد أُرهق الفكر الاشتراكي،

بطريقة معينة، باستمرار. وبالطريقة نفسها، فقد أُرهق نموذج التقدم الإيديولوجي المدعي بالتخطيط المطلق للمستقبل والبرمجة للسعادة.

فقد توضحت أربع قناعات جديدة، في نطاق اليسار، واضعة شروطاً للأمل لتحول المجتمع جذرياً: ما من بلد يستطيع أن يتطور بشكل جدي دون اقتصاد السوق. ويتسبب تأميم وسائل الإنتاج بصورة منهجية والمبادلات، يتسبب في التبذير والنقص. ثم لا يشكل التقشف لخدمة المساواة، بحد ذاته، برنامجاً لحكومة. وأخيراً للحرية الفكرية وحرية التعبير، شرط ضروري، بعض من الحرية الاقتصادية.

لقد تسبب إخفاق الشيوعية وانبجاس الاشتراكية، بطريقة غير مباشرة، بالتدمير الإيديولوجي لليمين التقليدي "الذي تم اكتشافه، من أجل قاعدة عقائدية وحيدة، معاداة الشيوعية"، وإنها كَرّسَت الليبرالية الجديدة (NÉOLIBÉRALISME) كمنتصر كبير في المجابهة شرق - غرب. فهذه الدينامية، كانت إذن قد شهدت اختفاء خصومها الرئيسين، بعد أن كانت قد كبحتهم منذ بداية القرن العشرين، وبأنها تنتشر الآن على المستوى الكوني، مع طاقة بعشرة أضعاف. وهي تحلم بفرض مفاهيمها على العالم، بسبب وَهْمِها أو خداعها الخاص، كونها فكراً وحيداً على الأرض بالكامل.

ويسمى هذا المشروع في الغزو بـ "العولمة". فهي تنتج عن الترابط الاقتصادي أكثر فأكثر في جميع البلدان، مع ترابط وثيق بالحرية المطلقة لانتقال رؤوس الأموال، وعلى إزالة الحواجز الجمركية، وعلى التنظيمات، وتكثيف التجارة والتبادل الحر، وعلى تشجيع كل ذلك من قبل البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ومن قبل منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية، ومنظمة التجارة الدولية.

لقد أقيم فصل بين الاقتصاد المالي والاقتصاد الحقيقي، فمن حوالي الـ (1500) مليار دولار التي تمثل العقود المالية اليومية، على المستوى العالمي، هناك (1٪) فقط، مخصص لإيجاد ثروة جديدة. والباقي هو ذو طبيعة نظرية.

وتترافق هذه الأنظمة العجيبة للنيولبراليزم، مع انخفاض ذي مغزى لدور الفاعلين العموميين، حتى في البلدان المتطورة جداً. وقد بدأت بالبرلمانات وغيرها من المؤسسات الديمقراطية كذلك، بدمار بيئي، وتفجر في التفاوت أو عدم المساواة، وبالعودة الحساسة لظهور الفقر والبطالة ونتائجها الاجتماعية: مثل تفجر العنف الاجتماعي، وجنوحية إجرامية وفقدان الأمن. كل ذلك، تمثل نفي للدولة الحديثة والمواطنة.

**العلوم التقنية والمجتمع**

إننا نشهد، في الوقت نفسه، انفصالاً جذرياً، بين التكنولوجيات الجديدة ، من جهة، ومفهوم التقدم في المجتمع، من جهة أخرى، فقد عملت الانطلاقة، منذ مطلع ستينيات القرن العشرين، لعلوم الأحياء الجزئية، والمشاركة بقوة للحساب الذي يسمح بعد اليوم بالمعلوماتية، وعملت على سرقة الاستقرار العام للنظام التقني بشكل صارخ. وتصبح السيطرة على هذه بالقوة العمومية، أكثر صعوبة فأكثر.

والنتيجة: فقد تكشف عجز المسؤولين السياسيين عن تقدير التهديدات الخفية بالنسبة لمستقبل الإنسانية، نتيجة التسارع في العلوم التقنية(6) وتمر هنا، أيضاً، بالاعتماد على خبراء غير منتجين والذين يقودون القرارات الحكومية في الظلام.

**مستقبل الإنسانية**

إن المشاهد للكرة الأرضية عن بعد، يَفْتَن بلونها الأزرق المستحب، المبرقع بالأبيض، والمبقع بالغيوم، وبالانطباع عن الثروة والرخاء الذين تطلقهما. كما يفتن بالإنبات الوافر، وبمباحث الإنبات الغزيرة، والحيوانات الآهلة الكثيرة. وقد

سيطرت هذه الطبيعة السخية، الفردوسية، الوافرة، وخلال آلاف السنين. وقد تغذى الكائن البشري، منذ ظهوره، وعاش فيها منذ زمن بعيد، ويتعاطف مع هذه الطبيعة الأم.

لكن شرع الإنسان في التدمير المنهج للأوساط الطبيعية، منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر، نتيجة الثورة الصناعية، باسم التطور والتقدم. وتلاحقت أعمال النهب والتخريب من جميع الأنواع، محدثة دماراً في التربة والمياه وفي مناخ الأرض. وجرت الأعمال الحضارية المتسارعة، والقضاء على الغابات الاستوائية، والتسبب في تلوث البحار والأنهار، والقيام بأعمال أدت إلى تسخين الجو، وإفقار طبقة الأوزون، والتسبب في الأمطار الحامضية: هذا التلوث الناتج عن تأثيرات تعرض مستقبل كرتنا الأرضية للخطر بعد اليوم.

من جهة أخرى، أصبح الكائن البشري، بعد الآن، على مقدرة أن يغير نفسه جينياً. إذ تتسارع المغامرات العلمية، وتدعنا نستشف اللحظة التي تصبح عمليات تفسيل الجنس البشري، بالنسبة للبعض قابلة المواجهة أو محل نظر في مواجهتها. ولم يتم اجتياز الحدود. سواء أكانت مثبتة على المستوى الدولي أو على المستوى الوطني، بعد، في مجال الاستنساخ أو التفسيل. وإن موضوع النعجة دولي (DOLLY)، تلك النعجة المستنسخة، أصبحت اليوم بالغة سن الرشد، وقد برهنت على صحة الاستنساخ في ربيع عام (1997) إلى جميع من كان يشك حتى ذلك الوقت بهذا العمل العلمي.

من جهة أخرى، يثير موضوع تواجد منتجات الذرة مثلاً، أو الصويا المعالجة جينياً، في الأسواق الأوربية، تثير العديد من الأسئلة بشأن الأخطار التي يمكن التعرض لها: فلأي هدف، ومن أجل من، فهل وضعت الأجهزة العضوية، المعدلة جينياً، تحت الاختبار؟ وهل من الضروري القيام بذلك؟ وهل ذلك مقبول؟

يمكن أن يواجه نصف سكان العالم مشاكل النقص في المياه الصالحة للشرب في عام (2003). وفي عام (2010)، سينقص الغطاء من الغابات في مجمل الكرة الأرضية أكثر من (40٪)، مقارنة بالعام (1990). وفي عام 2025، يمكن أن يصل عدد سكان العالم من "7.5 إلى 9.5" مليار نسمة، مقابل (6) مليار اليوم. وفي العام (2040)، يمكن أن يؤدي تراكم الغاز الناتج عن الدفيئات، إلى ارتفاع في درجة حرارة الكرة الأرضية من (1 إلى 2) سنتغراد، على درجة الحرارة المتوسطة للكرة الأرضية، وارتفاع في مستوى مياه المحيطات والبحار من (0.2 إلى 1.5)م.

فيجب على البلدان المصنعة .حيث أن الرفاه قائم جزئياً على الإنتاجية الكثيفة، وعلى الاستغلال المفرط للبيئة .وكما على البلدان النامية، يجب البحث وبسرعة، عن الوسائل التي تستجيب للحاجات الحالية، دون تعريض قدرات أجيال المستقبل للخطر في المستقبل، وتلبية حاجاتهم الخاصة.

**كوارث بيئية**

ما هي الرهانات الرئيسة التي تجابهها الإنسانية، في مطلع القرن الواحد والعشرين؟ لنتجنب انحرافات علم أصبح علماً تقنياً (TECHNOSCIENCE)، بشكل كبير، وأكثر فأكثر قرباً من السوق: إنها، خفض تلوث البيئة والكفاح ضد التبدلات التي تحدث في المناخ بشكل كبير وكامل. وحماية التنوع الحياتي BIODIVERSITE وعرقلة إنهاك المصادر الطبيعية، وكبح تآكل التربة والتصحر. وإيجاد الوسائل لإطعام من (8-10) مليار كائن بشري.

يؤدي إتلاف البيئة أو تخريبها، إلى نتائج خطيرة على المدى الطويل، وتستطيع تأثيراتها أن تكون غير قابلة للإصلاح. مثال ذلك، يلزم عدة قرون زمنية، وحتى آلاف السنين، من أجل أن تفقد بعض الفضلات النووية، إشعاعاتها النشيطة القاتلة. فالعالم يخر تحت الحطام. فعلى مستوى الكرة الأرضية، فهناك أكثر من (2) مليار

طن من الفضلات الصناعية الصلبة، وحوالي (350) مليون طن من الحطام الخطر. إليها، يجب إضافة (7000) طن من المنتجات النووية، حيث لا نعلم، كيف التخلص منها على الدوام .والتي تتراكم كل عام. وإن بلدان منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OCDE) مسؤولة عن (90٪) من إنتاج هذه المنتجات الخطرة.

إن القلق المتعلق بحماية الطبيعة، هو من الأمور القديمة جداً: فقد كتب عن ذلك مهندس زراعي لاتيني، حول وقاية التربة منذ القرن الثالث الميلادي، جرى البحث عن تنظيمات ستهدف حماية الغابات نتيجة إصلاح الأراضي الكثيف، المرتبط بالتوسع الديموغرافي، لكن، إنه مطلع القرن الواحد والعشرين، الذي يشكل التفكير البيئي.

فقد صاغ عالم الكيمياء السويدي، سفانت أرهانيوس (SVANTE ARRHANIUS) في عام (1910)، وللمرة الأولى، فرضية تتعلق بإعادة تسخين المناخ للكرة الأرضية، مرتبط بتراكم تدريجي للغازات الصناعية في الجو. وأخذ الاهتمام بهذه الأمور يزداد، فقد اهتم في عام (1926) بنذر تلك الغازات، عالم الأحياء فلاديمير فرنادسكي (VLADIMIR VERNADSKY)، ومن ثم في خمسينيات القرن العشرين اهتم بعض علماء الاقتصاد بذلك كنث بولدنك Kenneth boulding اهتموا جميعاً بموضوع الآثار الحاسمة الناتجة عن النشاطات الإنسانية على البيئة.

وأخذ الرأي العام يشعر بالقلق، منذ سبعينيات القرن العشرين، نتيجة التوسع الاقتصادي والديموغرافي السريع، وما يمكن أن ينتج عن ذلك من آثار سيئة على المدى الطويل. فقد صدر في عام (1964) مؤلف بعنوان: "ليس لنا سوى أرض واحدة: (NOUS NA'VONS QU'UNE TERRE)". وفي عام (1972)، صدر تقرير بعنوان أوقفوا النمو أو التنمية؛ (HALTE Á LA CROISSANCE) الصادر عن نادي

روما، وتغذي جميع هذه المؤلفات، الخشية من كارثة بيئية رئيسة مرتبطة بالتزايد السكاني المفرط، وعلى التلوث البيئي، وإفناء أو نضوب المصادر الطبيعية.

وقد حاول مؤتمر ستوكهوم عام (1972)، من ثم، في عام(1980) إجراء المحادثات تحت عنوان: استراتيجية عالمية لحفظ البيئة، في محاولة لتحديد ميزات عالم مناسب، من حيث التطور، ويحترم البيئة. لقد أصبح موضوع "التنمية المستمرة"، في مقدمة اهتمامات العالم وبارتباط ذلك بتنمية البيئة ( Eco DÉVELOPPEMENT)، منذ عام (1987) مع نشر تقرير منظمة الأمم المتحدة، تحت عنوان: مستقبلنا المشترك (OUR COMMON FUTURE).

**النقص في المياه الصالحة للشرب**

في القرن السادس عشر، كان يقدر عدد سكان الكرة الأرضية بـ (450) مليون فرد. ثم تزايد ذلك العدد، ليصبح(1.5) مليار في عام (1900)، وأضيف إلى ذلك الرقم الأخير مليار من الناس حتى عام (1950). واليوم، يتزايد سكان الكرة الأرضية بوتيرة لا سابق لها. إذ تحمل الأرض على ظهرها ما مقداره (6.3) مليار نسمة، وهذا الرقم يمكن أن يصل إلى  مليار إنسان، نحو عام (2050). ففي عام (2001)، (95٪) من القادمين الجدد على الكرة الأرضية، ولدوا في البلدان الأقل تطوراً.

فإذا كان لجميع الناس، مستوى حياة على الأرض كافة، كما هو الحال في سويسرا، يمكن للكرة الأرضية عندئذ، بالكاد أن تؤمن حاجات (600) مليون شخص فقط. وإذا كان الأمر عكس ذلك، أي أن يعيشوا، كما يعيش الفلاحون في بنغلادش، يمكن لحوالي (18 إلى 20) مليار إنسان، أن يستمروا بالعيش، وكان حوالي (100) مليون شخص، ممن ينقصهم الحطب، أثناء العقد الأخير من القرن العشرين، الحطب من أجل العمل على طبخ وجبتين في اليوم الواحد. في حين يوجد

(1.5) مليار كائن بشري، مهددين بنقص الحطب للتدفئة، خلال مدة قصيرة. كما يقدر أن (800) مليون شخص، يعانون من سوء التغذية.

ويتسبب النقص في الماء على سطح الكرة الأرضية، بالقلق. إذ سيشكل الماء دافعاً للتوترات الاجتماعية والاقتصادية، التي يمكن أن تصبح خطرة جداً في يوم من الأيام، في جميع الأحوال. وتشكل إفريقيا العربية، والشرق الأوسط العربي، المناطق الأكثر تأثراً بنقص الماء. حيث ستنخفض مصادر المياه بالنسبة للفرد، من 80٪، ضمن مدى حياة إنسانية واحدة. إذ سيتراجع من (3430) متر مكعب، إلى (667) متر مكعب. والمعروف أن عتبة الإنذار، مؤكدة بـ (2000) متر مكعب للشخص الواحد.

وهناك تهديدات متعددة تحط بثقلها، فيما يتعلق بالمياه العذبة الصالحة للشرب قبل كل شيء، تحويل الأنهار نحو الري، مما يؤدي إلى جفاف في بعض المناطق الواقعة في سافلة الأنهار. ففي الاتحاد السوفياتي السابق، حيث انخفضت المساحة بمقدار (40٪) ما بين الأعوام (1960-1989)، وتحولت تدريجياً هذه المساحة إلى صحراء مالحة. يضاف إلى ذلكن بناء السدود التي تستهدف ري الأراضي، أو إنتاج الكهرباء، وتسبب في إغراق مناطق واسعة، وتخل أو تشوش هجرات الأسماك، ويمكن أن تتسبب في إحداث الفيضانات، باتجاه أسفل الأنهار. في الوقت نفسه، فقد نتج عن ذلك القضاء على بعض الغابات بسبب تحويل الأنهار، وطين الغابات، مما يتسبب عن ذلك العديد من المشاكل المناخية، كما أن السيطرة على الأنهار قد تسببت بأزمات متزايدة بين الشعوب. وهناك قلق آخر رئيس، وهو عدم معالجة المياه الوسخة، نتيجة طرح ما نتج عن الزراعة أو الصناعة، فنهر الدانوب، أصبح ضحية العديد من الملوثات، خصوصاً في ألمانيا، حيث منبعه.

فهناك العديد من العلامات التي تجعلنا نفكر أن المياه هي في طريقها إلى أن تصبح سلعة غذائية نادرة. والتوترات التي تثيرها هنا وهناك. ليست، بلا شك، سوى علامات نُذُرٍ عداء لإحداث قطيعات أكثر عمقاً بلا شك. فالمياه العذبة، هي رهان لا يقبل الجدل، في القرن الواحد والعشرين، إلا في الحالة التي يمكن إيجاد الوسائل قليلة الكلفة، للتخلص من ملوحة مياه البحار، خلال العقود الزمنية القادمة. لكن، ستصبح البحار والمحيطات نفسها، محل رهان من النوع نفسه وإن كان بدرجة أقل. إذ ستشكل التقليلات أو التخفيضات في المصادر الخاصة بصيد الأسماك، مصدراً لخلافات متعددة. وفي المستقبل القريب، إنه تلوث بعض البحار، الذي بدأ بالبحر الأبيض المتوسط، الذي يمكنه أن يتسبب في مواجهات بين البلدان الشاطئية لهذا البحر.

لقد أقر مؤتمر برلين حول المناخ، في شهر نيسان عام 1995، أقر الفكرة، أن السوق ليس على قدرة لكي يستجيب لمعالجة الأخطار الشاملة التي تحط بثقلها على البيئة. وأظهر مؤتمر كيوتو (اليابان)، الذي انعقد بتاريخ تشرين الثاني عام (1997)، أن تأثير الدفيئات يمكن أن يتسبب في تأثيرات كارثية على المدى الطويل. وهذا ليس تأكيداً، لكن، يقيناً، إذا أردنا الانتظار حتى الحصول على تأكيدات عملية، أو "شبه تأكيدات" فسيكون الأمر متأخراً جداً للتحرك. وسيكون لارتفاع مستوى مياه المحيطات، وربما الآن، بأن يتسبب في حدوث أضرار لا يمكن إصلاحها، ومناطق ستصبح ربما متصحرة بالكامل.

وسيكون هناك (6) مليون هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة سوف تختفي كل عام، بدوافع التصحر. أما التآكل، والإفراط في استغلال التربة، واستغلال مراعي بعض المناطق أكثر مما ينبغي، في كل مكان من العالم، مما يتسبب في قضم مساحات واسعة من الأراضي القابلة للزراعة، بوتيرة متسارعة. والنتيجة، سوف

تتحول المناطق الجافة، ونصف الجافة، إلى صحارى. عندها لا يمكن للأرض أن تتسبب في إطعام سكانها في هذه المناطق. وعندها أيضاً، ستصبح الحيوانات والنباتات نادرة فيها.

**موت الغابات**

فقد تحولت مساحة مليون كيلو متر مربع من الغابات "ثمان وعشرين مرة من مساحة فرنسا"، إلى صحراء قاحلة، حتى بداية تسعينيات القرن العشرين، وهناك أكثر من (30) مليون كيلو متر مربع أصبحت مهددة بالتصحر أيضاً. ويمكن لهذه الظاهرة أن تصبح معطلة، أو معرقلة، وذلك بوضع حد لأعمال استصلاح الأراضي، وبسبب أعمال زراعة الأراضي رخصة العود، وكذلك تحويل بعض الأراضي إلى مناطق استكلاء "من الكلأ". وقد قدرت تكاليف خطة العمل هذه، من قبل برنامج الأمم المتحدة، بـ (14) مليار دولار.

لقد أصبحت التوازنات البيئية في الكرة الأرضية، هشة، نتيجة التلوث الصناعي بصورة أساسية، خصوصاً في بلدان الشمال، وإقليمياً أيضاً، عن طريق فقر بلدان الجنوب. وهذا لا يراد به القول، إن الحدود الطبيعية للإنتاج، وعدد السكان، قد تم الوصول إليها، أو بلوغها، على الكرة الأرضية، وهذا يعني أن شروطاً اجتماعية واقتصادية وسياسية، لا معقولة، يمكن أن تصبح شروطاً إنسانية، تؤدي إلى الموت من الجوع.

وهناك، ما بين (10 إلى 17) مليون هكتار من الغابات تختفي كل عام، طبقاً لمصادر أخرى. وهذا يعني أربع مرات من مساحة سويسرا. وفي كل عام، هناك حوالي (6000) نوع من الحيوانات تشطب من الكرة الأرضية، إلى أبد الآبدين، ويشكل موازٍ يُسَرِّع اختفاء الرداء الخضري، من التآكل في ملايين الهكتارات، كما أن أعمال حريق الشجر للزرع في موضعها، تطلق كميات كبيرة من الغازات الكربونية في الجو.

ولم تعد الأشجار عندئذ على قدرة من امتصاص فوائض الغازات. والنتيجة: إن القضاء على الغابات هو أحد الأسباب الرئيسة لتأثير المزروعات المحمية.

والغابات الأكثر تأثراً، هي الغابات الاستوائية، التي تفقد من "1.5 إلى 2٪ من مساحتها كل عام. فقد اختفى في إندونيسيا حوالي (80٪) من الغابات ذات الرطوبة العالية من جزيرة صوماطرا، حتى سبعينيات القرن العشرين. وقد تضاعف قطع الأشجار من بورنيو بمقدار خمس مرات، خلال ستة عشر عاماً. ويرجع سبب هذا التدمير وأصله الرئيس إلى التسارع الشديد في عدد السكان، الذين يستخدمون الحطب كوقود من أجل الطبخ، والأرض من أجل زراعتها. ويعتبر استغلال الغابات من قبل البلدان الغنية، بمقدار (20٪) من قطع الأشجار المنفذ في العالم الثالث. إن نزع الغابات يدمر الميراث البيولوجي الوحيد: وتؤوي الغابات الاستوائية الرطبة. (70٪) في الواقع، من أنواع الأشجار التي أحصيت على كرتنا الأرضية. وتسارع التجارة الدولية بالتأكيد في تفاقم التربة ونزع الغابات.

ويستمر "مفهوم التنمية المستمرة" بالتقدم. والفكرة العامة بسيطة: التنمية مستمرة إذا ورثت أجيال المستقبل بيئة من نوع مسأو على الأقل إلى تلك التي تلقيناها من الأجيال السابقة. ويمكن مع ذلك أن نتساءل، إذا استند المنطق الحالي للتنمية، على السوق، من حيث الأساس، فهل ينسجم عندئذٍ مع الاستمرارية في حياة طبيعية في بيئة نظيفة حقاً؟

مثال ذلك، الزراعة في بلدان أوربا الغربية، التي تبعث على الصبر بهذا الصدد. فباسم الإنتاجية، أصبح كثير من الفلاحين، نوعاً من الصناعيين، وإنهم لا يقيمون أية علاقة مباشرة مع الطبيعة، لأن تربية الحيوانات والزراعة، يمكنها بعد الآن أن تستغني عن التربة. فقد فتحت هذه القطيعة مع رابط ذي علاقة بالأسلاف أمام جميع الانتهاكات، خصوصاً فيما يتعلق بعمليات الاختيار "CHOISIFICATION"

للحيوان، ومن تحويله، من آكل للعشب إلى آكل للحم، إذ أخذت هذه الحيوانات تستهلك الهياكل العظمية الخاصة بأجناسها، سواء أكانت حاملة لعدوى ما أم أنها هي الناشرة للعدوى، لقد فاقم هذا الإفساد لسلسلة الغذاء الطبيعي، باسم خلل أو عدم انتظام العقائد الليبرالية، تفاقم عن طريق النزعة التسامحية (LAXISME) أي المذهب الأخلاقي واللاهوتي أو السياسي، الذي يدعو إلى التسامح والتصالح . في مجال السيطرة الصحية للسلطات، مما سمح بظهور نوع من الأمراض مثل ما يسمى: "البقرة المجنونة" الذي نشر "خوفاً مرعباً" جديداً، في أماكن عديدة من العالم.

وسيكون هناك ديناميكيتان متعاكستان، خلال عشر السنوات التي ستأتي، وستلعبان دوراً حاسماً على الكرة الأرضية، حسبما هو محتمل. من جهة هناك، مصالح الشركات الكبرى العالمية، المدفوعة بمشاغلها المالية، والتي تؤدي خدمة للتكنولوجيا العلمية (TECHNOSCIENCE) على أمل الحصول على الربح بالدرجة الأولى. من جهة أخرى، هناك أيضاً، جذب أخلاقي، بشأن المسؤولية، نحو تنمية أكثر عدلاً تأخذ بالاعتبار المخاوف على البيئة، وهي بلا شك، من الأمور الحيوية بالنسبة لمستقبل الإنسانية.

**تكنولوجيا فائقة HYPERTECHNOLOGIE**

يضاف إلى ذلك الثورة المعلوماتية التي عملت على تفجر المجتمع المعاصر. إذ تسببت في تشويش انتقال الخيرات، وشجعت على توسع الاقتصاد المعلوماتي، والعولمة. وهذا لم يقم بقلب جميع بلدان العالم إلى مجتمع وحيد، للآن. إلا أنه يدفع باتجاه اهتداء المجتمع نحو طراز اقتصادي وحتى وحيد، وذلك بإقامة شبكة على سطح الكرة الأرضية لخدمة ذلك الطراز. حيث أقام نوعاً من الرابط الاجتماعي / الليبرالي، مشكل بالكامل، من شبكات، فاصلة الإنسانية إلى أفراد معزولين، الواحد عن الآخر، في عالم فائق التقانات.

النتيجـة: أصـبح منطـق المنافسـة مرتفعـاً إلى درجـة أن صـار مـن الضـرورات الطبيعية للمجتمع. وقد أدى ذلك العمل إلى فقدان الشعور أو الإحساس بـ "العيش المشترك"، و"الخير المشترك". ومستحدث إعادة توزيع الأرباح الإنتاجية، لصالح رأس المال، وبحضرة العمال. وهنا يتعمق التفاوت أو عدم المساواة. فعلى سبيل المثال، هناك، في الولايات المتحدة (1٪) من السكان، يمتلكون (39٪) من ثروة تلك البلاد. وتعتبر كلفة التضامن من الأمور التي لا تطاق، وأصبحت فكرة صرح الدولة ـ العناية الإلهية- مدمرة(7)

فأمـام هـذه الشراسـة والعجالـة في جميـع هـذه التبـدلات، تضـمحل السـمات، وتتراكم الشكوك، ويبدو العالم قد أعْتَم، ويبدو التاريخ أنه قد زاد في الأزمات ويجد المواطنون أنفسهم في قلب الأزمة، عندما يموت الطاعن في السن، ويتردد الجديد في أن يولـد، أو كمـا يقـول توكفيـل (TOXQUEVILLE)، "عنـدما لا يوضـح الماضـي المستقبل، تمشي الروح في الظلمات".

## الهوامش:

*(1)- INTERNATIONAL HERALD TRIBUNE (7) JANVIER 2002.*

*(2)- ON PEUT TOUTEFOIS PRÉVOIR QUE LES ETAT – UNIS VONT MAINTENIR LEURS FORCES EN.*

*AFGANISTAN AND IRAK POUR LONGTEMPS.*

*GEORGES. W. BUSH A ASSURÉ, FIN DECEMBER 2001, QUE LE TROUPES AMERICAIN EST ENGAGEES DAN LES OPERATIONS CONTRE LE RESEAU AL – QUAÏDA ET SON CHEF OUSSAMA BEN LADEN Y RESTERAIENT POUR UNE (ASSEZ LONGUE PERIODE).*

*(3)- L' ANCIENNE SECRÉTAIRE D'ETAT DU PRESIDENT CLINTON, MADELEINE ALBRIGHT, EST ALLÉE JUSQU'A AFFIRMER, PAR EXEMPLE QUE "LA CHAINE CNN EST LE SEIZIEME MEMBRE DU CONSEIL DE SECURITE DE NATIONS UNIES".*

*(4)- VALEUR DE LA PRODUCTION GLOBALE (BIENS ET SERVICES) D'UN PAYS.*

*(5)- CF. IGNACIO RAMONET. LA TYRANNIE DE LA COMMUNICATION, PARIS, GALILÉE (1999) GALLIMARD, COLL "FOLIO ACTUEL" NO. 92; 2001.*

*(6)- CF "RAVAGES DES TECHNOSIENES" MANIERE DE VOUR, N° 38. MARS – AVRIL 1998.*

**المراجع:**

1- د/خالد الكركي ، دراسة بعنوان (الثقافة القومية والدينية :صراع أم حوار )، جريدة الرأي الأردنية،طبعة2007.

2- د /خالد عربيدات ، دراسة بعنوان (دراسة في الفكر العربي ) ، جريدة الرأي الأردنية ،2007طبعة.

3- د/عبد الرحمن حمادي ،دراسة بعنوان( صورة المسلمين في السينما العالمية )، مجلة البيان ، العدد171، الكويت ،طبعة 1997 .

4- د/عبد الرشيد عبد الحافظ ، دراسة بعنوان( الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها )، مكتبه مد بولي ،طبعة 2005.

5- د/عبد العزيز التو يجري ، دراسة بعنوان( العالم الإسلامي في عصر العولمة ) ،دار الشروق ،طبعة2000.

6- د/عبد الرشيد عبد الحافظ ، دراسة بعنوان (الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها ) ، مكتبه مد بولي ،طبعة 2005.

7- د/عبد الصبور شاهين،محاضرة له بعنوان(التحديات التي تواجه لغتنا الجميلة )،الخميس9/9/2006.

8- د/عبد العزيز التو يجري ، دراسة بعنوان (العالم الإسلامي في عصر العولمة ) ،دار الشروق ،طبعة2004.

9- سليم علي جواد ؛مقال بعنوان (نحن والآخر) ، مجلة الراية ، العدد 203 ، بيروت ،طبعة1988

10- د/نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، سلسله عالم المعرفة، الكويت، طبعة2001

11- ها يل عبد المولى طشطوش ، دراسة بعنوان (العولمة تأثيرات وتحديات) ، دار الكندي ،طبعة2007.

12- د/صوفي حسن أبو طالب-رئيس مجلس الشعب الأسبق-كتاب بعنوان(تطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد العربية)،الطبعة الرابعة عام1993م/1413ه،صفحة13:11.

13- إبراهيم، سعد الدين. 2000. المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الوطن العربي. القاهرة: دار قباء.

14. أبو سيف، عاطف. 2005، ط1. المجتمع المدني والدولة: قراءة تأصيلية مع إحالة للواقع الفلسطيني. الأردن، عمان: دار الشروق.

15. بشارة، عزمي. 1998. المجتمع المدني : دراسة نقدية (مع إشارة للمجتمع المدني العربي). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

16. 1996. مساهمة في نقد المجتمع المدني. رام الله، مواطن: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية.

17. بلقزيز، عبدالإله. 2001. في الديمقراطية و المجتمع المدني : مراثي الواقع، مدائح الأسطورة. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.

18. الجابري، محمد عابد. 1998. "المجتمع المدني: تساؤلات وآفاق" ص 39-53، في حمودي، عبدالله (إشراف)، ط1. وعي المجتمع بذاته، عن المجتمع المدني في المغرب العربي. المغرب: دار توبقال للنشر.

19. حجازي، مصطفي. 1984. التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور. بيروت معهد الإنماء العربي.

20. حطب، زهير. 1983. تطور بنى الأسرة العربية والجذور التاريخية والاجتماعية لقضاياه المعاصرة .بيروت: معهد الإنماء العربي.

21. حمودي، عبد الله (إشراف). 1998، ط1. وعي المجتمع بذاته، عن المجتمع المدني في المغرب العربي. المغرب: دار تبقال للنشر.
22. شرابي، هشام. 1992. النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي. ترجمة محمود شريح. بيروت مركز دراسات الوحدة العربية.
23. الصبان، ريما وآخرون. 1999. قضايا وهموم المجتمع المدني في دول مجلس التعاون: المؤسسات، التشريعات، الأقليات. الكويت: دار القرطاس للنشر.
24. عبد الصادق، علي. 2005. المجتمع المدني: دراسة في تطور المفهوم وإشكالياته في الخطاب العربي المعاصر. أبو ظبي: مكتب نائب رئيس مجلس الوزراء لشؤون الإعلام.
25. الغانم، إبراهيم البيومي (محرر). 2003، ط1. نظام الوقف والمجتمع المدني في الوطن العربي. بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية والأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت في الفترة من 8-11 أكتوبر 2001. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
26. غرايبة، مازن خليل. 2002، ط1. المجتمع المدني والتكامل، دراسة في التجربة العربية. سلسلة دراسات استراتيجية. العدد 75. الإمارات: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.
27. الفالح، متروك. 2002. المجتمع والديمقراطية والدولة في البلدان العربية: دراسة مقارنة لإشكالية المجتمع المدني في ضوء تعريف المدن. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
28. ـــ 1998. "المجتمع والديمقراطية والدولة في الجزيرة العربية، دراسة مقارنة لإشكالية "المجتمع المدني" على ضوء تريف "المدينة العربية"" ص ص 51-

100، في الصبان، ريما وآخرون. قضايا وهموم المجتمع المدني في دول مجلس التعاون: المؤسسات، التشريعات، الأقليات. الكويت: دار القرطاس للنشر.

29. "قضايا المجتمع المدني في ضوء أطروحات جرامشي" 1992. مركز البحوث العربية، الجمعية العربية لعلم الاجتماع. القاهرة: مؤسسة عيبال للدراسات والنشر.

30. "قضايا الإصلاح في العالم العربي" القاهرة: مكتبة الإسكندرية 12-14 مارس 2004.

31. مؤتمر الاتجاهات المعاصرة في إدارة مؤسسات المجتمع المدني في الوطن العربي. 2004. القاهرة: المنظمة العربية للتنمية العربية.